

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

الملك المصطفى

فِي سَيْرَةِ الشَّيْخِ صَالِحِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عُصْمُونَ رَحِمَهُ اللَّهُ

تقديم
سَمَاحَةُ الشَّيْخِ

عبد العزيز بن عبد الله بن محمد بن الشيخ

المفتي العام للمملكة العربية السعودية
ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء

فضيلة الشيخ الدكتور
 عبد الله بن عبد الرحمن الفوزان

فضيلة الشيخ الدكتور
 صالح بن فوزان الفوزان

جمع وإعداد

الدكتور طارق بن محمد بن عبد الله الخويطر

ذَلِكَ الْكِتَابُ الَّذِي يَنْزِيلُهُ

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

الدر المصون

في سيرة الشيخ صالح بن علي بن غصون رحمه الله

تقديم
سماحة الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ

المفتي العام للمملكة العربية السعودية
ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء

فضيلة الشيخ الدكتور
عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

فضيلة الشيخ الدكتور
صالح بن فوزان الفوزان

جمع وإعداد
الدكتور طارق بن محمد بن عبد الله الخويطر

بسم الله الرحمن الرحيم

ح) دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الخويطر، طارق محمد

الدر المصون في سيرة الشيخ صالح بن غصون/ طارق محمد

الخويطر- ط٢- الرياض ١٤٣٠هـ

٤٤١ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٠١١-٣٨-٦

١- ابن غصون، صالح بن علي، ١٤١٩هـ أ. العنوان

١٤٣٠/٢٨٤

ديوي ٩٢٢.١١٣

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٢٨٤

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٠١١-٣٨-٦

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧



هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ - ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

تقديم

سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . أما بعد :
فقد اطلعنا على كتاب «الدر المصون في سيرة الشيخ صالح بن علي بن غصون» - رحمه الله - والتي أعدها الدكتور / طارق بن محمد بن عبدالله الخويطر ، جزاه الله خيراً على ما قدم .

والشيخ صالح بن غصون من العلماء الأعلام ، وهو غني عن التعريف به ، وقد أبلى في الإسلام بلاءً حسناً حتى وافاه المنون ، فغفر الله له ورحمه وأسكنه فسيح جناته ، وجمعنا وإياه ووالدينا ومشايخنا وذرياتنا وسائر المسلمين في فردوسه الأعلى ، وحشرنا جميعاً في زمرة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

أما الكتاب المذكور فإن شئت أن تسميه بالروضة الغناء فسمّه ، فإن معده - وفقه الله - قد أجاد وجمع طرفاً من ترجمة الشيخ رحمه الله واستكتب محبي الشيخ من طلابه وزملائه ، وكذا أيضاً جمع ما قيل في رثائه من شعر ونثر ، ثم عقب بنماذج من بحوثه وكلماته وفتاواه ، فلعل هذا الكتاب أن يكون موفياً لبعض حق الشيخ - رحمه الله - علينا ، وأن يكون تذكرة للأجيال القادمة وتعريفاً لهم بمقام الشيخ ومنزلته ، فغفر الله له ورحمه ، وجزى الله الدكتور طارق الخويطر عنا خير الجزاء .

وصلّى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

المفتي العام للمملكة العربية السعودية

ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء
مكتب المفتي العام

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ... أما بعد:

فقد اطلعنا على كتاب ((الدر المصون في ترجمة الشيخ صالح بن علي بن غصون)) - رحمه الله - والتي أعدها الدكتور/ طارق بن محمد بن عبد الله الخويطر، جزاه الله خيراً على ما قدم. والشيخ صالح بن غصون من العلماء الأعلام وهو غني عن التعريف به وقد أبلى في الإسلام بلاء حسناً حتى وافاه المنون فغفر الله له ورحمه وأسكنه فسيح جناته وجمعنا وإياه والدينا ومشايخنا وذرياتنا وسائر المسلمين في فردوسه الأعلى وحشرنا جميعاً في زمرة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

أما الكتاب المذكور فإن شئت أن تسميه بالروضة الغناء فسمه ، فإن معذره - وفقه الله - قد أجاد وجمع طرفاً من ترجمة الشيخ رحمه الله واستكتب محبي الشيخ من طلابه وزملائه وكذا أيضاً جمع ما قيل في رثاه من شعر ونثر ثم عقب بنماذج من بحوثه وكلماته وفتاواه ، فلعل هذا الكتاب أن يكون موفياً لبعض حق الشيخ - رحمه الله - علينا ، وأن يكون تذكرة للأجيال القادمة وتعريفاً لهم بمقام الشيخ ومنزلته. فغفر الله له ورحمه ، وجزى الله الدكتور طارق الخويطر عنا خير الجزاء.

وصلّى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. ح.ع.

المفتي العام للمملكة العربية السعودية

ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء



تقديم

الشيخ الدكتور عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان، وفضل حملة العلم في كل زمان،
أحمدته وأشكره على جزيل الفضل والإحسان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا
شريك له، الملك الديان، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي بين شرائع الإسلام
والإيمان، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان.

أما بعد فقد قرأت كتاب (الدر المصون في سيرة الشيخ صالح بن غصون)، رحمه الله
تعالى، والذي جمعه وألفه الشيخ الدكتور طارق بن محمد بن عبد الله الخويطر فوجدته
كتاباً وافياً بسيرة الشيخ، وذكر مآثره، وأعماله، وفوائده، وعلومه، وما كان عليه طوال
حياته، وما تولاه من الوظائف والأعمال، وما قام به من التعليم والإفتاء، ونشر العلم،
ومن الصدقات ومساعدة الفقراء والمعوزين، وما كان عليه من الأخلاق الفاضلة والشيم
الرفيعة، التي جبله الله عليها، والتي تحلى بها؛ لتأثره بما حمله من علم الشريعة، والسيرة
النبوية، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، ومشايخه الذين تلقى عنهم العلم الصحيح، ولقد
أجاد الدكتور طارق في الانتقاء، واستوفى ما أمكنه من المقالات، والتزكيات، والتقارير،
والمرائي، والمذائح نظماً ونثراً، وقد تعب في هذا الجمع والكتابة، حتى حصل على هذا
المؤلف الوافي، والذي عبر عن سيرة هذا الإمام، وأعماله الصالحة، رجاء أن يكون قدوة
حسنة لتلاميذه، وأولاده، ومن يحب الاقتداء بعلماء الأمة وجهابذتها، فمثل هذا الكتاب
أهل أن يعاد طبعه، وأن يكون رفيق كل متعلم ومحب للعلم، فنوصي بطبعه ونشره،
والاستفادة مما فيه من أخلاق وأعمال، وندعو للشيخ صالح بن علي بن غصون الرحمة
والمغفرة والرضوان ورفع الدرجات، وأن يتقبل الله أعماله الصالحة، ويضاعف الحسنات،
ويمحو عنه الزلات، وأن يثيب الدكتور طارق بن محمد على ما بذله وجمعه، وصلى الله
على محمد وآله وصحبه وسلم.

عبدالله بن عبد الرحمن بن عبدالله الجبرين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصية من
عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين

الرقم:

التاريخ: ١٤٠٤/٨/١٠ هـ

المرفقات:

الموضوع:

الحمد لله الذي خلقه الانسان وعلمه البيان وفضل علمه العلم في كل زمان وأحمد واسكنه على جليل الفضل والاحسان وأستبدان لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك الديان وأستبدان محمد عبده ورسوله الذي بين سرائع الاسلام والايمان صدره عليه وسلم وعلى آل وصحبه والتابعين لهم باحسان ،
أما بعد فقد قرأت كتاب (الدر المصون في سيرة الشيخ صالح بن غصون) رحمه الله تعالى والذي جمعه وألفه الشيخ الدكتور طاهر بن محمد بن عبد الله الخويطر خريجه كذا باوا غنيا بسيرة الشيخ وذكر مآثره وأعماله وخواتمه وعلمه وما كان عليه طوال حياته وما تولاها من الوظائف والأعمال وما قام به من التعليم والاوتاء ونشر العلم ومن الصدقات ومساعدة الفقراء والمعوزين وما كلف عليه من الأجلالة الفاضلة والشيخ الرفيعة التي جبل الله عليه والتي تحلى بها لتأثره بها محله من علم الشريعة والسيرة النبوية وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ومشايقه الزينة تلقى عنهم العلم الصحيح . ولقد أجماد الدكتور طاهر في الانتقاء واستوفى ما أمكنه من المقالات والتركيبات والفقرات والمراعي والمدايح نظما ونثرا وقد تعب في هذا الجمع والكتابة حتى حصل على هذا المؤلف الوافي والذي عبرت سيرة هذا العلم وأعماله الصالحة رجاء أن يكون قدوة حسنة لتلاميذه وأولاده ومن يحب الاقتداء بعلماء الأمة وجهابذتها فمثل هذا الكتاب أهلان يعاد طبعه وان يكون رفيقه كل متعلم ومحب للعلم فتوصي بطبعه ونشره والاستفادة مما فيه من اخلاق وأعمال ونوع للشيخ صالح بن علي بن غصون بالرحمة والمغفرة والمهلون ورفع الدرجات وان يتقبل الله أعماله الصالحة ويغنا عن الحسنات ويحج عنه الزلات وأن يتيب الدكتور طاهر بن محمد بن علي ما بذله ويغفره ويصلح له على محمد وآل وصحبه وسلم

تقديم

الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه .
وبعد : فقد قرأت كتاب : الدر المصون في سيرة الشيخ صالح بن علي بن غصون ،
لمؤلفه : طارق بن محمد الخويطر ، فوجدته وافياً بالمعلومات عن الشيخ المترجم -
رحمه الله - ومعرفتي بالشيخ صالح بن غصون معرفة وثيقة ، فهو الرجل العالم
العامل الناصح ، الذي أفنى عمره في صالح المسلمين ، فجزاه الله خير الجزاء وغفر له
ورحمه ، وجزى الله الشيخ طارق على ما كتبه عن هذا العالم الجليل جزيل الأجر
والثواب .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

وكتبه

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله . والصلوة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه
 وبعد : فقد قرأت كتاب : الدرا المصون في سيرة
 الشيخ : صالح بن علي بن عصفون مؤلفه : طارده بن محمد
 الخولي طر فو حديثه وأضيا بالمعلومات عن الشيخ
 المترجم - رحمه الله - وعرفت بالشيخ صالح بن عصفون
 معرفة وشيقة فهو الرجل العالم العامل الناصح
 الذي أضاف عمره في صالح المسلمين - فجزاه الله
 خير الجزاء وغفر له ورحمه . وجزى الله الشيخ طارده على
 ما كتب عنه لهذا العالم الجليل جزيل الأجر والثواب
 رحمة الله على نبينا محمد وآله وصحبه

وكنته ضيالي في فؤاده العفزان
 عصفون بن علي بن عصفون

في ١٤/١/١٤٥٥ هـ

الديوان الملكي ينعى الشيخ ابن غصون (*)

صدر عن الديوان الملكي البيان التالي :

انتقل إلى رحمة الله تعالى ، صباح هذا اليوم - أمس - فضيلة الشيخ صالح بن علي ابن غصون عضو هيئة كبار العلماء ، إثر مرض طويل عن عمر يناهز الثمانين عاماً قضاها في سلك القضاء وفي هيئة كبار العلماء . . تغمده الله بواسع رحمته ومغفرته وأسكنه فسيح جناته .

«إنا لله وإنا إليه راجعون»

* * *

خادم الحرمين الشريفين يواسي أسرة ابن غصون (**)

بعث خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود برقية عزاء إلى علي ابن صالح بن غصون وإخوانه في وفاة والدهم فضيلة الشيخ صالح بن علي بن غصون هذا نصها :

المكرمون/ علي بن صالح بن غصون وإخوانه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد . .

فقد كدرنا نبأ وفاة والدكم فضيلة الشيخ صالح بن علي بن غصون - رحمه الله - وإننا إذ نبعث إليكم وإلى كافة أفراد أسرتم بتعازينا ومواساتنا ، لنبتهل إلى الله

(*) جريدة الرياض في ١٩/١٢/١٤١٩هـ، الموافق ١٠/٤/١٩٩٩م.

(**) جريدة البلاد: الأربعاء ٢١/١٢/١٤١٩هـ، الموافق ٧/٤/١٩٩٩م.

العلي القدير أن يتغمده بواسع رحمته ورضوانه ويسكنه فسيح جناته ، وأن يلهم الجميع الصبر ويهبكم الأجر ، وأن يعوض المسلمين بوفاته خيراً . والحمد لله على قضائه وقدره . . «إنا لله وإنا إليه راجعون» .

فهد بن عبدالعزيز

* * *

سمو النائب الثاني قدم تعازيه لأبناء وأسرة الشيخ ابن غصون والأمير سلمان تقدم جموع المصلين على الفقيد (*)

أجرى صاحب السمو الملكي الأمير مشعل بن عبدالعزيز وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام اتصاليين هاتفين بأبناء المغفور له بإذن الله فضيلة الشيخ صالح بن غصون عضو هيئة كبار العلماء ، قدما خلاهما أحر التعازي وصادق المواساة في وفاة فضيلته وسألاً المولى عز وجل أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته وأن يسكنه فسيح جناته .

وكان صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض قد تقدم المصلين في صلاة الجنازة على فضيلته بعد عصر يوم أمس الأحد في جامع الراجحي بالربوة .

* * *

الرابعة تعزي في وفاة الشيخ صالح بن غصون (*)

قدمت رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة التعزية بوفاة الفقيه فضيلة الشيخ صالح بن علي بن غصون، العضو السابق في هيئة كبار العلماء ومجلس القضاء الأعلى في المملكة العربية السعودية. جاء ذلك في برقيتين، بعث بهما معالي الأمين العام للرابعة الدكتور عبدالله بن صالح العبيد إلى كل من سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز المفتي العام للمملكة العربية السعودية، وإلى علي بن صالح بن غصون ابن الفقيه.



نائب مفتي عام المملكة (**):

بيان الديوان الملكي يجسد الاهتمام بالعلماء

اعتبر فضيلة نائب مفتي عام المملكة العربية السعودية الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ صدور بيان الديوان الملكي بنعي فضيلة الشيخ صالح بن علي بن غصون تجسيدا لاهتمام الدولة بقيادة خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين بالعلم والعلماء.

وقال فضيلته: هذا البيان ومواساة الأمراء يدل على اهتمام الدولة - وفقها الله - بالعلماء وعنايتها بشأنهم، وأن للعلم وأهله عند الدولة والمسؤولين مكانة رفيعة.

(*) جريدة الرياض: الأربعاء ١٤١٩/١٢/٢١هـ، الموافق ١٩٩٩/٤/٧م.

(**) جريدة عكاظ: الأربعاء ١٤١٩/١٢/٢١هـ الموافق ١٩٩٩/٤/٧م.

فوفقههم الله وأعانههم على كل خير .

ونوه فضيلته بمناب الفقيدين ابن غصون قائلاً: كان رجلاً عالماً من علماء المسلمين . . نسأل الله أن يغفر له ويرحمه ويعوض المسلمين خيراً، ذلك أن علماء المسلمين لهم فضلهم وشأنهم . . والنبي ﷺ يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن بقبض العلماء» . . نسأل الله أن يوفق المسلمين للعمل الصالح .

وأضاف فضيلته قائلاً: الشيخ صالح رحمه الله معروف أنه كان أحد رجال القضاء وأحد أعضاء هيئة كبار العلماء، وكان له نشاط كبير في الدعوة إلى الله وإسهاماته في برنامج «نور على الدرب» وله مشاركات ظاهرة نسأل الله له الرحمة .

* * *

ابن جبير واللحيان وآل الشيخ ينعون الشيخ صالح بن غصون:

فتواه اتسمت بالمعقولية والتيسير على الناس(*)

المعقولية وعدم التضييق على الناس، فضلاً عن دماثة الخلق وذكاء الفطرة عندما تصقله الخبرة . . صفات قليلة من كثيرة نعاها عدد من أصحاب الفضيلة العلماء في فضيلة الشيخ صالح بن غصون الذي وافته المنية أمس الأول .

واعتبر أصحاب الفضيلة وفاة الشيخ صالح بن غصون خسارة كبيرة للعلم والإفتاء، والذي كرس حياته - رحمه الله - لهما فانتفع بهما طالبو العلم والفتوى .

ووصف سماحة الشيخ صالح بن محمد اللحيان رئيس مجلس القضاء الأعلى عضو هيئة كبار العلماء حياة الشيخ صالح بن غصون بأنها كانت حياة عمل، قامت على النفع وقضاء الحوائج وحسن المحادثة .

وأضاف: كان - رحمه الله - لا يمل من محدثه ولا من جلسه، نسأل الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته، وينفع بعلمه بعد موته وأن يتقبل منه صالح الأعمال .

وقال معالي الشيخ محمد بن إبراهيم بن جبير رئيس مجلس الشورى : إن الشيخ صالح بن غصون - رحمه الله - كان من أبرز العلماء ورجال القضاء في المملكة ، وكان له نشاطه القضائي والإداري الملموس في القضاء والإفتاء عبر برنامج «نور على الدرب» ، إضافة إلى نشاطه في مجالات العلم والتعليم .

أضاف أن الشيخ صالح بن غصون تمتع بذكاء فطري وكان لما حاصقلته الخبرة ، وفقدته خسارة لطلبة العلم والمستفيدين من علمه وفتاواه التي اتسمت بالمعقولية وبعد النظر وعدم التضيق على الناس في أمر يكون فيه سعة .

واعتبر معالي الدكتور عبدالله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ وزير العدل وفاة الشيخ صالح بن غصون خسارة كبيرة لعالم كبير ورجل فاضل ، نفع الله به وبعلمه الناس طيلة عمره الحافل بالعمل القضائي .

وأضاف أن الشيخ صالح بن غصون أثرى حياته العملية بما أفاض الله عليه من سعة اطلاع وعلم وفقه ، مما جعله واحداً من منارات العلم والإفتاء في هذا البلد المبارك .

وقال د . آل الشيخ : تمتع الشيخ صالح بن غصون - رحمه الله - بدمائة الخلق ولين الجانب والتبسط مع الناس ، والعمل على قضاء حوائجهم ، وإن فقد الأمة لأحد علمائها أمر صعب ، لكن العزاء فيمن بقي من أصحاب الفضيلة العلماء والمشايخ أمد الله في عمرهم .



وصفه بالصديق العزيز والحبیب(*)

سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز بحث أبناء الشيخ صالح بن غصون:
ادعوا له بالرحمة والغفران

أثناء لقائه بأبناء الفقيد - رحمه الله - حضر للعزاء سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، حيث دعا للفقيد بالرحمة والغفران ووصفه بأنه صديق عزيز وحبیب، كما حث أبناء الفقيد على الدعاء له، وذكر خلال حديثه قول الرسول ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

مقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد :

فلا يخفى على المسلم ما للعلم من فضل، وما للعلماء من مكانة، فهم خلفاء الله في عباده بعد الرسل، قال عز وجل: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١). وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة يعرف بها فضل العلم وأجره، وشموخ أهله ورفعة طلابه، من ذلك قول الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^(٢). قال ابن كثير: «أي وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم، المتضلعون منه»^(٣).

وقوله جل وعلا: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤)، وقوله عز وجل: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٥)، وقوله جل وعلا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٦).

قال ابن كثير: «أي إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم التقدير العليم الموصوف بصفات الكمال، المنعوت بالأسماء الحسنى، كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر»^(٧).

وأما من السنة فأحاديث كثيرة، منها حديث معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)^(٨).

(١) سورة آل عمران آية: (١٨).

(٢) سورة العنكبوت آية: (٤٣).

(٣) تفسير ابن كثير ٤١٤/٣.

(٤) سورة الزمر آية (٩).

(٥) سورة المجادلة آية (١١).

(٦) سورة فاطر آية (٢٨).

(٧) تفسير ابن كثير ٥٥٣/٣.

(٨) متفق عليه البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٧).

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة) ^(١).

وحديث أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم)، ثم قال رسول الله ﷺ: (إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت يصلون على معلمي الناس الخير) ^(٢).

وما رواه أبو الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر) ^(٣).

والأحاديث في ذلك كثيرة مشهورة، وإذا عرف المسلم فضل العلم والعلماء وعظم منزلتهم وسمو مكانتهم، أدرك خطورة فقدهم وخلو المجتمع منهم، فإن العلم يُتَقَصَّبُ بموت العلماء، وبذلك جاء الحديث الصحيح، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبقَ عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا) ^(٤).

قال النووي: هذا الحديث يبين أن المراد بقبض العلم في الأحاديث السابقة المطلقة ليس هو محوه من صدور حفاظه، ولكن معناه أن يموت حملته، ويتخذ الناس

(١) مسلم (٢٦٩٩).

(٢) الترمذي (٢٦٨٥).

(٣) أبو داود (٢٦٤١) والترمذي (٢٦٨٢) وابن ماجه (٢٢٣).

(٤) متفق عليه البخاري (١٠٠) ومسلم (٢٦٧٣).

جهالاً يحكمون بجهالاتهم، فيضلون ويضلون^(١).

وقد أوصى النبي ﷺ بالأخذ من العلم قبل أن يرفع، وذلك فيما رواه أبو الدرداء رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ، فشخص ببصره إلى السماء ثم قال: (هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدرُوا منه على شيء)، فقال زياد بن لبيد الأنصاري: كيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن، فوالله لنقرأه ولنقرئته نساءنا وأبنائنا؟ قال: (ثكلتك أمك يا زياد، إن كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة: هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى، فماذا تغني عنهم؟)^(٢).

وفيما رواه أبو أمامة رضي الله عنه قال: لما كان في حجة الوداع، قام رسول الله ﷺ وهو يومئذ مردف الفضل بن عباس على جمل آدم، فقال: (يا أيها الناس خذوا من العلم قبل أن يقبض العلم وقبل أن يرفع العلم)، وقد كان أنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾^(٣)، قال: فكنّا كُرّهنا كثيراً من مسألته، واتقينا ذاك حتى أنزل الله على نبيه ﷺ قال: فأتينا أعرابياً فرشوناه برداء، قال: فاعتم به، حتى رأيت حاشية البرد خارجة على حاجبه الأيمن، قال: ثم قلنا له: سل النبي ﷺ، قال: فقال له: يا نبي الله، كيف يُرفع العلم منا وبين أظهرنا المصاحف، وقد تعلّمنا ما فيها وعلمناها نساءنا وذرائعنا وخدمنا؟، قال: فرفع النبي ﷺ رأسه وقد علت وجهه حمرة من الغضب، قال: فقال: (أَيُّ ثَكَلْتِكَ أُمُّكَ، وهذه اليهود والنصارى بين أظهرهم المصاحف، لم يصبِحوا يتعلّقون بحرف مما جاءتهم به أنبياءهم، ألا وإن من ذهاب العلم أن يذهب حملته) ثلاث مرار^(٤).

وفي هذا رد على من زعم أن وجود الكتب يغني عن العلماء، وأن موت العلماء ليس بتلك المصيبة، لأنه كما يتوهم يستطيع أن يبين الحكم ويستنبط المسائل ويرجع عن طريق الكتب.

(١) شرح النووي على مسلم ٢٢٣ / ١٦.

(٢) الترمذي (٢٦٥٣) وابن ماجه (٤٠٤٨) وأحمد ١٦٠ / ٤، و٢٦ / ٦.

(٣) سورة المائدة آية (١٠١).

(٤) أخرجه أحمد ٢٦٦ / ٥.

قال ابن حجر: «وفي حديث أبي أمامة من الفائدة الزائدة أن بقاء الكتب بعد رفع العلم بموت العلماء لا يغني من ليس بعالم شيئاً»^(١).

إن فقد العلماء مصيبة عظيمة تكوي القلوب، وتضرم الجوانح، وتسعر الأجساد، وتقطع الأجلاد، وتفتت الأكباد. وإذا ما خلت بلاد منهم حسبتها خاوية من كل شيء، ما بها صافر ولا زافر ولا أنيس، ولا عين تطرف ولا جفن يذرف.

إن أمة بلا علماء لهي أمة حائرة، يُخَاف عليها الضلال، ويُتَنَظَر فيها الشقاء والفناء.

وأدم البكاء على أناس لا يرون للعلماء حقاً، ولا يقيمون لأقوالهم وزناً، فكيف يطلبون السعادة والهناء، فالهم لا يزال ضجيعهم، والغم كميعهم، والأسف أليفهم، واللهف حليفهم.

وإنك لتعجب ممن أترعت قلوبهم بالغضب، وأفعمت صدورهم بالغیظ، وشُحنت أجوافهم بالحنق، وطُبعت أحشاؤهم بالإحْن، سَلِمَ منهم أعداء الله ورسوله، ولم يَسْلَمَ منهم إخوانهم المؤمنون، فصوّبوا سهامهم نحو العلماء العاملين العابدين المخلصين. خلت مجالس هؤلاء المساكين من كل خير، وملئت بالانتقاص لأهل العلم والدين، غير سائلين ولا مستوحشين أن يجتمع في مجالسهم الموبوءة كبائر الذنوب، من الكذب والغيبة والنميمة وغيرها، فبارك صنعهم العدو الأثيم، يسبقه الشيطان الرجيم، فأنى لمثل هؤلاء الفلاح والنجاح؟!.

وبدل أن يبدؤوا إخوانهم وعلماءهم بالترحيب والتحية والتكرمة، تلقوهم بقطوب وعبوس وبسور وكسوف.

وما علم الواحد من هؤلاء المساكين أن للعلماء منزلة عظيمة، من رام ظلهم ظلم نفسه وعرّها، ومن حاول ضيمهم ضام نفسه وضرّها، لا تمتد إليهم يد ضائم إلا عادت إليه مبتورة البراجم، ولا هوت إليهم كف ظالم إلا انقلبت بائنة المعاصم، ومهما عابهم قليل دين وعقل، فعيبه به لاحق، وبعرضه لاصق، وإليه عائد، وعليه وارد. وسيكون عاره عليهم سمة في جبينه، وشامة في عرينه، ولو قدر لك أن تقف

على دخائل هؤلاء ودفائنهم وغيابات قلوبهم ومخبات صدورهم ومضمورات نفوسهم، لرأيت إثماً كبيراً، وشرّاً مستطيراً، والله غالب على أمره، ولن ينفع هؤلاء مكرهم وكيدهم، فقد حكم الله لأهل العلم والدين بالنصر العزيز، والأيد الشديد، والعز الوطيد، والظفر القاهر، والغلب الظاهر، والجد الصاعد، والعلاء الزائد، والقدح المعلى، والزند المورى.

وليت من سوّلت له نفسه بانتقاص العلماء، ليته حفظ كلمة الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز - رضي الله عنه - حين قال: «إن استطعت فكن عالماً، فإن لم تستطع فكن متعلماً، فإن لم تستطع فأحبهم، فإن لم تستطع فلا تبغضهم»^(١).

والأمة بأكملها حملت العلماء ثقباً يؤودهم، وجسمتهم أمراً يكدهم، وكلفتهم شيئاً ينوء بهم، فإذا ذهبوا فمن يحمل هذا العبء؟ ومن يطيق هذا الثقل؟

وإذا أصاب الأمة أزمة طامة، وملمة صاخّة، أو أثار حاقد نقع الفتنة، واقتدح نارها، واستفتح بابها، وثور رهجها، اشترأت أعناق الناس نحو العلماء ترقب مواقفهم، فلهم القدح المعلى في هذا السبيل، تأمل منهم موقف القوة والعز والصدق، وحق لهم ذلك. فللعلماء الصادقين مواقف مشرفة، وبطولات عظيمة على مدى التاريخ، سطرتها كتب السير والمفاخر، وحفظها كل مسلم يعتز بدينه وعلمائه. ومع أمل الأمة ويقينها تأتي أنفس العلماء الصادقة المشمخرة، سلاحها الإيمان بالله، وعتادها الإخلاص والصدق والعلم، وغايتها العزة في الدارين، وكلمة جهرها لا سرها: ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين، لا تريد مالاً ولا جاهاً، ولا تلقي لأوساخ الدنيا بالاً. همها عز الأمة ونجاتها، فيكشف الله بهم هبوات المحن، ومائرات الفتن، وأزمات الزمن، فيزول الخوف والوجل، ويتصل الأمن والدعة، ويعود البال في رخاء، والأمر في غاية الاستواء.

(١) سيرة عمر بن عبدالعزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، تأليف أبي محمد عبدالله بن عبدالحكم ص ١٣٧ - ط ١٣٤٦هـ.

إن طريق العلم طويل وشاق، قلّ من سلكه وتحمل أعباءه، ولذا فمن كانت نيته صالحة ونفسه كبيرة قدر على الاستمرار فيه، متعباً بذلك جسمه ونفسه، مواصلاً ليله بنهاره.

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

ومن أعطى العلم كله أعطاه العلم بعضه. ومما يحزن النفس، ويدمي الفؤاد، أن يفوت هذا الفهم على العاقل، فيعتقد أن العلم ينال بوقت قصير، وهمة متواضعة، وقراءة قليلة في أوقات الفراغ القصيرة المتناثرة، وهو مع هذا غير مقتنع بمطالعة أمهات الكتب، زاهداً في حضور مجالس العلماء، فهذا وأمثاله قصدهم الشاعر بقوله:

تمنيت أن تمسي فقيهاً مناظراً بغير عناء والجنون فنون

وليس اكتساب المال دون مشقة تلقيتها فالعلم كيف يكون

إن المستمع للعلماء لا يمل حديثهم، ولا يسأم مجالسهم، فكلامهم أُرِي مشقّي، وعسل مصفّي، أنيق النواحي، رقيق الحواشي، عذب المذاق، سلس على التراق، يتحدر على الأفهام تحدر الزلال على حر الأوام، يدب في الأفهام دبيب الصحة في دنف الأسقام.

إنك لتعجب أن يهيم مسلم في مجتمع يعج بالعلماء الأتقياء الصالحين، الذين نصبوا للحق أعلاماً لا تشبهه، وبنوا له مناراً لا يهدم، ورفعوا له راية لا تنتكس، وجعلوا له آية لا تنطمس، ونهجوا له طريقاً لا يلتبس، وهم مع كل هذا إذا ما ازورّ شخص عن الطريق الصحيح، واستنكف عن الحق الواضح الصريح، وتبرقع بالشنار، وتلفع بالمعرة، والتحف بالمسبة، وتنطق بالخزي، فزعوا وهم حماة الأمة بعد الله، وقاموا عليه بالصمصام البتار، وما أدراك ما هو، لا تنبو مضاربه، ولا تكل غواربه، إن اعتلى قدّ، وإن اعترض قط، فانقلب ذلك المبتدع خاسئاً حسيراً، ونكص على عقبيه ذليلاً مقهوراً، وولى دبره ملوماً مدحوراً. وأنى للمبتدعة وأشياعهم أن يقفوا أمام العلماء الأوابين، والأزكياء المنيين، فعدوهم مقهور، ومغالبيهم محذور،

لا يجادلهم إلا محجوج، ولا يباريهم إلا مفلوج، ولا ينازلهم إلا مفلول.
وبين فترة وأخرى نسمع لأهل الباطل نباحاً وصراخاً، يزينون باطلهم ويحمونه،
زاعمين أن النصر لهم، فإذا جمع الباطل فيهم ألفافه، وحوى منهم أحلافه، واشتد نحو
الحق وأهله إيجافه، صاحباً بالبغي أذياله، ومردياً بالغي أمثاله، أتيح له من أولياء الله
المجاهدين الصادقين من يفرق ما جمع، ويضع ما رفع، ويطمس ما تألق، ويرتق ما تفتق.
إن العالم الرباني الواحد يقف بعون الله في وجه فئام من أهل الباطل، لا يأبه بكثرتهم
ولا جدالهم، وإن رفعوا لواء البدع ورايات الشبه، أو زينوا الباطل أو اعترضوا طريق أهل
السنة، قتلهم بحجته، ووهصهم بقدمه، ووخضهم بيده وهو يردد:

لا تخش كثرتهم فهم همج الورى وذبابه أ تخاف من ذبان

إن من نعمة الله على العلماء أن يسمو ذكرهم في حياتهم، ويبقى بعد مماتهم،
وهاهم أولاء الأئمة الأعلام يعيشون بيننا في كل حديث ومناسبة، ويفرضون أنفسهم
في كل رسالة وكتاب وتحقيق، واختيار وترجيح، وتصحيح وتضعيف، وقد فاضت
أرواحهم الطاهرة منذ قرون عديدة.

من الناس ميت وهو حي بذكره وحي سليم وهو في الناس ميت

إنك لتأسى أن يمر في هذه البلاد المباركة مئات من العلماء العاملين المخلصين،
ولا تجد ترجمة وافية لهم، وإن وجدت لبعضهم فغالباً ما تكون إشارات خفيفة لم
يعتن بها، ويرجع ذلك إلى تقصير طلبة العلم وتواضع العلماء.

إن وفاة الشيخ صالح - رحمه الله - وأي عالم من علماء الأمة، في أي بقعة من
بقاع المعمورة، مصاب جلل وخطب عظيم، وثلمة يضعب سدها بعدهم.

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

وكيف لا يفقد هؤلاء العظماء، وهم في حياتهم يحملون من العبء أثقله، ومن
الهم أجله، يسهرون الليالي الطوال، ويصلون الليل بالنهار، طلباً لعز الأمة وحرصاً

على نجاتها، ولذا بكيناهم يوم ماتوا بصوب قلوبنا لا بقاء أعيننا، فيا رب ارحمهم وأسكنهم الفردوس الأعلى من الجنة، وما لنا بعد وفاتهم إلا الصبر والدعاء، ففي الصبر مسلاة الهموم اللوازم، وكل على حوض المنية وارد، وداء الموت ليس له دواء، وعزاء بعضنا لبعض، إن هذا طريق الرسل والأنبياء والصالحين، ولا بد من سلوكه، وهذا قضاء الله وقدره.

تعز فإن الصبر بالحر أجمل وما لامرئ عما قضى الله مَزَحَل

إن أمتنا بحمد الله تزخر بالعلماء الربانيين الحنفاء الأوابين، الذين ملأوا الدنيا علماً وهدىً ونوراً وتقى، وأقل حقوقهم علينا أن نذكر شيئاً من مآثرهم وجميل صفاتهم، ليبقى ذكرهم في كل جنان وعلى كل لسان، ما كرّ الجديدان. ومن هؤلاء العلماء، شيخنا العلامة الفقيه التقي الزاهد الورع صالح بن علي بن غصون - رحمه الله -، فهو ممن رسا طوده، وهطل جوده، وزخر بحره، وفاض نهره، وسطع سعده، وارتفع جده، ولطالما ورد الناس جداول أنهاره، ثقة بوفائه، وعلماً بصفاته، واستنامة إلى محمود وده، وكريم عهده، وجميل رفته، ومرضي شيمته وممدوح سجيته، وكريم طباعه وسعة باعه، ولا زال بعد وفاته كل محب له، واجم القلب ذابل النفس، ذاهل العقل، يدعو له بالرحمة والغفران، آناء الليل وأطراف النهار.

ولئن عشت في رحاب شيخنا - رحمه الله - فترة من الزمن، هي ربيع العمر وجمال المطالعة، فإن خبر وفاته قد هدّ ركني، وأطال حزني، واستكّ منه مسامعي، واستهلّت له مداامي، وأقض مضاجعي.

وما هذا الكتاب إلا أداء لبعض حقه علينا، حاولت جاهداً أن أذكر ما أعرفه عنه خلال سنوات قضيتها معه رحمه الله، وجعلت ذلك في مقدمة وثمانية فصول:

❖ المقدمة: في فضل العلم وعظم منزلة العلماء.

❖ الفصل الأول: سيرة الشيخ - رحمه الله -.

❖ الفصل الثاني: الشيخ صالح بن غصون - رحمه الله - بأقلام محبيه.

❖ الفصل الثالث: نماذج من بحوث الشيخ - رحمه الله - (قتل الغيلة).

❖ الفصل الرابع: نماذج من أحاديث الشيخ - رحمه الله - في الإذاعة.

❖ الفصل الخامس: نماذج من مراسلات الشيخ رحمه الله مع العلماء.

❖ الفصل السادس: نماذج من فتاوى الشيخ - رحمه الله - .

❖ الفصل السابع: نماذج من رثاء الشيخ - رحمه الله - نثراً.

❖ الفصل الثامن: نماذج من رثاء الشيخ - رحمه الله - شعراً.

راجياً من كل قارئ وطالب علم وصديق للشيخ تزويدي بما يثري ترجمة الشيخ، ويعطر سيرته، ليضاف إلى الكتاب في طبعات لاحقة إن شاء الله.

كما أهيب بطلبة العلم الذين حضروا مجالس العلماء، أو درسوا على بعضهم، أن يكتبوا عنهم ما يبقى ذكرهم، ويعرف الأمة بهم، ليكونوا قدوة ومنازلاً للسائرين.

وأخيراً أتقدم بالشكر الجزيل لكل من أسهم في إخراج هذا الكتاب بصورة جميلة تليق بمكانة شيخنا - رحمه الله -، وأخص بالشكر سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ المفتي العام للمملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء، على كرمه وتقديمه لهذا الكتاب، رغم أعبائه الجسيمة، ومشاغله الكثيرة، كما أشكر سماحة الوالد الشيخ الدكتور عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين حفظه الله وحماه، فقد تشرفت بعرض الكتاب عليه، آملاً تكرمه بالتقديم له، فقرأه رعاه الباري، وسدد خطاه، وسط أعبائه ومشاغله ودروسه ومحاضراته، وقدم له مشكوراً، ثم عرضته على فضيلة الوالد الشيخ الدكتور صالح ابن فوزان الفوزان، فتكرم بقراءته رغم ضيق وقته، وكثرة دروسه، وتفضل بكتابة تقديم للكتاب، فجزاه الله أحسن الأجر والثواب، وكان تقديم مشايخي الأجلاء الفضلاء وساماً للرسالة، وشرفاً لي، ومن أياديهم البيضاء الكثيرة التي لا تنسى على محبتهم، أدعو الله جل وعلا أن يبارك في علمهم وعملهم وأعمارهم، كما أسأله سبحانه أن يرزقهم السعادة في الدارين، وأن يتمتعهم بالصحة والعافية، وأن يقيهم ذخراً للإسلام والمسلمين. والشكر موصول للمشايع العلماء والأساتذة الفضلاء على ما سطرُوا من ذكرياتهم مع الشيخ رحمه الله، فذكروا محاسنه، بأطيب

كلام، وأحسن نظام، وأزين وصف، وأحسن رصف، وأفصح لسان، وأوضح بيان، يلذُّه الفؤاد، فكأنه وشي منشور، وروض ممطور، ودر منشور.

كما أشكر فضيلة الشيخ الدكتور إبراهيم بن محمد أبو عباة رئيس جهاز الإرشاد والتوجيه بالحرس الوطني على طول سؤاله واهتمامه وتشجيعه، ومتابعته للكتاب بنفسه رغم أشغاله الكثيرة، واسأل الله عز وجل في علاه أن يوفقه لكل خير وأن يجزيه خير الجزاء، وأن يبارك في علمه وعمله وعمره.

ولأخي الكريم الفاضل الدكتور محمد بن خالد الفاضل شكر خاص، فقد كان له عليّ بعد الله فضل كبير لا أنساه ما حييت، وها أنذا كلما تذكرت معرفته دعوت له في ظهر الغيب أن يحفظه ربي عز وجل، وأن يزيده علماً وفقهاً وتقوى وفهماً وتوفيقاً.

وأخيراً أشكر فضيلة الشيخ الدكتور عبدالرحمن بن عبدالكريم اليحيى مساعد رئيس جهاز الإرشاد والتوجيه بالحرس الوطني فقد قدم لي الكثير، جعل الله ذلك في ميزان حسناته.

غفر الله لشيخنا، وتجاوز عن سيئاته، ورأف به، وأكرم منقلبه ومأواه ومشواه، ورضي عنه وأرضاه، وطيب تربته وثره، وعفا عنه وزكاه، ولقاه من رحمته أوسعها، ومن مرضاته أفضلها، ومن مغفرته أكملها، ومن كرامته أجلها.

وختاماً أدعو المولى جل وعلا أن يتقبل هذا العمل ويجعله خالصاً لوجهه الكريم. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه:

طارق بن محمد بن عبدالله الخويطر

ص.ب ٢٦٥٣٥ - الرياض ١١٤٩٦

الفصل الأول

سيرة

الشيخ - رحمه الله -

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الشيخ صالح بن علي بن غصون

١٣٤١هـ - ١٤١٩هـ

اسمه:

هو الشيخ صالح بن علي بن فهد بن هزاع بن سليمان بن هزاع بن محمد بن سليمان بن محمد الحميدان وهو من قبيلة آل حميدان ، وأبو هذه القبيلة هو محمد الحميدان وهو من آل عنيق ، من آل راجح بن عساكر بن بسام بن عقبة بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب بن قاسم بن موسى بن مسعود بن عقبة من الوهبة من تميم من أهل الرس^(١) .

أما سبب التسمية بالغصون فقد سألت الشيخ رحمه الله عن ذلك فقال : إنني لا أعرف سبب ذلك وقد توفي والدي وأنا صغير ولم أسأله أو أذكر أن أحداً سأله .

مولده:

ولد رحمه الله في مدينة الرس عام (١٣٤١هـ) أو (١٣٤٢هـ) وتوفي والده وله من العمر ثلاثة عشر عاماً ، وبعد سنتين من وفاة والده فقد بصره .

قال الشيخ : فقدت عيني اليسرى وأنا صغير ، وذكر والي أنه دخلها حشرة ، أما العين اليمنى ، فقد انتشر مرض في القصيم يسمى أبا رويب ، وكانت الأعين تنتفخ ، وقد أصبت بهذا المرض ، واستعملوا معي الكي ولكنني فقدت عيني . والحمد لله على كل حال .

نشأته وتأثره:

قال الشيخ : بالنسبة للبداية فأنا متأثر بوالدي ، فلي أبوان صالحان ، وأهل استقامة والتزام تماماً ، وأنا متأثر بهما ، وأدعو لهما بالمغفرة والرحمة ، وأن يرفع درجاتهما ، ويعظم حسناتهما ، ولهذا نشأت على المحافظة على الصلوات منذ الصغر ، وعلى قراءة القرآن ، وكنت أصوم وعمرى اثنا عشر عاماً .

وبعد وفاة والده نشأ - رحمه الله - يتيماً فقيراً ، ومع ذلك لم يمنعه ذلك من طلب

(١) كتاب (قبيلة الحميدان) إعداد لجنة علمية .

العلم والاجتهاد فيه، وقد عاش رحمه الله في كنف والدته، وهي امرأة صالحة فأحسنت تربيته التربية الدينية، وكانت ترى فيه مخايل الخير وتباشير التفوق، وتوسمت له مستقبلاً زاهراً، فصدقت فراستها. حدثني عنها الشيخ مراراً بأنها صاحبة دين، وأنها تصلي كثيراً، وإذا أرخى الليل رواقه، وأسبل ستره، سمع بكاءها وهي تصلي، فتأثر الشيخ بصلاح أمه ودعائها، فتوجه بعزيمة صادقة، ونية صالحة، نحو طلب العلم، وسافر إلى الرياض على ظهر سيارة محملة بالخشب، ولم يركب فيها إلا بعد مساعدة من أهل الخير.

مشايخه:

سافر الشيخ رحمه الله إلى الرياض عام ١٣٥٧هـ أو ١٣٥٨هـ، ولازم مجالس سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم عشر سنين أو تزيد، ودرس عليه العلوم الشرعية. كما درس على فضيلة الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم الفرائض والأجرومية، ودرس أيضاً على الشيخ محمد بن عبداللطيف بعض العلوم الشرعية، وله مكاتبات مع الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله، كما كانت له صلة ومكاتبات مع فضيلة الشيخ محمد بن مانع، وسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، وسماحة الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله جميعاً، وقد كان - رحمه الله - كثير الذكر لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، ودائماً ما يذكر فضله عليه بعد الله، ومحاسنه وصلابته في الحق، وعزيمته في التعليم، وفطنته وذكاءه، وإصلاحه وإخلاصه، وكان الشيخ يترحم عليه دائماً ويدعو له بالرحمة والمغفرة، ويعترف بالتقصير في حقه.

محفوظاته:

حفظ الشيخ أثناء ملازمته لسماحة الشيخ ما يلي:

١- القرآن الكريم، وقد أتقنه رحمه الله قراءة وحفظاً قبل أن يبلغ الخامسة عشر من عمره، حتى ذكر لي أنه يقرأ القرآن كاملاً بدون خطأ، وأحياناً بخطأ واحد.

٢- الأربعين النووية.

٣- عمدة الأحكام.

٤- (١٠٠٠) حديث من بلوغ المرام .

٥- القواعد الأربع لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب .

٦- الأصول الثلاثة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب .

٧- كشف الشبهات لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب .

٨- كتاب التوحيد مع مسائله لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب .

٩- العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية .

١٠- العقيدة الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية .

١١- شروط الصلاة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب .

١٢- زاد المستقنع : وكان - رحمه الله - يردده ويشرحه في الدروس التي أقامها أثناء وجوده في البلاد التي عمل فيها قاضياً ، ولما سافر إلى الولايات المتحدة للعلاج ، أخذ معه متن الزاد وبعض كتب التفسير ، وقد قال لي رحمه الله : إنني استفدت من حفظ الزاد أشياء كثيرة من أهمها :

- أولاً : أنني عرفت قول المذهب في المسائل الفقهية .

- ثانياً : أنني عرفت مكان المسألة في الزاد ، فإذا طرحت علي أو أردت البحث في أي مسألة عرفت مكانها في الزاد وبقية كتب الفقه في المذاهب . ولا شك أن هذه فائدة عظيمة ، وبخاصة في بعض المسائل الفقهية التي توجد في أبواب متفرقة ، أو في باب يكون الرابط بينهما غير واضح ^(١) .

ومن إتقان الشيخ - رحمه الله - للزاد أنه كان يذكر أن «لو» في المتن ليست دائماً تشير إلى الخلاف ، وكان يحصر هذه المواضع ، وهذا الأمر يقل التنبه إليه عند الكثير .

(١) على سبيل المثال يذكر الفقهاء علامات البلوغ في باب الحجر ، مع أن المتبادر للذهن أنها تكون في كتاب الصلاة ، ويذكرون بيع أمهات الأولاد في كتاب الجهاد ، وإذا أخذ الوسيط السعي ، ثم ردت السلعة ، فإن كان بعيب فيها وجب عليه رد السعي ، وإن كان بسبب إقالة البائع أو المشتري ، فإنه يستحق السعي ، وهذه المسألة يذكرها الفقهاء في كتاب النكاح ، وأخبرني فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل - حفظه الله - أنه يجمع بعض المسائل التي من هذا القبيل .

١٣- متن الرحبة في الفرائض .

١٤- متن الأجرومية .

١٥- قطر الندى ، وقد أتقن الشيخ - رحمه الله - حفظه حتى قال لي : إنني إذا دعاني أحد الأصدقاء وقت الطلب ، قرأت القطر كاملاً حفظاً في طريقي إليه .

١٦- (٥٠٠) بيت من ألفية ابن مالك .

١٧- كثيراً من الأبيات الشعرية في الحكم والأمثال والوعظ .

أعماله:

كان الشيخ - رحمه الله - مولعاً بالعلم أثناء ملازمته لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ، قال لي : إنني كنت أراجع محفوظاتي في السطح في الشتاء ، وفي الصيف في قبو المسجد . ولما ذكر للشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - جده واجتهاده ودأبه ، وصرفه في طلب العلم عنايته ، ورآه أصيل الرأي ، مسدد العزم ، ماضي العزيمة ، جعله في حجرة خاصة ، ثم عينه قاضياً في سدير عام (١٣٦٨هـ) . فحاول الشيخ جاهداً في طلب الإغفاء رغبة منه في الاستمرار في طلب العلم ، ولكن محاولته لم تنجح .

قال الشيخ رحمه الله : وفي ذلك الوقت كان وادي سدير حوالي ثلاث عشرة قرية أو أربع عشرة كلها تابعة للمجموعة ، وباشرت العمل هناك ، وكان العمل كثيراً جداً ، أعمال عقارية ، وأوقاف ، وأسبال ، ومجاري سيول ، وأنا جديد على العمل ، ولم يكن هناك ملازمة للقاضي في ذلك الوقت ، ولم تكن المحكمة مهياً ، وليس لها تشكيل ، ولم يكن معي كاتب ، ولم يكن لي راتب ، إنما أخذ في السنة قرأً وعيشاً .

وفي عام (١٣٧٠هـ) فتح المعهد العلمي في الرياض ، فطلب الشيخ رحمه الله من سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم الدراسة فيه . ولم يستجب الشيخ لطلبه لعلمه بقدراته العلمية ، وقال له : الذين يدرسون سيتخرجون قضاة ، وأنت الآن قاض .

مكث الشيخ في سدير قاضياً نحو أربع سنوات ، وأثناء وجوده فيها كانت له دروس علمية ، في الروض المربع ، وثلاثة الأصول ، وكتاب التوحيد ، وبلوغ المرام ، وغيرها ،

وهو مع عمله وانشغاله شمل بلادهم خيره، وفشا فيهم بره، وانبسط عليهم فضله، الكفاية شعاره، والأمانة دثاره، والوفاء درسه، والصرامة مذهبه، والشهامة مركبه.

كان حريصاً على مصالحهم، يحثهم على كل ما فيه مصلحة لهم. ولذا لما نقل الشيخ، جاءت وفود من أهالي سدير إلى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، يطلبون إبقاء الشيخ صالح في سدير، وحتى بعد انتقال الشيخ إلى الرياض لم ينقطع أهالي سدير وشقراء والأحساء من زيارة الشيخ والسلام عليه.

انتقل بعد ذلك إلى محكمة شقراء وتوابعها، وفي عام (١٣٧٤هـ) فتح المعهد العلمي ودرّس فيه التوحيد والفقه بأمر من سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، إضافة إلى عمله في المحكمة، وأثناء وجوده في شقراء كلّف بعمل في الرياض لمدة سنة مع اثنين من القضاة، هما فضيلة الشيخ محمد ابن إبراهيم البواردي - رحمه الله - والشيخ محمد بن عبدالعزيز المطوع، للنظر في مشكلات الأراضي عام (١٣٧٨هـ). ولما انتدب رحمه الله أكثر أهل شقراء من المراجعة بطلب سرعة إعادته إليهم، إذ وجدوا منه النصح والعدل والحرص على نفع الجميع بكل ما يستطيع.

وقد أثنى عليه سماحة المفتي العام ورئيس القضاة الشيخ محمد بن إبراهيم في خطاب له لبعض الأشخاص من أهل شقراء يصرح فيه بنفع الشيخ صالح في البلاد التي قضى فيها، وبحسن سيرته فقال: وبالسابق أنتم الذين طلبتموه، فأثرناكم به على سواكم ممن رضوه، واغتبطوا به، وانتفعت به بلادهم، كما أنكم انتفعتم به السنين الطويلة، والحال أنه لم يحد عن سيرته المرضية، ونصحه للراعي والرعية. . ومن ذلك أنه شمر عن ساعد الجد والاجتهاد^(١).

انتقل إلى رئاسة محاكم الأحساء في أواخر عام (١٣٨١هـ)، وبقي في الأحساء إلى قرب نهاية عام (١٣٩٠هـ)، ثم انتقل إلى الرياض للعمل في محكمة التمييز، وفي عام (١٤٠١هـ)، انتقل إلى العمل في مجلس القضاء الأعلى، وبقي فيه حتى

(١) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ١٢/٣٣٦.

طلب التقاعد في ١ / ١ / ١٤٠٩ هـ بسبب ظروفه الصحية. وكانت خدمته في القضاء إحدى وأربعين سنة، لم يذكر أنه نقض له حكم قضائي خلالها.

في عام (١٣٩١ هـ) شكلت هيئة كبار العلماء، وشمله ذلك، وبقي فيها حتى سافر للعلاج في نهاية عام (١٤١٣ هـ)، وعرض عليه بعد عودته الانضمام مرة أخرى لهيئة كبار العلماء، فاعتذر لظروفه الصحية، حيث بدا عليه التعب والإجهاد، وصعب عليه السفر والجلوس والبحث الطويل، كما كان يفعله سابقاً.

وأثناء وجود الشيخ في سدير وشقراء والأحساء كان إماماً وخطيباً، ومتعاوناً مع هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومنذ عام (١٣٩١ هـ) وحتى وفاته رحمه الله كانت له مشاركة في برنامج «نور على الدرب» في الإذاعة، وكان آخر تسجيل له في شهر شعبان عام (١٤١٩ هـ) لما أحس بزيادة التعب والإرهاق، سجل بعض الحلقات وكانت آخر ما سجله رحمه الله.

تلاميذه:

لم يذكر لي الشيخ تلاميذ له في البلاد التي درس فيها، وأما في الرياض فقد كان أكثر دروس الشيخ - رحمه الله - في بيته، وهي متفرقة، فأيام لبعض الطلاب، وأيام للبعض الآخر، فهي أشبه ما تكون بالدروس الخاصة، ولذا فسأذكر من الطلاب من كنت أراهم يترددون على الشيخ أو أخبرني الشيخ بهم فمنهم^(١):

١- أحمد بن صالح الخليلي.

٢- أحمد بن محمد اللهيبي.

٣- أسامة الخميس.

٤- سليمان العجلان.

٥- صالح بن محمد الزكري.

(١) رتب الأسماء حسب الترتيب الهجائي.

- ٦- عبدالمجيد العبود .
- ٧- عبدالمحسن بن محمد القاسم .
- ٨- علي بن سليمان الشويهي .
- ٩- علي أبا الخيل .
- ١٠- علي الجويسر .
- ١١- محمد حجازي .
- ١٢- ناصر بن علي البراك .
- ١٣- هشام بن عبدالعزيز العمر .

مؤلفاته:

لم يكن للشيخ - رحمه الله - اتجاه للتأليف ، ويرجع ذلك - والله أعلم - إلى انشغاله بالقضاء ، ثم التعليم في الأماكن التي تولى القضاء فيها . غير أن له بعض البحوث الصغيرة ، كان قد بحثها أثناء عمله في محكمة التمييز وفي مجلس القضاء الأعلى ، طبع منها رسالة صغيرة بعنوان «قتل الغيلة» (*) ، وأصل هذه الرسالة وجهة نظر بخصوص قتل الغيلة ، حرر فيها - رحمه الله - قول المالكية الذي اعتمده من قال أن القاتل قتل غيلة يقتل حداً ولا يجوز العفو عنه ، وقد طبعت الرسالة عام (١٤١٩هـ) ، وتحت الإعداد فتاوى الشيخ في برنامج «نور على الدرب» ، وأحاديثه في إذاعة القرآن الكريم في مجلدات مرتبة مفهرسة - إن شاء الله تعالى - .

مكتبته:

كان الشيخ رحمه الله حريصاً على اقتناء الكتب العلمية المفيدة ، ويقرأ فيها كثيراً في مختلف الفنون ، وله اهتمام خاص بالكتاب ، فكان إذا أعار شخصاً كتاباً سأله مرات كثيرة هل انتهى من قراءة الكتاب ، ولا يطمئن حتى يرجع إليه الكتاب المعار .

أذكر أنني رأيت عنده كتاب الدرر السنية الطبعة الأولى ، ورآني معجباً به ، فقال

(*) انظر الفصل الثالث من هذا الكتاب نماذج من بحوث الشيخ رحمه الله .

خذه واقرأ به، فأخذته لكن في وقت كنت فيه مشغولاً، ولم أتمكن من القراءة فيه إلا قليلاً، وكنت كلما جئته للدرس سألني عن الكتاب، فعرفت قيمة الكتاب عنده، وأرجعته سريعاً قبل أن أكمل قراءته، خوفاً أن يصاب الكتاب بشيء، وأنا أرى اهتمام الشيخ، وسؤاله المتكرر عنه.

وحدثني الشيخ رحمه الله أن أحد أساتذة الجامعة، جلس مع الشيخ وسأله عن انطباعاته لما كان في الأحساء عن طائفة ضالة هناك، ثم طلب من الشيخ أن يذكر عناوين الكتب التي في مكتبته عن هذه الطائفة فذكرها له، وكان من بينها كتاب نادر يقع في مجلدين، فطلبه ولما أعطاه الشيخ تأخر الكتاب عنده كثيراً، قال الشيخ ولم يرجع لي حتى رأيت أحد أقاربه فكلمته عن الكتاب فأرجعه لي.

وللشيخ مكتبتان: الأولى في منزله في الرياض، والثانية في منزله في الطائف، ولما تقاعد عن العمل وانقطع سفره إلى الطائف، أهدى مكتبته التي في الطائف لمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وأما مكتبته التي في الرياض فأوصى أن توضع في مسجد بعد وفاته، ووضعت في مكتبة مسجد شيخ الإسلام، وهي مكتبة نفيسة اطلعت فيها على كثير من النواذر سواء في الطبقات أو في الموضوعات.

صفاته وأخلاقه:

كان الشيخ رحمه الله متصفاً بصفات العلماء العاملين العابدين، كان مثلاً للمسلم العامل في مجتمعه، فقد أدى حقوق المولى جل وعلا، ثم أدى حقوق العباد. قضى عمره طالباً للعلم، لم يفتأ عن القراءة والمراجعة والحفظ والاطلاع على كل جديد، طالما ارتاد مجلسه طلاب العلم وغيرهم، فتلقاهم ببر وبشر، واستقبلهم بهشاشة وبشاشة، وتهلل وجهه، وإشراق منظر، أصاب حبه من الناس شغاف قلوبهم، وحل في قلوب طلبة العلم اللطف محل، ونزل منها أكرم منزل، من بحث مسألة علمية حظي بالقرب، فهو أحسنهم عنده موقعاً، وأقربهم مكاناً، ذلك أن الشيخ رحمه الله قد أحب العلم حتى صار حديثه الذي لا يمل، ومطالعة التي لا تنقطع. رأيت كثيراً

من المحتاجين يتوافدون على الشيخ - رحمه الله -، فكان يبر المعتر، ويمول المؤمل، ويكافئ المعافي، ويوفي المعتفي، فما أهدها إلى فعل الخير، وما أعرفه بطرق البر، وما أسلكه لسبل الإحسان والفضائل، وأتركه لركوب طرق الرذائل، فله تلك السجايا الكريمة.

لطالما تذكر حياته القضائية والتي بلغت أربعة عقود من الزمن، دون أن يلحقه شنار أو منقصة، فهو طاهر من الخزايا، بريء من المذام، الهدى حاديه، والقرآن هاديه، والبر عادته، والعدل غايته، تذكرها - رحمه الله - فحمد الله أنه اجتهد في قضائه واستنكف عن كل نقص، ولم يظلم أو يحابي أحداً أو يجترح إثماً، فكان العلم سميره، والحلم وزيره، والتقوى مشيره، والصدق صديقه.

كان مشيراً لكل من استشاره، معاوناً لكل من طلب منه العون بما يستطيع، حفلت حياته رحمه الله بالجد والمثابرة والصبر، فكانت جهاداً مباركاً في كل شيء، رحمه الله فقد كان واسع الصدر، عف الضمائر، نقي السرائر، عفيف الغيب، نظيف الجيب، حسن القناعة، شديد النزاهة، فإن أردنا أن نعزي فإنما نعزي أنفسنا بموت عالم سد ثغرة يصعب سدها بعد وفاته، ومن أراد أن يعزي فعزاؤه للناس أجمعين، فالكل مصاب مضرور بموت الشيخ. فقد كانت له طلعة لا تمل، ورؤية لا تجتوى، وغرة لا تُكره.

عزة نفسه:

كان - رحمه الله - عزيز النفس، لم يهن نفسه في طلب أمر من أمور الدنيا، وقد حضرته مرة وقد اتصل به أحد التجار الكبار للسؤال، وقال له السكرتير: هذا بيت فلان. فقال الشيخ - رحمه الله -: هذا الهاتف للأسئلة لجميع من أراد الاستفسار، وكأنه - رحمه الله - أحس أن ذكر السائل لاسمه ليعطى منزلة خاصة، ولما انتهت المكالمة أثبتت على جرائته. فقال: ما دام الشخص نظيفاً نزيفاً فليس بحاجة لأحد، وليس لأحد عليه يد.

كرمه:

أما كرمه فكان طلق اليدين، رحب الصدر، يتفجر بالخير، وينفع بالعطاء، لطالما

رأيت من يحضر المسجد للسؤال من الفقراء، وأرى الشيخ دائماً يخرج المال ويعطي مَنْ يعطي الفقير. فكان رحمه الله يسعف حتى يسرف، ويلطف حتى يترف، ويمُنّ ولا يَمْتَن، ويتفجر ولا يتضجر، إضافة إلى المساعدات الأخرى التي كان يقدمها للعوائل المحتاجة، وهي كثيرة، يدل على كثرتها تردد كثير منهم على منزل الشيخ بعد وفاته - رحمه الله - يسألون نواله وأفضاله، ويؤملون عائده، وكأنه قد أجرى لهم رزقاً منظماً يحضرون في وقته.

وكانت مساعداته لهذه العوائل سراً، لا يعلم بها إلا من يقوم بإيصال المعونات لهم، كما حدثني أحدهم بذلك، ولما توفي الشيخ رحمه الله وتردد هؤلاء الفقراء، وكثر سؤالهم عن الشيخ، عرف الجميع سعة كرمه، وجميل جوده، ومزيد عطفه وشفقته، رحمه الله فقد كان معطاءً فياضاً، وحق لكل واحد منهم أن يتمثل بقول الشاعر:

وما كنت أدري ما فواضل كفه على الناس حتى غيبته الصفائح
فأصبح في لحد من الأرض ميتاً وكانت به حياً تضيق الصاحص
لئن حسنت فيك المراثي وذكرها لقد حسنت من قبل فيك المدائح

رحمه الله فما أمجد أخلاقه، وأفشى معروفه، وأندى أنامله، وأكثر صنائعه.

حتى سائقه ناله كرم الشيخ، فكان الشيخ يكرمه بالمال دائماً، وبين فترة وأخرى يعرض الشيخ عليه أن يعتمر على حسابه الخاص، ويأذن له في الذهاب أياماً، فكانت آمنيات عظيمة له تحققت على يد الشيخ، وهذا غيظ من فيض من كرم الشيخ. فقد كان يؤثر إعانة الملهور، وإفاضة المعروف، ويستحب بذل النوال، ويستلذ تفريق المال على العفاة وذوي الآمال، وقد اطلعت على هذا الأمر عن طريق السائق، وإلا فالشيخ أبعد الناس عن الرياء وحب المديح. فرحمه الله كثرت محاسنه، وجلت فضائله، وحسنت مكارمه.

ولئن رحل رحمه الله فقد بقي ذكره وفضله وأثره:

هذا الكريم مضى وولى عمره كفل الثناء له بعمر ثان

رقيقته:

أما رقيقته فكان كثير البكاء والخشوع، رأيته في المسجد يبكي عند قراءة الإمام في تفسير ابن كثير، وذكر قيام الرسول ﷺ آخر الليل وعبادته، وإذا تذكر صبر الأنبياء وجهادهم، ويبكي أيضاً إذا سمع عن إهمال الآباء لأبنائهم، ولا سيما إذا اتصل به سائل واستشف من سؤاله إهمال الأب لأولاده، وإذا أتى ذكر لوالدته فاضت دموعه، واستبقت عبراته، فيدعو لها بالرحمة والمغفرة.

عبادته:

وأما عبادته فكان - رحمه الله - يحج كل عام إلى قبيل مرضه. وكان كثير الصيام، كثير الصلاة، محافظاً على النوافل وقراءة الأذكار، حريصاً على الصلاة في المسجد، دائم التبكير إليها، يقطع حديثه ودرسه، ويذهب إلى المسجد ما إن يبدأ المؤذن بالأذان، رغم ما يمر به من ظروف صحية شديدة، ولا أذكر خلال صلاتي معه في المسجد تسعة عشر عاماً أنني رأيته في جماعة أخرى بعد انصراف الإمام، بل ولا أذكر أنني رأيته في الصف الثاني.

رأيته كثير القراءة للقرآن الكريم، فكان يختم رحمه الله القرآن كل ثلاثة أيام، وأحياناً كل أربعة أو خمسة إذا أحس بالتعب والإرهاق نتيجة ظروفه الصحية الأخيرة، وكنت أستمع إلى قراءته ومعني مصحف بين أذان العشاء وإقامة الصلاة، فيقرأ ما يقارب عشرين صفحة وأحياناً أقل، ولا يخطئ في آية أو كلمة.

بل عجبت منه كثيراً، فهو يقرأ القرآن في أي وقت تسنح فيه القراءة ولو كان قصيراً، كما بين نزوله من السيارة إلى المنزل وكما في زيارته التي يقوم بها، بل أكثر من ذلك، لما كنت أقرأ عليه بعض المتون في بيته، كنت إذا قمت لأحضر شيئاً عند باب الغرفة سمعته يقرأ حتى أرجع، ويردد - رحمه الله - إنني أريد أن يكون القرآن أنيساً لي في القبر، رحمه الله فلم يترك في المآثر نصيباً إلا أحرزه، ولا شرفاً إلا أدركه.

ذكاؤه وحفظه:

وأما ذكاؤه ونباهته فقد وهبه الله ذاكرة عجيبة، حتى قال لي مرة: إنني لم أكن أعرف معنى كلمة النسيان لما كنت صغيراً، وكنت إذا ذكرت لي الفائدة حفظتها وحفظت مكانها من الكتاب. وكان يقول: كنت أقرأ القرآن كله كما أقرأ سورة الفاتحة.

درس الشيخ حروف الهجاء لما كان صغيراً قبل أن يفقد بصره، وبعد ستين سنة من تعلمه ذلك كان يقول: أذكر كتابة حروف الهجاء التي تعلمتها، ثم يشير بإصبعه على الأرض ويكتبها لنا.

كان - رحمه الله - يتصور القرآن أمامه، ولذا إذا أراد قراءة تفسير آية من سورة طويلة كنت أقرأ عليه أي آية من هذه السورة، ثم يقول: بعدها بكذا وجه أو قبلها أو بعدها بقليل، وهكذا. وكذا كان حفظه لمتن زاد المستقنع. فكنت أسأله عن كلمة في موضوع ما ثم يطلب مني أن أقرأ عليه أي جملة من الزاد، وبعدها يخبرني في الحال بموقع الجملة التي سألت عنها ومعناها.

لما كنا نقرأ عليه في كتاب الروض المربع كان يذكر لنا بعض القضايا التي مرت عليه في سدير والأحساء. والعجيب أنه يذكر أن المدعي مثلاً في القضية كان امرأة، ثم يذكر حجتها في القضية وجوابه لها، والحوار الذي دار بينهما، ويقول كأنها واقفة أمامي الآن، علماً بأن القضية التي يذكرها مضى عليها أكثر من خمسين سنة.

ومن غريب حفظه أنه قرأ قديماً كتاب الطرق الحكيمة لابن القيم - رحمه الله - ولما قرأناه عليه بدأ يحدثنا بالقصص التي ذكرها ابن القيم بمواقعها من الكتاب قبل أن يصل إليها القارئ بقليل، وكأنه حديث عهد بقراءته.

وكان إذا طلب من أحد أولاده كتاباً من مكتبته، ذكر له مكانه من المكتبة بدقة عجيبة، وكأنه ينظر إليه.

كانت له دروس في بيته، يقرأ عليه بعض الطلاب كتاب الروض المربع، ويلفت

انتباه الجميع أنه في بداية الدرس، يذكر الشيخ القارئ بآخر ما قرأه من الكتاب في الدرس الماضي، رغم انشغاله بالقضاء، وبأمور أخرى كثيرة تشتت ذهن كثير من الناس.

وإذا أشكلت علينا مسألة كان بجوار الشيخ مكتبته الصغيرة، فيخرج لنا بنفسه من أجزاء الكتاب الذي يريد الرجوع إليه الجزء الذي نحتاج مراجعته؛ لتتضح المسألة المشككة.

أذكر يوماً بعد صلاة العصر وبعد قراءة الإمام بعض الأحاديث من كتاب رياض الصالحين، سمعت الشيخ - رحمه الله - يخبر الإمام بأنه ترك حديثاً كان المفترض أن يقرأه هذا اليوم، بعد أن وقف على الحديث الذي قبله بالأمس. فعلمت استحضاره لهذا الكتاب.

لما كان الشيخ رحمه الله قاضياً وإماماً في سدير، كان إذا سلم من الصلاة التفت وقال بعد التسبيح: لماذا أنتم أربعة أشخاص فقط؟ منتقداً قلتهم، وكانوا كما أخبرهم أربعة أشخاص، وقد تكرر إخبار الشيخ لهم بعدد المصلين أكثر من مرة.

كان - رحمه الله - كالمبصر يمشي وحده، ويصف الأشياء كأنه ينظر إليها، زاره أحد المدرسين ممن تعين في قرية خُفْ وأمضى بها مدة، وكان من عادة الشيخ أن يبادل الضيف الحديث، ويطمئن على صحته وحالته وأهله، ولما أخبر المدرس الشيخ بتدريسه في قرية خف أخبره الشيخ عن معرفته بهذه القرية وبطريقها والقرى المجاورة لها والبعيدة عنها، ووصف له ذلك كله وصفاً دقيقاً، أخبرني المدرس بعد ذلك بأنه يجهل كثيراً من هذه القرى، رغم تردده للتدريس عليها مدة طويلة.

وأذكر أنه وصف لنا طريق الطائف - مكة وصفاً واضحاً، يعجز عنه المبصر.

وكنت أعجب من سرعة اتصاله رحمه الله بالهاتف فكان يطلب مني أن أملئ عليه رقم هاتف شخص يريده، وأراه بسرعة يضع إصبعه على هذه الأرقام في الجهاز، ثم يحدث من اتصل به.

كما كان له رحمه الله مجلس يوم الجمعة، وكان يحضره كثير من الزوار، ومع ذلك كان إذا دخل الشخص المجلس وقال السلام عليكم، سمعت الشيخ يقول: وعليكم السلام، أهلاً بفلان، أو بأبي فلان، رغم أن بعضهم يمكث سنوات عن

والبراهين اللائحة .

توثيقه للمسائل العلمية:

كان للشيخ رحمه الله مجلس في بيته يستقبل الزوار والسائلين ، وله أيضاً هاتف خاص يرد به على المستفتين ، وكان رحمه الله إذا راجع مسألة من المسائل العلمية التي تمر به أثناء عمله بمجلس القضاء الأعلى ، أو جواب سائل ، كتب هذه المسألة ومراجعتها في ورقات تكتب بخط اليد ، وأحياناً بالآلة الكاتبة ويحتفظ بها عند الحاجة ، وأحياناً ليقرأ الجواب على السائل ، وأحياناً أخرى تراه بعد المراجعة والتأمل يكتب اختياره في المسائل التي عرضت عليه ، واجتمع من هذه الأوراق في مكتبة الشيخ الكثير^(١) ، وسأذكر من هذه المسائل والفوائد نماذج للقارئ؛ ليتعرف على أسلوب الشيخ في تقييد الفائدة ، ومظان وجودها في الكتب ، علماً أن ذكرها ليس على ترتيب الفقهاء :

١- ثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت النبي ﷺ يقول : «المؤمن يأكل في معي واحد ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء» .

قال ابن حجر في فتح الباري (٥٣٨ / ٩)

واختلف في معنى الحديث ، فقليل : ليس المراد به ظاهره ، وإنما هو مثل ضرب للمؤمن وزهده في الدنيا ، والكافر وحرصه عليها ، فكأن المؤمن لنقله من الدنيا يأكل في معي واحد ، والكافر لشدة رغبته فيها واستكثاره منها يأكل في سبعة أمعاء ، فليس المراد حقيقة الأمعاء ولا خصوص الأكل ، وإنما المراد التقلل من الدنيا والاستكثار منها ، فكأنه عبر عن تناول الدنيا بالأكل ، وعن أسباب ذلك بالأمعاء ، ووجه العلاقة ظاهر .

وقيل : المعنى أن المؤمن يأكل الحلال والكافر يأكل الحرام ، والحلال أقل من الحرام في الوجود . . .

وحمل قوم هذا الحديث على الرغبة في الدنيا ، كما تقول فلان يأكل الدنيا أكلاً أي يرغب فيها ويحرص عليها ، فمعنى المؤمن يأكل في معي واحد أي يزهد فيها ، فلا يتناول منها إلا قليلاً ، والكافر في سبعة أمعاء أي يرغب فيها فيستكثر منها .

(١) انظر نماذج من هذه الورقات آخر هذا الفصل .

وحمل قوم هذا الحديث على الرغبة في الدنيا، كما تقول فلان يأكل الدنيا أكلاً أي يرغب فيها ويحرص عليها، فمعنى المؤمن يأكل في معنى واحد أي يزهّد فيها، فلا يتناول منها إلا قليلاً، والكافر في سبعة أمعاء أي يرغب فيها فيستكثر منها.

وقيل المراد حض المؤمن على قلة الأكل إذا علم أن كثرة الأكل صفة الكافر، فإن نفس المؤمن تنفر من الاتصاف بصفة الكافر، ويدل على أن كثرة الأكل من صفة الكفار قوله تعالى: ﴿والذين كفروا يمتنعون ويأكلون كما تأكل الأنعام﴾ [سورة محمد: ١٢].

وقيل: بل هو على ظاهره، ثم اختلفوا في ذلك على أقوال.

أحدها أنه ورد في شخص بعينه، واللام عهدية لا جنسية، وتعقب هذا الحمل بأن ابن عمر رضي الله عنهما راوي الحديث فهم منه العموم، فلذلك منع الذي رآه يأكل كثيراً من الدخول عليه واحتج بالحديث، ثم كيف يتأتى حمله على شخص بعينه مع ما تقدم من ترجيح تعدد الواقعة، ويورد الحديث المذكور عقب كل واحد منها.

القول الثاني: إن الحديث خرج مخرج الغالب، وليست حقيقة العدد مرادة، قالوا تخصيص السبعة للمبالغة في التكثير، كما في قوله تعالى: ﴿والبحر يمده من بعده سبعة أبحر﴾ [لقمان: ٢٧]، والمعنى أن من شأن المؤمن التقلل من الأكل لا شتغاله بأسباب العبادة، ولعلمه بأن مقصود الشرع من الأكل ما يسد الجوع، ويمسك الرمق، ويعين على العبادة ولخشيته أيضاً من حساب ما زاد على ذلك.

والكامل بخلاف ذلك كله، فإنه لا يقف مع مقصود الشرع، بل هو تابع لشهوة نفسه، مسترسل فيها، غير خائف من تبعات الحرام، فصار أكل المؤمن - لما ذكرته - إذ نسب إلى أكل الكافر كأنه يقدر السبع منه، ولا يلزم من هذا اطراده في حق كل مؤمن وكافر، فقد يكون في المؤمنين من يأكل كثيراً، إما بحسب العادة، وإما لعارض يعرض له من مرض باطن أو لغير ذلك، ويكون في الكفار من يأكل قليلاً إما لمراعاة الصحة على رأى الأطباء، وإما الرياضة على رأى الرهبان، وإما لعارض كضعف المعدة.

قال الطيبي: ومحصل القول أن من شأن المؤمن الحرص على الزهادة والاقتناع بالبلغة، بخلاف الكافر فإذا وجد مؤمن أو كافر على غير هذا الوصف لا يقدر في الحديث.

القول الثالث : إن المراد بالمؤمن في هذا الحديث التام الإيمان . . . وقد رده الخطابي .

وقيل غير هذا . . . فليرجع إلى فتح الباري .

٢- قال النووي في المجموع (٢٢ / ٧٢) :

[قال البغوي وغيره : يكره نقش الحيطان والثياب بالقرآن وبأسماء الله تعالى ، قال القاضي حسين والبغوي وغيرهما : وإذا كتب قرآنا على حلوى وطعام فلا بأس بأكله ، قال القاضي : فإن كان على خشبة كره إحراقها] .

وقال في مطالب أولى النهى (١٥٦ / ١) :

ويكره كتابة قرآن في ستور ، وفيما هو مظنه بذله ، ولا تكره كتابه غيره من ذكر بغير مسجد فيما لم يدس . . . إلخ] ، ونحوه في شرح الاقناع ص ١٢٢ ، وقال في المبدع [ويحرم كتبه بحيث يهان ، كبول حيوان ونحوه وتجب إزالته ، ويحرم دوسه . . . إلخ] ص ١٧٥ .

٣- وقال ابن القيم : السنة مع القرآن على ثلاثة أوجه :

(أ) أن توافقه من كل وجه فيكون من توارد الأدلة .

(ب) أن تكون بياناً لما أريد بالقرآن .

(ج) أن تكون دالة على حكم سكت عنه القرآن ، وهذا الثالث يكون حكماً مبتدأ من النبي ﷺ ، فتجب طاعته فيه ، ولو كان النبي ﷺ لا يطاع إلا فيما وافق القرآن لم تكن له طاعة خاصة وقد قال تعالى : ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ ، وقد تناقض من قال إنه لا يقبل الحكم الزائد على القرآن إلا إن كان متواتراً أو مشهوراً فقد قالوا بتحريم المرأة على عمتها . . . إلخ .

٤- إعلام الموقعين (٢ / ٢٨٧ ، ٣١٠ ، ٣٦٦ ، ٣٧٢) السنة مع القرآن على ثلاثة أوجه وبيان أنواع دلالتها وأنواع بيان الرسول ﷺ وأنواع نقلها .

٥- هذه القراءات السبع التي تنسب لهؤلاء القراء السبعة ، ليست هي الأحرف

السبعة، التي اتسعت الصحابة في القراءة بها، وإنما هي راجعه إلي حرف واحد من تلك السبعة، وهو الذي جمع عليه عثمان رضي الله عنه المصحف وهذه القراءات المشهورة هي اختيار أولئك الأئمة القراء وهي التي تلقتها الأمة عنهم بالقبول.

٦- في تفسير ابن كثير (٤٤٧/٦).

قوله تعالى: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ [النجم: ١١]، ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ [النجم: ١٣]، قال: رآه بفؤاده مرتين، وكذا رواه سماك عن عكرمة عن ابن عباس مثله.

وكذا قال أبو صالح والسدي وغيرهما: إنه رآه بفؤاده مرتين، وقد خالفه ابن مسعود رضي الله عنه وغيره، وفي رواية عنه أنه أطلق الرؤية وهي محمولة على المقيد بالفؤاد، ومن روى عنه بالبصر، فقد أغرب، فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة رضي الله عنهم، وقول البغوي في تفسيره: وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه، وهو قول أنس والحسن وعكرمة، فيه نظر.

ثم ذكر الأحاديث والآثار الواردة في ذلك.

وفي تفسير ابن جرير (٤٧/٢٧)

وقوله: ﴿ما كذب الفؤاد وما رأى﴾ [النجم: ١١].

واختلف أهل التأويل في الذي رآه فؤاده فلم يكذبه، فقال بعضهم: الذي رآه فؤاده رب العالمين، وقالوا جعل بصره في فؤاده، فرآه بفؤاده ولم يره بعينه - ثم ذكر الأحاديث والآثار في ذلك.

وقال آخرون: بل الذي رآه فؤاده فلم يكذبه جبريل عليه السلام.

وفي شرح العقيدة الطحاوية (١٥٥).

واتفقت الأمة على أنه لا يراه أحد في الدنيا بعينه، ولم يتنازعا في ذلك إلا في نبينا ﷺ خاصة، منهم من نفى رؤيته بالعين، ومنهم من أثبتها له ﷺ، وحكى القاضي عياض في كتابه الشفاء اختلاف الصحابة، ومن بعدهم في رؤيته ﷺ، وإنكار عائشة

رضي الله عنها أن يكون ﷺ رأى بعين رأسه، وأنها قالت لمسروق حين سألها: هل رأى محمد ربه؟ فقالت: لقد قفّ شعري مما قلت، ثم قالت: من حدثك أن محمداً رأى ربه، فقد كذب، ثم قال: وقال جماعة بقول عائشة رضي الله عنها، وهو المشهور عن ابن مسعود وأبي هريرة، واختلف عنه، وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين، والفقهاء والمتكلمين، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه رآه بعينه، وروى عطاء عنه أنه رآه بقلبه، ثم ذكر أقوالاً وفوائد، ثم قال: وأما وجوبه لنبينا ﷺ، والقول بأنه رآه بعينه، فليس فيه قاطع ولا نص، إذا المعول فيه على آيتي النجم، والتنازع فيهما مآثور، والاحتمال لهما ممكن، ولا أثر قاطع متواتر عن النبي ﷺ بذلك.

وهذا القول الذي قاله القاضي عياض رحمه الله هو الحق فإن الرؤية في الدنيا ممكنة، إذ لو لم تكن ممكنة، لما سألها موسى عليه السلام، لكن لم يرد نص بأنه ﷺ رأى ربه بعين رأسه، بل ورد ما يدل على نفي الرؤية، وهو ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ فقال: نور أنى أراه، وفي رواية: رأيت نوراً، وقد روى مسلم - أيضاً - عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجاب النور - وفي رواية: النار، لو كشفه لأحرقت سبحان وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»، فيكون - والله أعلم - معنى قوله لأبي ذر رأيت نوراً، أنه رأى الحجاب، ومعنى قوله: «نور أنى أراه» النور الذي هو الحجاب يمنع من رؤيته، فأنى أراه، أي: فكيف أراه والنور حجاب بيني وبينه بمعنى من رؤيته، فهذا صريح في نفي الرؤية، والله أعلم.

وحكى عثمان سعيد الداري اتفاق الصحابة على ذلك.

ونحن إلى تقرير رؤيته لجبريل أحوج منا إلى تقرير رؤيته لربه تعالى، وإن كانت رؤية الرب تعالى أعظم وأعلى، فإن النبوة لا يتوقف ثبوتها عليه البتة.

٧- في رش الثوب بالماء دفعاً للوسواس بعد الوضوء ينظر تحفة الأحوذى (١/ ١٦٨).

وإغاثة اللفهان (١/ ١٤٣).

والشرح الكبير (١/ ٢١٩).

٨- وقوع الطلاق في الحيض.

«جامع العلوم والحكم ١/ ١٥٦».

«وقوع الطلاق في الحيض إجماعاً».

٩- قال في الإنصاف (١/ ٣٨٦)

يجوز شرب دواء لإسقاط نطفة، ذكره في الوجيز، وقدمه في الفروع، وقال ابن الجوزي في أحكام النساء: يحرم، وقال في الفروع: وظاهر كلام ابن عقيل في الفنون: أنه يجوز إسقاطه قبل أن ينفخ فيه الروح، قال: وله وجه، انتهى، وقال الشيخ تقي الدين: والأحوط أن المرأة لا تستعمل دواء يمنع نفوذ المني في مجاري الحبل.

١٠- قال في المبدع (١/ ٢٩٢)

فائدة: لا بأس بشرب دواء مباح لقطع الحيض إذا أمن ضرره، نص عليه، واعتبر القاضى إذن الزوج كالعزل، وشربه يجوز لإلقاء نطفة، ذكره في الوجيز.

وبنحوه قال في الكشاف (١/ ٢٥١-٢٥٢).

مطالب أولي النهى (١/ ٢٦٧)

وجاء في فتح القدير (٢/ ٤٩٥)

وهل يباح الإسقاط بعد الحبل، يباح ما لم يتخلق شيء منه، ثم في غير موضع قالوا: ولا يكون ذلك إلا بعد مائة وعشرين يوماً، وهذا يقتضي أنهم أرادوا بالتخليق نفخ الروح، وإلا فهو غلط؛ لأن التخليق يتحقق بالمشاهدة قبل هذه المدة.

وجاء في الشرح الصغير للدردير (٢/ ٤٢٠): لا يجوز إخراج المنى المتكون في الرحم، ولو قبل الأربعين يوماً، فإذا نفخت فيه الروح حرم إجماعاً (حاشية الصاوي على شرح الصغير).

ومثله في حاشية الشرح الكبير (٢/ ٢٦٦).

وفي الشرح الكبير ٢/ ٢٦٧: قوله ولو قبل الأربعين هذا هو المعتمد، وقيل يكره إخراج قبل الأربعين.

وفي شرح الخطاب (٣/ ٤٧٧): وأما التسبب في إسقاط الماء قبل أربعين يوماً من الوطء، فقال اللخمي: جائز، وقال ابن العربي في القبس لا يجوز باتفاق، وحكى عياض في الإكمال قولين في ذلك للعلماء وظاهره أنهما خارج المذهب.

وقال البيهزلي في مسائل الرضاع، وأما جعل ما يقطع الماء ويسد الرحم، فنص ابن العربي أنه لا يجوز، وأما استخراج ما حصل من الماء في الرحم، فذهب الجمهور إلى المنع مطلقاً، وأحفظ اللخمي أنه يجوز قبل الأربعين ما دام نطفة، كما له العزل ابتداءً، والأول أظهر، إذ زعم بعضهم أنه المؤودة، انتهى.

١١- قال في الإنصاف (١/ ٣٨٧) (يثبت النفاس بوضع شيء فيه خلق الإنسان وجد تبين خلق الإنسان غالباً ثلاثة أشهر... إلخ).

كما ذكر في العدد (٩/ ٢٧٤)

وأقل ما يثبت به الولد واحد وثمانون يوماً

وفيه (٩/ ٢٧٢) إن ما تنقضي به العدة هو ما تعتبره الأمة أم ولد على ما تقدم في باب أحكام أمهات الأولاد (٧/ ٤٩٠).

وفيه (٢/ ٥٠٤) إذا ولد السقط قبل أربعة أشهر لا يغسل ولا يصلى عليه وهو المذهب.

ثم ذكر قولاً آخر أنه متى بان فيه خلق الإنسان غسل وصلي عليه... إلى آخره. ونحوه في المبدع (٢/ ٢٣٧) وكذا في مطالب أولي النهى (١/ ٨٦٤) والله أعلم.

وفي المغني (٥٣/٩) فصل : إذا أتت المرأة بولد لا يمكن كونه من الزوج لم يلحقه نسبه كما لو أتت به لدون ستة أشهر من حين تزوجها، فلا يلحق به بغير خلاف .

وقال في الشرح الكبير (٩ / ٥٣٢)

فإن أسقطت ما ليس فيه صورة آدمي فلا شيء فيه ؛ لأنه لا يعلم أنه جنين وإن أُلقت مضغة فشهد ثقات من القوابل إنه فيه صورة خفية ففيه غره، وإن شهدت أنه مبتدأ خلق آدمي لو بقي تصور ففيه وجهان :

أصحهما : لا شيء فيه ؛ لأنه لم يتصور فلم يحسب فيه شيء كالعلقة، ولأن الأصل براءة الذمة فلا نشغلها بالشك .

الثاني : فيه غره ؛ لأنه مبتدأ خلق آدمي أشبه ما لو تصور وهذا يبطل بالمضغة والعلقة .

وفي (ص ٦٦٧) مسألة : ولو جذب بطن امرأة فألقت جنيناً ميتاً أو حياً ثم مات فعليه الكفارة إلى أن قال وقد مضت هذه المسألة في دية الجنين (ص ٥٣٢) .

١٢- الحمد لله بعد التأمل والمراجعة تبين ما يلي :

أولاً : إذا بطلت صلاة الإمام فله أن يستخلف من يتم بهم ، وللمأمومين إتمام صلاتهم جماعة أو فرادى .

ثانياً : لا تصح الصلاة خلف محدث ولا متنجس يعلم ذلك ، فإن جهل هو والمأموم حتى انقضت صحت صلاة المأموم وحده ، وعنه صحة صلاة المأموم إذا لم يعلم فساد صلاة الإمام حتى انقضت وهو قول الأكثر .

ثالثاً : لا يستحب للمصلي أن يزيد في تشهده الأول على ما ورد في حديث التشهد عن الأئمة الأربعة .

رابعاً : إذا ارتكب إنسان حداً لله من جنس واحد أكثر من مرة ولم يحد ، فليس عليه إلا حد واحد ، وإن حدّ ثم عاد بعد ذلك فعليه الحد مرة أخرى .

ذكر ذلك ابن المنذر إجماعاً في الحالتين ونقله عنه صاحب المغني .

خامساً: لا دخل للإطعام في كفارة القتل، وهو المذهب وفاقاً للأئمة الثلاثة، وفيه رواية بالإجزاء، والصحيح من المذهب خلافها.

١٣- الحمد لله بعد التأمل والمراجعة قال الشيخ محمد بن إبراهيم في المجلد ١١ ص (٧٨) من فتاويه:

- إذا قال لزوجته أنت علي حرام فهذا ظاهر ولو قوى به الطلاق وهو اختيار شيخ الإسلام وابن القيم.

إما إذا قال علي الحرام إن خرجت أو دخلت مما فيه منع أو حث أو تصديق أو تكذيب فهذا كفارته كفارة يمين، وهو اختيار شيخ الإسلام وابن القيم وعليه الفتوى لدينا.

١٤- ذكر النووي جملة من أحاديث رفع اليدين في الدعاء في شرح المذهب (٤٤٨/٣) فليراجع عند الحاجة.

١٥- قال في مجموع المذهب للنووي (١٢٣/١): «وأما قوله (وعلى آله) فهو صحيح موجود في الكلام الصحيح، واستعمله العلماء من جميع الطوائف... وقال بعضهم لا يجوز إضافة آل إلى مضمرة وإنما يقال وأهله أو آل محمد ورده النووي.

١٦- في فتاوى ابن تيمية ج (٢٢) في أوله بحث عن قضاء ما ترك من الواجبات جهلاً أو تأويلاً.

ص (١٨، ١٩، ٢٠) مع بيان الفرق بين من يؤخر الصلاة عن وقتها من غير عذر ثم يصلي، وبين من لا يصلي بحاله وعدم مطالبة المفطر بشيء من الواجبات إذا تاب، وأن في الزامه بقضاء ما تركه تهاوناً تنفيراً له. وقال في: (١٩/٢٢) ودل الكتاب والسنة واتفاق السلف على الفرق بين من يضيع الصلاة فيصلّيها بعد الوقت، والفرق بين من يتركها ولو كانت بعد الوقت، لا تصح بحال لكان الجميع سواء.

إلى أن قال ص (٢١) فإن الرجل قد يعيش مدة طويلة لا يصلي ولا يزكي. وقد

لا يصوم أيضاً، ولا يبالي من أين كسب المال، أمن حلال؟ أم من حرام؟ ولا يضبط حدود النكاح والطلاق، وغير ذلك، فهو جاهلية، إلا أنه منتسب إلى الإسلام، فإذا هداه الله وتاب عليه، فإن أوجب عليه قضاء جميع ما تركه من الواجبات، وأمر برد جميع ما اكتسبه من الأموال، والخروج عما يحبه من الأبخاع إلى غير ذلك، صارت التوبة في حقه عذاباً، وكان الكفر حينئذ أحب إليه من ذلك الإسلام الذي كان عليه، فإن توبته من الكفر رحمة، وتوبته وهو مسلم عذاب.

وجاء في المغني (٣/ ٣٥٧) ولا نعلم خلافاً بين المسلمين أن تارك الصلاة يجب عليه قضاؤها. وكذا في الشرح الكبير جلد (٣/ ٣٩).

عن قصر الصلاة

١٧- الحمد لله: بعد ذكر الآثار عن الصحابة وغيرهم في قصر الصلاة وما فيه من خلاف بين أهل العلم، ذكر ابن المنذر إجماع أهل العلم أن للمسافر أن يقصر ما لم يجمع إقامة ولو أتى عليه سنون.

وفي آية الصيام: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ (البقرة: ١٨٥)، وهو إيجاب حتمي على من شهد استهلال الشهر، إلا إن كان مريضاً أو على سفر.

وفي آية قصر الصلاة: ﴿وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾ (النساء: ١٠١).

أبيح القصر بأمرين: الضرب في الأرض، وخوف الكفار على ما في الثاني من خوف. وعلى هذا فإن أهل العلم اختلفوا في حق المسافر. أما من ذهب إلى بلد أو جهة ليقيم أشهراً ثم يعود، فهل يصدق عليه أنه على سفر أو ضارب في الأرض، فيجري فيه الخلاف أم أنه مقيم فلا يترخص وهو اللائق بحاله، والله الموفق.

قال شيخ الإسلام (٢٥/ ٢١٣)

فأما من كان معه في السفينة امرأته وجميع مصالحه ولا يزال مسافراً فهذا لا يقصر ولا يفطر.

وأهل البادية كأعراب العرب والأكراد والترك وغيرهم الذين يشتون في مكان ويصيفون في مكان، إذا كانوا في حال ظعنهم من المشتى إلى المصيف ومن المصيف إلى المشتى فإنهم يقصرون، وأما إذا نزلوا بمشتاهم ومصيفهم لم يفطروا ولم يقصروا، وإن كانوا يتبعون المراعي. والله أعلم.

قال شيخ الإسلام (١٩ / ٢٤٧):

فلا يكون المسافر مسافراً حتى يستقر فيكشف ويظهر للبرية الخارجة عن المساكن، التي لا يسير السائر فيها بل يظهر فيها وينكشف في العادة، والمقصود أن السفر يرجع فيه إلى مسماه لغة وعرفاً.

وفي (٢٤ / ١٧): بحث حول هذا الموضوع.

وفي (٢٤ / ١٣٧): بعد كلام سبق وإلى مقيم مستوطن وهو الذي ينوي المقام في المكان، وهذا هو الذي تنعقد به الجمعة، وتجب عليه، وهذا يجب عليه إتمام الصلاة بلا نزاع، فإنه المقيم المقابل للمسافر، إلى أن قال: ومقيم غير مستوطن فإن هذه حالة النبي ﷺ بمكة في غزوة الفتح، وفي حجة الوداع، وحاله بتبوك، بل وهذه حال جميع الحجيج الذين يقدمون مكة ليقضوا مناسكهم ثم يرجعوا.

١٨- عن وائل بن حجر رضي الله عنه أنه قال في صفة صلاة رسول الله ﷺ ثم قعد فافترش رجله اليسرى ووضع كفه اليسرى على فخذه، وركبته اليسرى، وجعل حد مرفقه الأيمن على فخذه اليمنى، ثم قبض ثنتين من أصابعه، وحلق حلقة، ثم رفع إصبعه فرأيتته يحركها، ويدعو بها.

رواه أحمد، والنسائي، وأبوداود (نيل الأوطار ٢ / ٣١٧).

وعن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ إذا جلس في الصلاة وضع يديه على ركبتيه، ورفع إصبعه اليمنى التي تلي الإبهام، فدعا بها، ويده اليسرى على ركبته باسطها عليها، وفي لفظ: كان إذا جلس في الصلاة وضع كفه اليمنى على فخذه اليمنى، وقبض أصابعه كلها وأشار بإصبعه التي تلي الإبهام، ووضع كفه اليسرى على فخذه اليسرى.

رواه أحمد ومسلم والنسائي (نيل الأوطار ٢ / ٣١٩).

قال في نيل الأوطار (٢ / ٣١٨) قوله: فرأيته يحركها، قال البيهقي يحتمل أن يكون مراده بالتحريك الإشارة بها، لا تكرير تحريكها، حتى لا يعارض حديث ابن الزبير عند أحمد وأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه بلفظ: كان يشير بالسبابة ولا يحركها، ولا يجاوز بصره إشارته، قال الحافظ: وأصله في مسلم دون قوله: ولا يجاوز بصره إشارته انتهى.

وليس في مسلم من حديث ابن الزبير إلا الإشارة، دون قوله ولا يحركها وما بعده، ومما يرشد إلى ما ذكره البيهقي رواية أبي داود لحديث وائل، فإنها بلفظ «وأشار بالسبابة».

قال الشوكاني: الحديث يدل على استحباب وضع اليدين على الركبتين حال الجلوس للتشهد، وهو مجمع عليه، قال أصحاب الشافعي تكون الإشارة بالإصبع عند قوله إلا الله من الشهادة، قال النووي والسنة أن لا يجاوز بصره إشارته، وفيه حديث صحيح في سنن أبي داود، ويشير بها موجهة إلى القبلة، وينوي بالإشارة التوحيد والإخلاص.

قال ابن رسلان: والحكمة في الإشارة بها إلى أن المعبود سبحانه وتعالى واحد، يجمع في توحيده بين القول والفعل والاعتقاد.

قال في المغني (١ / ٥٣٤) ويشير بالسبابة يرفعها عند ذكر الله تعالى تشهده، لما روينا، ولا يحركها لما روى عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يشير بإصبعه ولا يحركها - رواه أبو داود - وفي لفظ كان رسول الله ﷺ إذا قعد يدعو، وضع يده اليمنى على فخذه اليمنى ويده اليسرى على فخذه اليسرى وأشار بإصبعه.

وفي المجموع شرح المذهب (٣ / ٤٥٤)

قال أصحابنا: وعلى الأقوال والأوجه كلها: يسن أن يشير بمسبحة يمينه، فيرفعها إذا بلغ الهمزة من قوله: لا إله إلا الله ونص الشافعي على استحباب الإشارة للأحاديث السابقة، قال أصحابنا: ولا يشير بها إلا مرة واحدة، وحكى الرافعي وجهاً

أنه يشير بها في جميع التشهد - وهو ضعيف - وهل يحركها عند الرفع بالإشارة؟ فيه أوجه، الصحيح الذي قطع به الجمهور أنه لا يحركها، فلو حركها كان مكروهاً، ولا تبطل صلاته؛ لأنه عمل قليل.

والثاني: يحرم تحريكها، فإن حركها بطلت صلاته حكاه عن أبي علي بن أبي هريرة وهو شاذ ضعيف.

والثالث: يستحب تحريكها، حكاه الشيخ أبو حامد والبند نيجي والقاضي أبو الطيب وآخرون.

وقد يحتج لهذا بحديث وائل . . قال البيهقي يحتمل أن يكون المراد بالتحريك الإشارة بها، لا تكرير تحريكها، فيكون موافقاً لرواية ابن الزبير . . . ثم ذكر روايته. وأما الحديث المروي عن ابن عمر عند النبي ﷺ: تحريك الإصبع في الصلاة مذعرة للشيطان فليس بصحيح، قال البيهقي تفرد به الواقدي وهو ضعيف.

١٩- قال ابن جاسر في منسكه (١/ ١٩٩)

إذا تقرر هذا فمن أوجب شاة كالوطء في الحج بعد التحلل الأول، وكالوطء في العمرة فحكمها حكم فدية الأذى على التخيير . . . إلخ.

٢٠- لا يجوز إدخال العمرة على الحج

الشرح الكبير (٨/ ١٦٦ - ١٦٧)

وزاد المعاد (٢/ ٢١٨)

ونوادر الفقهاء ص (٦١، ٦٢) مسألة رقم (٤١/ ٢)

٢١- مسألة: إذا جامع بعد التحلل الأول فعليه أن يخرج إلى الحل، ويحرم، ويطوف للحج بإحرام صحيح، وعليه فدي ذكراً كان أو أنثى. ومن سافر عن مكة قبل طواف الإفاضة ثم عاد إليها فعليه أن يحرم من الميقات بعمرة وبعد الفراغ من أعمالها يطوف للحج ولا شيء عليه أكثر من ذلك إلا إن جامع قبل طواف الحج فعليه فدي . . . وهذا ظاهر كلام أهل العلم وما أفتى به سماحة الشيخ في فتاواه.

منسك الشيخ ابن جاسر (١/ ١٩٠)

٢٢- قال في المقنع (١ / ٤٧٢):

(ومن أحصر بمرض أو ذهاب نفقة لم يكن له التحلل، فإن فاته الحج تحلل بعمره، ويحتمل أنه يجوز له التحلل كمن حصره العدو).

وفي حاشيته:

قوله ويحتمل . . إلخ، هذا رواية واختاره الشيخ تقي الدين رحمه الله . قال الزركشي: ولعلها أظهر لظاهر الآية، إلى أن قال: (ومثله حائض تعذر مقامها، وحرم طوافها، أو رجعت ولم تطف لجهلها بوجوب طواف الزيارة، أو لعجزها عنه، أو لذهاب الرفقة، وكذا من ضل الطريق . . إلخ).

وفي حاشية الروض لابن قاسم (٤/ ٢١٣ و ٢١٤) وهو مذهب أبي حنيفة واختار الشيخ أن الحائض لها التحلل كمن حصرها عدو.

٢٣- إذا أفطر لكبر أو مرض لا يرجى برؤه، أطعم لكل يوم مسكيناً، ولا قضاء عليه؛ لأنه ليس له حال يصير إليها يتمكن فيها من القضاء.

وقال ابن القيم: ولا يصار إلى الفدية إلا عند اليأس من القضاء، وهذا بخلاف المريض المرجو برؤه إذا اتصل به الموت؛ لأنه لم يئس من برئه، ولأنه لا يصار إلى الفدية إلا مع اليأس من برئه . . حاشية ابن قاسم (٣ / ٣٧١)، والدرر السنية (٤ / ٣٨٨) أ. هـ.

٢٤- فائدتان:

الأولى: قال في المغني أثناء فصل (إذا ترك الآفاقي الإحرام من الميقات . . إلخ)

وذكر القاضي شرطاً سادساً لوجوب الدم، وهو: أن ينوي في ابتداء العمرة أو في أثنائها أنه متمتع، وظاهر النص يدل على أن هذا غير مشروط، فإنه لم يذكره، وكذلك الإجماع الذي ذكرناه مخالف لهذا القول؛ لأنه قد حصل له الترفه بترك أحد السفرين فلزمه الدم كمن نوى . . أ. هـ.

المغني والشرح الكبير (٣/ ٥٠٣).

والقول الثاني: وهو المذهب أن نية التمتع في ابتداء العمرة أو في أنائها من الشروط.

الثانية: أن أول وقت طواف الإفاضة بعد نصف ليلة النحر في مذهب الإمامين أحمد والشافعي، وعند أبي حنيفة ومالك من طلوع الفجر يوم النحر.
٢٥- فائدتان:

الأولى: قال شيخ الاسلام في المجموع (٢٦/ ١٠١).

فصل: في الأفضل من ذلك:

فالتحقيق في ذلك أنه يتنوع باختلاف حال الحاج فإن كان يسافر سفرة أخرى أو يسافر إلى مكة قبل أشهر الحج، ويعتمر، ويقيم بها حتى يحج، فهذا الأفراد له أفضل باتفاق الأئمة الأربعة.

وأما إذا فعل ما يفعله غالب الناس، وهو أن يجمع بين العمرة والحج في سفرة واحدة، ويقدم مكة في أشهر الحج، فهذا إن ساق الهدى فالقران أفضل له، وإن لم يسق الهدى فالتحلل من إحرامه بعمرة أفضل.

ومثله في (٢٦/ ٣٧-٣٨).

و(٢٠/ ٣٧٣).

و(٢٢/ ٢٩٤).

الثانية: قال النووي في شرح مسلم في كلامه على حديث عائشة رضي الله عنها (٨/ ١٤٣-١٤٤)، فيه دليل لجواز الأنواع الثلاثة، وقد أجمع المسلمون على ذلك، وإنما اختلفوا في أفضلها كما سبق.

وقال الشيخ في المجموع (٢٢/ ٢٩٢).

ومن هذا الباب التمتع والأفراد والقران في الحج.

فإن مذهب الأئمة الأربعة وجمهور الأمة جواز الأمور الثلاثة، وذهب طائفة من السلف والخلف إلى أنه لا يجوز إلا التمتع . . إلخ .

٢٦- كلام أهل العلم باختلاف المطالع معلوم كما هو معلوم أن الشهر لا ينقص عن (٢٩) يوماً ولا يزيد عن (٣٠) يوماً، ولذا فإن من دخل عليه الشهر في بلد يوم السبت ثم انتقل إلى بلد لم ير فيه الهلال إلا الأحد فإن له حكم أهل البلد الذي رؤي فيه الهلال السبت، خصوصاً إذا تجاوز الصيام أكثر من (٣٠) يوماً بالنسبة لرؤيته الأحد، لتعلق الحكم بهم، دون القادم عليهم من بلد رؤيته السبت .

٢٧- (الصوم يوم تصومون والفطر يوم تفطرون والأضحى يوم تضحون)، أخرجه الترمذي، جامع الأصول ٦/ ٢٧٧ حديث رقم (٤٣٩١) .

٢٨- إذا ملك عرضاً بفعله بنية التجارة، وبلغت قيمته نصاباً زكاهها بعد مضي الحول، فإن ملك العرض بفعله بغير نية التجارة ثم نواها لم يجب فيها زكاة . قال في حاشية الروض (وفاقاً) .

٢٩- دفع الزكاة إلى غريمة، كشف القناع (٢/ ٣٣٧)، والمغني (٤/ ١٠٦) .

٣٠- عدم دفع الزكاة لولده وإن كان غارماً لنفسه .

(١/ ٤٣٤) شرح منتهى الإرادات .

كذلك الإنصاف (٣/ ٢٥٤) .

واختار الشيخ تقي الدين : الجواز (٢٥/ ٩٠) .

٣١- وللمالك دفع الزكاة إلى غريم مدين بدونه أي توكيل المدين نصاً، لأنه دفع الزكاة في قضاء دين المدين أشبه مالو دفعها إليه فقضى بها دينه . شرح منتهى الإرادات (١/ ٤٣١) .

و كشف القناع (٢/ ٣٣٠)، ومطالب أولي النهى (٢/ ١٤٥) .

٣٢- فائدة :

زكاة أجرة العقار ونحوه إذا قبضها ومضى عليها حول . هذا قول جماهير أهل العلم .

وعن أحمد رواية بإخراج الزكاة عند القبض ، دون مضي حول ، وهي اختيار شيخ الإسلام .

أ- المغني (٢٧١ / ٤) الطبعة الجديدة .

ب- الفروع (٤٢٧ / ٢) .

ج- الإنصاف (١٨ / ٣) .

د- الاختيارات الفقهية لابن تيمية ص (٩٨) .

هـ- مجموع الشيخ ابن سعدي (الفقه) (١٣٢ / ٤) .

٣٣- أ- الصاع النبوي = ٨٠ فرانسي

الكيلو غرام = ٣٧ فرانسي تقريباً

الفرانسي = ٦ مثاقيل

الصاع النبوي = ٤٨٠ مثقالاً

المثقال يساوي = ٤٢٥ غراماً

بهذا الاعتبار يكون الصاع النبوي كيلوين ومائة وستين غراماً (٢١٦٠) .

الرياض الفرانسي = ٢٧ غراماً تقريباً

فتاوى الشيخ (٨٢ / ٢) ، (٤٠ / ٣٩ / ٤) .

ب- مقدار الصاع من البر كيلوين وأربعين غراماً .

ج- قدر النصاب من الذهب عشرون ديناراً أو مثقالاً ، يساوي بالجنية السعودي (١١) جنيهاً وثلاثة أسباع جنية .

د- مقدار نصاب الفضة خمس أواق أو مائتا (٢٠٠) درهم ، يساوي بالريال السعودي الفضة (٥) ريالاً .

٣٤- الرجعية زوجة يلحقها الطلاق والظهار والإيلاء واللعان ، ويتوارثان إجماعاً .

المغني (٥٥٤ / ١٠) .

الشرح الكبير (٢٣ / ٨٤).

٣٥. قال في فتح الباري (٩ / ٣٥٥): «قال ابن عبد البر: ليس الطلاق من أعمال البر التي يتقرب بها، وإنما هو إزالة عصمة فيها حق آدمي، فكيفما أوقعه وقع، سواء أجز في ذلك أم أثم، ولو لزم المطيع ولم يلزم العاصي، لكان العاصي أخف حالاً من المطيع».

٣٦. فوائد من الإنصاف (٩ / ٢٢).

الأولى: لو قال: «أنت طالق أنت طالق أنت طالق»، ونوى بالثالثة تأكيد الأولى لم يقبل، ووقع ثلاثاً؛ لعدم اتصال التأكيد، وإن أكد الثانية بالثالثة صح، وإن أطلق فطلقة واحدة. . إلخ وقيل ثلاث ذكره في الرعاية.

الثانية: لو قال: «أنت طالق طالق طالق»، طلقت واحدة ما لم ينو أكثر. . إلخ. ويظهر أن الخلاف فيما إذا أطلق في الأولى قال به الأكثر من أهل العلم. المغني والشرح الكبير (٨ / ٣٩٩).

قال في الكشف (٥ / ٣٠٢):

«وإن قال أنت طالق طالق طالق يقع واحدة؛ لأنه لم يعدها بلفظ يقتضي المغايرة، ما لم ينو أكثر من واحدة فيقع ما نواه؛ لأن لفظه يحتمله. . . إلخ».

وهذا بخلاف ما لو قال لمدخول بها بوطء أو خلوة عن عقد صحيح أنت طالق أنت طالق ونوى بالثانية الإيقاع أي إيقاع طلقة، أو لم ينو بها أي الثانية إيقاعاً ولا تأكيداً، طلقت طلقتين؛ لأنه لفظ يقتضي الوقوع، بدليل ما لو لم يتقدمه مثله وإنما ينصرف عن ذلك بنية التأكيد فإذا لم توجد رفع مقتضاه. . . إلخ (٥ / ٣٠١).

وكذا في المغني (المغني مع الشرح الكبير) (٩ / ٢٧٤).

وكذا في الشرح (٨ / ٢٩٠) (المغني مع الشرح الكبير)

قال في الإنصاف (٨ / ٤٧٧):

قال ابن عقيل في الكنايات الظاهرة (أنت طالق لا رجعة لي عليك) إلى أن قال:

وقيل : هي صريحة في طلبة ، كناية ظاهرة فيما زاد .

واختاره ابن عبدوس في تذكرته والشيخ تقي الدين رحمه الله وقال : هذه اللفظة صريحة في الإيقاع ، كناية في العدد ، فهي مركبة من صريح وكناية ، انتهى .

ونحوه في فتاوى سماحة الشيخ محمد (١١ / ٦٤ - ٦٥) (٣٠٧١)

وفيها جواب عن طلاق بات (٣٠٥٤) (١١ / ٥٧) .

إنه إن نوى بذلك الطلاق واحدة كانت واحدة .

ونحوه في صفحة (٥٨) مسألة رقم (٣٠٥٥) وفيه ذكر طلاق ركانه .

وفي الدرر السنية للشيخ حمد بن معمر (٦ / ٧٤) جواب في هذا الموضوع نحو ما ذكر .

قال في كشف القناع (٥ / ٢٨٤ ، ٢٨٥) ويقع ثلاث في أنت طالق بائن ، أو أنت طالق ألبتة ، أو أنت طالق بلا رجعة ؛ لما تقدم في الكناية الظاهرة ، قال في الشرح ولا يحتاج إلى نية ؛ لأنه وصف بها الطلاق الصريح ، ولو قال لزوجته أنت طالق واحدة بائة أو واحدة بة ، وقع رجعيّاً ؛ لأنه وصف الواحدة بغير وصفها فألغى . أ. هـ .

٣٧- فائدة :

«إذا علل الطلاق بعلّة أو سبب ثم تبين انتفاؤه فإن الطلاق لا يقع» .

المقنع (٣ / ١٨٧) (في أول تعليق الطلاق بالشروط)

- الكشف (٥ / ٣٣٠) .

- إعلام الموقعين (٤ / ١١٨) (تحت عنوان / حكم الجاهل والمقلد ص ١١٥) .

- الإنصاف (٩ / ٦٧) (تعليق الطلاق بالشروط) .

وكذا في إغاثة اللهفان (٢ / ٩٦) وفتاوى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم .

٣٨- فائدة :

ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد (٤ / ٧٥) :

الفرق بين أن يوقع التحريم منجزاً أو معلقاً تعليقاً مقصوراً ، وبين أن يخرج مخرج

اليمين، فالأول ظهار بكل حال ولو نوى به الطلاق، والثاني يمين يلزمه به كفارة يمين، ومثل لذلك في الحالتين. وذكر أنه اختيار شيخ الإسلام رحمه الله ذكر ذلك في المذهب الثالث عشر، كما ذكره أثناء فصل أن التحريم يمين مكفرة بكل حال، أنه سأل عن ذلك شيخ الإسلام رحمه الله تعالى فقال: نعم التحريم يمين كبرى في الزوجة، كفارتها كفارة الظهار، ويمين صغرى فيما عداها، كفارتها كفارة اليمين بالله... إلخ (٧٨/٤).

وفي إعلام الموقعين (٣/٩٢) في هذا الموضوع بعنوان مذهب آخر وراء هذا كله.
٣٩. (تحريم الرجل زوجته)

ورد في فتاوى سماحة الشيخ (٧٨/١١) ما نصه: «إن في هذه المسألة عشرين مذهباً للناس ذكرها ابن القيم في (زاد المعاد) (٥/٣٠٠) وذكر وجوهها ومأخذها واختار أن ذلك ظهار، ولو نوى به الطلاق، كما هو اختيار شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية، وهذا الذي في كتب الأصحاب وعليه الفتوى لدينا، وهذا فيما إذا لم يكن محلوفاً به، أما لو كان محلوفاً به، كانت عليّ حرام إذا خرجت من الدار ونحوه مما فيه حث أو منع أو تصديق أو تكذيب، فإنه عند الشيخ تقي الدين وتلميذه ابن القيم يمين مكفرة وعليه الفتوى لدينا أيضاً، أما الأصحاب رحمهم الله فإنهم لا يفرقون في ذلك بين كونه محلوفاً به أو لا، وأنه ظهار في الحالتين وله مسائل أخرى في هذا الكتاب بنحو من ذلك.

قال شيخ الإسلام في مختصر الفتاوى (١/٥٣٨): (وصيغة الشرط إذا تضمنت معنى الحث والمنع كانت حلفاً بالطلاق، وأما إذا كانت تعليقاً محضاً، كقوله إذا طهرت، أو طلعت الشمس، ونحو ذلك، ففيه نزاع بين العلماء، والصحيح أنه ليس بحلف)... إلخ.

قال في الاختيارات ص (٢٦٣):

ومن علق الطلاق على شرط أو التزمه لا يقصد بذلك إلا الحث أو المنع، فإنه يجزؤه فيه كفارة يمين إن حث، وإن أراد الجزاء بتعليقه طلقت، كره الشرط أو لا،

وكذا الحلف بعق وظهار وتحريم ، وعليه يدل كلام أحمد في نذر الحاج والغصب .

ومن جواب للشيخ حمد بن ناصر بن معمر في الدرر السنية (٦ / ٨٢) : « وذهب الشيخ تقي الدين وطائفة من التابعين إلى أنه إن كان قصده بالحلف بالطلاق منع نفسه عن مضاجعتها ، ولم يقصد إيقاع الطلاق بل قصد منع نفسه فقط ، لم يقع به الطلاق ، ويكون ذلك بمنزلة اليمين ، فيكفر كفارة يمين ، وإن كان قصده وقوع الطلاق عند فعل ما حلف عليه وقع » قال الشيخ : بلا خلاف لأنه قصد الإيقاع فوق . (أ . هـ) .

٤٠- جاء في زاد المعاد (٤ / ٨٠) .

قلت : قال أبو العباس المبرد : الغلق ضيق الصدر ، وقلة الصبر بحيث لا يجده مخلصاً .

قال شيخنا : ويدخل في ذلك طلاق المكره والمجنون ، ومن زال عقله بسكر أو غضب ، وكل من لا قصد له ، ولا معرفة له بما قال .

والغضب على ثلاثة أقسام ، أحدها ما يزيل العقل ، فلا يشعر صاحبه بما قال ، وهذا لا يقع طلاقه بلا نزاع .

الثاني : ما يكون في مبادئه بحيث لا يمنع صاحبه من تصور ما يقول وقصده ، فهذا يقع طلاقه بلا نزاع .

الثالث : أن يستحكم ويشتد به ، فلا يزيل عقله بالكلية ، ولكن يحول بينه وبين نيته ، بحيث يندم على ما فرط منه إذا زال ، فهذا محل نظر ، وعدم الوقوع في هذه الحالة قوي متجه .

وفي الإنصاف (٨ / ٤٣٢)

قوله : ومن زال عقله بسبب يعذر فيه كالمجنون ، والنائم ، والمغمى عليه ، والمبرسم ، لم يقع طلاقه .

قال في الفروع : ويدخل في كلامهم : من غضب حتى أغمى عليه ، أو غشي عليه .

قال الشيخ تقي الدين رحمه الله : يدخل ذلك في كلامهم بلا ريب .

وقال الشيخ تقي الدين - أيضاً - إن غيره الغضب ، ولم يزل عقله ، لم يقع الطلاق ؛ لأنه ألجأه وحمله عليه فأوقعه - وهو يكرهه - ليستريح منه ، فلم يبق له قصد صحيح ، فهو كالمكره ، ولهذا لا يجب دعاؤه على نفسه وماله ، ولا يلزمه نذر الطاعة فيه .

٤١- في مجموع شيخ الإسلام (٣١/ ٢٨٦ - ٢٨٨) بحث في أخذ الشافع من المشفوع له مقابل عن شفاعته .

- وقد ذكر حديث في سنن أبي داود (٣/ ٢٩١) (باب في الهدية لقضاء الحاجة) .

٤٢- قال في فتح الباري (٩/ ١٥٧) قال ابن عبد البر :

أجمع أهل الفتوى من الأمصار على أنه لا يحرم على الزاني تزوج من زنى بها فنكاح أمها وابنتها أجوز .

وكذا في أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ١٣١٩) ، وكذا في تفسير القرطبي (١٢/ ١٧٠)

٤٣- وجاء في المغني (٧/ ٦٦٥) .

ولأنه - أي القصاص على السكران - حكم لو لم يجب القصاص والحد لأفصى إلى أن من أراد أن يعصي الله شرب ما يسكره ، ثم يقتل ويزني ويسرق ، ولا يلزمه عقوبة ولا مآثم ، ويصير عصيانه سبباً لسقوط عقوبة الدنيا والآخرة عنه ، ولا وجه لهذا ، وفارق هذا الطلاق ، ولأنه قول يمكن إلغاؤه بخلاف القتل .

وفي الإنصاف (٨/ ٤٣٤) .

اعلم أن في أقوال السكران وأفعاله روايات صريحة عن الإمام أحمد رحمه الله :

إحداهن : أنه مؤاخذ بها ، فهو كالصاحي فيها ، وهو المذهب ، جزم به في المنور وقدمه في الفروع .

قال في القاعدة الثانية بعد المائة : السكران يشرب الخمر عمداً فهو كالصاحي في أقواله وأفعاله فيما عليه في المشهور من المذهب بخلاف من سكر بينج ونحوه .

والرواية الثانية: أنه ليس بمؤاخذ بها، فهو كالمجنون .

والرواية الثالثة: أنه كالصاحي في أفعاله وكالمجنون في أقواله .

والرواية الرابعة: أنه في الحدود كالصاحي وفي غيرها كالمجنون . .

قال الإمام أحمد رحمه الله في رواية الميموني: تلزمه الحدود ولا تلزمه الحقوق .

والرواية الخامسة: أنه فيما يستقل به - مثل قتله، وعتقه وغيرهما - كالصاحي، وفيما لا يستقل به كبيعته ونكاحه ومعاوضته كالمجنون .

وفي فتح القدير (٣/ ٤١) .

قال في بيان وقوع طلاق السكران: . . وبدلالات النصوص والإجماع، فإنه لما ألحق بالصاحي فيما لا يثبت مع الشبهة - وهو الحدود والقصاص حتى حد وقتل إذا قذف وقتل، فلأن يلحق به فيما يثبت مع الشبهة كالطلاق والعتاق أولى .

٤٤- مسألة:

قال في المغني في قتال أهل البغي:

فإن سألوا الإنظار نظر في حالهم، وبحث عن أمرهم، فإن بان لهم أن قصدهم الرجوع إلى الطاعة ومعرفة الحق أمهلهم، قال ابن المنذر: أجمع على هذا كل من أحفظ عنه من أهل العلم . . . إلى آخره .

وفي شرح مسلم للنووي نحوه في الزكاة (٧/ ١٧٠) .

وقال في الفتح (١٢/ ٢٩٩) .

وفيه الكف عن قتل من يعتقد الخروج على الإمام، ما لم ينصب لذلك حرباً، أو يستعد لذلك لقوله (فإذا خرجوا فاقتلوهم) وحكى الطبري الإجماع على ذلك في حق من لا يكفر باعتقاده . . أ. هـ .

٤٥- قال الزيلعي في شرح الكنز ولو صالح الشفييع على أخذ نصف الدار بنصف

الثلثين جاز .

قال في شرح الوجيز للرافعي: ولو تصالحا على أن يأخذ بعض النقص، صح الصلح برضى المشتري بالتبعض.

وبمثل ما قاله الشافعية والأحناف قال القاضي كما ذكره ابن القيم عنه في الإعلام في المثال الثامن والثمانين، وأيضاً ذكره في الإغاثة في المثال الرابع والعشرين، فإنه حكى ذلك مقررأ ومصححاً له.

قال في الشرح: وإذا قال صالحني على مال سقطت، وهو أبي الخطاب وقال القاضي: لا تسقط، فإن صالحه عنها بعوض لم يصح، وبه قال أبو حنيفة والشافعي وقال مالك: يصح.

٤٦- قال في الفروع (٥/ ٥٩٢)

وهل نفقة الحامل له أولها لأجله، فعنه لها مثلما تجب لناشز وحامل من شبه وفاسد ومملك يمين، وتجب مع رق أحد الزوجين، وعلى غائب ومعسر ولا ينفق بقية قرابه الحمل، وعنه له فتعكس الأحكام... إلى آخره.

٤٧- قال في المغني (٩/ ١٢٢)، فصل: الحكم في ميراث ولد الزنى لحوق نسب ولد الزنى بالزاني.

٤٨- قاعدة: قال ابن عبد القوي عقد الفرائد (ص ٦٩)

وما الشك من بعد الفراغ مؤثر يقاس على هذا جميع التعبد

٤٩- أبو الطفيل عامر بن واثله الليثي رضي الله عنه آخر الصحابة موتاً.

٥٠- فوائد متفرقة:

التهنئة:

بارك الله لك في الموهوب لك، وشكرت الواهب، وبلغ أشده، ورزقت بره. ويرد عليه:

بارك الله لك، وبارك عليك، أو جزاك الله خيراً ورزقك الله مثله، أو أجزل الله الثواب.

٥١- إذا كانت الأنفاس بالعدد، ولم يكن لها مدد، فما أسرع ما تنفذ.

٥٢- بحث عن اللغة العامية فتاوى ابن تيمية (٣٢/ ٢٥٠، ٢٥٥).

٥٣- مطلب في هجر من أعلن بالمعاصي ص (٢٥٠) من غذاء الألباب ج ١

- وهجران من أبدى المعاصي سنة وقد قيل إن يردعه أوجب وأكد

- وقيل على الإطلاق مادام معلناً ولاقه بوجه مكفهر مريد

٥٤- تحنن عليّ هداك المليك فإن لكل مقام مقالاً

٥٥- تفنى اللذاذه ممن نال صفوتها من الحرام ويبقى الذل والعار

- تبقى عواقب سوء من مغبتها لا خير في لذة من بعدها النار

من ثلاثيات الإمام أحمد ص (١٣).

٥٦- إذا أتت الهدية دار قوم تطايرت الأمانة من كواها

٥٧- وكل الحادثات إذا تناهت فموصول بها فرج قريب

محبتة للعلم؛

كان الشيخ رحمه الله كثير القراءة، يبدأ بالقراءة عليه الساعة العاشرة صباحاً، ثم يتوقف لصلاة الظهر، ثم بعد الصلاة حتى الساعة الثانية ظهراً، ثم يخلد للراحة قليلاً، ثم بعد صلاة العصر يقرأ عليه بعض الطلاب في بعض المتون والكتب حتى المغرب، ثم بعد صلاة المغرب له قراءة حتى صلاة العشاء مع بعض طلبته، ثم بعد صلاة العشاء يقرأ حتى الساعة التاسعة والنصف مع أولاده. ولذا فقد كنت أرى المجلد بجواره، ثم خلال أيام قليلة يخبرني بعد سؤالي أنه انتهى من قراءته. فكان يقرأ كتباً كثيرة في أيام قليلة، فكانت قراءته من ثمان إلى عشر ساعات في اليوم إضافة إلى استماعه لبعض الأشرطة وإلى إذاعة القرآن الكريم، ومدة قراءة الشيخ هذه في أواخر عمره وهو يعاني من الآلام والأوجاع، فما ظنك بوقت قراءته حال شبابه وصحته.

وحتى لما كان في المستشفى في مرضه الذي توفي فيه، كان يقرأ عليه أولاده بعض الرسائل والكتب الجديدة التي خرجت أثناء وجوده في المستشفى.

وعند الشيخ ميزة عظيمة في قراءته، فهو يقرأ الكتاب ثم يعطي من يحضر زبدة الكتاب، وما فيه من القصص والأحكام والفوائد، وهي كثيرة جداً، كان الشيخ - رحمه الله - يزين بها دروسه وجلساته، وقد أسفت كثيراً إذ لم أقيّد هذه الفوائد، والتي كان كثيراً منها يحرقها الشيخ قراءة وبحثاً واستنباطاً، ويذكرها لنا بعدما يبين لنا كيف توصل إليها، وأسماء الكتب التي رجع إليها. وسأذكر شيئاً من هذه الفوائد للتمثيل، مع ملاحظة تنوع موضوعاتها، فمنها:

- ١- لا يجوز أن تكون العصمة بيد الزوجة.
- ٢- صلاة الخوف لا تصلى في حال الفتن.
- ٣- تأخير الرسول ﷺ لبعض الصلوات في غزوة الخندق قبل أن تشرع صلاة الخوف.
- ٤- تجوز الصلاة في الكعبة للنفل لا الفرض، وكذا الحجر، بشرط أن يكون مستقبل شيء منها، فلو وقف على الباب وجعلها خلفه لا يجوز.
- ٥- سطح الكعبة لا تجوز الصلاة عليه لا الفريضة ولا النافلة.
- ٦- وقت النبي ﷺ المواقيت عام حجة الوداع، فتح الباري (١/ ٢٣٠)، (٣/ ٣٨٩)، ومنسك ابن جاسر (١/ ٧٣).
- ٧- ذكر العلماء الحكمة في عدم كسر عظام العقيقة، وأنها تفصل من المفاصل لأمر منها:

أ- تفاؤلاً بسلامة المولود.

ب- حتى تكون القطعة كبيرة، فتكون كرمًا من المعطي، وبعداً له عن البخل، وتكون مرضية للمعطي له.

٨- ساعة الإجابة يوم الجمعة، قيل:

أ- من جلوس الإمام على المنبر حتى انتهاء الصلاة.

ب- من بعد صلاة العصر إلى المغرب وهو الصحيح.

- ٩- رجب يسمى الشهر الأصم ؛ لأنه واحد من الأشهر الحرم .
- ١٠- الأمور القهرية مثل : المرض والحيض ويومي العيدين (الفطر والأضحى) لا تقطع التتابع في صيام الكفارة ، وإنما الذي يقطع التتابع الأمور الاختيارية .
- ١١- في حد الحرابة ، لا يوجد مكافأة فيقتل المسلم بالكافر .
- ١٢- حكم حل السحر بسحر ، يبحث عند الفقهاء في آخر باب المرتد .
- ١٣- نظم ابن عبد القوي كان لكتاب المقنع ، واختصره الشيخ عبدالعزيز بن حمد ابن معمر ، وأخذ منه ما يتعلق بمثن زاد المستقنع وزاد عليه ، وجعله نظماً للزاد .
- ١٤- إذا صدم شخص في الحرم حمامة أو أي حيوان فهو يضمن ؛ لأن الإتلاف يستوي فيه العمد والخطأ ، ولكن العمد فيه الضمان والإثم .
- ١٥- لا تجوز الزيادة على الحد .
- ١٦- حذف عين المتجسس يبحث عند الفقهاء في باب حد المحاربين .
- ١٧- إسقاط النطفة دون الأربعين يبحث عند الفقهاء في باب عدة الحامل .
- ١٨- النساء يحتجن عن العبد إلا سيده ؛ لأنه يخدمها ويكون معها ، فمن العسير أن تحتجب منه وهو يخدمها .
- ١٩- الحكمة في عدم استلام الرسول ﷺ للركنين العراقيين أنهما ليسا على قواعد إبراهيم عليه السلام .
- ٢٠- الحجر الأسود يستلم ويقبل ويشار إليه . وإذا استلمه بيده أو بعصا جاز له تقبيل يده وعصاه ، وإذا أشار إليه لا يقبل يده .
- ٢١- السنة في العيدين أن يخرج من طريق ويعود من طريق آخر لحكم منها :
 أ- أن البقاع تشهد له لما سار في طاعة الله .
 ب- لإظهار شعائر الله .
 ج- للسلام على أكثر عدد من الناس .

- ٢٢- سبب تسمية عام الرمادة قيل : إن الأرض اسودت فصار لونها مثل الرماد .
- ٢٣- إذا أعتق الغني جزءاً من عبده أو العبد المشترك بينه وبين غيره صار هناك سراية ، فيدفع ما بقي من العبد ، وإذا كان فقيراً صار استسعاء من العبد يسعى ليعتق باقيه ، فهذه سراية واستسعاء .
- ٢٤- المذهب لا يجوز إعطاء الأب ابنه الغارم من الزكاة .
- ٢٥- أم الزوجة وزوجة الأب يحرم من بمجرد العقد .
- ٢٦- غير المدخول بها تبين بطلقة واحدة ولا عدة لها .
- ٢٧- ولد الزنى لا ينتسب إلى أبيه ، وكذلك البنت ، ولا يجوز له أن يتزوجها ؛ لأنها خلقت من مائه .
- ٢٨- كفارة قتل الخطأ تجب حتى بالاشتراك ولو كانت نسبة الخطأ قليلة كـ ٢٪ .
- ٢٩- كفارة قتل الخطأ تجب في كل نفس معصومة ، فيدخل الذمي ، ويخرج الحربي والمرتد .
- ٣٠- يجوز وضع يد الخالف على المصحف من باب تغليظ الأيمان .
- ٣١- وضع ابن حجر - رحمه الله - في كتاب بلوغ المرام حديث المرأة ، التي دخلت النار في هرة حبستها في باب الحضانة ؛ ليبين أن حضانة الإنسان العاقل والمجنون وغيرهما من باب أولى .
- ٣٢- مدائن صالح - البحث فيها عند الفقهاء في إحياء الموات .
- ٣٣- ثلاثة من فعلها فإنما يفعلها على نفسه :
- أ- من نكث فإنما ينكث على نفسه .
- ب- من بغى فإنما يبغى على نفسه .
- ج- من بخل فإنما يبخل على نفسه .
- ٣٤- مسألة الظفر ذكرت في كتب الفقهاء في باب القضاء ؛ لأنها لا تفتقر إلى

حكم حاكم .

٣٥- من أسر سريرة ألبسه الله رداءها علانية .

٣٦- ربع عقل خير من حمل علم .

٣٧- ذكر الحسن بن عمران بن عيينة ابن أخي سفيان بن عيينة قال : حججت مع عمي سفيان آخر حجة حجها سنة سبع وتسعين ومائة ، فلما كنا بجمع وصلى ، استلقى على فراشه ثم قال : قد وافيت هذا الموضع سبعين عاماً ، أقول في كل سنة اللهم لا تجعل آخر العهد من هذا المكان ، وإني قد استحييت من الله من كثرة ما أسأله ذلك . فرجع فتوفي في السنة الداخلة وهو ابن إحدى وتسعين سنة .

٣٨- ولا زلت أذكر فائدة أعطانيها - رحمه الله - من تفسير القرطبي عند قوله تعالى في سورة الإسراء (آية ٤٥) : ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ ، وسأذكرها بنصها من الكتاب للفائدة : قال القرطبي (٢٧٠ / ١٠) : ولقد اتفق لي ببلادنا الأندلس ، بحصن منشور من أعمال قرطبة مثل هذا ، وذلك أني هربت أمام العدو ، وانحزت إلى ناحية عنه ، فلم ألبث أن خرج في طلبي فارسان ، وأنا في فضاء الأرض قاعد ليس يسترني عنهما شيء ، وأنا أقرأ أول سورة يس وغير ذلك من القرآن ، فعبرا علي ثم رجعا من حيث جاءا ، وأحدهما يقول للآخر : هذا ديبُّه يعنون شيطاناً ، وأعمى الله عز وجل أبصارهم فلم يروني .

كما ذكر لي كثيراً من الفوائد من كتاب الإصابة في تمييز الصحابة ، وبهجة المجالس ، والبداية والنهاية ، والبيان والتبيين ، وحياة الحيوان ، والأعلام ، وغيرها من الكتب .

ويتبين لك أخي القارئ محبته للعلم في كلمة كان يرددها كان يقول : أتمنى لو أرجع شاباً ؛ لأقرأ هذه الكتب ، وألتهم شيئاً منها .

وكان من غريب شغفه بالعلم أن لا تخلو جلسة إلا ويسأل عن معارض الكتاب والكتب الجديدة ، وعن تحقيقها وفهارسها ومميزاتها ، فإذا رأى شيئاً جديداً سواء في الكتب أو في التحقيق حرص على اقتناء الكتاب ، حتى وإن تكررت بعض الكتب ما

دام الجديد فيه زيادة تحقيق أو إيضاح ، ولذا صار عند الشيخ - رحمه الله - معرفة كثيرة بالكتب بل وحتى المخطوطات .

ذكر لي الشيخ سامي بن عبدالله السلماني أنه مكث وقتاً يبحث عن منظومة في الفقه الحنبلي هي نظم الصرصري لمتن الخرقي ، ولم يعثر عليها إلا بعد أن سأل الشيخ عنها فدلّه على مكان وجودها .

بذله للعلم،

وأما بذل نفسه للعلم فيدرك ذلك كل من رأى دروسه في بيته للطلاب ، لا يرد أحداً منهم ، ولا يأنف لقلّة علم الطالب أو فهمه ، وأفضل الأوقات عنده وأشرفها ما كان في قراءة العلم وفهمه ومدارسته .

لما كان الشيخ - رحمه الله - عضواً في مجلس القضاء الأعلى فرغ أربعة أيام ، بعد صلاة العصر إلى أذان المغرب ، لبعض طلبة العلم ، مع أنه كان لا يصل إلى بيته إلا قبيل أذان العصر ، ثم يتفرغ ليلاً لمراجعة بعض القضايا ، وأحياناً يمتد به وقت المراجعة إلى الثانية عشرة ليلاً .

ورغم مراجعته للمستشفى ، ورغم ما أراه أحياناً من تأثر صحته ، إلا أنه لم يعتذر عن الدرس الذي جلس له ، فقد كان محباً للقراءة والفائدة .

ذهبت في أيامه الأخيرة زائراً له في المستشفى وكان واضح الإجهاد والإرهاق ، فعجبت من سؤاله عن كتب نزلت جديدة في السوق ، فأخبرته بثلاثة كتب نزلت حديثاً يقيناً مني أنه لم يسمع بها ، وتفاجأت بجوابه بأنه قرأ الأول والثاني ، وقرأ كثيراً من الكتاب الثالث .

وهو مع القراءة يحرص على أن يفهم الطالب ويستوعب ما في الكتاب ، حتى لو كرر الشرح .

أذكر أنني حضرت مع طالب علم مبتدئ فكان يقرأ على الشيخ كتاباً في الفقه ، ويسأل عن مصطلحات فقهية سهلة تمر به ، والشيخ - رحمه الله - لا يأنف من قطع الدرس ، وتوضيحها بعبارات سهلة ميسرة تناسب فهم القارئ .

في إحدى الليالي اتصلت مدرسة بالشيخ وطلبت معرفة تخريج حديث، فأخبرها بطريقة تخريجه، ولكنها أصرت أن يقوم الشيخ بنفسه بتخريج الحديث بأسرع وقت، بحجة أنه ضاق عليها الوقت، ومع ذلك قدر الشيخ طلبها وخرج الحديث بسرعة وأخبرها به، وذكر الشيخ - رحمه الله - لي هذه القصة مستشهداً على حاجة الناس والمسارة في نفعهم ما استطاع المسلم إلى ذلك سبيلاً.

وهو مع كثرة أسئلة الناس له قال لي: إنني أفرح بالسؤال الذي لا أعرف جوابه؛ لأنه يدفعني للبحث والاطلاع.

أذكر أنني سألته عن مسألة في باب التعصيب في الفرائض، فأجابني بجواب، ثم أراد أن يتأكد فاتصل بأحد المشايخ، حتى وصل السؤال إلى سماحة الإمام الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز - رحمه الله -، فأجاب عن السؤال. ثم طلب مني الشيخ أن أبحث عن نص المسألة في كتاب المغني، ولما قرأت عليه نص المسألة: ووقف على الجواب فرح كثيراً وردد مراراً: هكذا طلب العلم، وكانت المسألة: هل هالك عن بنتين وبنت ابن وبنت ابن ابن وابن ابن ابن. هل يعصب ابن ابن أخته وعمته أو عمته فقط، وكان جواب سماحة الشيخ أنه يعصب أخته وعمته.

وأما الهاتف الخاص بالفتاوى فكان لا ينقطع من اتصال السائلين، من داخل المملكة وخارجها، ومع ذلك كان الشيخ يرد على الأسئلة، وتارة يعقب الجواب بنصيحة أو إرشاد، متى ما رأى أن هذا الموضع مفيد للسائل، وكثيراً ما كان يتأثر ببعض الأسئلة، والتي تحكي واقعاً مراراً لبعض الآباء والأمهات، فتراه أياماً كثيرة متأثراً بقصة سائل، وكان يستمع للسائل ولا يستعجل، وإن كانت السائلة امرأة ولديها مشكلة أشار عليها وأعقب مشورته بقوله: «لو أنك ابنتي لما قلت لك أكثر مما قلت».

أذكر أنه دخل إلى مجلس الشيخ أثناء الدرس سائل وقد وجل فؤاده، ودام فرقه، واشتد قلقه، حسبته لما رأيته مرتكباً جريمة، ولما سلم أحس الشيخ بظروفه النفسية، فطلب منه أن يجلس، وأن يشرب القهوة والشاي، فلما سكت قليلاً ذكر أنه طلق

زوجته، فأرشدته الشيخ بعد أن هدأ باله، وأمن سربه، وسكن قلبه، وهدأ جأشه، رافة به أن يذهب إلى سماحة الإمام الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - يستفتيه، فخرج وقد انحسرت غمومه، وانقشعت همومه، وسكنت روعته.

في آخر شهر شعبان اتصلت به امرأة كبيرة السن، تذكر له أن الطبيب منعها من الصيام؛ لضعفها ووجود مشاكل باطنية عندها، فقال لها الشيخ: ما دام الطبيب مسلماً عدلاً فيقبل قوله، فقالت: لا أستطيع أن أرى الناس حولي يصومون وأفطر، فتأثر الشيخ وعجب من حرصها، فكان آخر كلامه مختلطاً بالبكاء.

وهو مع جفاء بعض السائلين وإساءتهم له، تراه ثابت العقل راجح الحلم يتلقاهم بالصبر، ذكر لي الشيخ أنه لما أوى إلى فراشه ليلة بعد الساعة الحادية عشرة اتصل به أحد السائلين يستفتي، فأخبره الشيخ بأنه متعب، وطلب منه الاتصال في وقت آخر يستطيع أن يجيبه، فما كان من السائل إلا أن ألقى على الشيخ وابلاً من كلمات اللوم والعتاب، فلم يرد عليه الشيخ بكلمة واحدة، فله وقار وحلم، وفهم وعلم، أخلاقه شريفة، وطباعه كريمة، وسجاياه جميلة.

في أحد الدروس كان هاتف الفتاوى مشغولاً، فاتصلت امرأة على الهاتف الآخر، وطلبت من أهل الشيخ أن يُقفل خط الفتاوى حتى تتصل، ولم يكن السؤال عاجلاً أو مهماً، ومع ذلك استجاب الشيخ لطلبها، وأقفل الخط وانتظر اتصالها، ولما اتصلت كنت أحسب أن الشيخ سيوسعها لوماً وتعنيفاً، أو ينصحها ويرشدها إلى أدب السؤال والاتصال، ولكن لم يحصل شيء من ذلك بل أسبغ عليها لباس عفوه، وأجابها برفق ولين، لعلمه أن صاحب الحاجة لا يرى إلا حاجته.

أذكر أن سائلاً مصاباً بداء الوسواس، اتصل على الشيخ يشك في طلاق زوجته ويكثر من الاستفسار، ولما علم الشيخ - رحمه الله - بحاله أطال نفسه، وأمضى وقتاً طويلاً معه، جاهد في إقناعه أنه لم يحصل طلاق، وأن ذلك كله من الشيطان.

إجلاله للعلماء:

كان رحمه الله مجلاً للعلماء الصالحين الصادقين، لا يرضى أن ينال أحدهم بسوء

أو يستنقص بأي صفة كانت .

لما عصفت ببعض البلاد العربية القوميات الجاهلية، خرج شخص في إحدى الإذاعات الخاسرة، وقد كشف الغطاء، وحسر الغماء، يسب بعض العلماء ويستنقصهم، ثم لما أدبرت هذه القوميات، وانحلت عراها، ورثت قواها، جاء الشخص وقابل الشيخ صدفة في أحد الأسواق، وسلم على الشيخ فسأله الشيخ عن اسمه، فلما عرفه دفعه بيده؛ مستنكراً ما بدا منه تجاه أهل العلم. فقال: يا شيخ إني رجعت عن ذلك، فقال الشيخ: كما استنقصتهم جهاراً أعلن رجوعك وتوبتك للناس، وبعد فترة اتصل أحد الأشخاص على الشيخ يدعوه لمنزله ويلح في الدعوة، فسأله الشيخ: من عندك؟ قال: عندي الشيخ فلان وفلان، ولم يذكر ذلك الشخص الذي نال من العلماء، فكرر الشيخ صالح - رحمه الله -: ومن عندك أيضاً؟ فذكر اسم الشخص، فقال الشيخ: لا يمكن أن أجتمع معه حتى يعلن توبته للناس ويتبرأ من كل أقواله السابقة، ولم يجمع به الشيخ - حسب علمي - بعد ذلك حتى توفي - رحمه الله - وكل ذلك دفاع منه عن أهل العلم.

كان - رحمه الله - يتأدب مع العلماء في ذكر أقوالهم وأدلتهم، ثم يرجع بتواضع صادق ما يراه من الأقوال واضحاً، ويرى لهم من الدين والفضل والعلم والصدق وحسن النوايا ما يمنع المسلم العاقل من انتقاص أحدهم برأي رآه أو قول رجحه، مادامت النية صالحة صادقة والقصد صحيح.

ويرى أن احترام العلماء وإنزالهم منازلهم هو من صفات العلماء السابقين، ويذكر كذلك مثلاً أن ابن كثير - رحمه الله - لا يذكر شيئاً عن الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله -، إلا ويقول الإمام أحمد، ولا يذكر اسمه بدون قوله الإمام.

طلبت منه كتاب الاختيارات لشيخ الإسلام ابن تيمية، وقبل أن يعطيني إياه ضمه إلى صدره، ثم إلى وجهه، وقال: إني أحب علماءنا، وأرجو الله أن يحشرني معهم في جنات النعيم.

وهو مع إجلاله لأهل الدين والعلم والصدق والفضل لا يقيم لأهل البدع والأهواء

وزناً، ولا يرغب أن يذكر في مجلسه أو يمدح صاحب بدعة، ولما ذكر أحد الحضور ابن أبي دؤاد في مجلسه، ذكر الشيخ - رحمه الله - غاضباً منكراً عليه موقفه في فتنة الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - في خلق القرآن، وكيف كان تعذيب الإمام وكثير من العلماء بسببه، ناهيك عن إضلاله للناس، وإجبارهم على الأخذ برأيه.

أهدى أحد طلبة العلم المحبين للشيخ كتاباً في الفقه، مؤلفه دلاء الشيطان بغروره، وزين له مقابح أموره، عنده انحراف في العقيدة، وهو كثير الطعن والشتم والسب لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم - رحمهما الله -، ولما حضرت من الغد أخبرني الشيخ بأنه أهدى إليه هذا الكتاب، فسألته عن مصيره، فقال: إني أخرجته من بيتي، ولا أرى أن يوضع هذا الكتاب في مكتبتني، ومؤلفه ينال زوراً وميناً وبهتاناً من علماء السلف الصالح.

وقد صدق - رحمه الله -، فقد تخرص هذا المؤلف وزخرف الكذب، ولبسه حتى انطبق عليه - والعياذ بالله - قولهم: هو أكذب من أخيد الجيش.

حدثني الشيخ نفسه أنه زاره أحدهم في بيته وأثناء جلوس الشيخ، أخذ الزائر الهاتف، وحادث شخصاً عنده انحراف في الاعتقاد، وقال له: هذا الشيخ صالح يريد السلام عليك. فقام الشيخ من المجلس ولم يكلمه. ثم قال لي الشيخ بعد ذلك ولو لم أقم ما كلمته وهو صاحب بدعة.

أذكر أنني كنت أبحث عن كتاب يجمع متوناً في العلم كثيرة، ولم أجده في المكتبات، ووجدته عنده، وأخبرني رحمه الله أنه أهدى إليه هذا الكتاب من جهة علمية خارج المملكة، لكن قال مشكلة هذا الكتاب أن فيه قصيدة البردة للبوصيري ولا أستطيع طلب نسخة منه مع وجود هذه القصيدة فيه، لئلا يحسب علي هذا الطلب مع ما في هذه القصيدة من الخلل، ويعتقد أنني متساهل في جانب العقيدة، وصدق رحمه الله ففي هذه القصيدة زلات خطيرة مهما حاول تأويلها من بعد عن العلم الصحيح، والفهم السليم، لكنه رحمه الله أعطاني الكتاب وصورته.

اهتمامه بطلابه:

كان رحمه الله يستعد لدروسهم، ويتهيأ لمقابلتهم، ويرحب بهم، ويعتذر منهم

عن درس الغد إن عرض له عارض ، حتى وإن حصل له شغل بعد خروج الطلاب من عنده حرص على الاتصال بهم لإخبارهم بشغله ؛ ليكفيهم عناء المجيء ، وهذا - أعني اعتذار الشيخ - نادر جداً ، يكون سببه إجهاد وعناء بعد موعد في المستشفى ، أو أمر آخر يتطلب حضوره ، كالإصلاح بين قوم تشعبوا ، فيجتهد الشيخ في ضم ألفتهم وشعب صدعهم ، ونظم شملهم ، فقضاؤه مرتضى مرضي وأمره مُمضى .

كان يحرص على أن يعين الطالب في مذاكرته ، ولذا أذكر لما قرب الامتحان عرض الشيخ علينا أن نقرأ من الروض المربع ما يوافق دراستنا في الكلية ، حتى يساعدنا في الفهم ويكون كالمراجعة لنا .

كان - رحمه الله - دائم النصيحة والتذكير بحقوق الله ، وله من القبول عند طلبة العلم الشيء الكثير ، فهو يسرد خبرته في الحياة وتنقلاته وهو كفيف البصر ، ثم يتبع ذلك كله بوجوب شكر النعم والمحافظة عليها .

كان دائماً مشجعاً على مواصلة العلم وعلى القراءة والتعلم في سن الصغر ، حيث قوة الذاكرة وقلة المشاغل .

كما كان يحث الشباب على العلم والعمل ، وقد حضرته مرة وحضر عنده شاب عمره فوق العشرين ، فسأله الشيخ عن دراسته ، فقال الشاب : إنني بدون عمل وبدون دراسة ، معتقداً أن الشيخ يعجبه هذا الحال ، فتأثر الشيخ ثم صب عليه وابلاً من النصائح ، موضحاً له أن ذلك من العيب وليس من الفخر .

وهو مع اشغاله الجسام ، وضيق وقته ، كان إذا تغيب أحد الطلاب عن الدرس سأل عنه وأكثر من السؤال ، حتى يطمئن على صحته ، وحتى يعلم أن المانع من حضوره للدرس كان خيراً .

كان لأحد طلبة العلم الأفاضل درس مع الشيخ مغرب الإثنين ، وحصل أن يوماً اعتذر الشيخ ، وفي الأسبوع الثاني دخل المستشفى ، ولما زرناه تفاجأنا أنه يعتذر عن التخلف عن الدرس ، ويكرر أسفه لذلك وكأنه تغيب لغير عذر .

محبته للخير:

وأما محبته للخير فكان يسعف الناس بحاجاتهم، ويمد يد العون لكل من احتاجه، باذلاً في ذلك قصارى جهده. حضرت عنده مرة وقد شفع لشخص في دخول والده للمستشفى، ثم حضرته مرة أخرى يشفع لأهل قرية بعيدة لا يعرفهم، في افتتاح فصول دراسية لبعض الصفوف، ويخاطب المسؤولين بذلك، وحضرته ثلاثة في دخول طالبات للكلليات، وحضرت مرات كثيرة يكتب مع أناس كثيرين، بغية توظيفهم، أو تسهيل أمور لهم، وما لم أحضر أضعاف كثيرة، وهو مع بذله وسعيه لا يمين على أحد، ولا يذكر أحداً بمعروف صنعه، بل ولا يراه أحياناً، وهكذا شيم الكرام.

حتى في مرضه الذي توفي فيه قبل وفاته حضرت عنده امرأة كبيرة السن، وذكرت له أن ابنها يعمل في المنطقة الشرقية، وأنها تعيش بعيدة عنه، فلما رآها الشيخ متأثرة، رَقَّ لها وسعى في الموضوع بنفسه، فكان يقطع القراءة وأراه يتصل بنفسه متابعاً الموضوع، حتى تمت الموافقة على نقل الابن.

تواضعه:

وأما تواضعه فقد عرفت الشيخ - رحمه الله - منذ عام ١٤٠١ هـ سألته عن مسألة فقهية في المسجد، فأجابني، ثم عرض علي الحضور إلى بيته لدراسة هذه المسألة، والاطلاع على أدلتها وأقوال أهل العلم فيها، وهو إذ ذاك عضو في مجلس القضاء الأعلى، فأعجبني تواضعه أن يبحث مسألة فقهية مع طالب في المرحلة المتوسطة.

ومع علمه وجلالة قدره لا يرى نفسه شيئاً، بل يرى نفسه طالب علم، ومن ذلك أنه يقدم غيره من المصلين للإمامة إذا غاب الإمام الراتب أو تأخر، وقد رأيت هذا التقديم مرات، وأذكر أنه تقدم مرة ومع ذلك اعتذر بعد الصلاة بأنه تقدم؛ لأن الأخوان اعتذروا عن الإمامة.

في إحدى جلسات الشيخ وكان مجلسه عامراً بالضيوف، قال له أحد الحضور: يا شيخ صالحي عندي سؤال، فقال الشيخ: سل، عندك الشيخ فلان والشيخ فلان

والبقية طلاب علم، فانظر إلى رفعه معنويات الحضور وتقديرهم واحترامهم، وإلا فالجميع يعلم أنه أعلم الحضور، وفتواه معتمدة، وأن السائل لم يرد إلا جوابه.

أذكر في أحد الدروس، اتصل أحد المشايخ يستفسر عن مسألة فقهية، فأجابه الشيخ مباشرة بالتفصيل والتعليل، وحذراً من الإعجاب، قال الشيخ للسائل: منذ فترة قصيرة راجعت هذه المسألة، وإلا فلست فقيهاً.

حضرت عنده مرة بعد صلاة الظهر، فرأيت عاملاً من الهند في مجلس الشيخ راغباً الدخول في الإسلام، وكان الشيخ رحمه الله يلقيه الشهادتين، فلما نطقها بسط الشيخ وجهه، ومهد له كنفه، وثنى إليه عطفه، وقربه إليه، ووضع يده على ظهره وأكرمه، فتأثر العامل المسلم كثيراً من كرم الشيخ وتواضعه وبشاشته ولين جانبه.

ومن أجمل ما يميز مجلس الشيخ يوم الجمعة أن يدور في المجلس كلام مفيد، وإذا ما توقف الحديث حرك الشيخ دفته بأي قصة أو مسألة أو خبر، فيعود الحديث مرة أخرى نافعاً جديداً.

لما سافر الشيخ إلى أمريكا في رحلته العلاجية، كان يتعاون مع أهله في إتمام ما يستطيع من حاجاته بنفسه، رغم مسابقة أولاده البررة على خدمته ومحاولة ثنيه أن يعمل بنفسه، وكان جوابه أن عمله ليس شاقاً عليه ولا ينقصه شيئاً.

كان الشيخ في بداية مرضه يتأثر إذا كان في المكان هواء بارد أو مروحة، وهو مع هذا التأثر كان يحضر إلى المسجد ويرفض أن تقفل المكيفات أو المراوح من أجله، ولأجل البعد عنها يذهب إلى آخر الصف، حتى لا يحرم المصلين من أي شيء. فما أجملها من قناعة وأبعدها عن الأنانية.

بعد أن خرج الشيخ من مجلسه، بعد انتهاء الدرس، يريد الذهاب إلى المسجد، حاول أحد طلبة العلم إلباسه نعليه، فرفض الشيخ بشدة وأبعده بيده ولبسها بنفسه.

ورغم محبة الناس، وحرصهم على تقبيل يده ورأسه، كان لا يرغب ذلك، بل يريد أن يكون السلام مصافحة.

ورغم انشغاله ومرضه كان يلاطف الأطفال، ويسلم عليهم، ويقبلهم، ويمازحهم، ويسأل عن أسمائهم، وأذكر أنه اقتطع جزءاً من وقت الدرس لكون أحد الصغار اتصل به وطلب منه موضوعاً في التعبير، فبدأ الشيخ يملئ عليه جملاً في الموضوع الذي طلبه، وكان إملاؤه ببطء حتى يتمكن الصغير من الكتابة حتى اكتمل الموضوع، ثم ودع الشيخ الصغير بالدعاء له بالتوفيق.

وهو مع حديثه لهم يحاول إدخال الأُنس حتى على الحاضرين. ولذا لما اتصل بعض أحفاده يخبره بنجاحه وتفوقه، التفت الشيخ بعد أن انتهت المكالمة، وقال مازحاً: هذا الاتصال ليس للإخبار، وإنما لتجهيز الهدايا والمكافآت.

والشيخ - رحمه الله - كان يحب الأطفال ويحرص على إدخال السرور عليهم، ولهذا كان يحتفظ بأنواع من الحلوى يوزعها عليهم، ولم يدع هذه العادة المحببة إلى نفسه حتى وهو مريض في المستشفى.

جاء أحد الإخوان من خارج الرياض وصلى مع الشيخ صلاة الظهر، وأراد أن يسلم عليه، فأخبرته أن الوقت غير مناسب للدخول عند الشيخ، فقال أريد السلام فقط، ولما سلم وأخبرت الشيخ أنه قدم من خارج الرياض، واجهه بسرور واستبشار وحبور وابتهاج، ودعاه إلى المنزل، وأصر على دخوله، فدخلنا، وأظهر الشيخ إكرامه والسرور به والاستبشار له، فخرج الضيف من منزل الشيخ فرحاً مسروراً يتذكر هذه الجلسة، وما دار فيها من أحاديث مفيدة مدة طويلة.

تعامله مع الخدم:

كان الشيخ رحمه الله يذكر أهله أن هؤلاء الخدم لابد من الإحسان إليهم والرفق بهم، وكان يعاملهم كأبنائه، إذا خرج للسائق بادره بالسلام والسؤال عن حاله، وإذا أتت مناسبة أعطى الخادومات هدايا، وإذا كان في بيته وليمة وحضرت الخادومات مع بناته، كان يعطي كل خادمة خمسين أو مائة ريال لعملها في منزله، ويعتبر عملها زيادة على عملها بالبيت الذي هي فيه، ولذا فإن الخادمة تجلس مع عائلة الشيخ سنين عديدة، وإذا اضطرت للسفر، فإن رسائلها لا تنقطع.

ورعه وزهده:

لما كان الشيخ في سلك القضاء كان حذراً من قبول الهدايا، أو حضور بعض المناسبات.

حضر شخص ومعه بعض التمر يريد أن يهديه للشيخ، فلما علم الشيخ رحمه الله قال لأولاده: قولوا له إذا أردنا التمر وجدناه في السوق.

وأما حضور المناسبات فكان يعتذر عنها، ولما سألته عن قدرته على الاعتذار مع كثرة المناسبات وتعدد الداعين، قال: إني أقول لهم جملة واحدة، وهي أنني لا أستطيع أن أحضر لأحد دون أحد، ولا أستطيع أن أحضر للجميع فيعذرني الداعي. قال لي مرة وقد جاء الحديث عن الطعام والحمية: منذ خمسين عاماً لم أتناول طعام العشاء.

لما ذهب الشيخ إلى أمريكا في رحلته العلاجية، كان لا يأخذ مما وُفّر له من الخدمات إلا حاجته الضرورية، رغم أنه مسموح له بأن يستفيد من كل الخدمات، ومع هذا كانت استفادته في نطاق ضيق، وحجته أن ذلك أبرأ للذمة.

ومن ذا الذي تأتيه الدنيا بجمالها، ويركلها بقدمه إلا من رحم الله، ممن زهد في هذه الدنيا، وحل الورع والزهد في فؤاده:

أعرضت عن دنيا تطيب ثمارها	ولطالما سحرت هوى الإنسان
عرضت على الغرّ السفيفه مفاتناً	فغدا أسيراً في رضا الشيطان
وازينت يوماً وغنت ساعة	فهوى يطاردها عشيق هوان
ضحكت فباعت أنفسي ديناً بلا	ثمن فباء البيع بالخسران

وفاءه:

رغم انشغال الشيخ بعمله في القضاء والتدريس والقراءة إلا أن الوفاء شعاره، فكان يسابق في عيادة المريض، والصلاة على الجنائز، ولما اشتد به المرض بدأ يصلي

على الجنازة في المسجد، ولا يخرج إلى المقبرة لتعبه، وإن كان المريض بعيداً عنه اتصل به عن طريق الهاتف، واطمأن عليه ودعاه له.

وكان من جميل خصال الشيخ تطبيقه لسنة رسول الله ﷺ في مكافأة المحسن، فكان يرد الإحسان بأضعافه.

وإذا أهدى إليه أحد كتاباً بادره الشيخ - رحمه الله - بإهدائه كتباً، وحرص أن تكون نادرة أو غير متوفرة في السوق، ليكون أثر الهدية أكبر وقعاً.

حضرته مرة وقد أهدى إليه أحد طلبة العلم كتاباً ألفه، فوجدت الشيخ يملئ خطاب شكر للمهدي، يسطر فيه ثناءه على إهدائه.

لما قدم الشيخ من إحدى رحلاته العلاجية، حضر معالي الدكتور عبدالعزيز الخويطر للسلام عليه أول ما قدم، فأثر ذلك في نفس الشيخ، ثم سافر معالي الدكتور عبدالعزيز الخويطر إلى أمريكا للعلاج، فطلب مني الشيخ أن أخبره بأول قدومه، فلما قدم أخبرته، فكان الشيخ من أوائل من زاره في بيته، واطمأن على صحته، وهنأه بسلامة الوصول.

يقينه:

زار الشيخ في المستشفى اثنان من طلبة العلم، وكان رحمه الله متعباً، ومع ذلك لم يطلب منهما الرقية، لاستحضاره قول الرسول ﷺ في وصف السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب (هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتبون وعلى ربهم يتوكلون)^(١)، ولما عرض أحدهما على الشيخ أن يرقيه، وافق الشيخ، فحصلت له الرقية دون طلب منه.

لما زرت الشيخ في المستشفى عند اشتداد مرضه، وتكلم الشيخ في بعض المسائل الفقهية، كنت أعتقد أن الشيخ - رحمه الله - لا يعلم عن مرضه وخطورته شيئاً، ولكن لم يدم اعتقادي هذا طويلاً، لأن الشيخ قال لي: إنني طلبت من إذاعة القرآن الكريم تسجيل حلقات لبرنامج «نور على الدرب»، فذكروا لي أن وقت التسجيل لم

يحن، ولكنني طلبت التسجيل. ثم قال: وهذه آخر حلقات أسجلها، ولا أظنني أستطيع تسجيل حلقات أخرى، ولما دار الحديث قليلاً ذكرت له وصفة علاجية من العسل والحبة السوداء كان استخدمها أحد المشايخ فخفت آلامه، وسكنت أوجاعه، فقال لي إني على يقين بمرضي هذا وصعوبة علاجه أو تعذره، فعلمت أن الشيخ قد أحس بدنو أجله، وهذه وقفة وموعظة لكل مسلم مريض، فالشيخ يعاني من آلام شديدة، وأوجاع متواصلة في جسمه كله، ومع ذلك لا يتضجر ولا يبكي ولا يحزن، بل حديثه في هذه الفترة كان عن العلم والكتب والأخبار المفيدة، فكيف بمن يصاب بمرض خفيف وتراه شاكياً باكياً متسخطاً حديثه في كل وقت لا يخلو من الجزع وعدم الرضا.

رأيت له رؤيا بشرته بها، فقد رأيت أني دخلت على مكان فيه نساء يبكين، ورأيت رجلاً على سرير قيل لي إنه الشيخ حمود بن عبدالله التويجري - رحمه الله - فجلست عنده قليلاً فأصابته حالة نزع، فقال: إني أرى مكان الشيخ ابن باز في الجنة، فقلت له: وابن غصون؟ قال: وابن غصون، وقد سعد الشيخ بالرؤيا. وحضرت إليه في مرضه الأخير في المستشفى أريد تذكيره وإدخال السرور عليه ظناً مني أنه نسي، فقال: إن الرؤيا لم تغب عن بالي، ولكن إذا تذكرت أعمالي خفت أني لا أستحق ذلك، فله دره، فذلك تواضع الأصفياء الأبرار والأولياء الأخيار، وقد كتبت لسماحة المفتي الإمام عبدالعزيز بن عبدالله بن باز - رحمه الله - وأخبرته بما يخصه من الرؤيا دون ذكر اسم الشيخ صالح - رحمه الله -، فكتب لي رداً وضعته في آخر هذه الترجمة.

لازمت الشيخ أوقاتاً مختلفة رأيته يستقبل الناس، ورأيته وهو يدرس في المسجد، رأيته في صحته وفي مرضه، فوجدته عالماً عابداً تقياً ورعاً سخيّاً، مجالسه ملئت بقراءة الكتب وذكر الفوائد، بيد أنها تخلو من غيبة وكذب وكل ما يستنقص طلبه العلم، ناهيك عن العلماء المخلصين.

كان رحمه الله لإخوانه خير قدوة وأحسن أسوة، آدابه فاضلة وأخلاقه عالية، ومعارفه سامية، ومروءته تامة، وعقله كبير.

كان رحمه الله خير جليس لا يمل الإنسان من أحاديثه، كلما تحدث في موضوع نثر عليك خبرته في الحياة، فتجد علماً ومعرفة ثم نصحاً ومشورة.

كان رحمه الله نموذجاً نادراً رائعاً للمسلم العامل العابد المؤثر في بيته وفي مجتمعه، رجل أعطى أهل الحقوق حقوقهم وتفضل على غيرهم، وقبل ذلك كله تفرغ للعبادة وقراءة القرآن والكتب الشرعية، فحظي وقته بالبركة واتسمت حياته بالتوفيق، رجل شق حياته رغم المصاعب فسل سيف الجد والمثابرة، وصار يقتل كل دعة أو سكون أو إخلال للراحة، عاش - رحمه الله - صالحاً عابداً، أحسن إلى من استطاع، وعطف على من قدر، ولطف مع من تحدث معه، وساعد وشفع لمن احتاج بقدر طاقته ووسعته، فتبوا منزلة عالية في النفوس، أحبه الناس لما لمسوه من أخلاقه وتواضعه وجدته، أحبه الكبير لتواضعه وعلمه، وأحبه الصغير لملاطفته، وأحبه القريب لبره وإحسانه، حملوا صورته في الأفئدة، ونقشوها على صفحات النفوس، فهو من كل قلب حبته، ومن كل عين سوادها.

كان - رحمه الله - عوناً لليتامى والثكالى، يمسح بيده عليهم فيطرد الحزن والاكتئاب عنهم، لتحل بهم السعادة والفرح والأنس، ولذا فقد كثر سؤالهم عنه، إذ بعد وفاته غابت عن محياهم البسمة والسرور:

مسحت يداك على اليتيم وأسبلت عيناك دمعاً خشية الرحمن

ذكرتك أرملة تنامي فقرها مذ غبت ذاقت لوعة الحرمان

ناهيك عن ثكلى تنوح وأيم تبكي فراق صنائع الإحسان

فهو والد للجميع فقداه الناس جميعاً، فقد أخذ - رحمه الله - من كل نوع من أنواع الأدب حظاً كاملاً، ومن كل فن من الفنون سهماً وافراً، ولذا فهم يعززون بعضهم، فالجميع أبناءه وأحبائه.

افتقده - رحمه الله - أهله فهو رحيم بهم، وطلابه فهو معلم حصيف لهم، وجماعة مسجده فهو سارية من سوارى المسجد .

وسل السواري في المساجد إنها شهدت نشيج الشيخ كل أوان

وافتقده البعيد الذي يحظى بعلم الشيخ عن طريق الهاتف، وأخيراً افتقده الفقير الذي لم يطرق بيت الشيخ إلا وحظي بالنوال والصلة، فكلهم قد طال حزنهم، ودام غمهم، واشتد كربهم، واتصل قلقهم، فلا تسمع إلا نحيباً وأنيباً، وتمثل كل واحد من هؤلاء بقول الشاعر:

بكى عاذلي من رحمتي فرحمته وكم مثله من مسعد ومعين

ورقت دموع العين حتى كأنها دموع دموعي لا دموع جفوني

رحمه الله فقد كان غرة أهل بيته، وكوكب نظرائه، وزهرة إخوانه، وحلية أكفائه . رحل الشيخ - رحمه الله - في وقت أحوج ما نكون فيه إلى العلماء، فهم الذين أترعوا الدنيا علماً، وملاؤوا آفاق الأرض نوراً وهدى، كشف الله بهم هبوات المحن، ومائرات الفتن، بهم تحيا الأمم، وتبنى النهضة، وتكتب تواريخ المجد والازدهار .

رحل الشيخ في زمن تفشى فيه الجهل، وكثرت الشبه، ونشر فيه الأعداء رايات ضلاتهم وباطلهم وأعلام جهالتهم، فصار كثير من الجهال تبعاً لكل ناعق وناعر، وهم سراع إلى كل من نصب للباطل راية، ورفع للشر علماً، فزادت حاجة الناس جميعاً إلى السؤال والاستفسار .

رحل واسمه آهة على كل لسان، ودمعة في كل مقلة، وخفقة في كل فؤاد، وما زالت ذكره في كل مكان . . في المسجد الذي كان أحد أركانه، وفي الإذاعة، وفي مجلسه الأسبوعي المليء بالجديد من العلم والآثار .

رحل وصمت هذا اللسان الذي طالما كان رطباً بذكر الله، وجفت هذه الدموع

التي طالما وكفت من خشية الله، وما تنسلى بعده إلا بالصبر وإن غلبنا الحزن :

ولما دعوت الصبر بعدك والأسى أجاب الأسى طوعاً ولم يجب الصبر

فإن ينقطع منك الرجاء فإنه سيبقى عليك الحزن ما بقي الدهر

رحل وما زال صوته يرن في أذن كل مستمع، وكل سائل سأله عبر الهاتف أو في المسجد، فتوقف الشيخ - رحمه الله - على مشقته ومرضه، وأطرق إلى السؤال، ثم أفاته بتواضع ولطف.

ولئن فجعنا بوفاته، فقد خفت عنا فجيعتنا فيه حزن مصائب أخرى:
فإن تك قد فارقتنا وتركتنا فله ريب الحادثات بمن وقع
فقد جرّ نفعاً فقدنا لك أننا أمناً على كل الرزايا من الجزع
 لكن عزاًؤنا أنه رحل عن هذه الدنيا الفانية، وأعين محبيه تسفح دموعاً حزناً لفراقه، وترجو أن تجتمع به إن شاء الله في دار كرامته ومرضاته.
 وعزاًؤنا أنه سيعيش معنا وإن غيبه التراب، فهو باق بمآثره وأعماله.
 وإن خلى منزل الشيخ منه فقد حلّ في قلوب محبيه ومنازلهم الحزن لفراقه...
 ولكن الحياة:

وقلت له إن كنت أخليت منزلاً ففقد ملئت بالحزن منك المنازل
عليك سلام الله ماذر شارق وما حنّ مشتاق وما ناح ثاكل
 هكذا الدنيا نزول وارتحال، أفراح وأتراح، بالأمس كنا نستمتع بدروسه، واليوم نبحت عن كلمات تكون رثاء له فلا نجد لها، فالقلوب مصابة، والنفوس ثكلى، والمدامع ما زالت تذرف الدموع حزناً على فراقه، فهذه مصيبة تبكي العيون، وتدمي الجفون، وتشجي الصدور.

إن رمت يوماً أن أكفك مدمعي هتف اللسان بنبرة الأحزان
يا صاح تيك قلوبنا مكلومة تبكي نجوماً لألأت أوطاني
يرثيك يا علم البلاد أئمة وينوح من وقع الردى خلاني
 لم تكن مصيبة الشيخ لأهله فقط بل لكل مسلم غرس في نفسه محبة أهل العلم، فهناك في المسجد، وفي المقبرة، وأخيراً في منزل الفقيد، تسابق الناس، وانشالوا إليه، يعزي بعضهم بعضاً، فلا تسمع إلا النشيج والعجيج، فموت العلماء مصيبة الأمة لا مصيبة العائلة.

كان رحمه الله من دراري النجوم علماً وتقوى وورعاً وعفة وزهداً، مواعظه تصل إلى القلوب، كان منظره وفق مخبره، وعلايته في وزن سريره. عاش ثمانياً وسبعين سنة لم يعب بمقالة سيئة ولم يتهم بريئة، سليم الدين، نقي الأديم.

كان رحمه الله من العلماء المجاهدين العاملين، فهو كفيف البصر، ومع ذلك شق طريقه نحو المجد بكل قوة.

رحمه الله فقد كانت أخلاقه شريفة، وطباعه كريمة، وسجاياه جميلة.

فقدنا عالماً جليلاً سكبت عليه الدموع، وتذكره الناس بفضلته وعلمه، فقدنا عالماً عمل في هذه الحياة؛ لأنه علم أن الدنيا مكان للعبور وليس للتعمير، عمل بإخلاص وصدق ووفاء، فصعد بأجنحة الجد إلى أعلى أبراج الفضائل، ورد المشرب الأول الذي لم يطرق لأنه صاف، وحذر من المشارب المطروقة بالآراء الفاسدة فسلم دنيا وآخرة بإذن الله، يأسف لوقت مضى من غير طاعة، فصارت أيامه مليئة بالذكر والطاعات، لا يترك القراءة والعمل في أوقات المرض والإجهاد، فإن هبت نسائم العافية رجع إلى عمله كأنشط الناس، أصلح السرائر ففاح عبير فضله، وعبقت القلوب بنشر طيبه.

عاش في الدنيا في قناعة وزهد ونزاهة نفس ورضى، فهو يعلم أنه لا عيش في الدنيا يطيب لمن أيامه السليمة تقربه إلى الهلاك وصعود عمره نزول عن الحياة.

صدق في طلب العلم والعمل فكتب الله له القبول، فالصدق في الطلب منارة أين وجد يدل على الجادة، وإنما يتعثر من لم يخلص، هو من أقوام صابروا عطش الدنيا في هجير الشهوات زمان العمر، حتى روي الموت من شراب الرضى، وبقيت أذكاه تروي فتروي القلوب وتجلو صداها، قدم كل شيء لأتمته بإخلاص، فعلامة المخلص أن يكون في جلوته كخلوته.

رحمه الله، فقد قدم الكثير للأمة فبادلتها الأمة بالمحبة والتقدير، والدعاء له كل وقت، فكم عمل وأصلح وبيّن وأنفق الكثير، فصعد إلى فروع العز وترقى إلى ذرى المجد، حتى بلغ مكاناً تشمو إليه الهمم، وترنو إليه الأبصار، وتمتد نحوه الأعناق،

وتقف عليه الآمال، وسيبكي عليه القريب والبعيد، وستظل ذكره في القلوب، وذكره على الألسن.

رحمه الله فقد كان فصيح اللسان، فسيح اللبان، ماضي الجنان، يأبى الدنية، ويأتي السنية، ويجزل العطية، لا يخيب آمله، ولا يعدم نائله، ولا يحرم سائله، أثوابه نقية، ونفسه آبية، وعشرته رضية.

إن القلم ليعجز عن تسطير ما في الفؤاد من الأحزان والأسى، ولكن وجوه محبيه كانت قلماً خط ما في القلوب من الأحزان والآلام، ودموع القريب والبعيد كانت علماً لمحبه ومودته، وما يخفف مصاب الجميع، إلا صورته التي ارتسمت في الأذهان، ومحبه التي غرست في القلوب.

ولئن رثاه المحبون فقد رثيته بدموعي وعبراتي، فقد كان لي رحمه الله أنساً وسعادة، وما رأيته إلا وسرى همي، وأسلى غمي.

كنت أشتاق لرؤياه، وأعد الدقائق للقاء، وما ذاك إلا لأن نفسي تطيب بمجلسه، وترتاح لحديثه، وتسعد بفوائده، فكيف أنساه:

فوالله لا أنساه ماذر شارق وما اهتز من فرع الأراك قضيب

ولئن بكى عليه البعيد الذي سمع به ولم يره، فكيف لا أبكي عليه وأنا الذي سعدت بصحبته أعواماً، أحسن إلي فيها كثيراً، وتدقت أفضاله عليّ، وتفضل عليّ بأمور أعجز عن تعدادها وحصرها، فله إياد بيضاء لا تجازي، وما تأتي سيرته إلا وأتذكر تلك الليالي العذاب التي نعمت فيها بحديثه، وأنست بالجلوس معه.

تذكرته في كل لحظة ولذا دعوت له مع والديّ، وحق لمن صحبه أن يبكي على فراقه:
سأبكيك ما فاضت دموعي فإن تقض فحسبك مني ما تجنّ الجوانح
كان لم يمت حي سواك ولم تنح على أحد إلا عليك النوائح

لقد بقي ذكر الشيخ رحمه الله بعد وفاته، إذ سيرته نورها ساطع يتشعشع، وطيبها عاطر يتضوع.

رحمه الله فما تذكرته بعد وفاته إلا وحزنت لذلك حزناً، ووجمت له وجوماً،
فكيف أسلو بعد فقدته والهم يصحبني ويمسني :

وكنت أعير الدموع بعدك من بكى وأنت على من مات بعدك شاغله
ولله در القائل:

فسوف أبكيك ماناحت مطوِّقةً وما أضاءت نجوم الليل للساري

كان فراقه رحمه الله صعباً على النفوس، عسيراً على الأفئدة، فسكن الله تلك
العبرة، وجبر تلك المصيبة .

إننا ونحن نتذكر سيرته تتراءى أمامنا الهموم والأحزان، لكننا لا نملك إلا الصبر
والدعاء له .

نسأل الله له المغفرة والرحمة، وأن يرزقه الحسنى وزيادة، إنه ولي ذلك والقادر
عليه .

أولاده:

للشيخ أولاد وبنات استفادوا من سيرة والدهم - رحمه الله - وتربيته وتوجيهاته
وحثه على العلم، وحرص عليهم، فكان رحمه الله يتصل يومياً من عمله ليطمئن
على وصولهم إلى البيت وسلامتهم، وحينما كبر الأولاد كان يسمح لهم بالخروج إذا
استأذنوه، لكنه يخبرهم أنه لن ينام إلا إذا عادوا، وكان لا يخلد إلى الراحة أو النوم
حتى يطمئن عليهم، فكان من ثمار هذا الحرص وهذه التربية، أن كان من أولاده
الضابط والمدرس والموظف كما أن له من حصل على الدكتوراه وبعضهم على
الماجستير .

لحق صلاح الشيخ - رحمه الله - أبناءه، فهم به بررة حياً وميتاً، رأيتهم جميعاً في
خدمته كأحسن حال، لا يأنفون من شيء، ولا يستثقلون أمراً في أي وقت، وما من
مشروع خيري للشيخ عرض عليهم بعد وفاته إلا تكفلوا به، وسارعوا في دعمه
وإنجاحه وإتمامه، باذلين في ذلك كل ما في أيديهم، وما كان ليخرج هذا الكتاب،

وكتاب فتاوى الشيخ وأحاديثه في الإذاعة لولا الله ثم دعمهم وإصرارهم وحشهم وتشجيعهم، فهذا كله ثمرة من ثمار برهم، وقطرة من إحسانهم، فلهم من الله الجزاء الأوفى على برهم قولاً وعملاً واحتراماً وتقديراً، وجعل ذريتهم بارين بهم داعين لهم قائمين بحقوقهم.

مرضه ووفاته:

في عام (١٤٠٩هـ) أحس الشيخ - رحمه الله - بتعب وإجهاد، وبعد فحوصات أجريت له، تبين وجود داء في الكبد ثم تطور هذا الداء، حتى كان يؤذن لصلاة الفجر ولم تكتحل عينا الشيخ بنوم. فأشار عليه الأطباء في الداخل والخارج بإجراء عملية زراعة كبد وبخاصة أن جسمه يتحمل هذه العملية في ذلك الوقت، ومع عدم رغبته في السفر إلى الخارج فقد اضطر للسفر إلى أمريكا، وأجرى بعض الفحوصات ثم عاد إلى المملكة، وبعد فترة سافر مرة أخرى إلى أمريكا، وأجرى عملية زراعة كبد وكان ذلك في عام (١٤١٣هـ)، ثم رجع إلى الرياض، وصارت له متابعة في مستشفى الملك فهد بالرياض، وفي إحدى مراجعاته للطبيب شكى إليه أنه يتضايق بعد الأكل، فطلب الطبيب عمل أشعة تبين من خلالها وجود أورام في البطن، ثم دخل الشيخ رحمه الله المستشفى وأخذت للأورام عينة قرر الأطباء الاستعجال في استئصالها، واقترحوا على الشيخ إجراء هذه العملية في أمريكا نظراً لوجود متابعة له هناك، فسافر الشيخ وأجريت له عام (١٤١٨هـ) عملية استئصال أورام خبيثة في ثلاث أماكن في البطن، ثم شفي تماماً من هذه الأورام، وفي شهر صفر عام (١٤١٩هـ) عاوده نفس المرض، فنالته أوجاع مضنية ولكن هذه المرة في الكبد وتعسر زرع كبد أخرى، ومنذ شهر صفر والشيخ - أسكنه الله فسيح جناته - يشكو الآلام ويصبر، ومع شدة الأوجاع التي كانت ملازمة له، إلا أنه - رحمه الله - كان مواصلاً للقراءة والاطلاع، وقد كنت أقرأ عليه وأسمعه يتألم ويضع يده على بطنه، فأتوقف عن القراءة قليلاً، ثم يقول الشيخ: أكمل، وكنت أسأله إذا كانت القراءة تثقل عليه أو تضايقه حتى أتوقف، ويستريح فيقول: بل تؤنسي، فأعجب من هذه

الهمة الشامخة، والنفس الصابرة الأبية، والفؤاد الممتلئ يقيناً، وأحياناً يزداد عليه الألم فلا يستطيع إكمال الدرس، فيعتذر ويقوم ليستريح.

وفي شهر رمضان ازداد عليه الألم، لكنه تحامل على نفسه وصام حتى اليوم العشرين، ثم تضاعف الألم كثيراً، عرفت ذلك من قوله لي: إني رأيت الموت في آلامي، وهو مع هذه الآلام والأوجاع لم ينشغل عما تعود عليه من بر وصلة وأعمال خير، فكان يرحب بالزائرين، ويكلم شقيقته وكذلك ابنته بأمريكا، ويداعب أحفاده الذين أتوا لزيارته، ويتابع أخبار أهل بيته.

دخل الشيخ المستشفى ثاني أيام عيد الفطر ثم خرج منه قبيل عيد الأضحى، ورجع إليه بعد عيد الأضحى مباشرة، ثم فاضت نفسه الطاهرة يوم السبت الموافق السابع عشر من شهر ذي الحجة من عام تسعة عشر وأربعمائة وألف، الساعة العاشرة والنصف مساءً، وغُسل في بيته وصلي عليه في مسجد الراجحي عصر الأحد، ودفن في مقبرة النسيم - رحمه الله -، فقد كان جبلاً هفاً، وطوداً سرى، وبحراً سجي، ونجماً هوى، وقد حضر جنازته خلق كثير، غص بهم المسجد وساحته والشوارع المحيطة به والمقبرة، ولم يستطع كثير من الناس الوصول إلى قبره إلا قرب أذان المغرب، وأما العزاء في بيته فقد امتد من يوم الأحد ١٨/١٢/١٤١٩هـ إلى يوم الجمعة ٢٣/١٢/١٤١٩هـ ولا تزال العين عبرى، والنفس ولهى، والكبد حرى، والأحشاء مضطربة، والأعضاء منجذمة بوفاته - رحمه الله -، وما لنا إلا الصبر والدعاء، فإن سرعة الهلع، وشدة الجزع، وتكلف الانزعاج، وتعاطي التفجع، لا ينفع شيئاً، ولا يعيد الميت حياً، ولا ينشر مطوياً، ولا يرد حتماً مقضياً.

لو كان يفدى بالقلوب لسارعت في الناس أفئدة بغير تواني
أو كان يفدى بالعيال وبالدماء ما اسطعت إحصاء ذوي الإحسان

وأما العزاء فقد حضره جموع غفيرة في منزل الفقيد من كبار رجال الدولة، ومن هيئة كبار العلماء والقضاة والأساتذة وطلاب العلم، ورثي - رحمه الله - بقصائد ومقالات كثيرة في الجرائد والمجلات الداخلية والخارجية.

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارة البحوث العلمية والأوقاف
مكتب المفتي العام

من عبدالعزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم فضيلة الشيخ طارق بن محمد بن
عبد الله الخويطر وفقه الله لما فيه رضاه آمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. أما بعد :

فقد وصلني كتابكم الكريم رقم ٣٤٩٥ والمؤرخ ١٤١٨/٦/١٧ وصلكم الله بحبل
الهدى والتوفيق وما تضمنه من الرؤيا كان معلوماً وأسأل الله عز وجل أن يعفو عنا وعنكم
وعن الشيخ حمود وعن كل مسلم وأن يجمعنا وإياكم وإياه في دار كرامته وهي بشرى خير
تسر المسلم ولا تبطله عن الخير بل تدفعه إلى المسارعة والاستقامة على طاعة الله ورسوله
ﷺ نسال الله أن يثبتنا وإياكم على دينه وأن يحسن لنا ولكم الخاتمة إنه سميع قريب.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

مفتي عام المملكة العربية السعودية

المشروعات :

الرقم : ١١/٢٢٢٦ التاريخ : ١٤١٨/٦/١٩

نماذج من الفوائد التي قيدها الشيخ - رحمه الله -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المكتبة العربية للعلوم والتراث

وزارة العدل

مجلس القضاء الأعلى

الرقم

التاريخ

المشروعات

الحمد لله

فاك تـان

الأولى

قال شيخ الاسلام في المجموع ص ١٠١ جلد ٢٦

فصل : في الأفضل من ذلك

فالتحقيق في ذلك أنه يتنوع باختلاف حال الحاج فان كان يسافر سفرة للعمرة وللحج سفرة أخرى أو يسافر الى مكة قبل أشهر الحج ويعتمر ويقسم بها حتى يحج فهذا الأفراد له أفضل باتفاق الأئمة الاربعة .

وأما اذا فعل ما يفعله غالب الناس وهو أن يجمع بين العمرة والحج في سفرة واحدة ويقدم مكة في أشهر الحج فهذا ان ساق الهدى فالقران أفضل له وان لم يسق الهدى فالتحلل من احرامه بعمرة أفضل

ومثله جلد ٢٦ ص ٣٧ — ٣٨

ومثله جلد ٢٠ ص ٣٧٣

ومثله جلد ٢٢ ص ٢٩٤

الثانية

قال النووي في شرح مسلم في كلامه على حديث عائشة رضي الله عنها جزأ ٨ ص ١٤٣ - ١٤٤ فيه دليل لجواز الأنواع الثلاثة وقد أجمع السلفون على ذلك وانا اختلفوا في افضلها كما سبق .

وقال الشيخ في المجموع جلد ٢٢ ص ٢٩٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المملكة العربية السعودية

وزارة العدل

مجلس القضاء الأعلى

٢ / ٠٠٠٠٠

الرقم

التاريخ

المشروعات

ومن هذا الباب التمتع والافراد والقران في الحج .

فان مذهب الائمة الابعدة وجمهور الامة جواز الأمور الثلاثة

ومذهب طائفة من السلف والخلف الى أنه لا يجوز الا التمتع . الخ .

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

وزارة العدل

مجلس القضاء الاعلى

مسودات

الرقم

التاريخ

التوابع

الموضوع

الحمد لله :-

ثانئتان :-

الاولى :-

قال في المغني اثناء فصل (اذا ترك الاتا في الاحرام من الميعات ٠٠٠٠٠ الخ) وذكر القاضي شرطاً سادساً لوجوب الدم وهو ان ينوي في ابتداء العمره او في اثنائها انه متمتع وظاهر النص يدل على ان هذا غير مفترط فانه لم يذكره وكذلك الاجماع الذي ذكرناه مخالف لهذا القول لانه قد حصل له التفرقة بترك احد السفريين فلزمه الدم كمن نوى . اهـ

جلد ٣ من المغني والشرح الكبير ص ٥٠٢

والقول الثاني وهو المذهب ان نية التمتع في ابتداء العمره او في اثنائها من الشروط .

الثانية :-

ان اول وقت طواف الاقاعه بعد نصف ليله النحر في مذهب الامامين احمد والشافعي ، وعند ابي حنيفة ومالك من طلوع الفجر يوم النحر .

والله اعلم . وصلى الله على سيدنا محمد وعليه وآله وصحبه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المملكة العربية السعودية

وزارة العدل

مجلس القضاء الأعلى

مسودات

١٢٢٥هـ

الرقم

التاريخ

التوابع

الموضوع

مشارفه :-

" إذا طلق بطلاق بطلان ثم تبين إيقاره فإنه

الطلاق لا يقع . "

- المقنع جلد ٢ ص ١٨٧
(نحو أن تعلقه بالطلاق بالشرط)

- الكشاف جلد ٥ ص ٢٢٠

- إعلام المرقية جلد ٤ ص ١١٨
(تحت عنوان / حكم الجاهل والمعدوم ص ١١٥)- الانصاف جلد ٩ ص ٦٧
(تعليق الطلاق بالشرط) فيراجع لبحثه في المزمع .وكذا في إفتاء اللغات جلد ٤ ص ٩٦
وقضاوى سماه (سبحي محمد بن إبراهيم)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل العلم نوراً

بشرى الله به عباده المؤمنين

الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء

الرقم

التاريخ

المرفقات

مكتب الأمين عن مصر لصلواته

الحمد لله :-

بعد ذكر الآثار عن الصحابة وغيرهم في قصر للصلاة وما فيه من خلاف بين أهل العلم ذكر ابن المنذر إجماع أهل العلم أن للمسافر أن يقصر ما لم يجمع قامه ولو أتى عليه سنون) .

وفي آية الصيام (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) . وهو إيجاب حتمي على من شهد استهلال الشهر إلا أن كان مريضاً أو على سفر .

وفي آية قصر الصلاة (وإذا غربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) . أبيح القصر بأمرين :

الشرب في الأرض وخوف الكفار على ما في الثاني من خوف .

وعلى هذا فإن أهل العلم اختلفوا في حق المسافر أما من ذهب إلى بلد أو

جهة ليقيم أشهر ثم يعود فهل يصدق عليه أنه على سفر أو غارِب في الأرض

فيجزي فيه الخلاف أم أنه مقيم فلا يترخص وهو اللائق بحاله . والله الموفق

ع / ص / غ

بسم الله الرحمن الرحيم

الملايكة العزيمية السبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الامانة العامة لهيئة كبار العلماء

مكتب الامين

قال شيخ الاسلام جند ٢٥ / ص ٢١٣

فاما من كان معق في السفينة امراته وجميع مصالحة ولا يزال مسسا فرا
فهاذا لا يقصر ولا يفطر .

واهل البادية كاعراب العرب والاكراذ والترك وغيرهم اللذين يشتون في
مكان ويصيفون في مكان . اذا كانوا في حال ظعنهم من المشى الى المصيف
ومن المصيف الى المشى فانهم يقصرون . واما اذا نزلوا بمشيتهم وهم
مصيفون لم يفطروا ولم يقصروا . وان كانوا يتتبعون المراعي .
والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الملايكة العرشية السبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الامانة العامة لمينة كبار العلماء

مكتب الامين

الرقم
التاريخ
المرفقات

قال شيخ الاسلام / جلد ١٩ ص ٤٤٧ :-

فان يكون المسافر مسافرا حتى يسفر فيكشف ويظهر للبرية الخارجة
عن المساكن التي لا يسير السائر فيها بل يظهر فيها وينكشف في
العادة . والمقصود ان السافر يرجع فية الى مسسماة لغة وعرفا .
وفي جلد ٢٤ ص ١٧ :- بحث حول هذا الموضع .

وفية جلد ٢٤ ص ١٢٧ بعد كذا مسبق ٠٠٠٠٠ والى مقيم مسستوطن وهو الذي
ينوي المقام في المكان . وهذا هو الذي تنعقد به الجمعة وتجب عليه
وهذا يجب عليه اتمام الصلاة بلا نزاع فانه المقيم المقابل للمسافر ٠٠٠٠
الى ان قال : ومقيم غير مسستوطن فان هذه حال النبي صلى الله عليه وسلم .
بمكة في غزوة الفتح وفي حجة الوداع وحالة بتبوك . بل وهذه حال جميع الحجيج
الذين يقدمون مكة ليقضوا مناسكهم ثم يرجعوا .

بسم الرحمن الرحيم

الحمد لله بعد التأمل، لم أجد تيسر ما يلي

أولاً: إذا طلت صلاة الإمام فذلك أنه يختلف مع يقيم بهم

والمأخوذة أن تمام صلاتهم بها أنه إذا

ثانياً: إذا تفعّل الصلاة خلف محدث ولا تجلس يعلم ذلك

ثالثاً: جهل هو بالمأخوذة من أفضت بها حتى صلاة

المأخوذة وحده. وذلك بحجة صلاة المأخوذة إذا لم يعلم صلاة صلاة

ثالثاً: الإمام عند أفضت وهو إذا كان

رابعاً: يستحب للمبطل أن يزيد في تشهده كقول من ما ورد

في حديث التشهد عند المؤخر في الأربعة

أولاً: إذا ارتكب أسأله عدالة من جنس واحد أكثر من مرة

لم يحد فليس عليه إلا حد واحد وراه حد ثم يحد

دفع فعليه الحد مرة أخرى

ذكر ذلك إمام المذنب إجماعاً في حاله ونقله ذلك

صاحب المغن

ثانياً: لا دخل للأطعام في كفارة القتل وهو المذهب

وفاقاً للأئمة الثلاثة وفي رواية بالأجزاء

والجميع من المذهب خلافه

وهذا من رأيي، والله لا محمد

بسمه

الحمد لله بعد التأمل لم أجبه قال شيخ محمديه ابراهيم في المجلد ٧٨ من فتاويه
* اذا قال لزوجتي انت علي حرام فهذا ظهار
ولو فوى به لطلاده وهو اختيار شيخ الاسلام
رأيه القيم

أما اذا قال علي الحرام رأيه حرمت أو دخلت محايمة
منع أو هت أو تصديه أو تكذيب فريضة كفارة
كفارة عيسيه وهو اختيار شيخ الاسلام رأيه القيم
وعليه الفتوى لدينا

الفصل الثاني

الشيخ - رحمه الله -
بأقلام محبيه (*)

(*) رتبت الأسماء حسب الترتيب الهجائي .

ذكرياتي مع سماحة الشيخ صالح بن علي بن غصون - رحمه الله -

- د. زاهر بن عواض الأملعي (*) -

ترجع معرفتي بسماحة الشيخ العلامة صالح بن علي بن غصون إلى ما يزيد على أربعين عاماً عندما كان قاضياً في محافظة (شقراء) حاضرة إقليم الوشم وأنا طالب بمعهد شقراء العلمي، كان الشيخ يخطب يوم الجمعة في المسجد الجامع (بشقراء) وكنت استمع إليه في خطبته الارتجالية، لأنه كان كفيف البصر، ولكنه كان نافذ البصيرة متوقّد الذاكرة، نور الله قلبه بالعلم النافع، فأعجبتُ بخطبه وأنواع معالجاته للقضايا الاجتماعية والتعليمية.

وخطر ببالي أن أتلمذ عليه في بعض فروع العلم، بيد أنه قدر له أن يقوم بتدريس مادة الفقه - من باب التعاون مع إدارة المعهد -، فدرّسنا هذه المادة أنا وزملائي في المعهد في مستويات مختلفة عدة سنوات، مما جعلنا نعرفه عن كثب ونعرف قدراته، وما وهبه الله من الذكاء والفطنة والحس المرهف، إضافة إلى العلم الواسع وبخاصة علم الكتاب والسنة وأصول المذاهب الفقهية والسيرة النبوية.

وكان له - رحمه الله - اهتمام كبير بكتب الأئمة شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب - رحمهم الله جميعاً -، فلا تكاد تطرح مسألة ولا يرد سؤال إلا كان جوابه مستنداً إلى الكتاب والسنة وما رآه هؤلاء الأئمة.

ولن أتحدث عن سيرة الشيخ صالح بن غصون - رحمه الله - من حيث ترجمته وحياته العلمية، والعملية فإن هذا يطول ولكنني، أستعيد شيئاً من الذكريات الجميلة من سيرة هذا العالم الجليل ومنها:

أ - الذكاء والفطنة: وهناك مواقف كثيرة تدل على ذلك بوضوح، فقد كان يوماً في إحدى محاضراته في المعهد العلمي واقفاً في مقدمة الفصل، وقد كلف الطلاب بأن (*) عضو مجلس الشورى في دورته الأولى، وأستاذ الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

يقرأ نبذة من كتاب «زاد المستقنع» حفظاً، وكان أحد الطلاب في مؤخرة الفصل، فأدخل يده في درج المقعد واستخرج كتاب الفقه بخفة شديدة، وبدأ يقرأ، ومع أن الطالب عمل بعض المناورة إذ كان يسقط بعض الكلمات ويتلعثم في القراءة إيهاماً للشيخ بأنه يقرأ من حفظه! ولكن سرعان ما قال له الشيخ: أعد الكتاب في الدرج يا فلان! ووبخه على فعلته تلك، فذهلنا لهذه الفراسة أو الحاسة العجيبة عند الشيخ!؛ لأنه كان كفيف البصر، ولم يخبره أحد من الطلاب بما صنع زميلهم! فدل ذلك على ما يتمتع به من حس مرهف وذكاء خارق.

ب- مشاركاته في الأعمال الخيرية والأمسيات الثقافية: لم تمنعه مكانته العلمية والقضائية من تلبية دعوة المعهد العلمي لحضور أمسيات نادي المعهد الثقافية، والاستماع إلى ما يجري في هذه الأمسيات من مقالات وقصائد ومساجلات شعرية وتمثيلات على مسرح المعهد العلمي. كان يحضر معظم الأمسيات، يختتم تلك الأمسيات أحيان كثيرة بكلمة توجيهية تشجيعاً للطلاب وتعليقاً على ما دار، بحديث يجمع بين التوجيه والنقد الهادف البناء بما يسدد الطلاب وينمي عندهم المهارات العلمية والثقافية، فإذا استمعت إليه فكأنما تستمع إلى أحد النقاد المتخصصين في مجالات النقد الراقي القويم، إنها ذكريات وعظات وعبر لا يتسع لسردها هذا المقام.

ج- مجالس الشيخ العلمية: كانت للشيخ مجالس علمية في منزله وفي المسجد، يحضرها طلاب العلم، ولكن أبرز تلك المجالس كانت في بيته، وهي جلسة رسمية بعد صلاة الجمعة يحضرها طلاب العلم وبعض أساتذة المعهد العلمي، وكان يدور في هذه الجلسة مناقشات ومساجلات علمية حول بعض المسائل، وكان الشيخ - رحمه الله - يستمع إلى المتحاورين ويصغي إليهم ويبتسم ولا يتكلم بشيء حتى ينتهي جميع من عنده كلام أو تعليق، فإذا انتهوا جميعاً بدأ بالحديث مقررماً ما دار في الحوار من حق وناقداً بلطف ما جانبه الصواب.

فإذا تكامل حضور الجلسة وانتهى الحوار، دعاهم إلى طعام الغداء الذي أعده للحاضرين، وهكذا لم يكن يتخلف من مجلسه هذا إلا إذا كان مسافراً أو مريضاً.

وكان - رحمه الله - يعطف على طلاب العلم وبخاصة الفقراء منهم ، ويقدر ظروفهم سواء بتعهدهم بشيء من الصدقة أو دعائهم بين آونة وأخرى إلى طعامه في المنزل .

إن سماحة الشيخ صالح بن علي بن غصون - رحمه الله - شخصية متعددة المواهب والقدرات ، فهو يجيد فنون اللغة العربية ، وله إلمام بالتأريخ والسير ، إضافة إلى العلوم الشرعية .

لقد تدرج في مناصب القضاء حتى صار عضواً في مجلس القضاء الأعلى ، وعضواً في هيئة كبار العلماء ، وكان له إسهام واسع في بعض وسائل الإعلام وبخاصة برنامج «نور على الدرب» ، مع كونه مرجعاً للدولة في بعض المواقف التي تحتاج إلى آراء العلماء ومعالجة الأمور من الوجهة الشرعية . فرحم الله شيخنا الفاضل رحمة واسعة ورفع مقامه في الخالدين في جنات النعيم ، إنه سميع مجيب .

بوفاته فقدت المملكة واحداً من أبرز من تولى القضاء والإفتاء

- معالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ - (*)

الحمد لله الذي أرسل رسله بالبينات وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، والصلاة والسلام الأتمان على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد :

فإن من أعظم نعم الله على الناس ما شرع لهم من الشرائع التي تتحقق بها مصالحهم ، وتقوم بها حياتهم ، ويسعدون إذا عملوا بها واستقاموا عليها في دنياهم وآخرهم . ولا يتحقق العدل بين الناس إلا بإقامة شريعة الله والحكم بها في جميع الجوانب ، وشؤون الحياة كلها ، ومتى وقع نقص في هذا فأت من العدل بحسبه .

ومن فضل الله على الناس في المملكة العربية السعودية - وما أكثر نعمه عليهم - ما وفق إليه ولاية الأمر فيها من الحكم بشريعة الله ، واتخاذ القرآن العظيم وسنة النبي محمد ﷺ دستوراً ومنهاجاً ، وإسناد القضاء بين الناس والنظر في منازعاتهم وخصوماتهم وحل مشكلاتهم إلى نخبة من المبرزين في علوم الشريعة .

وقد توالى أجيال من هؤلاء الأخيار ، وشهد من أزهرهم وقوى جانبهم ما يلقونه من ولاية الأمر في هذه البلاد الطيبة - حرسها الله بالإسلام - من عون وتأيد وثبات على الحكم بالشريعة ، وإمضاء ما تقضي به نصوصها وقواعدها وأصولها .

ومن نتاج هذا وآثاره الحسنة ما نعم به الناس من العدل والإنصاف ، حتى صارت هذه المملكة المباركة - بحمد الله - أوفر البلدان حظاً من الأمن والاستقرار ، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ .

ومن رجال القضاء وأعلامه صاحب الفضيلة الشيخ صالح بن علي بن غصون - رحمه الله - ؛ فإنه من الذين أخذوا العلم عن سماحة الشيخ الوالد محمد بن إبراهيم - رحمه الله - ، حيث لزمه مدة حتى تخرج في مدرسته المباركة التي تخرج فيها عدد من

العلماء والأعلام ، وقد توسم فيه الشيخ الكفاية والأهلية فرشحه للقضاء ، فتولى القضاء في عدد من مناطق المملكة ، وتدرج فيه حتى صار عضواً في الهيئة الدائمة في مجلس القضاء الأعلى إلى جانب كونه عضواً في هيئة كبار العلماء ، وقد أبلى بلاءً حسناً في أعماله وبذل جهداً مشكوراً فيها ، يضاف إلى ذلك تصدره للتدريس في بعض العلوم الشرعية وإسهامه في إفادة طلاب العلم وشغفه بقراءة كتب العلم ومتابعتها كما أسهم في إفادة عامة الناس من خلال الإجابة عن أسئلتهم وإفتائهم مباشرة وعن طريق برنامج : «نور على الدرب» .

ولا شك أن وفاة الشيخ - رحمه الله - من المصائب العظيمة ، فقد رزى المسلمون بوفاته ، وفقدت المملكة واحداً من أبرز من تولى القضاء والإفتاء فيها .

ومن الوفاء للعلماء تدوين تراجمهم وأخبارهم وسيرهم لكي يقف عليها من لم يلقيهم أو خفي عليه كثير من أحوالهم .

ومن توفيق الله لطلاب العلم أن يعنوا بهذا الجانب ويولوه حقه من الاهتمام ، ويحرصوا على توثيق ما يكتبون والتحقق مما يوردون والتثبت منه .

وقد درج أهل العلم قديماً وحديثاً على تتبع أخبار الأعلام وتدوينها ، ومنهم من أفرد مصنفات في تراجم بعض الأعلام غير أن منهم من يغلب عليه التساهل بشأن التحقق من صحة ما يذكره والتثبت منه ، ومنهم من يجتهد في تمحيص الروايات والأخبار وتوثيقها .

وقد عُرف عن علماء هذه البلاد الذين تخرجوا في المدارس التي نشأت على منهاج دعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب أجزل الله له المثوبة ، وجزاه عن الإسلام والسنة خيراً ، إثارة الخفاء والبعد عن الظهور رعاية لجانب الإخلاص وحذراً من القوادح فيه ، ولهذا غلب عليهم عدم العناية بتدوين سيرهم وأخبارهم ، حتى درس كثيرٌ من الوقائع التي تدل على رسوخهم في العلم ، وتميزهم في القضاء ، واجتهادهم في العبادة ، ونصحهم للناس ، وغيرتهم على أحكام الشرع ، وتجردهم وحسن بلائهم . وما دُوِّن من هذا يعتبر في حكم النادر .

وإني بهذه المناسبة أدعو طلاب العلم إلى العناية بتدوين أخبار العلماء والمشايخ وتوثيقها، حتى تكون مادة يفاد منها في التأليف عنهم والتعريف بهم وبمآثرهم وجهودهم، ويتبين لكل طالب الحق والإنصاف ما عليه علماء هذه الدعوة السلفية من استقامة على دين الله الحق، وما لمن سلف منهم ولمن يسير على نهجهم من بلاء حسن في نصرة الإسلام والسنة قولاً وعملاً، وما نتج عن ذلك من آثار حسنة كثيرة ومتنوعة.

والله المسؤول أن يتغمد من توفي من علمائنا ومن سائر المسلمين بالرحمة والمغفرة، وأن يجبر مصاب المسلمين بفقد علمائهم، وأن يوفق أهل العلم وطلابه لمزيد من العلم النافع والعمل الصالح، وأن يؤيد ولاية أمرنا بتوفيقه، ويمدهم بعونه، وينصر بهم دينه وأوليائه، وأن يزيدهم من فضله، ويجزيهم عن الإسلام والمسلمين خيراً.

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

على مثل هذا فلتبك البواكي

- معالي الشيخ الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد (*) -

الحمد لله أهل الحمد ومستحقه، أحمدده سبحانه وأشكره، تكفل لكل مرزوق برزقه، وأصلي وأسلم على سيدنا ونبينا محمد أفضل رسله، وأشرف خلقه، وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فقد شاء الله سبحانه أن أكتب هذه الكلمات عن فضيلة الشيخ الجليل والعالم الكبير صالح بن علي بن غصون - رحمه الله وأسكنه فسيح جناته - في أيام متلاحقة تهاوت فيها كواكب، وغابت فيها نجوم، اهتزت لها المشاعر، واضطربت لها القلوب، بدءاً من سماحة والدنا الشيخ عبدالعزيز ابن عبدالله بن باز، ثم تتابع العلماء والأعلام أمثال: علي الطنطاوي، ومصطفى الزرقاء، ومناع القطان، وعطية محمد سالم، وقبلهم بقليل حماد الأنصاري، ومحمد عمر فلاته، تغمدهم الله جميعاً برحمته، وأسكنهم فسيح جناته، وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خيراً.

ولقد تحدث عنهم تلاميذهم ومحبوهم وعارفوهم في وسائل الإعلام، والحق أقول - إن شاء الله - إن هؤلاء الأعلام منارات شامخات في العلم والفضل والتأسي، ولكن ما تحدث به هؤلاء التلاميذ الفضلاء والعارفون الأوفياء أبرز مزايا، ودل على خصائص هؤلاء الأفاضل، لا يدري المتأمل هل كان الخير لو تحدثوا عنها في حياة هؤلاء الشيوخ أو كان الأولى ألا يتحدثوا بها إلا بعد رحيلهم، حيث قد قيل: (إن الحي لا تؤمن عليه الفتنة).

أقدم بهذه المقدمة وأنا أسطر كلمات وفاء لهذا الشيخ الجليل - رحمه الله - وأعلى في عليين درجاته.

إن الناظر في سيرة الشيخ - رحمه الله - وما كتبه عنه تلاميذه وعارفوه، وما كُتب كذلك عن تلك الكواكب التي هوت، يدرك أن شيخ الدين والعلم والإسلام من السلف والخلف، ممن يرزقهم الله العلم والعمل والقبول، تتجسد فيهم صوراً ماثلة

(*) رئيس مجلس الشورى وإمام وخطيب المسجد الحرام وعضو هيئة كبار العلماء.

من عالمية الإسلام، عالمية العلم، وعالمية الدعوة، وعالمية الفقه، وعالمية الفتوى، بل عالمية الاهتمام بكل الفئات والعناية بجميع الطبقات، عالمية الوفاء والعطاء والحب والنصح لكل أحد.

إن عالم الشرع تتمثل فيه هذه العالمية بكل صورها، وإن شيخ الإسلام لا يعيش لنفسه ولا ينكفي على إقليميته، بل يعيش للمسلمين كلهم بل للعالمين أجمعين، يتحمل همهم، ويتفاعل مع قضاياهم، لا يألوا جهداً، ولا يدخر وسعاً، ولا يتخلف عن واجب، ولا يقصر في حق، ولا يعرض عن نصرة، ولا يتوانى في إغاثة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، حسب جهده وطاقته ووسعه في العلم والمال والنصح والإرشاد والتفقيه. القدوة في ذلك إمامنا ونبينا محمد ﷺ الذي لم يبعث لقومه خاصة، بل بعث للثقلين الجن والإنس، فهو آخر الأنبياء وخاتم المرسلين. وعلماء الأمة هم وارثو رسالته، والقائمون بالدعوة إلى الله من بعده.

ومن أجل هذا فإن العالم العامل لا تحدد دعوته حدود، ولا تقف دون همته حواجز لا في الزمان ولا في المكان. بل تضرب في اتجاهاتها مشارق الدنيا ومغاربها تسير ما سارت الدعوة المحمدية.

وأحسب أن الشيخ صالح بن علي بن غصون - رحمه الله - من هؤلاء العلماء الأفاضل الذين بذلوا أنفسهم ومهجهم في العلم وتحصيله وتعليمه ونشره والعمل به. فعلى الرغم من أنه نشأ يتيماً فقيراً كفيف البصر، فقد فتح الله عليه في طلب العلم ووهبه أدواته وآلاته، من حافظة قوية، وجلد في المذاكرة، ودأب في التحصيل، وشيوخ أعلام يأتي في مقدمتهم شيخ الشيوخ الإمام محمد بن إبراهيم آل الشيخ - رحمه الله -، فلازمه وأخذ من علمه، وانتفع به واستفاد من تربيته وتوجيهه، فأقبل على العلم، وأكب على المطالعة، حتى نبغ وبرز وبز الأقران.

حفظ كثيراً من المتون، وحاز أنواعاً من الفنون، في التوحيد والحديث والفقه واللغة، ومن ثم ترقى في درجات العلم ومناصب القضاء حتى أصبح عضواً في هيئة كبار العلماء وعضواً في مجلس القضاء الأعلى.

كما جلس لتدريس الطلاب وكان جل تدرسه في بيته، كما انتفع به كثير من الخلق من خلال فتاواه في برنامج «نور على الدرب» الذي تذيعه الإذاعة السعودية، وقد استمر في هذا البرنامج ما يقارب ثمانية وعشرين عاماً.

والشيخ - رحمه الله - معروف بتعبده وصلاحه وورعه وعفة لسانه وكثرة قراءته للقرآن ومطالعتة لكتب السلف، وهو محب للمطارحات العلمية والمذاكرات في العلم حتى مع صغار الطلاب، وهذه من الخلائق النادرة في كبار أهل العلم، تدل على التواضع وحب الفائدة والبحث عنها حتى عند الصغار من أهل العلم.

وفي علاقاته الاجتماعية كان - رحمه الله - كريماً عزوفاً عن الدنيا، كثير البذل فيما يحتاجه الناس، محباً للخير متواضعاً في مروءة وحسن أسوة وحسن حديث، مجلسه غير مملول فيه الفائدة والمتعة من قراءة أو مذاكرة أو إرشاد أو بيان تجربة وعمق خبرة.

جمع - رحمه الله - صفات عالية وأخلاقاً كريمة، فتبوا منزلة عالية لدى عارفيه، عاش صالحاً عالماً عابداً محسناً فساعد وشفع وعلم وأرشد ونصح. رفع الله درجاته في عليين، وأصلح عقبه وأخلفه في المسلمين خيراً. إنه سميع مجيب.

والمرجع - رحمه الله - تربطني به علاقة طيبة وصلة وثيقة، وإن كانت الزيارات واللقاءات معه - رحمه الله - لم تكن كثيرة، لكنه - رحمه الله - كان حفيماً بي، لطيف المعشر، حسن الاستقبال، لبق الحديث، ويرجع ذلك إلى أمرين:

أولهما: صلته بوالدي - رحمه الله - ومحبه له محبة شديدة، وإعجابه به الإعجاب العظيم، وثقته بعلمه وتحقيقه، وصلته به الصلة الخاصة. وقد اطلعت على رسائل بينهما متبادلة تجمع بين الإخوانيات ومكاتبات العلماء في تحرير المسائل وتحقيق القضايا ولا سيما في الوقائع القضائية، ومن أقدم ما رأيت مكاتبات يرجع تاريخها إلى أوائل السبعينات الهجرية.

والأمر الثاني: وهو مبني على الأمر الأول وهو ما بيديه - رحمه الله - من محبة شخصية لي، وثقة وتشجيع وإبداء الرضا عن بعض ما يصدر مني، مما يسمعه في بعض المسائل والقضايا العلمية. أحسن الله إليه ورفع درجاته في مقعد صدق مع

الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

هذا ما تيسر تدوينه في كلمات موجزة، وحق العلماء أعظم وأكبر، ولكن المعول على سعة الله ورحمته وفضله، فهو سبحانه الذي يرفع الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات.

وصلّى الله على خير خلقه نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

رجل علم وخلق

- معالي الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر (*) -

ذلك هو الشيخ صالح بن علي بن غصون ، الذي كان بالأمس بيننا ملء السمع والبصر ، واليوم لم تبق لنا إلا آثاره الخيرة ، وذكرى كلما استرجعنا دقائقها امتلأنا عزة وفخراً ، ومتعةً وبهجة ؛ أما العزة فلأن الله سبحانه أخرج من بيننا من نعتقد أن الله وفقه للقيام بالدور الإسلامي المتوقع منه في حدود معرفته ، وفي نطاق اجتهاده ؛ وأما الفخر فلأنه جمع ميزات قل أن تجتمع لإنسان ، فعلمه كلما زاد زاد معه خلقاً وتواضعاً قرباً من الناس حتى صار واحداً منهم ، ولهذا دخل القلوب دون طرق استئذان ، بل فتحت له القلوب أبوابها واسعة مرحبة ؛ وأما المتعة فلأن ما يقوله حق ، ويصيب سويداء الأمر في صحة إصابة الهدف ، وبلوغ المأمول ، فيحل بهذا إشكال الناس ، ويفرج - بإذن الله - عنهم ما جاءت به ضائقات الزمن ، ومنعرجات الحياة ، حتى أصبح هدفاً لطالب المعونة في الأمور المعضلة ، مع لسان ندي ، ويد سمحة كريمة ؛ وأما البهجة ، فلأن الوجه طلق ، واللسان فيه رقة الحديث ، وحسن اختياره ، محاطاً بذلك بثغر باسم ، ومداعبة تمد جسوراً بين الأنفس التي جعل الله لها مثل هذه الوسيلة طريقاً للالتقاء والارتياح .

هذا هو الشيخ صالح بن علي بن غصون الذي فقدناه ، نجم هوى في هذه الدنيا ، وسراج انطفأ ، ولكن بعد أن هدى المدلجين ، وأرشد السارين ، ونرجو أن ينير الله له الطريق إلى جنات النعيم ، فهو أقدر على الجزاء الأحسن لمن اجتهد في فهم دينه ، والسير على نهجه ، ونشره ، ليعم بمتعه ، وينداح ضياؤه ، وجعل وسائله لذلك محبة ، من نفس رضية ، وصبر متناه ، وجعل كل ما يأتي به قدوة صالحة تجذب ولا تنفر ، وتقرب ولا تبعد ، وتكسب ولا تُخسر .

رجل كفيف طلب أشرف المهن ، وقصد أنبل الحقول ، فوضع فيها جهده ، وكابد الحياة القاسية ، وتحمل جور الزمن وعواصفه في أيام آبائنا ؛ عانى وتغرب ، ومرض

وتعب ، وأخذته الترحال يميناً ويساراً ، فما أخذ هذا من عزمه شيئاً ، بل شحذ همته ، وزاد في بيان قصده وإصراره ، على السير في الطريق الشاق حتى النهاية ؛ سير بصير القلب ، سراجة إيمانه بالله ، ونوره في طريقه الطويل هديه - سبحانه وتعالى - مثل الشيخ صالح فئة من العلماء التي أدركت أن لها دوراً في هذه الحياة لا يقوم به غيرها ، دور إبقاء الناس على المحجة الإسلامية السمحة الواضحة ، وجعلتهم يؤمنون حقاً بأن كل معضلة تقابلهم لها حل حان مريح في هذا الدين القويم ؛ كان يشعر أنه وهو يخدم الناس يخدم دينه ، ولهذا يسلك الطرق المقنعة بما يضعه أمام المسترشد .

كان - رحمه الله - متشرباً بالروح الإنسانية التي يمثلها هذا الدين ، الذي بصفائه أنقذ البشرية من الجهل والضلال .

ذهب الشيخ صالح - رحمه الله - ولكنه أبقى نهجاً حميداً واضحاً يتبع ؛ فتلاميذه تشربوا علمه ونهجه مثلما تشرب هو من قبل نهج من اختارهم من العلماء قدوة له ، فأضاف ما عندهم من حسنات إلى ما أنعم الله به عليه من طبيعة جبل عليها ، وعلم كسبه ، فامتلات كفتا ميزان الفضل عنده .

لقد رفع الشيخ صالح رأس أسرته ، ورفع رأس مواطنيه ، ورفع رأس معاصريه من العلماء بأدائه واجبه على الوجه الأكمل الذي ساعدته عليه طاقته البشرية ، فلم يتوان ، ولم يقصر ، ولم يتهرّب . ولم يطلب الدنيا ، أو يهمل حق الآخرة . لم يوفر نفسه في وقت مرض ، أو يتأبى في وقت شدة ؛ كان جندياً ، نعم الجندي لولي أمره ، يبادر في حراسة ثغور القضاء ، ومراكز العلم ، لم يؤخره كبر السن ، أو هزلة جسم ، أو فقد بصر .

كان - رحمه الله - براً بمن يعرف ومن لا يعرف ، كان لا ينقطع عن زيارة المرضى ، وهو مريض معهم ؛ كان يعضد له ليسير من غرفته ليزور مريضاً حل ضيفاً جديداً على المستشفى ، لم يوفر جسماً لم يبق فيه في أيامه الأخيرة إلا الهيكل العظمي ، ولكن النفس الخيرة ، الملائى بإشعاع النبل ، تعطيه - بعون الله - قوة الدفع ؛ وكانت زيارته ، وهو بهذه الحال بلسماً على قلب من يزورهم ، هم وأهلهم .

من قرأ ما كتب عنه - رحمه الله - بعد وفاته، يدرك المكان الذي هياؤه لنفسه في القلوب، والمنزلة التي تبوأها في النفوس؛ كلمات الرثاء تسيل دمعاً، والآهات الحرى تذيب القلوب، لم يرثه الناس لخلقه فقط، أو لعلمه فقط، أو لنبله فقط، بل لكل هذه الأمور مجتمعة، وأكثر من هذا، كل واحد منهم رثى أباً وأخاً، ومن لم يعرفه تمنى أن قد عرفه، وشعر مما قرأ عنه أنه يعرفه، أجل، هنيئاً لمن عرفه، وهنيئاً لمن التصق به، وهنيئاً لمن تعلم منه، وهنيئاً لمن اقتدى به، وهنيئاً وفخراً لأسرته، فلهم والد شاركهم فيه الكثيرون.

رحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه فسيح جناته، وجعل له بكل عمل خير عمله، ونية حسنة نواها، وخطوة برّ خطاها، وكلمة حق نطق بها، ومداعبة بنى بها جسراً بين متخاصمين، وإشارة أقام بها صرح ألفة بين متباعدين، ويد كرم مدّها دهنت خشونة، وحنان أزال به من نفس وحشة، درجة من درجات الجنة، إنه نعم المولى ونعم المجيب، وصلى الله وسلّم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كان رحمه الله محباً للعلم محبوباً من طبقات المجتمع

- فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي - (*)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد :

فإن من العلماء الأفاضل المعروفين بالعلم والفضل فضيلة الشيخ / صالح ابن علي بن غصون - رحمه الله تعالى - وقد تولى القضاء مدة طويلة، ودرس في مدينة شقراء في المعهد العلمي، بجانب عمله القضائي، كما سمعته منه ومن غيره، وكان عضواً في هيئة كبار العلماء، وعضواً في المجلس الأعلى للقضاء، واختير للإجابة على الأسئلة التي ترد إليه من كل مكان في إذاعة المملكة العربية السعودية عبر برنامج (نور على الدرب)، وفي كثير من أجوبته تظهر فيها غيرته ودعوته إلى الله في مجال حجاب المرأة وغير ذلك.

عرفته - رحمه الله - محباً للعلم، ومحباً للخير، محبوباً من طبقات المجتمع، وله جلسة يومية بين المغرب والعشاء في بيته، يزوره فيها العلماء، مثل : فضيلة الشيخ عبدالله بن قعود، وفضيلة الشيخ عبدالله بن عقيل، وغيرهم، ويبحث في مجلسه بعض المسائل العلمية، ويؤتى بالكتاب إذا لزم الأمر في تحقيق المسألة، ويبحث مع أهل العلم الذين يزورونه المسائل، ويذكر فيها الدليل، ويتحقق بعض المسائل، فلو سُجلت هذه المسائل؛ لكان فيها خير، لكن لم يتفطن لذلك، فمضت على ذلك سنون.

ومن حرصه على العلم أنه يسأل عن الرسائل العلمية في الجامعات، وعن البحوث.

وكان - رحمه الله - يراجع المسائل التي ترد عليه في برنامج (نور على الدرب) وفي غيره.

وكان الناس يزورونه ويحبونه، ويودون له الخير.

(*) الأستاذ المشارك بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ولقد زاره مرة سماحة شيخنا الشيخ / عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - بدعوة منه، ودارت بينهما أحاديث، ومن ذلك أنه قال شيخنا لمعالي الشيخ / صالح بن غصون: كم المدة التي توليت فيها القضاء في الأحساء؟ فقال المدة عشر سنين، فقال له شيخنا: مثل المدة التي أقامها النبي ﷺ في المدينة، فقال له الشيخ صالح: لكن مع الفارق!!

وقد أصيب - رحمه الله - آخر حياته بمرض في كبده، وتعالج في مستشفيات المملكة، وسافر إلى الخارج للعلاج، ورجع، وأقام مدة وهو يعاني من الألم، ويجلس للناس، مع أن آثار المرض بادية على وجهه، وهو صابر محتسب، نرجو ذلك ونحتسبه، ونحسبه كذلك، ولا نزكي على الله أحداً، ثم وافته المنية في اليوم الذي قدره الله وقضاه، وصلى عليه في مسجد الراجحي بالربوة، وصلى عليه خلق كثير، وامتأل المسجد، وصلى الناس في الشوارع، وأتى جمع غفير من الناس، ولم يجدوا لهم مكاناً، ثم نقل إلى مقبرة النسيم، ودُفن فيها في يوم مشهود، والشوارع من المسجد إلى المقبرة مزدحمة بالسيارات، والذين يمشون على أرجلهم، ولم يستطع كثير من الناس الوصول إلى المقبرة؛ لكثرة ازدحام السيارات والآدميين، حتى جاء الليل وهم على ذلك.

وقد خَلَفَ الشيخ أولاداً وبنات ذكوراً وإناثاً، عرفوا بالكرم، وحسن الخلق كأبيهم، نسأل الله أن يبارك في ذريته وفي عقبه، وأن يصلح لنا ولهم النية والذرية. فرحمه الله رحمة واسعة، وغفر لنا وله، وجمعنا وإياه في دار كرامته، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عرفته ... فعرفت فيه الفقيه والعالم الجريء

- معالي الشيخ عبدالله بن سليمان المنيع - (*)

الحمد لله مالك الملك ذي الجلال والإكرام، الحي القيوم القائل في محكم كتابه : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ وأصلي وأسلم على نبي الهدى والرشاد سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد :

فإننا لله وإنا إليه راجعون، لقد رُزئ المسلمون في هذا العام بموت مجموعة من أكابر علمائنا وفقهائنا ودعاة الإصلاح والصلاح في بلادنا، وفي مقدمتهم سماحة الشيخ الجليل صالح بن علي بن غصون، عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، وعضو المجلس الأعلى للقضاء، والداعية المشهور في مجال الإذاعة عبر برنامج «نور على الدرب».

فلقد عرفته - رحمه الله - فعرفت فيه الفقيه ذا النظر البعيد، والعالم المتمكن من القول في الدين بما يبرر به ما يقول من الحجج العقلية والنقلية، والجرأة في الصدع بكلمة الحق لا يخاف في أدائها والصدع بها لومة لائم.

لقد صحبته - رحمه الله - زميلاً في التدريس في المعهد العلمي بشقراء، بجانب عمله القضائي فيها، فنعم الزميل خلقاً وأدباً وعلماً رحباً للبحث والنقاش في سبيل الوصول إلى الحقيقة العلمية. وصحبته أخاً كريماً وهو القاضي في بلدي شقراء، فعرفت عنه القوة في التوصل إلى معرفة الحق وإيصاله لصاحبه عند التقاضي. وعرفت عنه الهيبة القضائية التي تمنع المبتل من الطمع عن طريقه في حق صاحبه. وعرفت عنه الحرص على الإسهام في تفريج كرب المكروبين من فقراء ومظلومين ومحتاجين، إلى عطف وعون ولالة الأمر برفع حاجاتهم إليهم وتزكية مطالبهم.

وعرفته زميلاً في مجلس هيئة كبار العلماء، فعرفت عنه القوة في الأخذ بحرية الرأي، والقدرة على التعبير عما يراه، بغض النظر عن مخالفة من يخالفه في غير مكابرة ولا مجادلة منافية لآداب البحث والنظر والنقاش.

(*) عضو هيئة كبار العلماء.

عرفته في المجال القضائي زميلاً زمالة عامة، بحكم عملنا جميعاً في مجال تمييز الأحكام، فعرفت فيه الصبر على الاستقصاء والتحقيق والنظر والعناية بلوائح المعارضين على الأحكام، وكان لمواقفه في مجال التمييز أثر في كمال تعاونه مع إخوانه وزملائه، قضاة التمييز وقضاة المجلس الأعلى للقضاء، وكان لفقده فراغ كبير في هذا المجال.

وعرفته - رحمه الله - محباً للعلم حريصاً على الاستزادة منه مكباً على المطالعة، تعمّر مجالسه بمباحثة جلسائه فيها عن المسائل العلمية في مجال العقيدة والعبادة والمعاملات المالية وأحوال البلاد والعباد وما يمكن أن يكون موضوعاً لنصيحة ولي الأمر.

وعرفته - رحمه الله - مفتياً عبر الإذاعة في برنامج «نور على الدرب» وعبر هواتف بيته، مقبولاً لدى الناس، محبوباً إليهم، ذا خطوة وتقدير لدى ولاية أمورنا، وذا كلمة نصح يتابعها إليهم.

حقاً لقد أصيبت بلادنا بفاجعة وفاته، وكان التعبير عن هذه المصيبة متمثلاً في الحشد الكثير من الناس ممن شيعوا جنازته بالصلاة عليه وحضور دفنه، فقد كان حشداً متميزاً يدل على مكانة الشيخ - رحمه الله - في نفوس الأفراد والجماعات. فرحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، وأمطر على قبره شآبيب الرحمة والمغفرة، وجعل الخير والبركة في نسله. والله المستعان وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

عرفته بأنه العالم الكبير في علمه وعمله

— معالي الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام — (*)

لا نريد بهذه النبذة تسلسل نسبه ، ولا نريد بها بيان عمله ، ولا نريد بها سيرة حياته ، كما لا نريد بهذه النبذة بيان مكانته العلمية والعملية ، فهذا كله ، هو أكثر منه ، نرصده عند كتابة ترجمته في كتابنا (علماء نجد) في الطبعة الثالثة إن شاء الله ، وإنما الذي نريد أن نقوله عن هذا العلامة هو ما عرفناه عنه حينما زاملته فترة من الزمن في محكمة التمييز ، وحينما زاملته أيضاً في مجلس هيئة كبار العلماء ، وكما جمعتنا الزمالة العلمية ، التي هي أوثق الصّلات ، وأقوى العلاقات ، فالنسب العلمي هو أوثق رابطة وأبين طريق في تعريف الزميل بزميله ، والقرين بقرينه ، ذلك أنها علاقة ربانية ، وصلة إلهية ، تجمع القلوب ، وتؤلف النفوس ، فيكون الزميل والقرين بصاحبه أعرف الناس ، وأدلهم على سلوك صاحبه ، وبيان منهجه . فالعلامة الشيخ صالح بن غصون عرفته من خلال ما ذكرته من صلات وعلاقات ، فعرفته بأنه العالم الذي استقى علومه من حلقات كبار العلماء الذين كانوا يلقون العلم على تلاميذهم من معين كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ويطبقون العمل على العلم ، فسمّتهم وهديهم هو من إحياء ما تلقوه من العلوم الشرعية ، التي منبعها الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح ، وألقاها عليهم علماء فضلاء تلقوها علماً وعملاً من أسلافهم ، وهكذا امتدت السلاسل الذهبية بالعلوم الشرعية ، والأعمال السلفية في أولئك الرجال الأفاضل . فسماحة الشيخ صالح عرفته بأنه العالم الكبير في علمه وعمله ، وعرفت منه الصراحة في الحق ، في جميع أطواره التي مر بها قاضياً ، وواعظاً ، ومدرساً ، ومستشاراً في مجلس هيئة كبار العلماء . وشيخنا الفاضل تقلب في عدة مناصب قضائية ، في عدة مناطق ، حُمدت سيرته فيها كلها ، ورضي بها الجميع ، وهذا من نواذر الحكام ، ومن قلة سير القضاة ، فإن نصف الناس أعداء لمن ولي الأحكام هذا إن عدل ، ولكن الرجل عليم ، وحكيم ، ورشيد في تصرفاته ، فأرضى الجميع بتوضيح حكمه ، وتبصير جليسه ، حتى إن الخصم المحكوم عليه يقنع بحكمه ؛ لأن هذا الحاكم (*) عضو هيئة كبار العلماء .

الرشيد أظهره على مناط الحكم، ومأخذ الضعف في دعواه، فراح راضياً عن القاضي الحاكم إما فرحاً بأن الله سبحانه وتعالى أنقذه من حق غيره، ومن الظلم على يد هذا القاضي الحكيم، وإما رجع بالملامة على نفسه، لضعف حجته وبرهانه، وهذه خصلة في الحكام نادرة لا يعطاها إلا أصحاب العلم الجرم، والفراسة الواعية، والحكمة الصائبة.

والشيخ مع زملائه في مجلس هيئة كبار العلماء، له شخصيته الفذة، ومناقشاته الهادفة، فهو متبوع غير تابع، لأنه يدير موضوع البحث في فكره، ثم يزنه في عقله، ثم يلقيه بعد التروي في المجلس، ثم يكون غالباً هو القول الفصل في الموضوع. فهذه نبذة عن سماحة الشيخ صالح بن علي ابن غصون، نقدمها تعريفاً ببعض جوانبه العلمية والعقلية، ولنا في سيرته تفصيل في كتابنا (علماء نجد) في طبعته الثالثة إن شاء الله، - رحمه الله - وأجزل له الأجر والثوبة وعوض المسلمين عنه خيراً، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

معرفتي بالشيخ صالح بن غصون (*)

- فضيلة الشيخ الدكتور عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين -

اشتهر هذا العالم النحرير بالفقه والفهم وإدراك المعاني، واشتهر بالعقل والذكاء والمعرفة والتمييز، وكان أول لقاء اجتمعت به في عام ١٣٨٦ هـ، حال كونه قاضياً في منطقة الأحساء، حيث يسر الله تعالى أن قمت بزيارة تلك المنطقة بصحبة بعض الزملاء والإخوة طلبة العلم قصد الدعوة والتذكير.

فبعد أن تشرفنا بالسلام على فضيلة الشيخ المذكور، ألفتناه ذا صدر رحب وكلام عذب، حيث أظهر الفرح والسرور، وتلقانا بالترحيب والإكرام وكأنه يعرفنا من عشرات السنين. ثم رغبنا في البقاء وإطالة المقام، ووبخنا على سرعة الرجوع والانقلاب.

وعبر بما معناه أنكم كمن أراد التأكد من الأحساء، هل هو في مكانه أو تحول، أو كأنكم خفتم أن بلدة الأحساء وقراها قد انتقلت من مواضعها وقد قام - رحمه الله - بأكثر من الواجب، حيث أظهر الحفاوة والاستبشار، وشجعنا على عمل الدعوة والتذكير الذي قمنا به، ثم شرح لنا شيئاً من عمله الذي يزاوله في القضاء، والفتيا والحكم بين المختلفين، وما يقوم به من تشجيع ومساعدة للمعلمين والدعاة وأهل الحسبة والمراجعات لصالح البلد والمواطنين، مما يعبر عن جهد كبير كان يبذله علاوة على عمله الرسمي في المحكمة، رغم كثرة القضايا والخلافات والدعاوى المتضادة، التي تحتاج إلى إمعان الفكر وإعمال الرأي، والنظر وطول التروي، والتتبع لأطراف القضية.

ولكن الله أعانه بقوة الفهم، وكثرة الممارسة، وطول المران. فكان - رحمه الله - آية من آيات الله، حيث وهبه الله القدرة والتمكن لحل المشكلات والبت في القضايا المستعصية، وبعد ذلك ودعنا عند الفراق، بمثل ما استقبلنا به من الحفاوة والتوقير والحب والوداد. وهكذا تكرر اتصالي به هنا وبعد أن استقر به النوى في مدينة

الرياض، ووصلنا أخباره وأفكاره إلى محبيه، وانتظم في المجيبين على أسئلة (نور على الدرب) التي يصل خبرها إلى القاصي والداني. ورأينا من الكثير الحرص على تحري إجاباته وتتبع الأسئلة التي تعرض عليه، حيث يوضح المعاني ويقوي الجواب بضرب الأمثلة والعبارات الواضحة التي يفهمها الخاص والعام.

ولقد استفاد من إجاباته الجم الغفير حيث تكون مجال الحديث وعمارة المجالس، فترى هذا يستشهد بجواب ابن غصون، وهذا ينقل كلامه، وهذا يحرص على سماع حديثه، وهكذا.. وكم سمعنا ورأينا من الحزن والأسى على انقطاع تلك الأجوبة بانقضاء حياة ذلك الشيخ - رحمه الله - وأكرم مثواه.

ثم إنه - رحمه الله - كان متوغلاً في علم الأحكام، وحريصاً على كلام الفقهاء، وبالأخص أهل المذهب الحنبلي، فقلّ أن يسمع بكتاب طبع حديثاً إلا ويحرص على اقتنائه. ولذلك يوجد لديه مكتبة كبيرة تزخر بأمهات الكتب، في الفقه والأحكام والآداب الدينية واللغوية والحديث والتفسير وغالب الفنون، وكان طوال وقته وزمن فراغه لا يميل من القراءة عليه، والاستفادة مما في بطون تلك الكتب الإسلامية. فبعد أن أسن وأعفي من العمل أكب على السماع والقراءة، ويسر الله له من أولاده وأحفاده وتلامذته وطلاب العلم حوله من يقرأ عليه تلك الكتب الدينية، ويستفيد منها وينهل من معينها. ولما التزمت بإخراج شرح الزركشي على مختصر الخرقي، وابتدأت بالعمل فيه كان من أهل الفرح والسرور بهذا الكتاب، حيث عرف منه التحقيق والتدقيق في المسائل واستيفاء الكلام حول إيضاح كلام الماتن والانتصار للقول الراجح في المسائل الخلافية. فكان الشيخ - رحمه الله - يحث على استعجال إخراج الكتاب، فكلما لقيته بادرني بالسؤال: ماذا فعلت في كتابنا؟ فقد طال الانتظار وعيل الصبر، فأعذر بكثرة الأعمال الإدارية التي تشغل الوقت وتستفرغ الوسع. فكان يشفع في تخفيف العمل، ويعرض الإعانة علي، والمساعدة في التحقيق والتخريج، وهكذا كلما حصل لقاء أو اتصال يكرر السؤال قائلاً: ما فعل كتابنا لقد تأخر علينا وطال انتظاره.. الخ، حتى أنه مرة أراد خلع مشلحي ليأخذه كرهن في الحث على إخراج الكتاب، وفعل ذلك مازحاً. وهكذا كان يتصل بالمطابع كثيراً مطالباً

بالإسراع وإنجاز طبع ما لديهم ، ولكثرة الإلحاح أمدوه بنسخة منه قبل إكمال الطبع ، لما لمسوا من الحرص والاستعجال . ولقد فرح واستبشر بخروجه كخروج غيره من المراجع المفيدة . وهكذا عاش هذا العالم في ربوع هذه البلاد يفيد من حوله ، وينهل من علومه من زاره أو جالسه ، وما زال كذلك حتى في مرض وفاته ، فلقد زرناه وهو على سرير العلاج ، وكان يظهر السرور بكل الزائرين ، ويتوسع مع كل منهم بالسؤال عن الأفراد والأعمال كما كان في صحته ، وما زال كذلك حتى وافاه الأجل المحتوم ، وأتته منيته وهو على العقيدة السليمة والملة المستقيمة . ولقد عظمت مصيبة المسلمين بموته ، وحزن الكثير والكثير بوفاته ، ولذلك حضر وفاته حشد كبير ، ولما أعلن عن الصلاة عليه توافد خلق كثير للمشاركة في الصلاة عليه وتشيعه ، حيث امتلأ المسجد ورحبته وما حوله من المساحات الواسعة ، فرحمه الله تعالى ، وأكرم مثواه ، وقدس روحه ، ونور ضريحه ، وخلفه في عقبه بصلاح القلوب والأعمال ، إنه على كل شيء قدير . والله أعلم وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه .

عوضه الله عن البصر بنور القلب والبصيرة

- معالي الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن رشيد - (*)

الأخ الكريم الدكتور طارق بن محمد بن عبدالله الخويطر حفظه الله وتولاه .
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد وصلني كتابكم الذي طلبتم فيه أن أكتب
لكم عما أعرفه عن فضيلة زميلنا الشيخ صالح بن علي بن غصون - رحمه الله - ،
وحيث إن فضيلته معروف لدى الجميع وأشهر من نار على علم . وليس بحاجة إلى
كتابتي وأمثالي ، فقد ترددت عن ذلك .

ولكن بناءً على تعقيبيكم المتكرر هاتفيًا وحضورياً كتبت هذه الأسطر القليلة ، وهي
لا تفي بشيء مما يستحقه فضيلة الشيخ صالح . ولكن كما يقال ما لا يدرك كله
لا يترك جله ، وما لدي الآن يتلخص فيما يلي :

معرفتي بالشيخ صالح قديمة بدأت منذ أن كنا ندرس في الكتاب في بلدنا الرس
حوالي عام ١٣٥٠ و ١٣٥١ هـ لدى المعلم في ذلك الوقت . واسمه ناصر بن سالم بن
ضويان - رحمه الله - . ثم بدأنا في الدراسة على فضيلة شيخنا الشيخ محمد بن
عبدالعزیز بن رشيد قاضي الرس في ذلك الوقت - رحمه الله - في ثلاثة الأصول ،
وكتاب التوحيد ، وكشف الشبهات ، لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه
الله - .

ثم أصيب الشيخ صالح بمرض في عينيه فقد بصره على إثره . وكره ذلك هو وأهله
في أول الأمر كعادة البشر ، ثم صبروا ورضوا بما قدر الله سبحانه وتعالى وهو الحكيم
الخبير ، فصارت العاقبة خيراً للجميع في العاجل والآجل . وصدق الله العظيم
﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وقال الشاعر :

لعل عيبك محمود عواقبه وربما صحت الأجسام بالعلل

والشيخ صالح لما قدر الله عز وجل عليه فقد بصره عوضه خيراً من ذلك وهو نور القلب والبصيرة، وصدق الشاعر إذ يقول بعدما أصيب بفقد بصره، ويقال إنه عبدالله بن عباس رضي الله عنهما :

إن يأخذ الله من عيني نورهما ففي لساني وسمعي منهما نور
قلبي ذكي وفهمي غير ذي دخل وفي فمي صارم كالسيف مشهور

لما فقد الشيخ بصره ولم يتمكن من مواصلة الدراسة في الرس، أشار عليه بعض الإخوان بالسفر إلى الرياض، فتردد في ذلك هو وأهله، وظنوا أن الأمر فيه صعوبة كبيرة. ولا سيما مع قلة الإمكانيات المادية لديهم ولدى غيرهم في ذلك الوقت، وكانت والدته الشيخ - رحمها الله - مهتمة جداً من ناحيته. وكانت تكرر دعاء الاستخارة في ذلك ليلاً ونهاراً، وما لبثوا أن وفقهم الله سبحانه وتعالى. وعزم الشيخ على السفر إلى الرياض. ولسان حالهم يقول :

إذا لم يكن إلا الأسنه مركباً فما حيلة المضطر إلا ركوبها

ولما وصل إلى الرياض سكن مع الطلبة هناك. واهتم في طلب العلم، فحفظ القرآن كاملاً، وانتظم في حلق الدراسة لطلب العلم مع زملائه، لدى العالم التحرير والمربي الكبير والمحقق الشهير، سماحة الشيخ محمد ابن إبراهيم - رحمه الله - وجزاه عن الإسلام والمسلمين أحسن الجزاء. وجدَّ الشيخ صالح في الطلب واجتهد في التحصيل، فوفقه الله عز وجل وفاق أقرانه المبصرين والمكفوفين، وأعجب به سماحة الشيخ محمد كثيراً، كما كان الشيخ صالح يدرس الفرائض مع الطلبة لدى فضيلة الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم - رحمه الله -، وقد أعجب به الشيخ عبداللطيف، وكان يشني عليه كثيراً.

وبناء على ثقة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بالشيخ صالح وتأكده من صلاحته لمنصب القضاء، رشحه سماحته لذلك، فعين قاضياً في سدير، وبقي فيها مدة. ثم نقل إلى محكمة شقراء، وبقي فيها إلى أن نقل إلى رئاسة محاكم الأحساء في عام ١٣٨١هـ، وعمل فيها بجِد ونشاط ونزاهة وصرامة في الأعمال الشرعية والإدارية.

وفي عام ١٣٩٠ هـ، انتقل إلى محكمة التمييز بالرياض، ثم بعد مدة انتقل إلى المجلس الأعلى للقضاء، وبقي فيه حتى طلب الإحالة للتقاعد في عام ١٤٠٩ هـ، وما زال أهالي الجهات التي كان قاضياً فيها، ومن عمل معهم من الزملاء في محكمة التمييز، ثم في المجلس الأعلى للقضاء، كلهم يتأسفون على فراقه ويذكرونه بالخير بسبب أعماله الطيبة .

ولما علم أهالي الأحساء وشقراء وسدير بوفاته، حضر منهم جم غفير للصلاة عليه وحضور دفنه وتعزية أبنائه وأقاربه .

أما عن معرفتي للشيخ صالح في مجال العمل، فقد زاملته في ذلك حوالي تسعة عشر عاماً، منها أكثر من سبع سنين في رئاسة محاكم الأحساء، حيث كان رئيساً للمحاكم وكنت مساعداً له، ثم زاملته في محكمة التمييز في الرياض حوالي خمس سنين، ثم في المجلس الأعلى للقضاء أكثر من سبع سنين، ولما كنا في الأحساء كان يعمل معنا زميلنا في المحكمة الكبرى بالأحساء، فضيلة الشيخ عبدالمحسن بن عبد الله الخيال حيث كان عضواً في المحكمة، وهو الآن رئيس المحكمة الكبرى في جدة، وكنا جميعاً نبحث المسائل التي تشكل على أحد منا، وإذا لم يتسع الوقت لذلك في المحكمة أو لم توجد المراجع الكافية فنجتمع في بيت الشيخ صالح بعد العصر أو بعد العشاء حتى ننهي البحث، وكان الشيخ صالح - رحمه الله - حريصاً على مراجعة كلام أهل العلم في جميع المراجع الموجودة، ويبحثنا على ذلك بشدة، وحتى لو كانت القضية شبه واضحة فهو لا يقنع بذلك، إلا بعد مراجعة كلام العلماء فيها، ودائماً يردد قوله، البناء على اليقين أحسن من الاعتماد على الذاكرة .

وكان كثير من قضاة محاكم الأحساء أو كلهم يراجعونه فيما يشكل عليهم من القضايا والأشياء الإدارية، بصفته رئيساً للمحاكم، فيفيدهم بما يتضح له، وما يشكل نبخته جميعاً كما تقدم، ولما علم قضاة الأحساء وأعيان البلد بنقله للتمييز، تأسفوا لذلك جداً، وطالبوا بإبقائه في رئاسة محاكم الأحساء، وراجعوا المسؤولين بأشخاصهم وخطاباتهم وبرقياتهم، ولكن لم يحصل ذلك .

لما طلب الشيخ صالح إحالته للتقاعد عام ١٤٠٩ هـ بموجب خطاب كتبه لخادم الحرمين الملك فهد بن عبدالعزيز - حفظه الله -، لم يجب طلبه من أول وهلة، مما اضطر الشيخ صالح إلى مقابلة خادم الحرمين شخصياً، وطلب منه الموافقة على طلبه، فأجابه شفهيّاً باستنكاره لهذا الطلب، وألح على الشيخ بالبقاء في عمله، ولكن الشيخ أوضح لخادم الحرمين حالته الصحية وغيرها وأنه يرغب الراحة من العمل، فوافق خادم الحرمين على ذلك، وأمر بإبلاغ من يلزم بذلك، كما كتب خطاباً للشيخ صالح إجابة، لخطابه وأبدى أسفه للطلب المذكور، وشكر للشيخ صالح ما أبداه من جد واجتهاد في أعماله في مجلس القضاء ومحكمة التمييز وغيرها من المحاكم، وكان لذلك الخطاب وقع طيب جداً لدى الشيخ صالح فجزى الله خادم الحرمين خيراً على ذلك.

لما تمت إحالة الشيخ صالح للتقاعد، فرغ نفسه للقراءة والبحث والتدريس والإفتاء. وكان يجلس للتدريس بعد العصر وبعد المغرب في الحديث وشروحه والفقه، ويحضر لديه عدد من طلبة العلم ومدرسيه وطلبة الجامعات والدكاترة وغيرهم، وذلك طيلة أيام الأسبوع ما عدا الجمعة. وبعد مغرب يوم الجمعة يجلس لمقابلة الزائرين، ويأتيه عدد كبير من المشايخ والقضاة وغيرهم وطلبة العلم وأعيان الناس من الرياض وغيرها، وكثيراً ما يتحول المجلس إلى بحث علمي، أما الأسئلة الموجهة إليه بالهاتف فكانت من القضاة وطلبة العلم من الرجال والنساء والعوام. فهي مستمرة ليلاً ونهاراً من نواحي المملكة والخليج وغيرها.

فضلاً عن حصته الأسبوعية التي يجيب فيها عن الأسئلة في برنامج «نور على الدرب»، وحيث إن فضيلته كان من أعضاء هيئة كبار العلماء، فقد بقي معهم بعد إحالته على التقاعد بعض الوقت، وحضر معهم عدة دورات، ولكنه لما أحس بالتعب قدم اعتذاره عن الحضور معهم لعدم استطاعته، ولكنه استمر على برنامج نور على الدرب، وأخيراً كان يراجع المستشفيات الكبيرة، وقد ألح عليه كثير من أصحاب السمو الأمراء وأصحاب الفضيلة العلماء والأعيان بالسفر إلى خارج المملكة للعلاج، فامتنع، وفي النهاية اقتنع وسافر إلى أمريكا وأجريت له العملية، وكانت ناجحة

حسبما يقال . وبعد مدة عاوده المرض فرجع إلى أمريكا، ثم عاد منها ولكن صحته كانت تتأخر، ومع ذلك كله لم يترك التدريس والجلوس للإفتاء ومقابلة المشايخ وطلبة العلم حتى دخل شهر رمضان المبارك عام ١٤١٩ هـ، فزاد عليه المرض، مع أنه كان يذهب إلى المسجد في السيارة للصلوات الخمس، ولما قرب عيد الفطر بعث اعتذاراً لسمو الأمير عبدالله ابن عبدالعزيز ولي العهد عن مقابلته، حيث إن سمو الأمير - جزاه الله خيراً - كان يزوره في مناسبة الأعياد، أسوة بعدد من كبار المشايخ، وبعد أيام عيد الفطر راجع مستشفى الحرس عدة مرات، وأحياناً يبقى فيه بعض الوقت، وأخيراً بقي في المستشفى المذكور حتى توفاه الله عز وجل بتاريخ ١٧ / ١٢ / ١٤١٩ هـ - رحمه الله . - ولقد زرته في المستشفى عدة مرات وأحياناً أجد عنده بعض كبار المشايخ من القضاة وغيرهم، ويحصل بحث بعض المسائل الفقهية رغم ما فيه من المرض .

وأما معرفتي الذاتية للشيخ صالح، فأعرف عنه - رحمه الله - أن فيه شجاعة وشهامة وكرماً، ويحب الخير لجميع المسلمين، ويشفع لطالب الحاجة فيما يقدر عليه هو والمشفوع عنده، ويبدل في ذلك نفسه وصحته، وأحياناً يبذل ماله لتحقيق مصلحة صاحب الحاجة، فكم من مشكلة عرضت عليه وبتوفيق الله حلها، وكم من كبد ناشفة بشفاعته وجهده بلها، كما يوجد في فضيلته كثير من صفات شيخه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - من الشجاعة والصراحة وقول الحق وإن كان مرأ، كما أعرف عنه - رحمه الله - أنه من خيرة من رأيتهم ومن زاملتهم من القضاة والمشايخ، في العلم والذكاء والفراصة والنزاهة، وتدقيق المسائل وضبطها والحرص على تمحيصها، ومراجعة المراجع المتنوعة من كتب أهل العلم، ويُتعب نفسه ومن عنده من أجل الوصول إلى النتيجة في البحث، فأه ثم آه ثم آه من معضلة علمية أو فقهية غاب عنها أبو علي - رحمه الله . -

كان الشيخ صالح - رحمه الله - واصلاً لأقاربه وأرحامه وأصدقائه بشكل قد لا يوجد إلا في النادر من الناس، وكان يصل كل أحد بما يناسبه فممنهم من يصله بماله، وممنهم من يصله بزيارته الشخصية رغم تأخر صحته في آخر حياته، وممنهم من

يصله بالاتصال بالهاتف ، وقد فقد الجميع ذلك بوفاة الشيخ صالح وصدق الشاعر إذ يقول :

لعمرك ما الرزية فقد مال ولا فرس يموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد حر يموت لموته بشـر كثير

أما والد الشيخ صالح - رحمه الله - فهو من خيرة أهل الرس وأعيانهم في الدين والعقل والمعرفة ، ومن حكماء الرجال في أقواله وأفعاله وصراحته وغيرته في الدين . ولا يزال أهل البلد يضربون به المثل في ذلك كله ويتناقلون حكمه وأقواله الطيبة ، وكان محباً لأهل الخير وطلبة العلم ، ويساعد المحتاجين ، رغم أنه كان مقلداً من المال إلى حد كبير ، وكان يعتني بزيارة أهل الخير وأقاربه وأرحامه ، ويحرص على حضور مجالس الذكر ، وقد شاهدته في وقت دراستي عند شيخنا محمد بن عبدالعزيز بن رشيد - رحمه الله - يجلس عند حلقة الدرس ولا يقوم حتى تنتهي ، وأحياناً يسأل الشيخ عما يشكل عليه مما يسمع .

وأما والددة الشيخ صالح - رحمها الله - فكانت من خيرة النساء ، وذات دين وحسب ونسب وصبر على نوائب الدهر ، ويضرب بها المثل في ذلك عند أهل حارثتها ومن يعرفها من غيرهم ، وأنا لا أقول ذلك جزافاً ولكن عن معرفة ويقين ، فأنا أعرف والددة الشيخ صالح سنين طويلة من عهد الصغر نظراً لتقارب المساكن في البلد في ذلك الوقت ، وصلتي بينهم بواسطة جدتي والددة والدي - رحم الله الجميع - حيث إن جدتي المذكورة هي عمة لوالدة الشيخ صالح ، وكانت مجاورة لها في البيت ، وكنا جميعاً في حارة واحدة ، وكان الناس في ذلك الوقت غير الناس اليوم من ناحية مواصلة الجيران والأقارب ، وتفقد أحوالهم وقضاء حوائجهم ، ومع الأسف أن هذه الصفات فقدت بين الناس الآن نهائياً إلا من شاء الله .

أما عن صلة الشيخ صالح بالمسؤولين ، فكانت له صلة قوية بالملوك من أبناء الملك عبدالعزيز وهم ، الملك سعود ، والملك فيصل ، والملك خالد - رحم الله الجميع - وكانوا يقدرّون الشيخ صالحاً جداً ، وكثيراً ما كانوا يأخذون رأيه في أشياء مهمة بصفة

خاصة ، كما أن لفضيلته صلة قوية بخادم الحرمين الملك فهد بن عبدالعزيز ، وولي عهده سمو الأمير عبدالله بن عبدالعزيز وسمو النائب الثاني الأمير سلطان بن عبدالعزيز وسمو أمير الرياض سلمان بن عبدالعزيز ، وكانوا كأسلافهم أحياناً يطلبون رأي الشيخ صالح في بعض الأشياء ، وكان سمو الأمير عبدالله بن عبدالعزيز يزور الشيخ في بيته في مناسبات الأعياد كعادة سموه مع كبار المشايخ وطلبة العلم ، كما كان للشيخ صالح صلة بأبناء الملك عبدالعزيز من الوزراء وغيرهم وعموم رجال آل سعود ، وكان يلقي من الجميع الإكرام والتقدير ، كما هي عادة آل سعود مع المشايخ وطلبة العلم جزاهم الله خيراً .

لما كان الشيخ صالح رئيساً لمحاكم الأحساء ، كان له صلة قوية بسمو أمير المنطقة الشرقية الأمير سعود بن عبدالله بن جلوي - رحمه الله - وإذا زاره الشيخ صالح في الدمام يجد منه التقدير والاستقبال الطيب ويطيل الجلوس معه ، وأحياناً يطلب من الشيخ صالح الاختصار معه في المجلس الخاص ، وكان يحثه على تكرار الزيارة له ، كما كان للشيخ صالح صلة قوية بأمير قطر السابق العالم الجليل علي بن عبدالله بن ثاني - رحمه الله - ويجتمع به كثيراً إذا كان الأمير في مزرعته الواقعة جنوب الهفوف بالأحساء والمسماة الدليقية ، بعد ما ترك إمارة قطر ، وكان - رحمه الله - يحب البحث في الأدب والمسائل الفقهية وغيرها وقام بطبع آلاف الكتب في مذهب الإمام أحمد وغيره .

وأما صلة الشيخ صالح بالمشايخ ، فكان له صلة قوية مستمرة بشيخه ومعلمه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رئيس القضاة حتى توفي - رحمه الله - ، وكان الشيخ محمد يقدر الشيخ صالحاً ويثني عليه ، كما تقدم ، كما كان الشيخان عبدالله وعبد اللطيف أخوي الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمهم الله - يقدران الشيخ صالحاً وكذا أبنائهم جميعاً ، كما كان للشيخ صالحاً صلة قوية بعلامة القصيم الشيخ عبدالرحمن بن ناصر بن سعدي - رحمه الله - ، وسماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد رئيس مجلس القضاء الأعلى - رحمه الله - ، وسماحة مفتي المملكة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - ، وقد اشترك معه الشيخ صالح عدة مرات في النظر في

عدد من القضايا والمشكلات ، كما كان للشيخ صالح صلة قوية بزميله في العمل ، رئيس محكمة التمييز بالرياض ، سماحة الشيخ الفاضل الجليل الفقيه عبدالعزيز بن ناصر بن رشيد ، وكان الشيخ عبدالعزيز كثيراً ما يستعين برأي الشيخ صالح في الأمور الشرعية والإدارية ، كما أنه يوجد صلة قديمة مستمرة بين أسرتيهما منذ زمن طويل نظراً لكون الجميع في حارة واحدة من البلد ، رحم الله الجميع .

وفاة الشيخ صالح كانت بتاريخ ١٧ / ١٢ / ١٤١٩ هـ ثم توفي بعده سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز في ٢٧ / ١ / ١٤٢٠ هـ - رحمه الله - ، ثم توفي بعدهما شيخنا الفاضل صالح بن إبراهيم بن طاسان قاضي الرس سابقاً ، وقد تولى القضاء في عدد من المحاكم - رحمه الله - ، وكانت وفاته بتاريخ ١٢ / ٢ / ١٤٢٠ هـ وقد قرأت عليه بعض الوقت وجالسته كثيراً . وهو فيما علمت من أحسن القضاة في تحري الصواب حسب استطاعته ، وكان فيه صراحة وغيره في الدين ، ولا يكاد يبت في القضية إلا بعد التأكد والرجوع إلى كلام أهل العلم ، وذلك من شدة حرصه ، وكان كثيراً ما يستشير من يثق به في بعض القضايا ، وكان فيما أعلم نزيبهاً ومجتهداً في عمله ومحباً للعزلة في الجملة - رحمه الله - . ثم بعد مدة يسيرة توفي فضيلة الشيخ عطية ابن محمد سالم أحد قضاة محكمة المدينة سابقاً - رحمه الله - . وكانت له دروس مستمرة طيبة ومفيدة تنقل في الإذاعة ، وله حلقة تدريس في المسجد النبوي في المدينة المنورة ، وتنقل أيضاً في الإذاعة ، وهي نافعة جداً يستفيد منها طالب العلم وغيره ، وخصوصاً تقريره على أحاديث بلوغ المرام للحافظ ابن حجر ، وتنقل في الإذاعة يوماً بعد يوم في تمام الساعة الرابعة والنصف صباحاً قبل أذان الفجر . فجزى الله خيراً من أمر باستمرار إذاعة تلك الأحاديث بعد وفاة الشيخ عطية ، ثم بعد مدة توفي كل من أصحاب الفضيلة الشيخ المحدث ناصر الدين الألباني والشيخ مناع القطان والشيخ علي الطنطاوي والشيخ مصطفى الزرقا ، والشيخ أبو الحسن الندوي الداعية المعروف وعضو رابطة العالم الإسلامي - رحمهم الله - وجميع المشايخ التسعة المذكورين آنفاً وسابقاً ، ماتوا واحداً بعد واحد في مدة قصيرة أقل من تسعة أشهر ، وقد ماتوا والناس محتاجون إلى علمهم فإننا لله وإننا إليه راجعون . أسأل الله الغفور الرحيم أن يدخلنا وإياهم ووالدينا

وأهلينا وذرياتنا وجميع إخواننا المسلمين في رحمته الواسعة، وهو أرحم الراحمين،
ولله در حسان وقته يحيى بن يوسف الصرصري حيث يقول من قصيدة عصماء له هذا
البيت :

والصالحون على الذهاب تتابعوا كأنهم عقد تناثر نظمته

لا شك أن العلم يذهب ويفقد بموت أهله وحملته ورجاله العاملين به وقد ورد في
الصحيحين وغيرهما عن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما -، قال
سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد
ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالمٌ اتخذ الناس رؤساء
جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» قال الإمام النووي - رحمه الله - :
هذا الحديث يبين أن المراد بقبض العلم في الأحاديث السابقة، ليس هو محوه من
صدر حفاظه، ولكن معناه أن يموت حملته، ويتخذ الناس جهالاً يحكمون
بجهالاتهم فيضلون ويضلون .

وفي صحيح البخاري عن مرداس الأسلمي - رضي الله عنه - قال : قال النبي ﷺ :
«يذهب الصالحون الأول فالأول ويبقى حفالة كحفالة الشعير والتمر لا يباليهم
الله بالة» ومعنى الحفالة الرديء الساقط عن الغريلة، وقوله لا يباليهم الله بالة أي لا
يرفع لهم قدراً، ولا يقيم لهم وزناً، وبالة بتوين التاء المربوطة المنصوبة، وفي لفظ
آخر لا يعبا الله بهم شيئاً، ونقل الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في الفتح عن ابن بطال
أنه قال هذا الحديث يدل على أن موت الصالحين من أشراط الساعة، وفيه أنه يجوز
انقراض أهل الخير في آخر الزمان، حتى لا يبقى إلا أهل الشر .

وروى الإمام أحمد والطبراني من حديث أبي أمامة - رضي الله عنه - قال : لما كان
في حجة الوداع قال النبي ﷺ : خذوا العلم قبل أن يقبض أو يرفع . فقال أعرابي :
كيف يرفع يا رسول الله؟ فقال ﷺ : «ألا إن ذهاب العلم ذهاب حملته»، كررها
ثلاثاً . وصدق رسول الله ﷺ، الذي لا ينطق عن الهوى، فقد وقع كما أخبر .
وقال عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - : عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه

ذهاب أهله، وعليكم بالعمل فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إليه، وعليكم بالعلم، وإياكم والتنطع والتعمق، وعليكم بالعتيق. وقال - رضي الله عنه - أيضاً: لا يزال الناس صالحين متماسكين، ما أتاهم العلم من أصحاب محمد ﷺ ومن أكابرهم، فإذا أتاهم من أصاغرهم هلكوا.

وقال تميم بن نجيح: كنت جالساً عند محمد بن سيرين - رحمه الله -، إذ جاءه رجل فقال له: إني رأيت الليلة في المنام أن طائراً نزل من السماء على شجرة ياسمين، فتتف منها، ثم طار في السماء. فقال ابن سيرين: هذا قبض العلماء، قال الراوي تمام بن نجيح: فلم يمض تلك السنة حتى مات الحسن البصري، ومحمد بن سيرين، ومكحول، وستة من العلماء في الآفاق المتفرقة - رحمهم الله تعالى -.

من المعلوم أن موت العالم الشرعي ثلثة في الإسلام، كما قال الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه -: موت العلماء ثلثة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار، وروي مثل ذلك عن الحسن البصري - رحمه الله - وقال الصحابي الجليل عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾، قال: ذلك هو موت علمائها وصلحائها وأهل الخير منها، وقال عطاء بن أبي رباح - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: هو ذهاب فقهاءها وخيار العلماء. وقال ابن عبدالبر - رحمه الله - في قول عطاء في تأويل هذه الآية: إنه حسن جداً تلقاه أهل العلم بالقبول. وقال الشاعر في هذا المعنى:

الأرض تحيا إذا ما عاش عالمها متى يموت عالم منها يموت طرف
كالأرض تحيا إذا ما الغيث حل بها وإن تأخر عاد في أكنافها التلف
وقال الآخر:

إلى الله أشكو أن كل قبيلة من الناس قد أفنى الحمام خيارها
وقال آخر يصف مصيبتة وأهل بلده بوفاة عالم شرعي فقداه أهل بلده وحزنوا عليه:

مصাব ليس يشبهه مصاب لذي الألباب إذ فقد الشهاب
 إمام قد هوى من كل علم كنوزاً نحوها يسعى الركاب
 الموت حق لا بد لكل مخلوق منه، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ
 مَيِّتُونَ﴾، وقال عز من قائل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ في ثلاث آيات من القرآن
 الكريم، وقال الشاعر:

لا بد من فقد ومن فاقد هيهات ما في الناس من خالد
 وقال آخر:

أقمنا يوماً كي نعزي بفقد مسافة يوم ثم نتلوه في غد
 وقال آخر:

الموت باب وكل الناس داخله فيا ليت شعري بعد الباب ما الدار
 الدار جنة عدن إن عملت بما يرضي الإله وإن خالفت فالنار
 هما محلان ما للناس غيرهما فاختر لنفسك أي الدار تختار

عود على بدء. قد ذكرت فيما تقدم أن الشيخ صالح بن غصون فقد بصره في أول
 عمره، ولكنه بتوفيق الله عز وجل ثم بتشجيع من ذويه وأصدقائه لم يفقد الأمل، بل
 عزم وصبر وصابر واجتهد وزرع التعب والسهر، فحصد النجاح والخير الكثير. وفاق
 أقرانه المبصرين والمكفوفين في الدراسة والتحصيل أولاً، ثم بالعمل في المحاكم
 الشرعية، ثم في محكمة التمييز، ثم في مجلس القضاء الأعلى، ومن طلب العلا
 سهر الليالي، كما قيل:

لا تحسب المجد تماًراً أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبِراً
 وقال آخر:

وقلّ من جد في أمر يحاوله واستعمل الصبر إلا فاز بالظفر

وكم رأينا في وقتنا القريب من العلماء الأفاضل المكفوفين من سادوا الناس بما أعطاهم الله عز وجل من العلم والحكمة والعقل والذكاء، واحتاج أناس مبصرون ومكفوفون إلى علم أولئك النخبة المكفوفين، وانتفعوا بعلومهم في حياتهم وبعد موتهم.

وهؤلاء العلماء الأفاضل هم مثل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رئيس القضاة سابقاً - رحمه الله -، وسماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد رئيس مجلس القضاء الأعلى سابقاً - رحمه الله -، وسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز مفتي المملكة ورئيس هيئة كبار العلماء سابقاً - رحمه الله -، وفضيلة الشيخ صالح بن علي بن غصون عضو مجلس القضاء الأعلى سابقاً - رحمه الله -، وغيرهم من طلبة العلم.

وقد سمعت من عدد من المشايخ أن سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - كان كثيراً ما يتمثل بقول الشاعر:

سيدكرني قومي إذا جد جددهم وفي الليلة الظلماء يفقد البدر
وبقول الشاعر الآخر:

أمرتهمو أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشداً إلا ضحى الغد

وهذا يدل على بعد نظره ورجاحة عقله - رحمه الله -، وقد صدق ظنه فإن الناس وخصوصاً طلبة العلم من القضاة وغيرهم فقدوه في وقت كانوا أحوج إليه. ولا زالوا يلهجون بالدعاء لسماحته، لأنه كان في حياته سداً منيعاً، وحاجزاً قوياً عن أمور كثيرة.

كما كان - رحمه الله - سنداً ومستنداً ومرجعاً لرجال القضاء وغيرهم من طلبة العلم وأهل الخير ورجال الحسبة.

ثم قام بعده في كثير من تلك الصفاة تلميذه سماحة الشيخ عبدالله بن حميد رئيس مجلس القضاء الأعلى سابقاً، ثم قام سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز مفتي المملكة

وتلميذ سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ببعض ما قام به شيخه ، وبذل الاثنان - أعني الشيخ عبدالله بن حميد والشيخ عبدالعزيز ابن باز - ما يستطيعان القيام به بكل جد ونشاط . كما بذل الشيخ صالح بن غصون جهداً كبيراً جداً في تدريس كثير من طلبة العلم ، والرد على استفسارات بعض القضاة فيما يشكل عليهم ، وذلك شفويّاً وهاتفيّاً كما تقدم ، بالإضافة إلى أسئلة الجمهور المستمرة هاتفيّاً كما تقدم ، وإن قصدي من هذه الفقرة بالذات هو الاعتراف بفضل وعلم هؤلاء العلماء الأخيار والجهابذة المحققين الكبار الأربعة آنفي الذكر ، وما حصل منهم من نفع عظيم في حياتهم ، بل وبعد موتهم . مع أن الله سبحانه وتعالى قدر عليهم فقد أبصارهم من الصغر ، ولكن الحكيم العليم عوضهم ما هو خير لهم خاصة ، وللإسلام والمسلمين عامة . وهذا معلوم لدى العموم ولا ينكره أحد . ومن لنا بمثل هؤلاء الأربعة ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرنّا في مصيبتنا وأخلفهم علينا وعلى المسلمين بخير ، ورحم الله ابن دريد إذ يقول في مقصورته :

والناس ألف منهم كواحد وواحد كالألف إن أمر عني

يوجد في بلادنا ولله الحمد عدد كثير جداً من طلبة العلم الذين فقدوا أبصارهم في صغرهم ، ولكن الله عز وجل عوضهم نوراً في قلوبهم ، وصبروا وصابروا واجتهدوا في طلب العلم ، وحصلوا منه ما لم يحصل عليه غيرهم من كثير من طلبة العلم المبصرين ، وحصل منهم نفع كثير للمجتمع وتولوا أعمالاً جليلة مهمة . فمنهم كثيرون عملوا في سلك القضاء في مجلس القضاء الأعلى ، ومحكمتي التمييز في مكة المكرمة والرياض ، والمحاكم الكبرى والمستعجلات في جميع أنحاء المملكة ، ومنهم من عملوا أساتذة ومدرسين في الجامعات والكليات والمعاهد العلمية ومعاهد النور والدعوة والإرشاد وغيرها .

وقد سمعت من كثير من المشايخ وطلبة العلم وغيرهم من أهل الخير أنهم يرغبون باستمرار إذاعة أحاديث وفتاوى سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - ، وفتاوى فضيلة الشيخ صالح بن غصون - رحمه الله - وأحاديث ودروس فضيلة الشيخ

عطية بن محمد سالم - رحمه الله - وذلك لما في أحاديث وفتاوى ودروس أولئك العلماء الأختيار من الفوائد الكثيرة لعموم من يستمع إليها من جميع المسلمين ، ويا حبذا لو أضيف إلى ذلك الأحاديث والدروس والفتاوى الصادرة من سماحة الشيخ عبدالله بن حميد رئيس مجلس القضاء الأعلى سابقاً - رحمه الله - والتي كان سماحته يلقيها بصوته وتنقل في الإذاعة ، وإنني أضرم صوتي إلى أصوات الإخوان في طلبهم المشار إليه .

ومن المؤسف حقاً ومن المصيبة التي يحزن لها القلب أنه منذ حوالي سبعين عاماً أو أكثر - حسبما أسمع وأعلم - لم يمت عالم من علمائنا المشهورين ، والمحققين البارزين ، ويخلفه أحد من أبنائه يقوم مقامه ويسد الثلثة الشاغرة بعد والده . وهذا شيء يؤسف له لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه وهو الحكيم الخبير .

وليعلم أنني كتبت ما تقدم بصفة عاجلة ، بناءً على طلب وإلحاح ومتابعة من الأخ الدكتور طارق بن محمد بن عبدالله الخويطر ، حيث إنه طلب مني أن أكتب له عما أعرف عن فضيلة الشيخ صالح بن غصون - رحمه الله - . وقد دعت الحاجة واستطرد الكلام إلى ذكر عدد من العلماء الكبار غير الشيخ صالح ، والحقيقة أن الكلام عن كل واحد من هؤلاء العلماء يتطلب الشيء الكثير من الجهد والوقت ، ولكن سؤال السائل اقتصر على ما يخص الشيخ صالح بن غصون فقط ، ومع هذا فإنني أقول جزى الله الشيخ صالحاً خيراً وغفر لنا وله ولجميع المسلمين ، حيث إن الكتابة عن فضيلته كانت سبباً لذكر غيره من العلماء الأختيار الذين تزين المجالس بذكرهم ، ويحلوا الكلام بأخبارهم وصفاتهم ، أسأل الله الكريم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم أن يرحم علماءنا الماضين ، وأن يغفر لنا ولهم ولإخواننا المسلمين ، وأن يجمعنا بهم في دار كرامته ، كما أسأله عز وجل بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن يصلح علماءنا الباقين ، وأن يرزقنا وإياهم الصدق والإخلاص في القول والعمل ، وأن يؤيد الجميع بنصره وتوفيق ، كما أسأله تعالى أن يصلح أئمتنا وولاة أمورنا خاصة وولاة أمور المسلمين عامة ، وأن يعز الجميع بطاعته ، ويعيذهم من الفتن ما ظهر منها وما بطن . وأن يعز الإسلام والمسلمين إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وأصحابه أجمعين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

حصل في زمن قصير ما لم يحصله غيره من العلوم

- معالي الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل - (*)

الحمد لله وحده، لقد رزئنا بفقد زميلنا وصاحبنا فضيلة الشيخ العلامة صالح بن علي بن غصون الوهبي التميمي المتوفى في ١٧/١٢/١٤١٩ هـ فكان لفقده أكبر الأثر لدينا ولدى أولاده ومحبيه وجماعته وذويه وجميع عارفيه. فرحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار، وقد ورد أن فقد العالم ثلثة لا تسد، قال بعضهم وتنسب لإبراهيم بن أدهم - رحمه الله -:

إذا مات ذو علم وتقوى	فقد ثلمت من الإسلام ثلثة
وموت الحاكم العدل المولى	بحكم الأرض منقصة ووصمة
وموت العابد القوَّام ليلاً	يناجي ربه في كل ظلمة
وموت فتى كثير الجود محلّ	فإن بقاءه خصب ونعمة
وموت الفارس الضرغام هدم	فكم شهدت له بالنصر عزمة
فحسبك خمسة يبكى عليهم	وموت الغير تخفيف ورحمة
وباقى الناس أوباش رعاع	وفي إيجادهم لله حكمة

وقد عرفت فضيلة الشيخ صالح قبل أن يتولى القضاء وهو من ضمن الإخوان الذين يسكنون في غرف رباط الإخوان بدخنه، ويقال إن سماحة شيخنا خصّص له غرفة خاصة لا يشاركه فيها أحد، بينما الإخوان يكون منهم اثنان وثلاثة في حجرة واحدة.

ولد في عام ١٣٤١ هـ وتوفي والده وعمره ١٣ سنة، ونشأ في حضانة أمه نورة الهزاع.

وكان في صغره يطلب العلم على علماء بلدة الرس، فلما أراد أن يذهب للرياض ليدرس على علماء الرياض وينهل من علومهم لم يتيسر له ركوب، فذهب إلى الوجيه الشيخ حمد المالك وكان هو وجيه أهل الرس بل هو من كبار وجهاء أهل

القصيم، فقال له الشيخ حمد: إن شاء الله تيسر أمورك. وجاءت سيارة لوري متوجهة للرياض تحمل الأخشاب، كل منهم يحاول الركوب فيها، فحاول الشيخ صالح أن يركب معهم فلم يتيسر، فراجع الوجيه حمد المالك، فقال: بإذن الله تركب ولو على ظهورهم. ومشى معه وطلع الشيخ حمد فوق السيارة، ومهد للشيخ صالح فراشه وشنطته وأركبه وقال: هذا مركبك لا تحول عنه حتى تصل الرياض، وأكد على السائق ومرافقيه، فامثلوا ولم يفه أحد منهم بكلمة، وهم كانوا في الأول رافضين، ولما وصل الرياض رموه بدخنه أمام رباط الإخوان، وهو وحيد أعمى لا يعرف أحداً ولا يدل الطريق، ولكنه عصامي، ويسر الله من أدخله على المشايخ. فهيئوا له المنزل الملائم، ورتبوا دروسه مع الإخوان، وقرروا ما يلزم له مثل أمثاله.

فاشتغل يطلب العلم بجهد ونشاط حتى حصل في زمن قليل ما لم يحصله غيره، وحفظ المتون وحظي عند المشايخ. ولم تمض مدة قليلة حتى عدوه من كبار الإخوان، ثم عين إماماً في مسجد العيسى بالرياض قرب المقبرة، فصار يروح إليه وحده ماشياً بعصاه وتبجح عليه الكلاب خصوصاً الفجر، وربما مزقت ثيابه أو جرحت رجله وهو صابر يحتسب.

ولما تولى القضاء في سدير عام ١٣٦٨ هـ أكرموه وقاموا معه خير قيام، وهو أيضاً قام لهم خير قيام، فكان هو القاضي والمفتي والإمام والخطيب والداعية، ولا يألوهم نصحاً ما استطاع، حتى إنه لما داهم السيل البلد حوطة سدير أثناء الليل خرج الشيخ صالح معه عصاه وسراجه وجعل يشجعهم على ردم السيل حتى لا يدخل البلد، وفتح لهم بيته وأمرهم أن يأخذوا منه ما في المستودع من أخشاب وقصب الذره وغيرها ويسدوا به مجرى السيل، وكان الشيخ واقفاً معهم رافعاً السراج ينور لهم، وكأن السراج مال قليلاً فقال أحدهم: اعدل السراج عساك للعمى ولم يعلموا أنه الشيخ، فقال الشيخ: وش زود على هالعمى.

في عام ١٣٧٢ هـ نقل إلى قضاء مدينة شقراء فمكث فيها سنوات، فكان هو القاضي والمفتي والخطيب والإمام، وفتح فيها المعهد العلمي، فكلف بالتدريس فيه مع عمل القضاء، ثم نقل إلى محكمة الأحساء عام ١٣٨١ هـ ومكث فيها إلى سنة

١٣٩٠هـ، وعاش فيها عيشة حميدة مع أنه في بلد فيها السنة والشيعة، فأحسن السلوك مع الجميع ولم يشتك أحد منه بشيء.

وفي سنة ١٣٩٠هـ نقل إلى هيئة التمييز في الرياض، فكان من أبرز الأعضاء، ونفعه الله بحفظه متن الزاد، فإذا بحثوا في مسألة فإذا هو يستحضر نصها من المتن فتحصل القناعة بكلامه.

في سنة ١٤٠١هـ نقل إلى مجلس القضاء الأعلى، وتم تعيينه في هيئة كبار العلماء سنة ١٣٩١هـ. وشارك في برنامج «نور على الدرب»، وأخيراً أحيل على التقاعد لطلبه وذلك في سنة ١٤٠٩هـ، وتوفي مأسوفاً عليه في تاريخ ١٧/١٢/١٤١٩هـ، وخلف أبناء وبنات بررة لهم قيمتهم في المجتمع وعينوا في وظائف راقية من الدكتوراه فما دون، ولهم سمعة حسنة، نسأل الله أن يجعل فيهم البركة، ورحم الله الشيخ صالحاً ورضي عنه، وجمعنا به في جنات النعيم، إنه جواد كريم.

وصلّى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

حفظه للقرآن الكريم وكثير من المتون كان زاد مسيره

- معالي الشيخ الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي - (*)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، أما بعد :

فقد طلب مني الأخ الدكتور طارق بن محمد بن عبدالله الخويطر أن أكتب بعض ذكرياتي وانطباعاتي عن العلامة الشيخ صالح بن علي بن فهد ابن غصون - رحمه الله - ، وتسجيل ما لمستته فيه من مواهب علمية وأخلاق فاضلة وجهود دائبة ، لنشر العلم والدعوة إلى الله ، فأقول وبالله التوفيق :

لقد كان الشيخ صالح - رحمه الله - من أبرز العلماء الذين رُزئت بهم الأمة الإسلامية في السنوات الأخيرة ، من أمثال سماحة العلامة شيخنا عبدالعزيز بن عبدالله بن باز - رحمه الله - والعلامة الشيخ محمد بن صالح ابن عثيمين - رحمه الله - وغيرهما من علماء الأمة ، الذين انتقلوا إلى الدار الآخرة ، وتركوا برحيلهم فراغاً كبيراً في مجال العلم ، والعمل ، والفقه ، والدعوة إلى الله . وصدق رسول الله ﷺ إذ قال فيما أخرجه البخاري من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً ، فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا» .

وبلد الشيخ - رحمه الله - مدينة الرس ، إحدى مدن القصيم .

أما نسبه فهو أحد أعلام قبيلة آل حميدان من الوهبة أحد بطون بني تميم .

لقد كان الشيخ - رحمه الله - عصامياً جلدأ ، صبر وثابر ، وجد واجتهد منذ صغره .

ولد - رحمه الله - في مدينة الرس عام ١٣٤١ هـ ولم يبلغ الثالثة عشرة من عمره

حتى أصيب بفقد والده ، وبعد ذلك بستين أصيب بمرض أفقده بصره ، وهي عوامل قد تؤثر في قاصري الهمة ، لكنه - رحمه الله - لم تؤثر عليه تلك المصائب ، شأنه (*) الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي .

شأن المؤمنين الصابرين ، وقد قامت أمه الفاضلة بتربيته أحسن تربية ، وغرست فيه حب العلم النافع والعمل الصالح منذ نعومة أظفاره ، فاتجه إلى التعلم والدراسة ، ولازم مجالس شيوخنا سماحة العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - مفتي المملكة العربية السعودية في ذلك الوقت ، فدرس عليه العلوم الشرعية ، كما درس على مشايخ آخرين علم الفرائض وغيرها .

ومما يدل على حبه الشديد للعلم ، وعلى ذكائه وحدة ذهنه ، وقوة ذاكرته ، حفظ القرآن الكريم حفظاً متقناً لا يكاد يخطئ فيه ، بالإضافة إلى حفظ كثير من المتون العلمية في التوحيد ، والفقه ، واللغة العربية ، وغيرها ، مثل : زاد المستقنع ، والعقيدة الواسطية ، والعقيدة الحموية ، وكتاب التوحيد ، والأصول الثلاثة ، والقواعد الأربع ، وكشف الشبهات ، وعمدة الأحكام ، ومتن الرحبية في الفرائض ، وقطر الندى ، وكتب أخرى عديدة .

فكان هذا الكنز الثمين الذي استودعه الشيخ - رحمه الله - صدره هو زاد مسيره ، والمعين الصافي الذي كان ينهل منه - رحمه الله - ويصدر كلما احتاج إليه ؛ بعدما كبر وكثرت أعماله ، سواء منها الرسمية أو العلمية أو الدعوية ، وهو الذي أهله لتولي مسؤوليات جسيمة ، فقد عين قاضياً في سدير عام ١٣٦٨ هـ ، ثم في شقراء وكان فيها يزاوِل إضافة إلى القضاء تدريس الفقه في المعهد العلمي بأسلوب متميز ومؤثر في طلابه ، ودون أدنى مقابل مادي ، بل احتساباً لوجه الله ورغبة في نشر العلم ، ثم رئيساً للمحاكم في الأحساء ، ثم قاضياً في محكمة التمييز في الرياض ، إلى أن عُيِّن عضواً في مجلس القضاء الأعلى عام ١٤٠١ هـ حتى ١٤٠٩ هـ ، كما كان عضواً في هيئة كبار العلماء منذ إنشائها عام ١٣٩١ هـ حتى نهاية عام ١٤١٣ هـ ، حيث سافر إلى الخارج للعلاج ، وبعد العودة من رحلته العلاجية أثر الابتعاد عن العمل الرسمي .

وكانت للشيخ - رحمه الله - إسهامات فعّالة في مجال الإفتاء والدعوة من خلال الإذاعة عبر برنامج (نور على الدرب) ، وقد ظل يسهم فيه حتى وفاته - رحمه الله - عام ١٤١٩ هـ ، بالإضافة إلى الإفتاء من خلال هاتف العمل وهاتف المنزل الذي لا يكاد يتوقف .

كان - رحمه الله - من المتابعين لنشر كتب السلف في مختلف العلوم، والمشجعين عليها، وأذكر حينما كنت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ما إن نطبع كتاباً ويصل إليه، أو يعلم عنه إلا ويتصل أو يكتب شاكراً ومشجعاً وفرحاً، ولا يخفى ما لذلك من حفز الهمم، بل إن سؤاله المباشر بعد التحية، سواءً وجهاً لوجه أو عبر الهاتف عما طبعنا من كتب، مثنياً على جهود الجامعة، ومن بعدها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وأحياناً يقترح علينا تحقيق كتاب أو إعادة طبعه لما له من أهمية.

لقد كانت لي صلة بفضيلته متواصلة من خلال التزاور واللقاءات في مختلف المناسبات، وأذكر لقاء به تكرر في زمن متقارب، ذلكم حينما كان - رحمه الله - في رحلته العلاجية في بتسبرج في أمريكا عام ١٤١٣ هـ، وكنت مرافقاً لوالدي - رحمه الله - للعلاج في نفس المدينة، فأتيت لي فرصة الجلوس مع فضيلته والحديث معه، فوجدته عالي الهمة، كريم النفس، حريصاً على تفقد من كان من السعوديين في ذلك المستشفى الذي كان يراجع فيه، وعددهم ليس بالقليل.

متواضع إلى حد أنه يتفقدهم بنفسه، ويقدم لهم ما يستطيع من خدمة وموانسة، وأحياناً الأكلات السعودية الشعبية التي لا يتمكن غالبهم من الحصول عليها.

والحق أنني ألفت الرجل غزير العلم، عميق الفقه، سديد الرأي، واسع النظر، ذا معرفة بمصالح الأمة واحتياجاتها، مع الجود والكرم، وحسن الطلعة، وطلاقة الوجه، والمبادرة لقضاء حاجات ذوي الحاجات، وإسعافهم بما يستطيع تارة، وبالشفاة لهم ومكاتبة المسؤولين وأهل الخير فيما كان يقتضي ذلك تارة أخرى.

وكان شديد الحرص على القراءة، ومراجعة العلم، واقتناء كتبه مع الملازمة لقراءة القرآن، والمحافظة على السنن، والنوافل، وأعمال الخير، والحرص على نشر العلم بالقاء الدروس على طلابه.

وما أصدق قول الحسن البصري - رحمه الله -: موت العالم ثلثة في الإسلام، لا يسدها شيء ما اطرده الليل والنهار.

ومما يميز به فضيلة الشيخ صالح ، محبة الناس له ، وتعلق أهل البلاد التي عمل فيها به ، واستمرار علاقته بزملائه حتى بعد تركه العمل ، ففي مجلسه الذي يعقده أسبوعياً يُرى أفواج كثيرة من الناس من مختلف المشارب والمناهل ، وهو يحدث كل فرد ، ويلطفه ، ويسأله عن أحواله .

ومما يمتاز به وفاءه النادر مع من ارتبط معهم بأي رباط . كما يمتاز بالمداعبة اللطيفة ، والنكتة الهادفة ، وحسن التصرف في مختلف المواقف .

رحم الله الشيخ صالحاً ، وأسكنه فسيح جناته ، ووفق أولاده لمواصلة السير على خطاه في العمل الصالح والتعلم والتعليم والتفقه في دين الله ، ونشره والدعوة إليه .
وصلّى الله وسلّم على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ،
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

عُرف - رحمه الله - بحبه للكتب والحرص على إنهاء عمل كل يوم في وقته

- معالي الشيخ عبدالمحسن بن عبدالله الخيال - (*)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فبعدما كلفت بالعمل في السلك القضائي ولم تجد محاولات الاعتذار شيئاً، باشرت عملي بتاريخ ١٣٨٣/٥/١ هـ بالمحكمة الكبرى بالأحساء برئاسة سماحة الشيخ صالح بن علي بن غصون، الذي وجدت من سماحته ومن اللحظة الأولى التشجيع والتوجيه. وقد سبق لي أن اكتسبت بعض الخبرة والإلمام بأعمال المحاكم، نتيجة حضوري لبعض جلسات المحاكمة لدى سماحة والدي وشيخي الشيخ محمد ابن عبدالمحسن الخيال رئيس محاكم الأحساء الأسبق - رحمه الله -، الأمر الذي جعل سماحة الشيخ صالح بن غصون يكلفني باستلام مكتب قضائي ومباشرة النظر في الدعاوى والقضاء بين المتخاصمين في ١٣٨٣/٧/١ هـ. وكان سماحته خير مرشد وموجه في كل ما يعرض لي ولغيري من الزملاء من مشكلات.

وكان يحرص على البحث ومعرفة كلام أهل العلم في المسألة أولاً في كتب مذهب الإمام أحمد - رحمه الله -، ثم في أمهات كتب المذهب الحنفي والمالكي والشافعي، وأحياناً يمتد البحث إلى كتب التفسير والحديث، وذلك في مكتبته العامرة بالكتب القيمة. وكان - رحمه الله - محباً لكتب السلف وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وأئمة الدعوة - رحمهم الله -.

وكان لا يذكر له كتاب من الكتب المفيدة، إلا وحرص على الحصول عليه واقتنائه وقراءته عليه. وكان يحضر إلى مكتبه بالمحكمة أول الدوام حيث يستقبل أرباب القضايا والمراجعين والمستفتين، ويحرص كل الحرص على إنهاء عمل كل يوم في وقته، ولا يؤخر عمل اليوم لغد إلا إذا كانت القضية تقتضي التأجيل لإحضار بينة.

وكان قوياً في موضع القوة، كريماً سخياً مع ضيوفه ومن يقصده، وكان يتمتع بذكاء حاد، وقوة ذاكرة، وسرعة بديهة وفطنة، وكانت له منزلة ومكانة لدى المسؤولين، ومنه صاحب السمو أمير المنطقة الشرقية الأمير سعود بن عبدالله بن جلوي، وصاحب السمو أمير الأحساء الأمير عبدالمحسن بن عبدالله بن جلوي، كما هي عاداتهما - رحمهما الله - مع العلماء ورجال القضاء، وكنت وسماحة مساعده عضو مجلس القضاء الأعلى حالياً الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن رشيد من الملازمين للحضور لديه بمنزله وقت جلوسه، وبعد انتقاله إلى الرياض، أولاً بمحكمة التمييز ثم بمجلس القضاء الأعلى، كنت مواصلاً لزيارته حيث لا يخلو مجلسه من طلبة يدرسون أو سائل يسأل، وهاتفه لا يكف عن المستفتين. ومهما كتبت فلن أوفي سماحته حقه، رحم الله سماحته، وأسكنه فسيح جناته، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

أحدث - رحمه الله- تجديدأ في أسلوب الخطبة وكان معروفاً بالفراسة والنباهة

- فضيلة الشيخ عبدالمحسن بن محمد البنيان-

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه
أجمعين وبعد :

فإن العلم الشرعي هو أفضل العلوم وأشرفها، لأن به حياة القلوب، والدعوة إلى
الله، وتبصير الناس بأمور دينهم ودنياهم، والحكم بينهم بما شرع الله وشرع رسوله
ﷺ، وحملة العلم الشرعي العاملين به والداعين إليه هم أفضل العلماء وهم ورثة
الأنبياء، وإن إكرامهم وتقديرهم وذكر مآثرهم وآثارهم من إجلال الله، فعن أبي
موسى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «إن من إجلال الله تعالى إكرام
ذي الشبيبة المسلم، وحامل القرآن غير المغالي فيه والجافي عنه، وإكرام
ذي السلطان المقسط» حديث حسن رواه أبو داود .

ولما هاتفني الأخ الكريم الشيخ طارق بن محمد الخويطر، وأفادني بأنه يعد كتاباً عن
شيخنا صاحب الفضيلة الشيخ صالح بن علي بن فهد بن غصون عضو هيئة كبار
العلماء وعضو مجلس القضاء الأعلى - طيب الله ثراه ونور ضريحه وأسبغ عليه وابل
مغفرته ورضوانه -، وعرض علي الشيخ طارق أن أسهم بكلمة وفاء وتقدير لشيخنا -
رحمه الله - لأنني من تلامذته، وقد عملت تحت رئاسته إبان عمله رئيساً لمحاكم
الأحساء، رأيتها فرصة طيبة أن أعبر فيها عن مشاعري نحو شيخي وأستاذي، فأقول
وبالله التوفيق : بدأت معرفتي بالشيخ - رحمه الله - أول ما قدم إلى الأحساء وتولى
رئاسة محاكمها عام ١٣٨٢هـ، وكنت طالباً حينذاك في كلية الشريعة بالرياض، وكان
يؤم المصلين في صلاة الجمعة، ويخطب في جامع الشيوخ الواقع قبالة قصر الإمارة
بمدينة الهفوف، فكنت أذهب أنا وأخي سعد للصلاة معه وسماع خطبته والاستفادة
من علمه، حيث إنه أحدث تجديدأ في أسلوب الخطبة، حيث خرج بها عن المؤلف
السائد من ترديد الخطب المكررة والمحرورة والتي درج عليها الخطباء حينذاك، فكان -

رحمه الله - يعالج قضايا المجتمع ويبحث المشاكل التي تواجه الناس ، ويضع الحلول المناسبة لها من كتاب الله وسنة رسوله وإجماع سلف الأمة . فكان يعيش مع الناس في واقعهم ويخاطبهم بما يفهمون ، فكان الجامع يكتظ بالمصلين الذين يتوافدون عليه من جوانب مدينة الهفوف . وبعد الفراغ من الصلاة كان بعضهم يستوقفه ليستوضح عن مسألة أو يستفتيه أو يستشير ، فكان - رحمه الله - يرد بما يشفي ويكفي .

وبعد تخرجي من كلية الشريعة بالرياض في العام الدراسي ١٣٨٣ - ١٣٨٤ هـ ، عملت مدرساً بالأحساء لمدة عامين دراسيين ، وفي آخر العام الدراسي الثاني هاتفني الشيخ - رحمه الله - وطلب مني أن أحضر لمقابلته ، فلما تشرفت بمقابلته والسلام عليه ، عرض علي العمل لديه في رئاسة محاكم الأحساء في وظيفة جديدة أحدثت تلك السنة وهي وظيفة سكرتير لفضيلته ، فقلت له سأستخير الله ثم أستشير والدي . وبعد الاستشارة والاستشارة عدت إلى فضيلته موافقاً على عرضه . فانتقلت للعمل سكرتيراً ، فلما عايشته عن كثب بهرتني شخصيته وأعجبت به ، حيث كان - رحمه الله - صارماً شديداً في الحق ، يكره النفاق والتلون ، ذكياً لماحاً حريصاً على إنجاز عمله ، وكان يحب أهل الخير والصلاح ويكرمهم ، وينزل الناس منازلهم . ذا عفة وأمانة ونزاهة ، يزور ويزار وكانت له جلسة عامة يومية في بيته لا يمنع منها أحد وجلسة خاصة للمشايخ وطلبة العلم ، وكان يُقرأ عليه فيها عدة كتب ويقوم - رحمه الله - بالشرح والتعليق وإيضاح المعاني الغامضة للحاضرين . وكان يعجب بكتاب المغني في الفقه ويمتدحه ويثني عليه ، وكان كل يوم إذا وصل إلى المحكمة جلس في المكتب الخاص ، وحضر لديه أصحاب الفضيلة القضاة من رئاسة المحاكم ، وأحياناً يحضر بعض القضاة من المحاكم التابعة لرئاسة المحاكم ، فيعرضون عليه ما لديهم ، ويستشيرونه في بعض العضلات ، فيرشدهم ويزودهم بتوجيهاته ونصائحه ، وإذا انصرفوا عرضتُ عليه ما لدي من معاملات وأوراق ، فيوجه عليها بما يرى . ثم يذهب للمجلس العام ويأذن للمراجعين ، وإذا فرغ من سماع ما لديهم دخل الخصوم حسب تسلسل مواعيدهم وجلساتهم . وبعد صلاة الظهر يأذن للمراجعين بالدخول ، ثم ينظر ما تبقى من جلسات الخصوم ، وإذا أخبر أن في المراجعين مريضاً

أو ضعيفاً أعطاه أولوية، ورفق به وأوصى بإنجاز مهمته وعدم تعطيله. وكان - رحمه الله - يهتم بمصالح المنطقة ومعاونة الناس، فكثيراً ما كان يتصل بالمسؤولين في المنطقة وخارجها لمناقشة بعض المصالح واقتراح الحلول المناسبة لها. وقد نفع الله بجهوده في أمور كثيرة، وكان لا يبخل بالشفاعة الحسنة، فيبذلها لطالبها، إذا كانت في تفريج كربة أو علاج مريض أو نصر مظلوم، أو الحصول على دراسة أو عمل، وكان وفيّاً لشيخه وأستاذه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي عام المملكة ورئيس القضاة حينذاك، فكان يجله ويدعو له دائماً، ولما مرض تأثر لمرضه، وكان يسأل عنه بالهاتف يومياً، فلما جاءه نبأ وفاته وكان في المكتب الخاص وأنا معه أقرأ عليه بعض المعاملات، حزن حزناً شديداً واسترجع وبكى وسكب دموعاً غزيراً، وأخذ يدعو لشيخه، ويسأل الله له المغفرة والرحمة والجزاء الأوفى.

وكان إذا أراد إعداد قرار أو تحرير صك يملي على الكاتب وهو واقف، لشدة اهتمامه بما يصدر منه، ويستوقف الكاتب عدداً من المرات ويطلب منه أن يقرأ عليه ما كتب، وإذا فرغ من الإملاء طلب من الكاتب أن يعيد عليه قراءة الموضوع كاملاً وربما أضاف أو حذف.

وما يسجل في صفحة نزهاته - رحمه الله -، أنه بعد قدومه للأحساء بشهور حضر لديه رجل يدير مؤسسة مالية كبرى حينذاك، ودفع للشيخ مبلغاً من المال، وقال له: هذه يا شيخ زكاة أرغب أن توزعها على الفقراء والمحتاجين بمعرفتك. ولم يكن الرجل من مواليد الأحساء، وإنما قدمها لإدارة تلك المؤسسة، فقال له الشيخ: كم لك في هذه البلدة؟ قال: عشرين سنة، قال الشيخ: وأنا كم لي منذ قدمتها؟ قال: ثلاثة أو أربعة أشهر. قال: وهل سأكون أعرف منك بالفقراء والمحتاجين! خذ نقودك ووزعها بمعرفتك. وذلك أن الشيخ استشف سوء نية الرجل وما يخطط له، فأفسد عليه خطته.

وما يسجل في صفحة نباهته وفراسته - رحمه الله - أنه حضر لديه شاهد يشهد في قضية عقارية قد تقادم عليها الزمن، فقال الشيخ للشاهد: كم عمرك؟ فأراد الشاهد أن يثبت صدقه في شهادة على شيء قد عفى عليه الزمن، فقال: مائة ريال، وكان

قصده أن يقول : مائة عام ، عند ذلك نهره الشيخ واشتد عليه ، فاعترف بأنه قبض مائة ريال ليحضر للشهادة ، فألقى الشيخ شهادته وأمره بالانصراف .

كان - رحمه الله - يزور المعهد العلمي كل عام ، ويلتقي بالأساتذة والطلاب ويلقي عليهم محاضرات قيمة وكلمات توجيهية . وقد رافقت فضيلته في بعض تلك الزيارات ، وكان يحث الطلاب على الجد والاجتهاد وإخلاص النية في طلب العلم ، وكثرة القراءة والبحث ، واحترام الأساتذة والمشايخ وإدارة المعهد ، وكذلك احترام آلة العلم من كتاب ودفتري وقلم ، كما يحثهم على بر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والتعاون فيما بينهم . وكان لتوجيهاته وكلماته أثر طيب في نفوس الطلاب .

وفي عام ١٣٩٠ هـ أشيع بأن في الأحساء مرض الكوليرا ، فقامت الجهات المعنية باتخاذ الإجراءات الصحية اللازمة من مكافحة وتوعية وحجر على الداخل للبلد والخارج منها ، فكان لفضيلة الشيخ - رحمه الله - دور عظيم في الإرشاد والتوجيهات ، وقد أشار على المسئولين حينذاك بمنع ما يسمى بالقرقيعان وهي عادة معروفة في الأحساء منذ عقود من الزمن ، وهي عبارة عن قيام أطفال البلد من بنات وبنين بالتجول على البيوت في اليوم الرابع عشر من رمضان ، ويجمعون الحبوب والمكسرات التي يقدمها لهم أصحاب البيوت ، وحيث إن تلك الحبوب أكثرها يؤكل مباشرة ويتعرض للتلوث من الجو ومن ذرات الغبار ومن أيدي الباعة ومن أيدي أصحاب البيوت التي تقوم بتوزيعها ، وبما أنها عادة انتقلت إلى البلد من غير المسلمين في الخليج إبان الغزو الأجنبي ، وحيث إن الأحساء تمر في ذلك العام بأزمة صحية ، فقد أشار - رحمه الله - بإبطال هذه العادة ومنعها . فعلاً قبل المسؤولون هذه الإشادة ومنعوا بيع الحبوب وتداولها تلك السنة ، وأبطلوا تلك العادة فكانت حسنة من حسنات الشيخ - رحمه الله - .

وبنهاية دوام يوم ٢٤ / ٤ / ١٣٩٠ هـ غادر الشيخ - رحمه الله - المحكمة بعد أن أدى أمانته وسلم عهده خلفه فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن رشيد ، حيث صدر قرار بنقله إلى محكمة التمييز بالرياض ، وقد أسف على نقله محبوبه وعارفو فضله وأهل الخير والصلاح من أهل الأحساء . وبعد نقل الشيخ بالرياض ظلت صلتى به

قائمة حيث كنت أزوره بين آونة وأخرى سواء في مكتبه أو في منزله، وكنت أجد منه كل مودة ومحبة وإكرام. وقد مرت بي بعد ذلك أزمت وشدائد، فوقف إلى جانبي - رحمه الله - ولم يتخل عني، وناصرني حتى كشف الله تلك الكربات، وفرج الله تلك الشدائد. ولما عينت مديراً لمركز الدعوة والإرشاد بالأحساء زرته - رحمه الله - في منزله وأخبرته بذلك فدعاني وزودني بنصائح حكيمة، وتوجيهات قيمة، كان لها أثر عظيم في نجاحي في عملي. وبعد ثلاثة أشهر من استلامي لإدارة ذلك المركز أملت بي مشكلة فشخصت إلى الرياض لحلها. فذهبت إلى مكتبه للسلام عليه واستشارته وتلمس حل لتلك المشكلة من لدن فضيلته، فوجدت مكتبه مقفلاً، فسألت سكرتيره، فأفادني بأن والدته الشيخ قد توفيت ذلك اليوم وأنه جالس في المنزل لتقبل العزاء، فصليت معه العصر في المسجد القريب من منزله، وسلمت عليه وعزيت وصحبته إلى المنزل. فسألني عن عملي وأحوالي، فاستشف - رحمه الله - بفراسته أن لدي مشكلة، فطلب مني عرضها عليه والتحدث معه فيها، فأبيت بحجة أن الوقت غير مناسب فقال لي بالحرف الواحد: إن الوالدة استنفدت عمرها وانتقلت إلى رحمة الله الواسعة، وسندعو لها، ولا بد أن تحدثني في مشكلتك. وإلحاحه - رحمه الله - حدثته فوعدني خيراً، ولم يأت صباح الغد حتى انحلت تلك المشكلة بفضل الله ثم بفضل مساعي الشيخ الخيرة - رحمه الله - رحمة واسعة.

إنني مهما كتبت ومهما سطرت فلن أوفي الشيخ حقه. ويعلم الله أنني أدعوه بالليل والنهار كما أدعو لوالدي ووالدتي، عملاً بقول رسول الله ﷺ «من صنع إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تستطيعوا مكافأته فادعوا له»، فأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجزيه عني وعن الإسلام والمسلمين الجزاء الأوفى، وأن يحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وأن يجعله من ورثة جنة النعيم، إنه جواد كريم سميع مجيب، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه.

كان - رحمه الله - محباً للعلم مكباً عليه إلى آخر حياته

- معالي الشيخ علي بن سليمان الرومي - (*)

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وصحبه . أما بعد :

فهذه ترجمة مختصرة لشيخنا صاحب الفضيلة الشيخ العلامة صالح بن علي بن غصون - رحمه الله - .

مولده ونشأته:

ولد فضيلته بمدينة الرس سنة ١٣٤١ هـ ، ونشأ في كنف والديه ، وكانا من أهل الصلاح والاستقامة ، فنشأ نشأة صالحة ، ولما بلغ الثالثة عشرة فقد والده ، وبعد ذلك بستين فقد بصره .

وفي سنة ١٣٥٨ هـ قدم إلى الرياض لتحصيل العلم على يد المشايخ والعلماء فيها ، وكان قد أتم حفظ القرآن قبل ذلك .

شيوخه وطلبه للعلم:

في الرياض لازم الشيخ عالمين جليلين من كبار علماء البلاد وهما :

١- سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ - رحمه الله - لازمه قرابة عشر سنوات (١٣٥٨-١٣٦٨ هـ) ، وكانت دروس سماحته في جميع العلوم النافعة .

٢- سماحة الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ - رحمه الله - ، أخذ عنه علم الفرائض .

وكانت للشيخ صالح علاقة واتصالٌ بعدد من العلماء الذين عاصروهم ، كالشيخ ابن مانع ، والشيخ ابن سعدي ، والشيخ ابن قاسم ، والشيخ ابن حميد ، والشيخ ابن باز ، وغيرهم ، - رحمهم الله جميعاً - .

(*) عضو محكمة التمييز بالرياض سابقاً .

وقد حفظ الشيخ - رحمه الله - عدداً من المتون العلمية، فكان - رحمه الله - يحفظ «ثلاثة الأصول» و«شروط الصلاة» «القواعد الأربع» و«كتاب التوحيد» مع مسائله و«كشف الشبهات» وهذه كلها للإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -، وكان يحفظ أيضاً «عمدة الحديث» وأكثر «بلوغ المرام» و«العقيدة الواسطية» و«العقيدة الحموية» ومتن «زاد المستقنع»، بالإضافة إلى «الرحبية» و«الآجرومية» و«قطر الندى» وكثيراً من ألفية ابن مالك.

أعماله ووظائفه:

بدأ شيخنا من أول حياته العلمية في خدمة الإسلام والمسلمين، فقد تولى إمامة مسجد العيسى في الرياض غربي مقبرة، وذلك أثناء دراسته على الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله -.

وفي سنة ١٣٦٨هـ عين قاضياً في سدير، وبقي فيها أربع سنوات. ثم في سنة ١٣٧٢هـ انتقل إلى شقراء، واستمر فيها تسع سنوات، وقد قام في هذه الأثناء إضافة إلى القضاء بالتدريس في المعهد العلمي لمادتي التوحيد والفقه، وذلك في سنة ١٣٧٤هـ.

وفي سنة ١٣٨١هـ انتقل إلى رئاسة محاكم الأحساء، وبقي فيها إلى سنة ١٣٩٠هـ حيث نقل إلى هيئة التمييز بالرياض، واستمر فيها عشر سنوات.

وفي عام ١٣٩١هـ عين فضيلته عضواً بهيئة كبار العلماء، وكان - رحمه الله - عضواً بالمجلس الأعلى للقضاء.

وفي عام ١٤٠٩هـ طلب إحالته للتقاعد لظروفه الصحية واستمر في هيئة كبار العلماء حتى سنة ١٤١٣هـ.

وبالإضافة إلى الأعمال النظامية السابقة كان - رحمه الله - يباشر - متطوعاً - الإمامة والخطابة والتدريس في المساجد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإفتاء، واستمر يجيب على الأسئلة في برنامج «نور على الدرب» من سنة ١٣٩١هـ إلى أن توفي - رحمه الله - وكتب الشيخ بعض البحوث في المسائل التي كانت له فيها وجهة

نظر مخالفة للأكثرية من هيئة كبار العلماء كمسألة قتل الغيلة وبعض مسائل الطلاق .

صفاته وأخلاقه:

لقد جمع شيخنا - رحمه الله - الكثير من الصفات الحميدة والأخلاق الكريمة ، فقد كان - رحمه الله - محباً للعلم ومكباً عليه إلى آخر حياته ، بل في آخر حياته ازداد اشتغاله بالعلم وتفرغه له ، وأصبح لا يحب كثيراً من المكالمات الهاتفية التي تضيع الوقت ، وكان أولاده - ذكور وإناث - يتعاقبون القراءة عليه في شتى أنواع العلوم النافعة ، وإذا لم يوجد أحد منهم - وذلك نادراً - قرأ عليه السائق ، بل حتى في أيام مرضه عندما سافر إلى الخارج كان يُقرأ عليه وهو في المستشفى ، فكان - رحمه الله - لا يضيع شيئاً من وقته .

ومما اتصف به - رحمه الله - عدم التكلف عند الكلام في المسائل العلمية ، فكان يجيب على ما يطرح عليه من الأسئلة سواء على الهاتف أو من خلال برنامج «نور على الدرب» بعبارة واضحة لا غموض فيها ولا إشكال ، يفهمها الجميع ، ولهذا كان - رحمه الله - محبوباً لدى الجميع حتى عند عامة الناس .

وكان - رحمه الله - حكيماً في إصدار أحكامه ، ذا نظر بعيد في عواقب الأمور وتوابعها .

وقد جمع - رحمه الله - مع سعة العلم والاطلاع حسن الخلق ، فكان متواضعاً كريماً جواداً زاهداً ، أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، باذلاً النصيحة لعموم المسلمين ، ساعياً في كل خير ملازماً للذكر والعبادة .

ومن تواضعه - رحمه الله - أنه كان يقبل الفائدة من كل شخص يأتيه بها ولو كان صغيراً في السن .

ومن صفاته البارزة أيضاً الصبر والاحتساب ، فقد صبر واحتسب في تلقيه للعلم ، وكذلك في تنقله وتغربه عن بلده ، وكذلك عندما أصابه المرض كان - رحمه الله - صابراً محتسباً .

صلتي بالشيخ:

لقد عرفت الشيخ - رحمه الله - منذ أكثر من خمسين عاماً، وكانت علاقتي معه قوية جداً، فقلّ أن يمضي يومٌ دون أن يكون بيننا اتصال، حتى في حال السفر. ولقد استفدت منه كثيراً في شتى العلوم، وكان - رحمه الله - كما أسلفت كريماً جداً يبذل العلم والمال في وجوه الخير، فكان إذا وقف على مسألة من العلم يجب أن يفيد بها كل أحد، وإذا وقف على كتاب من الكتب النافعة أحب أن يطلع عليه كل إنسان.

ومن الفوائد التي أفادني بها أنه قال لي مرة: أتدري عند أي آية ذكر المفسرون مسألة الرجوع بعد الإقرار والاعتراف؟ فذكرت له آيات، فقال: لا، ولكنها في الجزء التاسع والعشرين. فذكرت له آية، فقال: لا، ولكنها في سورة القيامة. ثم ذكر قوله تعالى: ﴿ولو ألقى معاذيره﴾.

ومن الفوائد التي أخذتها عنه أيضاً: قول ابن عبد القوي:

وما الشك من بعد الفراغ مؤثرٌ يقاس على هذا جميع التعبد

وهي قاعدة مهمة ومفيدة جداً.

وغير ذلك من الفوائد كثير وكثير جداً.

ومن كرمه يبذل المال والجاء أن غالب كتب مكتبتي وصلتني من طريقه، فبعضها من إهدائه إلي، وبعضها توسط في إحضاره إلي، جزاه الله عني وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

وفاته:

في مساء يوم السبت ١٧ ذي الحجة ١٤١٩ هـ توفي فضيلته، وصلي عليه عصر الأحد في جامع الراجحي بمدينة الرياض، وحضر للصلاة عليه عدد من لا يحصون كثرة، حتى صلى الناس بالشوارع وأمام الإمام، ولا أعهد أنني شاهدت جنازة حضرها مثل ذلك العدد، ويتقدم الحضور سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه

الله - وسمو الأمير سلمان وبعض أولاده - وفقهم الله - ودفن شيخنا في مقبرة
النسيم ، وأسأل الله الكريم الرحيم بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن يغفر له ،
ويتغمده برحمته الواسعة ، وينور عليه قبره ، ويسكنه فسيح جناته آمين .
وصلی الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

عرفته - رحمه الله - في دماثة الخلق ولين الجانب وغيرة العلم

- معالي الشيخ غنيم بن مبارك بن غنيم - (*)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد .

فمن المعلوم أن العلماء هم ورثة الأنبياء ، والأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا علماً ينتفع به بعدهم ، والعلماء هم حملة هذا العلم . وكان صاحب الفضيلة العلامة الشيخ صالح بن علي بن غصون - رحمه الله رحمة واسعة - وأسكنه فسيح جناته من ضمن أولئك العلماء الأفذاذ فقد عرفته عن كثب ، وزاملته في مجلس القضاء الأعلى بهيئته العامة والدائمة ، من حين تم نقله من محكمة التمييز إلى أن ألح - رحمه الله - في طلب التقاعد رغبة منه في طلب السلامة مما كان يعرض من قضايا شائكة ، وتفرغاً للعلم والازدياد من الخير .

عرفته - رحمه الله - في دماثة الخلق ، ولين الجانب ، وغيرة العلم ، وحب مراجعة المسائل المنظورة مما نص عليه أهل العلم .

لقد جمع الله له العلم الغزير ، والخلق الرفيع ، والكلمة الطيبة . عرفته عالماً متواضعاً ، متسلحاً بجلال العلم ، وجمال الورع . إذا تكلم نفذ إلى سويداء قلبك وجعلك تصغي إليه ، وترك في نفسك أثراً طيباً ، وما سبب ذلك إلا صدقه وإخلاصه وحبه لقول الحق .

عرفته باذلاً لجهده والسعي فيما ينفع الآخرين . يرضى أمانة الله حق الرعاية ، لسانه رطب بذكر الله ، يدقق في دراسة الأحكام ، ويحاول جهده الوصول إلى إعطاء الحق لصاحبه من غير مداراة ولا وجل ، مراعيّاً وجه الله في ذلك .

عرفته - رحمه الله - لا يفتأ يقرأ المتون التي حفظها عن ظهر قلب ، ومنها كتاب «زاد المستقنع» ، إذا دخلت عليه أحياناً - وكان خالياً من المعاملات - يقرأها من حفظه .

(*) غصو مجلس القضاء الأعلى .

كان طوداً أشم، وعلماً بارزاً آتاه الله سبحانه وتعالى ذكاءً وقادراً وعقلاً راجحاً جعلاه أهلاً لأكبر المناصب القضائية، لحنكته ومكانته الرفيعة ومنزلته المنيفه.

كان شعاره - رحمه الله - الدعاء، وحليته الوقار، وشيمته التواضع.

كان - رحمه الله - يقول لي: لا تعتمد على الذاكرة فيما يعرض من أحكام، فقد تخون الذاكرة، وارجع إلى كلام أهل العلم فهو أسلم وأحكم. فيا لها من وصية عظيمة تقي الإنسان من المزالق.

لقد توفي - رحمه الله - وترك في القلب حزناً ولوعة، لأن موته خسارة ولكنها سنة الله في خلقه ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿[الرحمن: ٢٦ - ٢٧].

كان - رحمه الله - معيناً لا ينضب في أحاديثه وفي توجيهاته في الإذاعة، يدل الناس على الخير، يسألونه فيجيب بجواب يفهمه كل أحد، يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن الشر، ويدلهم إلى طريق الفلاح. لقد انطفأ بموته سراج طالما أضاء للناس دياجير الظلم وغياهبه المدلهمة.

إن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لفراقه لمحزونون، والموت سنة ماضية، وكل شيء منتهى ولكل أجل كتاب، فلله ما أخذ وله ما أعطى.

وأختم كلمتي هذه بأن كل من جالسه - رحمه الله - وقدر له أن يجتمع به، نال كثيراً من الخير، واكتسب كثيراً من الخصال الحميدة من علم نافع، وأخلاق عالية، ووصايا حكيمة، لا تسمع منه إلا خيراً، لا ينطق بفاحش القول، ولا يرضى بغيبة، وهذه أخلاق العلماء. فرحمه الله رحمة واسعة، وأسبغ عليه شأيب الرحمة والرضوان، وبارك في ذريته وجعلهم من عباده الصالحين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فضيلة الشيخ صالح بن غصون كما عرفته

- أ.د. محمد بن أحمد الصالح - (*)

الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه، وصلى الله وسلم على خير من اصطفاه لدينه ورسالته ثم توفاه، وإنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم أجرنا في مصيبتنا، وأبدلنا خيراً منها، وارحم العلماء العاملين . . . وبعد

فقد أجمعت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وأقوال السلف على أن مرجع خيرية الأمة الإسلامية إنما هو لاعتصامها بهدي ربها وسنة نبيها ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال ﷺ: (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي).

وقد أجمع حكماء الأمة بأنه على قدر اعتصام الأمة بهدي ربها وسنة نبيها، تكون عظمتها ومنعتها بين الأمم والشعوب. كما أجمعوا على أن الأمة لا يكون لها هذا الشأن إلا أن يقيض الله لها علماء، يملأ الخوف من الله قلوبهم، حتى لا يدع فيها للخوف من مخلوق مثقال ذرة، وقد كان الشيخ صالح بن علي بن غصون فيما نحسبه كذلك.

ولئن عني الإسلام بأن يكون في الأمة علماء لا يكتمون عن أحد نصائحهم، وعلماء يضعون نصب أعينهم رضا الله، ويهمهم أن يسير أولو الأمر والناس على الاستقامة أمراً بمعروف، ونهياً عن منكر، والتزاماً بشرع الله، فقد كان الشيخ صالح بن غصون كما نحسبه من هؤلاء، الذين لا تأخذهم في الحق لومة لائم، ولا يبالون بأن يقع الأمر والنهي موقع الرضا والقبول أو موقع الكراهة والاعتراض.

ولأن الشيخ صالحاً - رحمه الله - كان لا يبغي بعمله مرضاة أحد غير الله فلقد صدق مع الجميع حكماً ومحكوماً، ومنحهم النصيحة وتعامل معهم بالصدق اعتماداً

(*) عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

على قوله ﷺ « الدين النصيحة » قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: «الله وكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم». ففتحت الأمة - والمملكة العربية السعودية على وجه الخصوص - صدرها لمحبة حكامها، وبذلت لهم الطاعة من جميع أفئدتها؛ لأنهم صاروا في طريق الرشد، وساسوا الناس بالعدل جهد الاستطاعة، ولأن الحق - في مسيرة حياة الشيخ - أحق وأبقى، فإن الشيخ - رحمه الله - لم يؤثر عنه أنه داهن الحكام، أو غمطهم حقهم وكرامتهم، أو هوّن من شأنهم. كما حظيت المملكة العربية السعودية على مدى تاريخها بعلماء عاملين صادقين، زهدوا في زهرة الحياة الدنيا، وقدموا النصيحة لله ولرسوله وللمؤمنين، وتركوا علماً نافعاً وأثراً طيباً وقدوة صالحة، وهم كثر بحمد الله يعرف الناس فضلهم ويقدرهم قدرهم.

لقد حظيت المملكة العربية السعودية بحكام يرتاحون لدعوة العلماء الأمناء ووعظهم ونصحهم، كما فعل الشيخ صالح - رحمه الله -، فكان أن سعدت المملكة بمثل هؤلاء العلماء وهؤلاء الحكام، وارتقى شأنها بين الدول الإسلامية وغيرها على السواء، وقد قيل: صنفان من الناس إن صلحا صلح الناس وإن فسدا فسد الناس وهما العلماء والأمراء.

وبمثل هذه السيرة العطرة التي يتناقلها الناس في المملكة وخارج المملكة عن المرحوم الشيخ صالح بن علي بن غصون، وعن احترام حكام المملكة للعلماء أخذاً بمشورتهم وعملاً بنصحهم ورفعاً لشأنهم... بمثل هذا يرتقي شأن العلم والعلماء، وترتقي دور العلم ومعاهده، وترتقي الأم التي تهيء الوسائل لتطبيق أحكام شريعة الله في أرضه وبين خلقه، ليتم نور الله للأمة ولو كره المشركون.

لأجل هذا وغيره مما لا يمكن تسطيره في هذا المقام تصبح خسارة الأمة فادحة بفقد مثل الشيخ صالح بن غصون - رحمه الله - . فإن العلم كما ورد في الخبر لا يقبض انتزاعاً بل يقبض بقبض العلماء، وإنما يعجل بخيارهم للقاء الله، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ

الحَسَابِ ﴿﴾ ، فنقص الأرض من أطرافها يعني : موت العلماء والصلحاء ، وعلى هذا فالأطراف هم الأشراف .

ولقد كان لنبا وفاة الشيخ الجليل صالح بن علي بن غصون وقع خطير على نفوس كل من عرف ذاك الطود الأشم ، المشهود بخلاله الحميدة ، وصفاته الكريمة ، وما يتمتع به من خلق رفيع ، وعلم عميق ، وفهم دقيق ، وإدراك للأمور ، وقدرة فائقة على حل المعضلات وعلاج المشكلات ، ولقد قال المصطفى ﷺ : « **موت قبيلة أيسر من موت عالم** » ، وما ذاك إلا لأن العلماء هم ورثة الأنبياء ، والأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر ، وقد قال ﷺ : « **فضل العالم على العابد كفضلي على سائرکم** » وقال : « **عالم عامل أشد على الشيطان من ألف عابد** » . ولقد كان شعور الناس بوفاة هذا الشيخ الجليل الحزن والأسى ، كما لو كانوا فقدوا قبيلة لا فرداً ، وكتيبة لا شخصاً . وما ذاك إلا لأن العالم ليس لقومه وحدهم ، وإنما هو تراث المسلمين أجمعين ، علمه ميراثهم ، وفضله تراثهم ، ومناقبه زادهم ، وفقده رزؤهم ، ومن ثم فإن سحابة الحزن بوفاة الشيخ صالح - رحمه الله - لم تكن تعكر سماء بلادنا السعودية وحدها ، وإنما عمت بظلمتها سماء العالم الإسلامي كله بمصره وشامه ويمنه وعراقه ومغاربه ومشاركه .

كان الشيخ - رحمه الله - من سلاطين العلماء ، مشورته راشدة ، وتوجيهاته سديدة ، وتوجيهاته وضاعة ، لا يرضى إلا لله ولا يغضب إلا لله ، فكان بذلك واحداً من عظماء حراس الحنيفية السمحة . كان يحمل زاداً من العلم ، وفيضاً من السماحة ، وبحراً من العدالة .

وأما عن شمائله الذاتية فكان المتسامح المتواضع ، العف اللسان ، الرقيق المنطق ، الكريم اليد على غير يسار ، الغني المائدة على غير ثراء ، المكرم لضييفه ، المؤاكل لصحبه ، العطوف على تلامذته .

فإذا كان العالم قد روع بانتقال الشيخ صالح بن علي الغصون إلى الرفيق

الأعلى، فعزأونا قوله تبارك وتعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مَّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾. كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ فالمرت حق ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾.

ولقد كان فضيلة الشيخ أبو علي كتاباً مفتوحاً واضحاً، يستطيع أن يقول كل منصف عنه كلمة الحق في كل مراحل حياته، طالب علم جاد مخلص، وقاض منصف، وعالمٌ تولى القضاء في سدير وشقراء وفي الأحساء وفي الرياض، ومفت ومرشد وعضو لأمع في هيئة كبار العلماء، مفيد حريص على التيسير ورفع الحرج في البرنامج الشهير (نور على الدرب)، الذي شاع بين الناس، وانتشر في الآفاق، وعمت بركاته وخيراته القاصي والداني، وبلغ في صدقه ونصحه أن يعتقد كل من يلقاه أنه يخصه بالتوجيه ويمحضه بالنصح، وأحسبه والله حسيبه أن يصدق فيه قول الله تعالى ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾.

لقد كنت معه في زيارات كثيرة، واتصالات هاتفية عديدة، أحصل منه على معرفة قضايا علمية، ومسائل فقهية دقيقة، ويعرفني بالكثير من المصادر العلمية النفيسة. وأحسب أن هذا لا يتيسر لي وحدي بل يجده كل زواره وقاصديه، فلديه قدرة فائقة على حل المشكلات وعلاج العضلات، ويلمس فيه الجميع الأدب الجم، والخلق الرفيع، والطرفة البديعة.

ولقد كان متألقاً في مجلسه، منيراً مستنيراً، متميزاً بالفطنة، ورجاحة العقل، وحصافة الرأي، وبعد النظر، والقدرة الفائقة على تقدير الأمور. وإذا كنا قد ودعناه في اليوم السابع عشر من شهر ذي الحجة من عام تسع عشرة وأربع مائة وألف من هجرة المصطفى ﷺ، بعد معاناة مع المرض كان خلالها صابراً شاكراً، متهللاً مستبشراً بكل زواره، متلطفاً معهم محادثاً مستفسراً عن أحوالهم، مستعرضاً مع بعضهم

مسائل فقهية ، وقضايا علمية ، وإصدارات حديثة . فرحمه الله رحمة واسعة .

ولقد كان يوم تشييعه يوماً مشهوداً يذكر برحيل أئمة أعلام الذين صبروا وصابروا وجاهدوا في الله حق جهاده ، أمثال الإمام أحمد بن حنبل والإمام شيخ الإسلام أحمد بن تيمية وإمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأئمة من رجال الدعوة إلى الله ، وقد اشترك في التشييع ألوف مؤلفة من العلماء وطلاب العلم من الشباب ومن عامة الناس ، وقد ذرفت في وداعه العيون ، وحزنت لفقده القلوب ، وأخذ الناس يعزي بعضهم بعضاً عند رحيله إلى الدار الآخرة .

نسأل المولى القدير أن يكون مقره جنات عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ، رفع الله قدره ، وأعلى ذكره ، وجعله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

اللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تفتنا بعده ، واجعل الخير والبركة في عقبه ، فهم والحمد لله من خيرة الشباب العاملين ، ومن الصادقين المخلصين فيما نحسبهم ، ثبتنا الله وإياهم على الحق وهدانا جميعاً سواء السبيل ، إنه ولي ذلك والقادر عليه . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الشيخ صالح - رحمه الله - من الذين ينبغي أن يحفظ لهم التاريخ ذكرهم الحسن وآثارهم الحميدة

- فضيلة الشيخ محمد بن حسن الدريعي -

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بهديه إلى يوم الدين. أما بعد :

فلقد سرّني ما سمعته من كتابة شيء عن حياة الشيخ الفاضل : صالح بن علي بن غصون جرياً على عادة من يُعنون بالتاريخ خاصةً، إذا كان من يكتب عنه من العلماء العاملين، والذين لهم باعٌ طويل في مجال نشر العلم الشرعي في المجالات التي أُتيحت لهم فيها الفرصة لذلك، كي يكون ذلك حافظاً لمن يأتي من بعدهم على التأسّي بهم، والدعاء لهم، والذود عنهم، إذا تعرضوا لشيء من الإساءة إليهم ممن يخالفونهم في أمور المعتقد الصحيح والوجهة السليمة، ومن بين هؤلاء العلماء الفضلاء الذين ينبغي أن يحفظ لهم التاريخ ذكرهم الحسن وآثارهم الحميدة، صاحب الفضيلة الشيخ العلامة صالح بن علي بن غصون، الذي كان آخر ممارساته للعمل الوظيفي أنه واحدٌ من أعضاء هيئة كبار العلماء البارزين، بما يمتاز به من فقه في دين الله عز وجل، وفكر نير، وعقل حصيف، وحكمة ظهرت واضحة في جميع ما كان يقوم به من أعمال، سواء كان ذلك في مجال القضاء والفصل بين الناس، أو الدعوة إلى الله عن طريق المنبر في خطب الجمعة، أو التوجيه السليم فيما كان يقوم به من مشاركات في برامج الإذاعة السعودية خاصة في برنامج (نور على الدرب)، الذي كانت شخصيته تظهر بارزة في معالجاته لقضايا المجتمع، التي كانت تطرح عليه وعلى إخوانه من أصحاب الفضيلة العلماء، كما أن هذا الرجل الفاضل المعروف عنه بالإضافة إلى ما مضى دماثة الخلق، وحسن المعاشرة، والنصح لولاة الأمر ولعامّة المسلمين، ولقد عرفته منذ ما يزيد على أربعة وثلاثين عاماً وهو يبذل من وقته وعلمه وماله فيما من شأنه إصلاح ذات البين، ومساعدة المحتاجين، حتى إن جأه مبدول عند من لهم نفوذ لمن يحتاج إلى ذلك، ومهما يكن من أمر فإن الكلام عن هذا الشخص لا تكفيه الصفحات القليلة، ولكن الذي يسرني أن أسجله عن هذا

الإنسان الصالح الذي أحسبه كذلك ولا أزكي على الله أحداً، أن كل من عرفه وعاشه يذكره بخير ويدعو له بالرحمة والمغفرة، ولقد كان لمشهد الصلاة عليه ما يدل على علو مكانته في المجتمع وحب الناس له، فهو نزيه اليد عن الأطماع المادية، ونزيه اللسان عن الحديث فيما لا يعنيه خاصة وأنه لا يتحدث في مجالسه إلا بما ينفع بعيداً عن تناول أحد بما لا يليق، أسأل الله أن يتولانا وإياه وإياكم - أيها المسلمون - برحمته، وأن يسبغ علينا وعليه رضوانه، ويدخل الجميع جنات النعيم، والحمد لله الذي جعل في أمة محمد ﷺ من يبقى ذكره حسناً بين المسلمين.

استطاع الشيخ صالح - رحمه الله - أن يكسب إعجاب الناس وأن يكون حكمه مقنعاً لجميع المتخاصمين

- أ.د / محمد بن سعد بن حسين - (*)

عندما عين فضيلة الشيخ صالح بن علي الغصون قاضياً في سدير كان في الثامنة والعشرين من العمر ، وكان ذلك أول عمل يشغله .

ومع شُح المصادر وتباعد المسافات بين من يمكن استشارته والاستعانة به في حل المشكلات التي كانت تعترض القضاة في تلك الأيام فإن الشيخ صالحاً - رحمه الله - استطاع أن يكون قاضياً ناجحاً .

استطاع في فترة وجيزة أن يكسب إعجاب الناس في تلك الأيام ، وأن يكون حكمه مقنعاً لجميع المتخاصمين . وذلك أنه كان يتعرف على أحوال الناس ، ويستقري مشكلاتهم من طريق التعرف على أحوالهم أولاً ، ثم جمع ما يمكن جمعه من الوثائق والمستندات ودراستها للاستفادة منها في فهم طبيعة مشكلاتهم وخصوماتهم ، وأسباب المنازعات بينهم ، وأحسبه لو ألف في ذلك مؤلفاً لكان من خير ما يرجع إليه القضاة في عصرنا هذا وما بعده ، ولكنه - رحمه الله - قد صرف كل جهوده في أداء واجبات العمل أخذاً بالحديث الشريف : «رحم الله امرءاً عمل عملاً فأحسنه» .

ولقد حدثني أبي - رحمه الله - عن حكمة الشيخ صالح ، وكنت إذ ذاك في السادسة عشر من العمر ، وكان أبي - رحمه الله - يروي لي كثيراً من الأحاديث عن العلماء ، وكنت أحس في حديثه الفخر والاعتزاز بهم حدثني عنه فقال : إني لم أر قاضياً مثل هذا الرجل . لقد كان يدع كلاً من الخصمين يقول كل ما عنده ثم يستخلص من أقوالهما أسئلة يأخذ في توجيهها إلى كل واحد منهما ، ليستخلص من ذلك كله حقيقة الموقف ، ثم ينتهي في القضية إلى رأي يسلم به الخصمان .

وإذا كانت الخصومة في عقار مثل (الدار أو المزرعة) أو ما يتصل بهما أو نحو ذلك ، فقد يطلب إلى جانب مستندات المتخاصمين ما لدى جيرانهم من مستندات

(*) الأستاذ بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

فيستجيبون له ، وبعد دراسة جميع المستندات يبدأ في توجيه الأسئلة ، وهكذا .

ولأبي - رحمه الله - عن الشيخ صالح أحاديث كثيرة ، وحدثني خالي فقال : كان الشيخ صالح يدع باب مجلسه مفتوحاً ، فإذا أتى الخصوم دخلوا فينبهه خادمه فيأتي فإذا دخل قال : من هنا؟ فيجيبه الخصوم بأسمائهم .

وحين أتيت أنا وعبدالرحمن الرميح ، جلسنا ، فلما دخل الشيخ قال : من هنا ، فقال الرميح : أنا عبدالرحمن الرميح ، فقال الشيخ : أنت «عوشدة»^(١) يا عبدالرحمن ، ثم قال : من معك ، فقلت : أنا سليمان المرشد .

وبعد قليل لم يوفقني الله إذ أردت اغتنام الفرصة ، فقلت : يا شيخ خلصني من هذه «العوشدة» فقال : وأنت فيك حقل أنت «وهطه»^(٢) ، فقلت : «أحسن الله إليك»^(٣) ، جلست عندك أكثر من عشرين مرة ، فهل أتيت في قولي بعوراء ؟ قال : كلا ولكنك صعب المراس ، فقلت لخصمي : أظن الأفضل أن ننصرف ونتصلح ، فقال الشيخ : إن تصالحتم فالصلح خير .

وكان - رحمه الله - يستعمل مثل هذه الكلمات ليقعد بها غلواء المتخاصمين الذين يعرف فيهم كثرة الجدل واللجاجة^(٤) في القول .

ولا يزال أهل سدير يذكرون الشيخ صالحاً بكل خير ، وكان كثيرون منهم يزورونه في الرياض ، وقد لقيت عنده أكثر من واحد .

وحين بلغتهم وفاته - رحمه الله - أتى كثيرون منهم إلى الرياض للصلاة عليه ،

(١) العوشدة - جمع عوشد وهو شجر بري متشعب الأغصان له أشواك كثيرة حادة صلبة ، وله ثمر صغير في حجم حبة الذرة حلو الطعم يؤكل ، وترتفع شجرة العوشد قرابة متر أو تزيد .

(٢) الوهطه - جمعها وهط وهو شجر بري له شوك كثير حاد الرأس معقوفاً ، وينبت في صحراء «ركبة» وما بعدها غرباً من صحراء الحجاز تأكله الإبل بعد تقطيعه وشبه وترتفع شجرته أكثر من متر وهي قليلة التشعب . والوهط والوهيط واديان في الطائف ، لعلهما سميا بذلك لوجود هذا الشجر فيها .

(٣) «أحسن الله إليك» كلمة اعتاد طلاب العلم استعمالها عند إرادة سؤال الشيخ فهي كلمة استئذان أخذها الناس منهم .

(٤) اللجاجة - التماذي في الخصومة .

وصلى الباكون منهم في مساجدهم في سدير عليه صلاة الغائب .

أما أنا فقد كان جلوسي إلى شيخنا - رحمه الله - قليلاً ، ولكنني كنت أستفيد منه كثيراً ، وكنت أعرض عليه بعض المشكلات ، وقد سألته في يوم عن هؤلاء الأئمة الذين إذا أقبل شهر رمضان خلّفوا في مساجدهم غيرهم بأجر أو بدون أجر وذهبوا إلى مكة المكرمة ليقضوا شهر رمضان هناك ، فقال : لا يجوز لهم ذلك لأن الذهاب إلى مكة المكرمة مصلحة فردية ، وإمامتهم في مساجدهم مصلحة جماعية .

على أنهم إن خلّفوا كفاً فلا بأس ، ولكن جميع مرتب الشهر يكون لمن يصلي بالناس ، وليس للإمام المرتب في المسجد حق في راتب هذا الشهر .

وسألته عن هؤلاء الذين يجمعون العصر مع الظهر ، والعشاء مع المغرب في ما قد يرخص فيه في السابق فكان يتخرج في ذلك ، ويرى أن المشقة يختلف مفهومها في هذه الأيام عنها فيما سلف ، وهذا صحيح . وكنت أصغي إليه وهو يصف لنا تلك الصعوبات التي قابلته أول ما ولي القضاء ، وكنت أعرف واقع حال الناس في تلك الأيام ، ولكنني لم أتصور حقيقة قيام تلك الصعوبات أمام القاضي .

ولقد كان الشيخ صالح - رحمه الله - ورعاً متواضعاً ، ماهراً في إنزال الناس منازلهم ، وهذا وصفات أخرى يتمتع بها مما حبه إلى الناس وقربهم منه ، وإن كان هذا يرهقه ويشغل كثيراً من وقته الذي كان فيه حريصاً كل الحرص على تقوية صلته بالكتاب واستمرار هذه الصلة .

ولقد حدثني أحد القضاة الفضلاء في أحد أيام العزاء فقال : «إن الشيخ صالحاً كان يرهق زملاءه في مجلس القضاء الأعلى بالإكثار من الرجوع إلى أمهات الكتب في الفقه والحديث الشريف ، ولم يكن يكتفي ببعضها مع ما عرف به من غزارة علمه ، ووفرة محفوظه ، ودقة استنباطه وفهمه ، وطول ممارسته في القضاء والإفتاء والتدريس» .

وهذه المجالات شغلته عن التأليف .

وبهذه المناسبة أقترح على الدكتور طارق بن محمد الخويطر ، الذي يتصدى الآن

لتأليف كتاب عن الشيخ صالح ، أقترح عليه أن يضيف إلى هذه الخدمة عملاً جليلاً آخر هو جمع فتاوى الشيخ من المسجلات والرسائل ونحوها ، لما في ذلك من خدمة للعلم والعلماء وطلاب العلم ، وما أحسب ذلك يصعب على مثله وهو الذي طال لزومه للشيخ .

وإذا كان مما هو معلوم إمام الشيخ صالح بعلم الشريعة ، فإنه يعد في المقدمين من القضاة الذين يحذقون علوم اللغة العربية لما بين علوم الشريعة وعلوم اللغة من ارتباط وثيق ، بل إن حذق علوم اللغة من شروط الاجتهاد عند العلماء .

وأذكر أنه عندما تفضل - رحمه الله - بقبول دعوتي ليكون لقاء «ندوة النخيل» (١) على شرفه ، وكان الحديث عن اللغة العربية وضرورة صيانتها والحفاظ عليها ، كان - رحمه الله - من أفصح المتحدثين ومن أشدهم إلحاحاً على تعريب العلوم التجريبية وتدريسها في الجامعات باللغة العربية ، وتعريب أسماء المصطلحات من الأدوات والأجهزة والأدوية ونحوها من المبتكرات والمستورذات ، فكان حديثه عطر ذلك المجلس ، وكان موضع إشادة بعض صحفنا كمثّل صحيفة الرياض التي أثنت على أحاديث الشيخ ، وعمق إدراكه الواعي شئون الحياة العامة ، إلى ما له من تمييز في شئون الإسلام ، والتشريع وعلوم اللغة العربية بخاصة .

والحق أن الشيخ - رحمه الله - لم يكن في علمه وثقافته في حاجة إلى من يشيد بشيء من ذلك عنده ، ولكننا نذكر للتاريخ ، ولقضاء شيء من حقه علينا ، وإن كنا نعتز بتقصيرنا ، وعدم قدرتنا على أداء ذلك الواجب ، ومن الذي يقوى على أداء حق أمثاله؟ - رحمه الله ..

ذلك أن العالم من حيث هو قليلاً ما أدى الناس حقه عليهم ، فما بالك بعلماء الإسلام ، ومع ذلك نجد الناس يتحدثون عن سواهم من الناس ، ويؤلفون فيهم

(١) ندوة النخيل - ندوة شهرية أقيمت في منزلي في مساء آخر ثلاثاء من كل شهر ، وسماها الصحفيون بذلك أخذاً من اسم الحي الذي أسكنه في شمالي الرياض . وقد لبى الشيخ صالح - رحمه الله - دعوتي إياه لتكون على شرفه على الرغم من كونه نادر الاستجابة لمثل هذه الدعوات كما أخبرني بذلك الدكتور طارق بن محمد الخويطر . رحم الله الشيخ وجعل في خلفه وفي تلاميذه شيئاً من بركته .

المؤلفات الضخمة المتعددة، وبينهم وبين العلماء من البون مثل ما بين النور والظلام، ولكنها أهواء النفوس، ومؤثرات الحياة المادية، هذه التي تنزل العائشين على هامش الحياة منازل الشرفاء. فאלله المستعان.

إن الشيخ صالحاً، من العلماء الأفذاذ الذين يندر تكرار وجود أمثالهم، وحرى بأن يخلد ذكره وأن يستفاد من آثار علمه، إلى كونه مثل يحتذى في أخلاقه وتصرفاته وأسلوب تعامله، ولا يمكن أن يمد الناس بذلك إلا الكتابة عنه، ولملئة أخباره، وجمع أحاديثه وفتاواه، وذلك من أيسر حقوقه على تلاميذه، وها هو أبرهم ينشط لذلك، أو شيء منه، وأحسبه جديراً بأن يتصدى لذلك كله وأكثر منه.

إن فقيه الأمة الشيخ صالحاً كان من العباقره العصاميين، الذين كونوا أنفسهم بأنفسهم حيث سمت به نفسه عن الاستسلام لعقبات فقد البصر، فكان أن عوضه الله بتفتح البصيرة حتى أدرك ما لم يدركه كثيرون من المبصرين إلى ما رزقه الله من صفات محمودة كالعلم والتواضع والورع والصبر والجلد والإخلاص في خدمة الحق والعلم والعدل والتوجيه والإرشاد.

ويقيني أنني مهما أطلت القول في الحديث عن هذا العالم الجليل فإنني لن أبلغ المدى الذي أحس فيه بأني قد فرغت من الحديث عنه، ولن أحس بأني قد شفيت النفس وقضيت حقه عليّ أولاً ثم على العلم وطلابه، بل وعلى الناس جميعاً لما له من فضل علينا جميعاً؛ ولأنه قضى حياته مجاهداً بعلمه وحكمته فجزاه الله عنا بما يجزي به عباده الصالحين المصلحين معه وألحقه به: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾.

كان الشيخ صالح - رحمه الله - صاحب منهج متميز في القضاء

- معالي الشيخ الدكتور محمد بن سعد الشويعر - (*)

تعين قاضياً في شقراء منتقلاً من قضاء سدير . . وقد مكث في شقراء سنوات عديدة، فكان إماماً للجامع الكبير، وكان مع ذلك مدرساً في المعهد العلمي بعدما فتح في شقراء عام ١٣٧٤ هـ، وفي عمله كان مثلاً للجد وحب الخير للجميع . . وقد كنت صغيراً عندما وصل لشقراء، ثم انتقلت منها ولكن علق بذهني مما قيل عنه ومن شخصيته في البلد الشيء الكثير .

اكتسب في شقراء بأخلاقه - رحمه الله - وبتواضعه مع طلاب العلم وأصحاب الحاجات والمستضعفين من أهل البلد وخارجها . . وبشدته على أصحاب الأهواء والأغراض الخاصة . . اكتسب بذلك المحبة والتقدير . . والثناء الحسن .

كان الشيخ صالح أثناء وجوده في شقراء مع كونه خطيباً للجامع يرشد وينصح، يحرص في كل مناسبة على بناء النصائح في المساجد وغيرها، وكان مهتماً بالتعليم، ولا يقتصر على الدروس التي يلقيها في المعهد . . وفي المسجد أحياناً، بل كان ينظم دروساً بعد صلاة العصر وقبل صلاة العشاء للعامّة . . في بعض كتب الحديث . . ودروساً للخاصة من طلاب العلم الذين يتلقون منه الفقه والفرائض في أوقات أخرى .

وكان له منهج متميز في القضاء، وهو الحرص على المصالحة، وإنهاء القضايا بالطرق الودية، وبعمله هذا يقوم مقام الحكمين بين الزوجين في الخلافات، وهيئة النظر في المنازعات، وفي تقريب وجهات النظر والإقناع، حيث يبذل من نفسه ووقته الشيء الكثير للاتصال والحديث مع الأطراف المتنازعة في القضايا فرداً فرداً، حتى يتقاربوا في وجهات النظر، وإن كان الإصلاح بالمال بذلك جاهه مع ولادة الأمر وغيرهم في تحقيق ذلك .

(*) المستشار بمكتب سماحة المفتي .

وطالما ذهب للبيوت وللقرى ، يصحبه أفراد يختارهم من ذوي الرأي والوجاهة ، وكاتبه ودفتر الضبط ، ليسجل ، ثم التوصل إليه بعد تخويف الأطراف المتنازعة من الله ، ثم تأكيد الموافقة برضاً ، وليس عن طريق الإكراه والمجاملة ، وهذا من ورعه - رحمه الله - ومن اهتمامه بتطبيق النص الشرعي في قوله تعالى : ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ .

فإن كان الصلح على مبلغ مالي فإنه يسعى لتوفيره ، ثم يسلمه لمن يتعلق به هذا المبلغ ، ولا يشعرهم بالمصدر الذي جاء منه حفظاً للسر ، واهتماماً بكتمان الأمانة ، وينهي القضية في السجلات على هذا الأساس ، فيصرف من عنده المتخاصمون وقد رضوا بما سيرهم عليه ، ومع هذا لم يعرف عنه - رحمه الله - التحدث بما يتم في مجلس القضاء ، أو إثباته شيء من قضايا الناس باعتبار ذلك من خصوصيات الناس .

وقد عرفته - رحمه الله - بعدما انتقل للرياض من الأحساء ، فعرفت فيه الوفاء ونبيل الأخلاق ، وقوة الشخصية ، والشجاعة في قول الحق والنصح .

ومما يحضرني عنه في مجلس : أن اثنين تخاصما في بقرة ، قال المشتري : إن البائع لم يبين لي عيوباً كانت فيها ، وقد ظهرت بعدما دخلت ملكي ، ولدي شهود على ذلك وقد أحضرهم معه فقال للبائع : ماذا تقول ؟ فتلعثم وكثر كلامه ، ولكن لم يجب عما سئل عنه ، لأنه جواب غير مركز ، واحتج بأنه فقير وفي حاجة للمساعدة . . فقال الشيخ صالح للمشتري : يا فلان هذا رجل لا يحسن ولعلك تقبل البقرة وننقص لك «كذا» وبقيمة ، فإن أعطاك وإلا يسهل الله وتلقى ذلك عندي واعتبر هذا طلباً مني . ولسمعته الحسنة ومكانته عندهم قال المشتري : أمرك مجاب ، ولو تطلبني أحد أولادي أعطيتك إياه . .

هذه بعض الخواطر عن الشيخ صالح - رحمه الله رحمة واسعة - والله الموفق .

الشيخ صالح - رحمه الله - من الأفاضل الذين كونوا الأساس للنهضة العلمية والدعوية في هذه البلاد

- معالي الشيخ محمد بن عبدالله السبيل - (*)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين... وبعد:

فقد كان فضيلة الشيخ صالح بن غصون - رحمه الله - من تلك الثلة الكريمة من علمائنا الأفاضل الذين خدموا دينهم وأمتهم بتفان وإخلاص، ونصحوا الراعي والرعية.

كان من أولئك الرهط الأفاضل الذين كانوا الأساس للنهضة العلمية والدعوية في هذه البلاد المباركة، فهو - رحمه الله - من ذلك الجيل الذين أفنوا أعمارهم في نشر العلم، وتوجيه الناس وإرشادهم.

فقد كان - رحمه الله - مثلاً للزهد والورع والصلاح والتقوى متواضعاً، نصوحاً للمسلمين عامتهم وخاصتهم، وكان في مجالسه حلو الكلام لا يخلو كلامه من الملاطفة والدعابة، يحسن معاشرة الناس والتعامل معهم، بشوش الوجه، لين الجانب.

وقد تميز - رحمه الله - برحابة الصدر، وسعة الأفق، والأدب الجم في الحوار، وكان مشهوراً بالكرم والمروءة.

وأما أخلاقه في عمله فقد كان - رحمه الله - نزيهاً حازماً، تميز بشدة الفراسة، وحدة الذكاء والفتنة، والحرص على سرعة البت في القضايا التي تحال إليه.

وكان كثير الشفاعة في الحق لدى المسؤولين، فقد فتح بيته لجميع الناس، باذلاً ماله وجاهه في حل مشاكلهم، وكان وفيّاً لإخوانه، يزورهم ويتفقد أحوالهم، فقد جمع - رحمه الله - خصالاً كريمة، وسجايا طيبة، وأخلاقاً فاضلة.

(*) الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي وإمام وخطيب المسجد الحرام وعضو هيئة كبار العلماء.

وأما اهتمامه بالدعوة ونشر العلم ، فقد كان الشيخ - رحمه الله - عالماً فاضلاً وداعية رقيقاً ، تولى إمامة الصلاة ، وتصدى لنشر العلم منذ تعيينه قاضياً بشقراء وهو شاب يافع ، فقد كرّس جهده لدعوة الناس وتعليمهم وإرشادهم من خلال دروسه التي كان يلقيها بالجامع ومن خلال الفتاوى التي يصدرها ، وقد تميزت فتاواه بالتوسط والاعتدال .

* درّس بالمعهد العلمي بشقراء مادتي الفقه والأصول .

* أثرى بعلمه وفقهه الموضوعات التي ناقشتها هيئة كبار العلماء .

* شارك في الإفتاء عبر برنامج (نور على الدرب) الإذاعي منذ سنة ١٣٩١هـ واستمر في ذلك إلى وفاته .

* بعد تقاعده بسبب ظروفه الصحية عام ١٤٠٩هـ تفرغ للعبادة والتدريس والتوجيه والإرشاد والافتاء ، واستمر على ذلك إلى أن غلبه المرض ، وكان له مجلس خاص بعد مغرب كل جمعة يؤمه العلماء والفقهاء وطلاب العلم ، كان يجيب فيه أسئلة السائلين ، ويثير فيه الموضوعات العلمية ويناقشها بالاشتراك مع تلامذته بقصد تدريبهم على مناقشة القضايا العلمية ، وتشجيعهم على الفتوى .

وكثيراً ما يسأل الحاضرين عن آخر ما قرأوه من كتب ، ويطلب منهم تقديم عرض عما تعلموه ، وذلك بقصد تشجيع الحاضرين على الاستزادة من التعلم ، وكان يناقش المسائل التي يطرحها عليه الحاضرون ، ولا يصرف زائروه من المجلس إلا بفوائد علمية ، ونصائح وإرشادات تفيدهم في دينهم ودنياهم .

والشيخ - رحمه الله - ترك رسائل علمية مختصرة منها رسالة في قتل الغيلة .

وفي أواخر حياته لازمه المرض سنين طويلة دفعه إلى طلب الإحالة على التقاعد عام ١٤٠٩هـ .

وفي عام ١٤١٣هـ سافر للعلاج بالخارج ، وأدخل بعد عودته إلى مستشفى التخصصي أكثر من مرة .

وفي شهر ذي الحجة أدخل مستشفى الملك فهد بالحرس الوطني لما اشتد به المرض وبقي به إلى يوم وفاته، يوم السبت السابع عشر من شهر ذي الحجة من عام ١٤١٩هـ.

نسأل الله الكريم أن يغفر له ويرحمه، وأن يسكنه فسيح جناته، وأن يرحم علماءنا ومشايخنا جميعاً، وأن يعوض المسلمين بفقدهم خيراً، والحمد لله رب العالمين.

فقدناك يا أبا علي

- معالي الشيخ منصور بن حمد المالك - (*)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله قال الله تعالى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِذَا الْأَبَابِ﴾ وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ وقال رسول الله ﷺ: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) وقال ﷺ: (من سلك طريقاً يبتيغي فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر) وقال ﷺ: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)، هذا أخي المسلم هو فضل العلم، وهذه هي مكانة العلماء، وبيان أن فقدهم خسارة فادحة ومصيبة عظيمة.

ولقد خسر المسلمون خلال السنتين الماضيتين عدداً من العلماء الأفاضل الذين نشروا العلم، وخدموا الإسلام والمسلمين. وأحد هؤلاء العلماء هو فضيلة الشيخ صالح بن علي الغصون أحد أبناء مدينة الرس، بدأ مشواره في طلب العلم في سن مبكرة. لقد أثر فضيلته طلب العلم على غيره من الأمور الأخرى، وكان همه الوحيد هو أن يصل إلى مبتغاه.

قال لي فضيلته حينما زرته في مستشفى الملك فيصل التخصصي إبان مرضه الأخير: لقد هداني الله إلى الطريق السليم وهو طريق العلم الشرعي وأنا صغير

(*) نائب رئيس ديوان المظالم.

السن، فأخذت في البحث عن السبيل الذي أسلكه للوصول إلى الرياض، لأن الإمكانات آنذاك محدودة أو معدومة، وبعد البحث والتروي قررت الذهاب إلى والدكم؛ لأنه معروف لدى الجميع ما يتمتع به من بعد نظر، وحب لفعل الخير، ومساعدة للمحتاج. وجئت إلى منزله بعد صلاة الظهر، وحينما جاء من المسجد وجدني واقفاً عند باب منزله، فسلم وسألني عن أهلي وعن حالي، فقلت له: نحن بخير أنا أريد السفر إلى الرياض؛ لطلب العلم ولا أستغني عن رأيك، فقال: استشر من يهيمه أمرك واستخر الله، فقلت: لقد استخرت الله وقررت السفر، فقال: إذا صليت العصر فتعال عندي في البيت، فجئت على الموعد، وأخذ بيدي إلى سيارة كانت واقفة عند حوش له محملة بخشب الأثل، فنادى سائق السيارة الذي كان في ضيافته، وقال له: أين مكان الراكب الذي قلت لك عنه؟ فقال: هذا هو مكانه، فصعد الوالد إلى السيارة، واطلع على المكان واطمأن على مناسبته، وطلب مني الركوب، ولما ركبت ناولني مبلغاً من النقود وكيساً فيه تمر، ثم ودعني وقال للسائق: أنت مسؤول عن هذا الشخص حتى يصل إلى الرياض، ثم ختم فضيلته حديثه قائلاً: لن أنسى لوالدكم هذه الوقفة المباركة، وأرجو الله أن يجزيه خير الجزاء نظير ما قدمه لي.

وما إن وصل فضيلته إلى الرياض حتى شمر عن ساق الجد، وبدأ يجلس في حلقات العلم والذكر ينهل من معينه الصافي، ويأخذ العلم من علماء الرياض الأجلاء آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - وغيرهم من العلماء، وكان الناس يتوافدون على الرياض، ويقصدونه من كل مكان، للحصول على العلم النافع المفيد.

وخلال فترة قصيرة حصل فضيلته على علم وفير مكنه من الوصول إلى درجة العلماء، وقد ساعده على ذلك ما يتمتع به فضيلته من الذكاء والفهم والحفظ، والرغبة الصادقة في الحصول على العلم النافع المفيد، وقد وقع الاختيار عليه لتولي القضاء، فتنقل في عدد من مدن المملكة، وكان فضيلته يجد التقدير والاحترام من

أهالي كل بلد يتولى القضاء فيه ، مما يجعلهم يتمسكون به ، وبطالبون ببقائه عندهم ، ذلك أنه كان يتمتع بجميع الصفات الطيبة التي ينشدها الأهالي . وقد استقر به المقام أخيراً في الرياض عضواً في التمييز وفي هيئة كبار العلماء ، ثم في مجلس القضاء الأعلى بدرجة رئيس تمييز ، وكان - رحمه الله - على درجة كبيرة من التقى والورع والزهد ، ومما يدل على ذلك أنه حينما تقدم به السن ونزل به المرض بادر إلى طلب إعفائه من جميع الأعمال المسندة إليه ، مع أنه كان لديه المقدرة على الاستمرار في العمل ، لكن فضيلته بما حباه الله من ورع رأى أن من الواجب عليه ترك العمل ما دام لا يستطيع الوفاء به على الوجه الأكمل ، رحمك الله أبا علي .

وكان فضيلته ذا خلق عظيم ، ووجه طلق ، وكل من يلتقي به أو يزوره يجد البشاشة ، والكلام الطيب ، والصدر الرحب ، وحسن الاستقبال والاحتفاء به ، والسؤال عن حاله وأهله ، وتلك سجيته مع جميع الناس ، إضافة إلى جوده وكرمه ، فهو جواد كريم .

وكان مجلسه - رحمه الله - يكتظ بطلبة العلم الذين يحبونه ويحرصون على حضور مجلسه الذي لا يخلو من الفوائد الشرعية . وإذا ألقى عليه أحد الحاضرين سؤالاً شرعياً خاطب من عنده من طلبة العلم قائلاً ما رأيكم يا مشايخ في الجواب على هذا السؤال؟ تواضعاً منه ، واحتراماً لطلبة العلم الحاضرين في مجلسه ، وإلا فإنه لا يفتي ومالك في المدينة .

ولم يكن - رحمه الله - منهمكاً في حب الدنيا وزخرفها ، بل كان قنوعاً باليسير منها راضياً بما يسد حاجته .

وكان فضيلته لا يتأخر عن زيارة مريض ، ولا يتخلف عن المشاركة في الصلاة على ميت ، والمشي مع جنازته إلى المقبرة وحضور دفنه حتى بعد نزول المرض به .

وكان يعطي كل ذي حق حقه من السلام والزيارة وغير ذلك لما حباه الله من الخلق الرفيع والتواضع الجم والسماحة .

وكان الشيخ محل تقدير واحترام ولالة الأمر - أيدهم الله - ، وتلك سجيتهم

وخلقهم مع العلماء وأبناء الشعب . كما كان تعامل الشيخ مع ولاية الأمر مميزاً لعلمه بما يجب لولاية الأمر من الاحترام والتقدير والدعاء لهم والسمع والطاعة ، كما كان فضيلته محل تقدير العلماء وجميع من يعرفه .

وقد نفع الله بعلم الشيخ فكان - رحمه الله - يشارك في برنامج «نور على الدرب» ، ويوضح للسائلين أمور دينهم ، ويبيدي المشورة لهم في أمورهم العامة من خلال هذا البرنامج الذي يذاع من الإذاعة السعودية . ولم يمنعه - رحمه الله - مرضه من استقبال الأسئلة الشرعية التي توجه إليه عبر هاتف منزله ، والتي لا تنقطع ، وكان يعطي الجواب الشافي والكافي بعبارة مختصرة واضحة مفيدة ، وذلك حرصاً منه على بيان الأحكام الشرعية لمن يطلب ذلك ، وعلى نشر العلم الشرعي للناس . كما أن مرضه لم يكن مانعاً له من مواصلة البحوث الشرعية والقراءة في الكتب النافعة المفيدة والاطلاع على كل كتاب يطبع .

وكان أولاده وفقههم الله يقرؤون عليه ما يطلبه منهم . ومن محبته للناس والحرص على لقاءهم والاجتماع بهم وعلمه أن الناس من محبيه وعارفيه يرغبون في زيارته والسلام عليه والاطمئنان على صحته ، خصص جلسة في بيته مساء كل جمعة ، وكانت هذه الجلسة شاملة لأمر شرعية وغيرها ، ويحضرها الكثير من طلبة العلم .

ومما يدل على محبة الناس لفضيلته وتقديرهم له أنه بعد وفاته حضر جمع غفير من الناس للمشاركة في الصلاة عليه ، وتشيع جنازته ودفنه ، وقد ضاق مسجد الراجحي والشوارع المحيطة به بالناس .

رحم الله شيخنا الجليل رحمة واسعة ، وأسكنه جنته ، ووفق أولاده من بعده لكل خير ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

الفصل الثالث

نماذج من بحوث

الشيخ - رحمه الله -

قتل الغيلة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد وآله وصحبه وبعد^(١):

فقد اطلعت على المعاملة المتعلقة بقتل المرأة لزوجها وهو نائم بحجة أنها زوجت به دون مشورتها، وأنه يسيء معاملتها ويضربها، وإذا هربت منه يعيدها إلى بيته بالقوة، وأن جيرانهم يعرفون ذلك . . . إلى آخر ما ادعته، ورغم ذلك حكم عليها بالقتل حداً بحجة أن هذا القتل يعتبر غيلة فلا يجوز العفو فيه ولم يلتفت إلى ما دفعت به . ومع غض النظر عن مخالفة المالكية في قتل الغيلة لجماهير أهل العلم، كأبي حنيفة والشافعي وأحمد وأهل الظاهر وغيرهم، فإن ما يحدث من قتل بدافع العداوة والناثرة والخصومة والانتقام لا يعتبر قتل غيلة في مذهب الإمام مالك؛ ذلك أنهم وصفوا قتل الغيلة عندهم بالقتل من أجل المال كالحرابة، وقد نص على ذلك غير واحد من علمائهم، وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في أكثر من موضع من كتبه، وهذا شيء من كلامهم:

قال في المدونة: (قلت: أرأيت المرأة إذا اغتالت الرجل على مال فقتلته، أتكون محاربة في الحكم عليها أم لا؟ قال: نعم يحكم عليها بحكم المحارب. قلت: وهذا قول مالك؟ قال: نعم)^(٢).

وجاء في المدونة: (قلت: والخناق عند مالك؟ قال: نعم الخناق محارب إذا خنق على أخذ المال)^(٣).

وفيه (قال: وقال مالك: وهؤلاء الذين يسقون الناس السيكران^(١) أهم محاربون إذا سقوهم ليسكروا فيأخذوا أموالهم؟ قال مالك: هم محاربون يقتلون)^(٢).

وفي تبصرة الحكام لابن فرحون^(٣) مسألة: (قال ابن القاسم^(٤): وقتل الغيلة أيضاً

(١) أصل هذا البحث وجهة نظر بخصوص قتل الغيلة، وقد حرر فيه فضيلة الشيخ - رحمه الله - قول المالكية، الذي اعتمده من قال إن القاتل قتل غيلة يقتل حداً ولا يجوز العفو عنه.

(٢) المدونة ٦ / ٤٢٩.

(٣) المدونة ٦ / ٣٠٤.

من الحراة مثل : أن يغتال رجلاً أو صبيّاً فيخدعه حتى يدخله موضعاً ، فيأخذ ما معه فهو كالحرابة .

وفي أحكام القرآن لابن العربي في سياق كلامه على المحاربة قال : (ولو خرج بعضاً من في المصر لقتل بالسيف ، ويؤخذ فيه بأشد ذلك لا بأيسره ، فإنه سلب غيلة وفعل الغيلة أقبح من فعل الظاهرة ، ولذلك دخل العفو في قتل المجاهرة فكان قصاصاً ، ولم يدخل في قتل الغيلة وكان حداً)^(٥) .

وجاء في تفسير القرطبي : (والمغتال كالمحارب ، وهو الذي يحتال في قتل إنسان على أخذ ماله ، وإن لم يشهر السلاح ، لكن دخل عليه بيته أو صحبه في سفر فأطعمه سماً فقتله ، فيقتل حداً لا قوداً)^(٦) .

وفي أضواء البيان أثناء كلامه في الحراة قال : (. . . حتى قال مالك في الذي يغتال الرجل فيخدعه حتى يدخله بيتاً فيقتله ويأخذ ما معه : إن هذه محاربة ودمه إلى السلطان لا إلى ولي المقتول ، فلا اعتبار بعفوه عنه في إسقاط القتل)^(٧) .

(١) السيكرا ن : بضم الكاف وفتحها نبت دائم الخضرة يؤكل حبه . الخرشبي على خليل ١٠٩ / ٨ ، وشرح الزرقاني ١٠٩ / ٨ ، ومنع الجليل ٣٣٨ / ٩ ، والشرح الصغير بهامش بلغة السالك ٤٣٦ / ٢ ، وبلغة السالك ٤٣٦ / ٢ ، وحاشية المدني على كنون ١٤٩ / ٨ .

(٢) المدونة ٣٠٤ / ٦ .

(٣) هو برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن الشيخ أبي الحسن علي بن فرحون المدني ، له شرح على مختصر ابن الحاجب ، والديباج المذهب في أعيان المذهب وغيرهما ، توفي في شهر ذي الحجة سنة تسع وتسعين وسبعمائة وقد جاوز التسعين . شذرات الذهب ٣٥٧ / ٦ ، وهدية العارفين ١٨ / ٥ ، وشجرة النور الزكية ٢٢٢ / ١ .

(٤) هو أبو عبدالله عبدالرحمن بن القاسم العتقي المصري ، أثبت الناس وأعلمهم بأقوال مالك ، صحبه عشرين سنة ، وتفقه به وبنظرائه ، لم يرو واحد عن مالك الموطأ أثبت منه ، مولده سنة ثلاث وثلاثين أو ثمان وعشرين ومائة ، ووفاته سنة إحدى وتسعين ومائة . شجرة النور الزكية / ٥٨ .

(٥) أحكام القرآن ٥٩٧ / ٢ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١٥١ / ٦ .

(٧) أضواء البيان ٩٠ / ٢ .

وفي الشرح الكبير^(١) للدردير^(٢) وحاشيته للدسوقي^(٣) :

(قوله : وقتله أي قتل ذلك المخادع لأخذ ما معه من قتل الغيلة ، أي وقتل الغيلة من الحراة ، ونص الجواهر : قتل الغيلة من الحراة ، وهي أن يغتال رجلاً أو صبياً فيخدعه حتى يدخله موضعه فيأخذ ما معه فهو كالخراة)^(٤) .

وجاء في التاج والإكليل للمواق^(٥) على خليل^(٦) مع الخطاب^(٧) : (قتل الغيلة أيضاً من الحراة ، وهو : أن يغتال رجلاً أو صبياً فيخدعه حتى يدخله موضعاً فيأخذ ما معه فهو كالخراة)^(٨) .

وجاء في الخرشي^(٩) على خليل : (من خدع صبياً أو كبيراً فأدخله موضعاً فقتله

(١) ٣٤٨/٤ قال : المحارب قاطع طريق لمنع سلوك . . . ومخادع الصبي أي المميز إذ هو الذي يخدع أو غيره أي غير الصبي وهو الكبير أي خدعه حتى أدخله مكاناً ليأخذ ما معه ولو لم يقتله وقتله من قتل الغيلة .

(٢) هو أحمد بن العدوي الأزهرى الشهير بالدردير ، له مؤلفات منها شرح المختصر ، وأقرب المسالك لمذهب مالك وشرحه وغيرها ، مولده سنة سبع وعشرين ومائة وألف ، ووفاته سنة إحدى ومائتين وألف . شجرة النور الزكية / ٣٥٩ ، وهدية العارفين ١ / ١٨١ ، ومعجم المؤلفين ١ / ٢٤٢ .

(٣) هو محمد بن أحمد بن عرفة المصري المالكي الشهير بالدسوقي نسبة إلى دسوق من قرى مصر ، توفي سنة ثلاثين ومائتين وألف . هدية العارفين ٢ / ٣٥٧ ، وشجرة النور الزكية / ٣٦١ ، ومعجم المؤلفين ٣ / ٨٣ .

(٤) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ٤ / ٣٤٩ .

(٥) هو أبو عبدالله محمد بن يوسف العبدوسي الغرناطي الشهير بالمواق ، خاتمة علماء الأندلس ، أخذ عن جلة من العلماء وعنه أخذ جماعة ، توفي في شعبان سنة سبع وتسعين وثمانمائة . الضوء اللامع ١٠ / ٩٨ ، وكشف الظنون ٢ / ١٦٢٨ ، وفهرس مكتبة الأزهر (فقه مالكي) ٢ / ٣١٢ ، وشجرة النور الزكية / ٢٦٢ .

(٦) هو خليل بن إسحاق بن موسى المالكي المعروف بالجندي ، كان يسمى محمداً ويلقب ضياء الدين ، له مختصر في الفقه مفيد ، نسج فيه على منوال الحاوي ، كانت وفاته في شهر ربيع الأول سنة سبع وستين وسبعمائة . الدرر الكامنة ٢ / ١٧٥ ، وشجرة النور الزكية / ٣٢٣ ، والأعلام ٢ / ٣١٥ .

(٧) هو أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن الرعيني المعروف بالخطاب الكبير الأندلسي الأصل ، الطرابلسي المولد ، المكّي الدار والقرار ، ولد سنة إحدى وستين وثمانمائة ، وتوفي سنة خمس وأربعين وتسعمائة . نيل الابتهاج / ٣٣٧ ، وهدية العارفين ٢ / ٢٤٢ ، وشجرة النور الزكية / ٢٦٩ ، ومعجم المؤلفين ٣ / ٦٥٠ .

(٨) التاج والإكليل بهامش مواهب الجليل ٦ / ٣١٤ .

(٩) هو أبو عبدالله محمد بن عبدالله الخرشي الفقيه شيخ المالكية ، له شرح كبير على المختصر وصغير وغير ذلك ، توفي في السنة الأولى بعد المائة والألف . تاج العروس (فصل الخاء من باب الشين) ٤ / ٣٠٥ ، وشجرة النور الزكية / ٣١٧ ، وفهرس مكتبة الأزهر (فقه مالكي) ٢ / ٣٥٢ ، ومعجم المؤلفين ٣ / ٤٣٧ .

وأخذ ماله، فإنه يكون محارباً لأنه أخذ منه للمال على وجه يتعذر معه الغوث ويسمى هذا قتل غيلة^(١).

وجاء في الفواكه الدواني شرح الرسالة لأحمد غنيم^(٢): (وقتل الغيلة وهو القتل لأخذ المال لا عفو فيه...)^(٣).

وفي شرح الرسالة للشيخ أحمد البرنسي^(٤): (قال أهل اللغة: قتل الغيلة أن يخدعه بالقول حتى يأمن فيمشي به إلى موضع فيقتله يريد لأخذ ماله لا لثائرة بينهما وإلا فليس بغيلة، وفي النوادر عن الموازية: قتل الغيلة من الخرابة أن يغتال رجلاً أو صبيّاً فيخدعه حتى يدخل موضعاً فيقتله ويأخذ ما معه)^(٥).

وجاء في الثمر الداني: (وقتل الغيلة وهي: قتل الإنسان لأخذ ماله لا عفو فيه...)^(٦).

وجاء في تفسير القرطبي: (قال مالك: المحارب عندنا من حمل على الناس في مصر أو برية، وكابرههم عن أنفسهم وأموالهم دون نائرة^(٧) ولا دَحْل^(٨) ولا عداوة...)^(٩).

(١) الخرشني على خليل ١٠٥/٨.

(٢) هو أحمد غنيم بن سالم النفراوي، له مؤلفات منها: شرح على الرسالة، وشرح على النورية وغيرها، توفي سنة خمس وعشرين ومائة وألف عن اثنتين وثمانين سنة. شجرة النور الزكية ٣١٨/، وسلك الدرر ١٤٨/١، ومعجم المؤلفين ٢٢٢/٢.

(٣) الفواكه الدواني ٢٠١/٢.

(٤) هو أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزروق، له تأليف كثيرة، مولده سنة ست وأربعين وثمانمائة، ووفاته في شهر صفر سنة تسع وتسعين وثمانمائة. شجرة النور الزكية ٢٦٧، والأعلام ٩١/١.

(٥) شرح العلامة أحمد البرنسي المعروف بزروق على متن الرسالة ٢٢٨/٢.

(٦) الثمر الداني ٥٧٣.

(٧) النائرة: العداوة والشحناء مشتقة من النار، لسان العرب ٢٤/٥، والمصباح المنير ٦٣٠/٢.

(٨) الدَحْل: الثأر وطلب بذله أي بثأره. لسان العرب ٢٥٦/١١، والمصباح المنير ٢٠٦/١.

(٩) الجامع لأحكام القرآن ١٥١/٦.

وفي تبصرة الحكام: (. . الحاربة: كل فعل يقصد به أخذ المال على وجه يتعذر معه الاستغاثة عادة، كإشهار السلاح والخنق وسقي السيكران لأخذ المال)^(١).

وفيه أيضاً: (ومن ضرب رجلاً بعضاً لأخذ ما معه فمات فإنه يقتل وإن لم يرد قتله؛ لأنه من الحاربة، ولو لم يكن لأخذ ما معه لكن لعداوة بينهما وشر، ففيه القصاص أو العفو. قاله مالك)^(٢).

وهذا كثير في كتبهم^(٣).

وقال الشافعي: (قال أهل المدينة: إذا قتله قتل غيلة من غير نائرة ولا عداوة فإنه يقتل، وليس لولاة المقتول أن يعفوا عنه، وذلك إلى السلطان يقتل فيه القاتل)^(٤).

كما أن شيخ الإسلام ابن تيمية لما ذكر قتل الغيلة قال بعده ما نصه: (بخلاف من يقتل شخصاً لغرض خاص مثل خصومة بينهما، فإن هذا حق لأولياء المقتول إن أحبوا قتلوا وإن أحبوا عفووا باتفاق المسلمين)^(٥).

وأكد ذلك أيضاً في سياق كلامه على المحاربين حيث قال: (فمن كان من المحاربين قد قتل فإنه يقتله الإمام حداً ولا يجوز العفو عنه بحال بإجماع العلماء ذكره ابن المنذر، ولا يكون أمره إلى ورثة المقتول، بخلاف ما لو قتل رجل رجلاً لعداوة بينهما أو خصومة أو نحو ذلك من الأسباب الخاصة، فإن هذا دمه لأولياء المقتول، إن أحبوا قتلوا وإن أحبوا عفووا وإن أحبوا أخذوا الدية؛ لأن قتله لغرض خاص.

وأما المحاربون فإنما يقتلون لأخذ أموال الناس فضررهم عام بمنزلة السرّاق فكان قتلهم حداً لله، وهذا متفق عليه بين الفقهاء)^(٦).

(١) تبصرة الحكام بهامش فتح العلي المالك ٢/ ٢٧١.

(٢) تبصرة الحكام بهامش فتح العلي المالك ٢/ ٢٧٣.

(٣) انظر على سبيل المثال: شرح رسالة أبي الحسن لرسالة ابن أبي زيد القيرواني المسمى كفاية الطالب الرباني مطبوع مع حاشية العدوي ٢/ ٢٨٧، وحاشية العدوي على شرح أبي الحسن لرسالة ابن أبي زيد القيرواني ٢/ ٢٨٧، وشرح الزرقاني ٨/ ١٠٩، وحاشية محمد البناني بهامش شرح الزرقاني ٨/ ١٠٩، والبهجة في شرح التحفة ٢/ ٣٥٩.

(٤) الام ٧/ ٣٤٩.

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٨/ ١٠٠.

(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٨/ ٣١٠.

وله بعد كلام سبق: (لكن إن لم يضر إلا المقتول كان قتله صائراً إلى أولياء المقتول؛ لأن الحق لهم كحق المظلوم في المال، وإن قتله لأخذ المال كان قتله واجباً لأجل المصلحة العامة التي هي حد الله، كما يجب قطع يد السارق لأجل حفظ الأموال، ورد المال المسروق حق لصاحبه إن شاء أخذه وإن شاء تركه) (١).

وفي المجموع أيضاً: (ولهذا اتفق الفقهاء على أن قاطع الطريق لأخذ المال يقتل حتماً، وقتله حد لله وليس قتله مفوضاً إلى أولياء المقتول، قالوا لأن هذا لم يقتله لغرض خاص معه، إنما قتله لأجل المال، فلا فرق عنده بين هذا المقتول وبين غيره، فقتله مصلحة عامة، فعلى الإمام أن يقيم ذلك) (٢). ونحوه في موضعين آخرين (٣).

وله في الاختيارات: (ولا يقتل مسلم بدمي إلا أن يقتله غيلة لأخذ ماله وهو مذهب مالك) (٤).

وله في المجموع: (وأما إذا كان يقتل النفوس سراً لأخذ المال مثل الذي يجلس في خان يكرهه لأبناء السبيل، فإذا انفرد يقوم منهم قتلهم وأخذ أموالهم، أو يدعو إلى منزله من يستأجره لحياطة أو طب أو نحو ذلك فيقتله ويأخذ ماله، وهذا يسمى قتل غيلة، ويسميه بعض العامة المعرجين، فإذا كان لأخذ المال فهل هم كالمحاربين أو يجري عليهم القود؟ فيه قولان للفقهاء: أحدهما أنهم كالمحاربين؛ لأن القتل بالحيلة كالقتل مكابرة كلاهما لا يمكن الاحتراز منه، بل قد يكون ضرر هذا أشد لأنه لا يدري

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٠ / ١٠٠ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٤ / ٢٣٩ .

(٣) قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٣٤ / ١٤٧): (فأما إذا عرف القاتل فإن كان قتله لأخذ مال فهو محارب يقتله الإمام حداً وليس لأحد أن يعفو عنه لا أولياء المقتول ولا غيرهم، وإن قتل لأمر خاص فهذا أمره إلى أولياء المقتول فإن شأؤوا عفوا عنه . .).

وقال أيضاً في المجموع (٣٤ / ١٦٧): (إن كان قاطع طريق قتلهم لأخذ أموالهم وجب قتله ولا يجوز العفو عنه، وإن كان قتلهم لغرض خاص مثل خصومة بينهم أو عداوة فأمره إلى ورثة القتيل إن أحبوا قتله قتلوه، وإن أحبوا عفوا عنه، وإن أحبوا أخذوا الدية، فلا يجوز قتله إلا بإذن الورثة الآخرين).

(٤) الاختيارات الفقهية / ٢٨٩ .

به .

الثاني : أن المحارب هو المجاهر بالقتل ، وإن هذا القتل أمره إلى ولي الدم ، والأول أشبه بأصول الشريعة (١) .

إلى أن قال : (واختلف الفقهاء فيمن يقتل السلطان كقتلة عثمان وقاتل علي رضي الله عنهما ، هل هم كالمحاربين فيقتلون حداً أو يكون أمرهم إلى أولياء الدم على قولين في مذهب أحمد وغيره ، لأن في قتله فساداً عاماً) (٢) .

وهو أيضاً اختيار العلامة ابن القيم حيث ذكر حكم قتل الغيلة في كتابه (زاد المعاد) في سياق كلامه على قصة العرنين وقتل الجارية ، وذكر في أحد الموضعين أنه مذهب أهل المدينة واختيار شيخ الإسلام ، وفي الموضع الثاني أنه مذهب الإمام مالك واختيار شيخ الإسلام (٣) .

ومن كل ما تقدم ظهر مايلي :

أولاً : ما ذكره علماء مذهب الإمام مالك ظاهر في اعتبار أخذ المال في قتل الغيلة ، سواء حصل القتل على سبيل التحايل والخداع ، أو بواسطة الخنق ، أو سقي السيكران ، أو السم ، وما أشبه ذلك .

ثانياً : معلوم أن المحاربة هي المكابرة والمجاهرة من أجل أخذ المال قهراً ، وهذا يعني أن القتل بدافع العداوة ونحوها لا يعتبر محاربة .

ثالثاً : ما ذكر الإمام الشافعي عن أهل المدينة واضح في الفرق بين قتل الغيلة وبين

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٨ / ٣١٦ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٨ / ٣١٧ .

(٣) قال ابن القيم في زاد المعاد (٤ / ٤٨) : وفي القصة ؛ أي قصة العرنين ، دليل على التداوي والتطبيب . . . وعلى أن قتل الغيلة يوجب قتل القاتل حداً ، فلا يسقطه العفو ولا تعتبر فيه المكافأة ، وهذا مذهب أهل المدينة وأحد الوجهين في مذهب أحمد ، اختاره شيخنا وأفتى به . وقال في موضع آخر من زاد المعاد (٥ / ٩) : وفي هذا الحديث - يعني حديث الجارية - دليل على قتل الرجل بالمرأة ، وعلى أن الجاني يفعل به كما فعل وإن القتل غيلة لا يشترط فيه إذن الولي ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يدفعه إلى أوليائها ، ولم يقل إن شئتم فاقتلوه وإن شئتم فاعفوا عنه ، بل قتله حتماً ، وهذا مذهب مالك واختيار شيخ الإسلام ابن تيمية .

القتل بدافع العداوة والنائرة، وهو مطابق لما ذكره علماء المالكية .

رابعاً: ما ذكره شيخ الإسلام صريح في الفرق بين القتل بدافع العداوة والخصومة ونحوهما، وبين القتل من أجل المال، وهو شامل للقتل مجاهرة أو على سبيل الخداع والحيلة، فهناك فرق ظاهر بين القتل لغرض خاص وبين القتل من أجل المال لما فيه من ضرر عام .

خامساً: يوضح ذلك ما ورد في الاختيارات مع ما ذكر في المجموع حيث قال :
وأما إذا كان يقتل النفوس سرّاً لأخذ المال، فهذا يسمى قتل غيلة، إلى أن قال : فإذا كان لأخذ المال . . . إلى آخره، بالإضافة إلى أنه لم يعتبر قتل الإمام علي قتل غيلة رغم أنه قتل عمداً على سبيل الخفية وهذا ظاهر .

سادساً: معلوم أن العرنيين قتلوا وأخذوا الإبل^(١)، وأن اليهودي قتل وأخذ الحلي^(٢)، ومنه يعلم أن الاستدلال بآية الحراية وقصة العرنيين وحديث الجارية على تحتم القتل في حال حدوث قتل بسبب خصومة ونحوها غير وجيه لاختلاف الأسباب والدوافع .

سابعاً: غير خاف أن الله جل شأنه جعل الحق في الدم لأولياء المقتول وعمم،

(١) الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب المحاربين من أهل الكفر والردة، البخاري مع الفتح ١٢/ ١٠٩، ومسلم في كتاب القسامة، باب حكم المحاربين والمتردين، مسلم بشرح النووي ١١/ ١٥٤ . ولفظه عند مسلم: «عن أنس رضي الله عنه أن أناساً من عرينة قدموا على رسول الله ﷺ المدينة فاجتووها، فقال لهم رسول الله ﷺ: إن شئتم أن تخرجوا إلى إبل الصدقة فتشربوا من ألبانها وأبوالها، ففعلوا فصحوا، ثم مالوا على الرعاء فقتلوه، وارتدوا عن الإسلام، وساقوا ذؤود رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فبعث في أثرهم، فأتي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمل أعينهم، وتركهم في الحرّة حتى ماتوا» .

(٢) الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الديات باب من أقاد بالحجر، البخاري مع الفتح ١٢/ ٢٠٤، ومسلم في كتاب القصاص باب ثبوت القصاص في القتل بالحجر وغيره من المحددات والمثقلات وقتل الرجل بالمرأة، مسلم بشرح النووي ١١/ ١٥٩ . ولفظه عند البخاري عن أنس رضي الله عنه أن يهودياً قتل جارية على أوضاع لها فقتلها بحجر، فجيء بها إلى النبي ﷺ وبها رمق، فقال : أقتلك فلان؟ فأشارت برأسها أن لا، ثم قال الثانية: فأشارت برأسها أن لا، ثم سألها الثالثة فأشارت إن نعم، فقتله النبي ﷺ بحجرين .

جاءت بذلك نصوص الكتاب والسنة، والأصل بقاء النص على عمومته حتى يرد ما يصلح لتخصيصه.

ثامناً: أما الاستدلال بما روي عن عمر - رضي الله عنه - أنه أمر بقتل جماعة قتلوا غلاماً غيلة، فإن هذا الاستدلال محل نظر؛ لأنه لم يرد أنه - رضي الله عنه - لم يستشر أولياء المقتول، ولا أنهم لم يطالبوا بما لهم من حق، ولأنه روي عنه - رضي الله عنه - أنه قال: لو تملاً عليه أهل صنعاء لأقذتهم به^(١)، أي لمكنت الأولياء من استيفاء القود منهم، وهذا استدلال به أهل العلم على قتل الجماعة بالواحد. ولما بين الحوادث والوقائع من تفاوت في أسبابها ودوافعها وهذا بين لمن تدبره.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

(١) لا أثر أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٦٦٣)، في كتاب العقود باب ما جاء في النيلة والسحر.

أهم المراجع

- ١- أحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت: دار الفكر.
- ٢- الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، اختارها الشيخ علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عباس البعلبي، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٦٩هـ، ١٩٥٠م.
- ٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، طبعة الأمير أحمد بن عبدالعزيز، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.
- ٤- الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، ط٧، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.
- ٥- الأم، محمد بن إدريس الشافعي، ط٢، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.
- ٦- بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، أحمد بن محمد الصاوي المالكي، بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م.
- ٧- البهجة في شرح التحفة، لأبي الحسن علي بن عبدالسلام التسولي، ط٢، القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٠هـ = ١٩٥١م.
- ٨- تاج العروس، الزبيدي، ط١، القاهرة، المطبعة الخيرية، ١٣٠٦هـ.
- ٩- التاج والإكليل مطبوع بهامش مواهب الجليل شرح مختصر خليل، لمحمد يوسف بن أبي القاسم العبدري الشهير بالمواق، ط٣، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م.
- ١٠- تبصرة الحكام مطبوع بهامش فتح العلي المالک، إبراهيم بن علي بن أبي القاسم، القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٨هـ = ١٩٥٨م.
- ١١- الثمر الداني في تقريب المعاني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، صالح بن عبد السميع الآبي الأزهري، دار إحياء الكتب العربية.
- ١٢- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية.
- ١٣- حاشية البناني على شرح الزرقاني، بيروت: دار الفكر.
- ١٤- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد عرفة الدسوقي، بيروت: دار الفكر.

- ١٥- حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني، بيروت: دار الفكر.
- ١٦- حاشية المدني على كنون بهامش حاشية الرهوني، ط ١، القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٣٠٦هـ.
- ١٧- الخرشي على خليل، بيروت: دار صادر.
- ١٨- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد سيد جاد الحق، القاهرة: أم القرى للطباعة والنشر.
- ١٩- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، ط ٧، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.
- ٢٠- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، محمد خليل بن علي المرادي، ط ٣، بيروت: دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.
- ٢١- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف، دار الفكر.
- ٢٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- ٢٣- شرح أبي الحسن لرسالة ابن أبي زيد لأبي الحسن، بيروت: دار الفكر.
- ٢٤- شرح زروق على الرسالة، زروق أحمد بن محمد البرنسي، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.
- ٢٥- شرح الزرقاني على مختصر خليل، عبد الباقي الزرقاني، بيروت: دار الفكر.
- ٢٦- الشرح الصغير بهامش بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، لأحمد بن محمد بن أحمد الدردير، بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م.
- ٢٧- الشرح الكبير مطبوع بهامش حاشية الدسوقي، لأحمد بن محمد بن أحمد الدردير، دار الفكر.
- ٢٨- صحيح البخاري مطبوع مع فتح الباري، بيروت: دار الفكر.
- ٢٩- صحيح مسلم مطبوع مع شرح النووي، الرياض: مكتبة الرياض الحديثة.
- ٣٠- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن عبد الرحمن السخاوي،

بيروت: دار مكتبة الحياة.

٣١- فهرس مكتبة الأزهر، مكتبة الأزهر، القاهرة: إدارة المكتبة، ١٣٦٤هـ = ١٩٤٥م.

٣٢- الفواكه الدواني، أحمد بن غنيم بن سالم بن مهنا النفراوي، بيروت: دار المعرفة.

٣٣- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، مكة المكرمة: المكتبة الفيصلية.

٣٤- لسان العرب، ابن منظور، بيروت: دار صادر.

٣٥- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، لشيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، جمع عبدالرحمن بن قاسم، الرياض: دار عالم الكتب، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٣٦- المدونة الكبرى، مالك بن أنس، دار الفكر.

٣٧- المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي المقري، بيروت: دار الفكر.

٣٨- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ط ١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٣٩- منح الجليل على مختصر خليل، محمد عlish، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٤٠- الموطأ، للإمام مالك بن أنس، تعليق: محمد فؤاد عبدالباقي، الرياض: دار زمزم، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م.

٤١- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بن أحمد المعروف بابا التنبكتي، بهامش كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، بيروت: دار الكتب العلمية.

٤٢- هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، إسماعيل البغدادي، بيروت: دار الفكر، ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م.

قرار هيئة كبار العلماء الخاص بقتل الغيلة

قرار رقم (٣٨) وتاريخ ١١ / ٨ / ١٣٩٥ هـ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:-

فبناء على ما تقرر في الدورة (السادسة) لهيئة كبار العلماء بأن تعد اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بحثاً في الغيلة، وقد أعدته وأدرج في جدول أعمال الهيئة في الدورة السابعة المنعقدة في الطائف من ٢ / ٨ / ١٣٩٥ هـ إلى ١١ / ٨ / ١٣٩٥ هـ، وقد عرض البحث على الهيئة، وبعد قراءته في المجلس ومناقشة المجلس لكلام أهل العلم في تعريف الغيلة في اللغة وعند الفقهاء، وما ذكر من المذاهب والأدلة والمناقشة في عقوبة القاتل قتل غيلة هل هو القصاص أو الحد، وتداول الرأي، وحيث إن أهل العلم ذكروا أن قتل الغيلة ما كان عمداً عدواناً على وجه الحيلة والخداع، أو على وجه يأمن معه المقتول من غائلة القاتل، سواء كان على مال، أو لانتهاك عرض، أو خوف فضيحة وإفشاء سرها، أو نحو ذلك، كأن يخدع إنسان شخصاً حتى يأمن منه ويأخذه إلى مكان لا يراه فيه أحد، ثم يقتله، وكأن يأخذ مال رجل بالقهر، ثم يقتله خوفاً من أن يطلبه بما أخذ، وكأن يقتله لأخذ زوجته أو ابنته، وكأن تقتل الزوجة زوجها في مخدعه أو منامه مثلاً للتخلص منه، أو العكس ونحو ذلك.

لذا قرر المجلس بالإجماع ما عدا الشيخ / صالح بن غصون أن القاتل قتل غيلة يقتل حداً لا قصاصاً، فلا يقبل ولا يصح فيه العفو من أحد، والأصل في ذلك الكتاب والسنة والأثر والمعنى.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا﴾ الآية، وقتل الغيلة نوع من الحراية فوجب قتله حداً لا قوداً.

وأما السنة فما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أن يهودياً رض رأس جارية بين حجرين على أوضح لها أو حلي فأخذ واعترف، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرض رأسه بين حجرين.

فأمر الرسول ﷺ بقتل اليهودي ولم يرد الأمر إلى أولياء الجارية، ولو كان القتل قصاصاً لرد الأمر إليهم؛ لأنهم أهل الحق، فدل أن قتله حداً لا قوداً.

وأما الأثر فما ثبت عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قتل نفراً خمسة أو سبعة برجل واحد قتلوه غيلة، وقال: لو تملاً عليه أهل صنعاء لقتلتهم جميعاً، فهذا حكم الخليفة الراشد في قتل الغيلة، ولا نعلم نقلاً يدل على أنه رد الأمر إلى الأولياء، ولو كان الحق لهم لرد الأمر إليهم، فدل على أنه يقتل حداً لا قوداً.

وأما المعنى، فإن قتل الغيلة حق لله، وكل حق يتعلق به حق الله تعالى فلا عفو فيه لأحد كالزكاة وغيرها، ولأنه يتعذر الاحتراز منه كالقتل مكابرة. وباللغة التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

هيئة كبار العلماء

رئيس الدورة السابعة
عبدالله بن محمد بن حميد

عبدالله خياط	عبدالعزیز بن باز
محمد الحركان	عبدالرازق عفيفي
عبدالعزیز بن صالح	عبدالمجید بن حسن
صالح بن غصون	إبراهيم بن محمد آل الشيخ
محمد بن جبیر	سليمان بن عبيد
راشد بن خنين	عبدالله بن غديان
عبدالله بن منيع	صالح بن لحيدان

الفصل الرابع

نماذج من أحاديث
الشيخ - رحمه الله -
في الإذاعة

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الأمانة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين وبعد.

فإن الله جل وعلا قال في كتابه العزيز: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾، هذه الآية من كتاب الله عز وجل تدلنا على أهمية الأمانة وعظم شأنها، وأن الله سبحانه وتعالى عرضها على أكبر المخلوقات وأعظمها، فاعتذرت عن حملها؛ إشفاقاً من عدم الوفاء بواجب الأمانة ورعايتها، فأشفقن منها ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾، وما ذاك إلا لظلمه لنفسه، وجهله في عواقب هذا الأمر العظيم الذي تحمله.

ثم ذكر الله جل وعلا بعد ذلك عاقبة ومصير الناس بالنسبة للأمانة، وأنهم ينقسمون إلى أقسام ثلاثة: فمنهم من تظاهر بحمل الأمانة ظاهراً وخالف ذلك باطناً وهم المنافقون، ومنهم من رفض قبول الأمانة ظاهراً وباطناً وهم الكفار والمشركون، ومنهم من تقبل الأمانة ظاهراً وباطناً وهم المؤمنون، ولهذا قال الله عز وجل: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾. وهذا أيضاً يؤكد لنا أهمية الأمانة وأن الناس انقسموا بالنسبة لحملها وأدائها ورعايتها إلى هذه الأقسام الثلاثة، فمن تظاهر بالأمانة وكان في الباطن على خلاف ذلك فهو من المنافقين، ومن رفض الأمانة وأبى القيام بها ظاهراً وباطناً فهو من الكفار والمشركون، ومن تحمل الأمانة ظاهراً وباطناً وأدى واجبها فهو من المؤمنين، وحري بأن يغفر الله له جل وعلا ويرحمه برحمته التي وسعت كل شيء.

فهذا يدلنا تماماً على أن هذا الدين هو دين الأمانة، وأن من لا أمانة له لا دين له، وقد جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا خطب يقول: (ألا لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له)^(١)، وجاء عنه في حديث آخر: (آية المنافق

(١) أخرجه أحمد (١٣٥/٣)، وابن خزيمة (٥١/٤)، وابن حبان (٤٢٢/١)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان)، فقليل له: وإن صلى وصام، قال: (وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم)^(١)، فما دام خائناً لأمانته، ما دام لم يرع حق الأمانة، ما دام لم يراقب الله في ما أؤتمن فيه، فإنه خائن لا محالة وإنه والحالة هذه من المنافقين الذين يتظاهرون بقبول الأمانة والانقياد لها، في حين أنهم يبتغون المخالفة، ويغشون ويدلسون ويتلاعبون، ويحابون فيما أؤتمنوا عليه.

فالله جل وعلا لا ينظر إلى الصور، ولا ينظر إلى الأموال، ولا إلى المظاهر، وإنما ينظر إلى القلوب وإلى ما اشتملت عليه من إخلاص ويقين وانقياد لله جل وعلا، فما دمنا نتعامل مع إله يعلم السر وما أخفى من السر فإن علينا أن نتعامل بإخلاص وصدق، وأن نراقب الله في أعمالنا، وألا نذتو من خيانة أو غش أو محاولة تليس أو مغالطة؛ لأن المعاملة مع من لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

إذا فإن من واجب المسلم أن يستشعر هذا الأمر في كل أعماله، سواء منها ما بينه وبين الله أو ما بينه وبين عباد الله، حينما يريد أن يؤدي عملاً فعلية أن يعلم تماماً في قرارة نفسه أن الله مطلع على عمله، ومطلع على نواياه، ومطلع على خلجات صدره وما يدور في خلده، فعليه أن يعمل عملاً يعلم أن الله يجازيه عليه إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وما ربك بظلام للعبيد. هذا هو دين الإسلام، وهذا هو واجب المسلم في كل ما يأتي وكل ما يذر.

ولذا لو صلى المصلي صلاة ظاهرها الخشوع والطمأنينة لكنها مبنية على مراعاة الناس، من أجل أن يقال: إنه صلى أو إنه خاشع أو حاضر القلب في صلاته أو مطمئن فيها، فإن هذا لا يفيد؛ لأنه ليس للإنسان من صلاته إلا بقدر إخلاصه، وبقدر رغبته فيما أعده الله من ثواب، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ قال الله تبارك وتعالى: (أنا أغني الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)^(٢).

(١) أخرجه البخاري مختصراً (٣٣)، ومسلم (٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

على أي حال علينا أن نستشعر أن الله جل وعلا مطلع على أعمالنا ومطلع على سرائرنا، وأن علينا أن نؤدي واجبنا، ونرى أمانتنا رغبة في ثواب الله، وخوفاً من عقابه، وأن علينا ألا نحابي وألا ندلس في عمل وألا نهمل واجب الأمانة.

والأمانة عظيمة كما تقدم في الآية الكريمة وغيرها من الآيات، وليست خاصة بأمر واحد من أمور الحياة كودائع مثلاً أو كعمل الإنسان الدنيوي، فإنها متعلقة وشاملة لعقائد الإنسان، وأخلاقه وأقواله وأعماله، وتربيته ومجتمعه، وبيعه وشرائه ووظيفته، ومعاملته مع الناس، ودعوته إلى الإسلام، وتحذيره من الشرور والشرك والشكوك، وجميع الأمور التي توجه لهذا الدين الإسلامي ولأخلاقه ولآدابه، ولهذا قال الله تعالى في كتابه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ أي أن الله لا يأمر إلا بالشيء المهم المفيد، والذي يعود على عباده بالفائدة العظيمة، ومع ذلك فإن الله سميع لأقوالنا، بصير بأحوالنا، وبما نعمله ونتعاطاه، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فليس معنى هذا أننا نعمل وأن الأمر متروك لأعمالنا فقط، بل إن هذه الأعمال هي تحت سمع الباري وبصره، والله جل وعلا قد كلف بنا من يحصون علينا مثاقيل الدر ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ ، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ .

إذاً فإن الأمور ليست بالتحلي ولا بالتمني، وإنما هي أعمال وأقوال مطابقة لشرع الله ودينه، فما علينا إلا أن نمثل ونعمل، ونراقب الله فيما نأتيه وفيما نذره. أسأل الله لنا جميعاً التوفيق والهداية والسداد، وأن نقول ونعمل صادقين، راغبين فيما أعده الله من ثواب لعباده المسلمين، هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً.

الإسراف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين وبعد.

فإن الله جل وعلا قال في كتابه العزيز: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾، فهذا هو هدي القرآن؛ أن يكون المسلم وسطاً بين التبذير والتقتير، فهذا هو دين الإسلام لا سرف ولا تبذير ولا خيلاء ولا مظاهر ولا تقتير ولا بخل ولا شح والعياذ بالله، فإن هناك منزلة وسطاً، وهي منزلة الاعتدال في النفقات، الاعتدال في جميع الأحوال في مظهر الإنسان ومسكنه وملبسه ونفقاته ومركبه وجميع أحواله، ولهذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ (كل واشرب وتصدق من غير سرف ولا مخيلة)^(١)، ولما مرّ النبي ﷺ بسعد رضي الله عنه وهو يتوضأ، قال له: ما هذا السرف يا سعد؟! قال: أفي الوضوء إسراف؟ قال: نعم وإن كنت على نهر جار^(٢).

وفي القرآن أيضاً: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ فدل أن الله جل وعلا أباح لنا أن نأكل ونشرب لكن في حدود، وليست إباحة مطلقة بل إباحة مراعاة بعدم السرف وعدم البذخ وعدم التبذير.

ومن المؤسف الآن أن كثيراً من مظاهر المسلمين وأحوال المسلمين ظاهر فيها السرف والتوسع الكثير جداً، ولا سيما في الحفلات والولائم والدعوات وحفلات الزفاف، وما إلى ذلك من الأمور التي أثقلت كاهل الأمة، وسببت للناس مشاكل كثيرة وهي: أولاً: مخالفة لما جاء عن النبي ﷺ ولما جاء به هذا الدين الإسلامي.

ثانياً: هي مؤذية للكثرة الكاثرة من أبناء هذه الأمة الإسلامية.

فبينما المطلوب منا أن نتعاون وأن نيسر الطرق لإخواننا المسلمين ولا سيما

(١) أخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم، في كتاب اللباس، باب قول الله تعالى: (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده) وأخرجه النسائي (٢٥٥٩)، وابن ماجه (٣٦٠٥) وأحمد (١٨١/٢) والحاكم (٥٣١/٤) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٢٥)، وأحمد (٢٢١/٢) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

لشبابنا في أمور الزواج ونفقاته وحفلاته، وما إلى ذلك من الأمور، فإذا بالأمور تتزايد عندنا وتتسع وتتضخم، ونرى الكثيرين يؤثرون ويفضلون المظاهر والسرف والبذخ وعدم التوسط والاعتدال في النفقات وفي الحفلات، وهذا إلى جانب أنه أذى الكثيرين من إخواننا كما تقدم، فإنه أيضاً عطل مسيرة الزواج المشروع، في حين أننا أمة مسلمة مدعوة إلى أن ترغب أبناءها من الجنسين في الزواج؛ لأن مصالح الزواج لا تخفى على أحد، فكما أن الرجل محتاج إلى المرأة فالمرأة أيضاً محتاجة للرجل، وكما أن في حرمان الرجل من المرأة مفسدة عظيمة ومضار كبيرة فكذلك حرمان الفتاة من الزوج فيها مفسد لا تقدر ولا تحد ولا تعد، ولا بد من التقاء الجنسين، هذا هو ما فطر الله الذكور والإناث عليه وهذا هو ما تقتضيه فطرة الخليفة، وهذا هو ما تقتضيه طبيعة الحياة ومسيرتها، فإذا ما تعطل أو عرقل موضوع الزواج الشرعي، فإن هناك وسائل أخرى ربما تكون أو يبحث عنها كبديل للنكاح الشرعي.

وهناك شيء آخر وهو أن البعض من أبناء هذه البلاد حينما يرون المظاهر ويرون الحفلات والتكاليف الطويلة العريضة التي لا أول لها ولا آخر، ربما يضطرون للبحث عن زوجة من جهة أخرى، وهذا أيضاً مضر، لأنه قد لا يحصل على الزوجة المرضية الخلق والدين وغير ذلك من الأمور، وقد لا تتفق مع أسرته ومع أهله ووالدته لاختلاف الطباع والبيئة، ثم يفشل الزواج ويترتب للشباب من المصاعب والمتاعب والتكاليف الشيء الكثير الذي نحن في غنى عنه، ولسنا معذورين في أن نضطر إخواننا وأبناءنا إلى أن يبحثوا عن مثل هذه الأمور، بل الواجب علينا أن نتفهم الأوضاع تماماً وأن نسعى إلى ما يسهل مثل هذا الأمر وهذا المرفق الهام الذي لا غنى لأحد عنه.

وقد علمنا أن الرسول ﷺ قال في موضوع الزواج: (أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة)^(١)، والنبي ﷺ زوج ابنته فاطمة رضي الله عنها بأربعمائة درهم (٢)،

(١) أخرجه أحمد (٨٢١/٦)، وأبو داود الطيالسي في مسنده (٢٠٢/١) وإسحاق بن رهويه في مسنده (٣٩٤/٢)، وأبو نعيم في الحلية (١٨٦/٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البيهقي (٢٣٤/٧)، وفيه أن النبي ﷺ سأل علياً لما جاءه يخطب فاطمة رضي الله عنها: «هل عندك شيء تستحلها به؟» قال: لا، والله يا رسول الله، قال: «فما فعلت بالدرع التي كنت سلحتكها؟» قال: والله إنها لدرع حطمية ما ثمنها إلا أربعمائة درهم، قال: «أذهب فقد زوجتكها وابتع بها إليها، فاستحلها به»، قال البيهقي: «رواه يونس بن بكير عن ابن اسحق، فقال: أربعة دراهم.

وأربعمئة درهم لا تزيد عن مئة وعشرة ريالات من النقود الحاضرة الآن، وتزوج نساءه على صداق خمسمئة درهم (١)، وهي أيضاً لا تزيد عن مئة وأربعين ريالاً تقريباً، فأين هذا الصداق النبوي مما نحن فيه الآن من الآلاف الكثيرة والنفقات الباهظة، والشروط العظيمة التي أثقلت كاهل الشباب، وعطلت مسيرة النكاح الشرعي؟

على هذا فإنني أهيب بكل من له كلمة، وبكل من له نفوذ، وبكل من له رأي أن يحارب مثل هذه الأمور، وأن يدعو إلى التقليل منها، وأن يبذل قصارى جهده في تيسير أمر النكاح، ومحاربة ظواهر السرف والبذخ والفخر والخيلاء التي هي بدون شك من مظاهر الضعف، ومن مظاهر الشعور بالنقص؛ لأن أهل تلك المظاهر يحاولون تكميل ما يشعرون به من نقص، وهم في قرارة نفوسهم يظنون أنهم لا يعتبرون شيئاً أولاً يعدون شيئاً إلا إذا أكملوا ما فيهم من نقص، بتلك المظاهر والحفلات والفخر والخيلاء والتناول، وبذخ الأموال الطائلة في غير ما حاجة وغير ما سبيل مشروع.

لماذا لا تكون هذه الأمور في طرق مشروعة وأبواب خير نافعة؟ لماذا لا نفكر في باقي إخواننا الذين لا يستطيعون أن يبذلوا عشرات الآلاف ولا يستطيعون أيضاً أن يحصلوا على بيوت كبيرة وفسيحة؟ ولماذا لا نفكر في إخواننا الذين لا يستطيعون أيضاً أن يقيموا حفلات في الفنادق الفخمة، ويبذلوا عشرات الألوف مقابل الموائد الطويلة العريضة؟ لماذا لا نفكر في هؤلاء، ونمد لهم يد العون والمساعدة، حتى نكسب أن نجتمع بين فتاة وفتى من إخواننا وأبنائنا المسلمين، وأن نكون بيتاً وعائلة مسلمة، وأن نحسن بذلك تلك الفتاة وذلك الفتى، ونسهل لهم الطريق، ونشعرهم بأننا نعطف عليهم، ونحنو عليهم وأنهم منا ونحن منهم؟ وهذا هو دين الإسلام دين التعاون ودين الأخوة، ودين يحنو بمقتضاه كل واحد منا على صاحبه.

هذا وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

التشبه بين الرجال والنساء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وبعد،

فإن الله فطر الخلق على فطرة سليمة، وخص الرجال بنوع من هذه الفطرة، وللنساء أيضاً نوع وأسلوب من الفطرة، بمعنى أن للرجال صفات تميزهم عن النساء، وللنساء صفات يميزن بها عن الرجال، وأن من حاول من الجنسين أن يعتدي على صفات الجنس الآخر فإنه قد اعتدى وحاول الخروج على فطرة الله التي فطر الخلق عليها؛ ولهذا جاء عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح: (لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال)^(١)، وهذا وعيد شديد، وتهديد أكيد في لعن من حاول من الرجال أن ينزل إلى صفات النساء وأن يتشبه بصفات النساء، التي هي من خصائص ومن لوازم أنوثتهن، ولعن أيضاً من حاولت من النساء أن تذهب إلى صفات الرجال، التي هي صفات الرجولة وصفات الذكورية وصفات الخشونة وصفات القوة وممارسة الأعمال الخاصة بالرجال.

فكل من الجنسين له صفاته كما تقدم وميزاته التي تميزه عن الصنف الآخر، إلا أنه من مظاهر المدنية الحاضرة ومن مظاهر التقليد الأعمى أن نرى الكثير من الشباب الآن يحاولون التشبه والاتصاف بصفات المرأة، وهذا بدون شك شعور بالنقص منهم، وشعور بالليونة والنعومة من نفوسهم، وإلا فإن للذكر صفاته وللنساء صفاتهن ومميزاتهن، فإذا ما حاول الذكر أن يكون كالأُنثى وأن يكون كالفتاة، فإن هذا خروج منه على فطرته وطبيعته التي فطر عليها وطبع عليها، وكذلك يكون قد عرض نفسه للعنة النبي ﷺ، وسخط الله وأليم عقابه، وبذلك أيضاً يكون قد أخرج نفسه عن مقومات ذكوريته ورجولته. وقد روي عن عمر - رضي الله عنه - أنه حثنا جميعاً على أن نتمسك بمقومات الرجال من الصلابة والخشونة، وممارسة الأعمال التي تؤدي بنا

(١) أخرجه البخاري (٥٨٨٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

إلى ذلك، فروي عنه أنه قال: (اتزروا وارعدوا وانتعلوا وارموا بالخفاف، واقطعوا السراويلات، وعليكم بلباس أبيكم إسماعيل، وإياكم والتنعم وزى العجم، وعليكم بالشمس فإنها حمام العرب، واخشوشنو واخولقوا وارموا الأعراض وانزوا نزواً) (١) وفي أثر آخر: (اخشوشنوا فإن النعم لا تدوم).

من هذا نعرف أن على الرجل أن يرغب عن صفات الجنس الآخر، وأن يحاول المحافظة على صفاته هو، على قوته وعلى خشونته وعلى رجولته في مشيته وملبسه ومظهره، وجميع أحواله وصفاته، ولا فضل للرجل في أن يكون كالفتاة، ولا فضل أيضاً ولا ميزة للمرأة في أن تكون كالرجل، فهي أنثى وامرأة وسيدة، وهي ملكة بيت ولها من الميزات ولها من المكانة العظيمة في الإسلام وعند ذوي العقول والألباب ما يغنيها عن محاولة أن تتصف بصفات الرجال. فإن الأنثى هي الأنثى وجمالها بأنوثتها ومحافظتها، وسماتها الطيبة من العفة والنزاهة والكرامة، وإن الرجل هو الرجل بقوته وجلده وصلابته ومناعته وتحمله وبأسه، وقدرته على الذهاب والإياب، والكر والفر، وما إلى ذلك من الأمور.

لكن إذا رأينا بعض الناس لا يألون جهداً في أن يظهرُوا بمظهر الرجل الناعم تماماً، مثلاً يحلق لحيته، ويحلق أيضاً بقية شعره، ولربما أيضاً يلبس لباساً ناعماً تماماً، وأيضاً ربما يكون عند بعضهم إطالة شعر الرأس بحيث يكون مشابهاً لشعر الفتاة، وبعضهم ربما يلبس شيئاً من الحلبي أو السلاسل، وهذا غاية الانحطاط، وغاية السفالة أن يفكر الرجل بهذا التفكير، وأن يصل به عقله وتفكيره وثقافته - إن كانت له ثقافة - إلى هذا المستوى.

ومن المؤسف أيضاً أن يلاحظ أن الأنثى تحاول أن تتشبه بالرجل إما في لباس أو في مشية أو في شيء من أحواله، فإنها لا مزية لها في ذلك ولا فضيلة لها ولا كرامة، بل محاولة كل واحد من الاثنين الخروج إلى دائرة الثاني، لا شك أنها بدافع الشعور بالنقص وبدافع الشعور بأن هناك شيئاً فقدته ويبحث عنه، فكيف يليق بالفتى

(١) أخرجه عبد الرزاق (٨٥/١١) وابن أبي شيبة (٣٠٤/٥) وابن حبان (٢٦٨/١٢)، والبيهقي (١٤/١٠) وأصله عند مسلم (٢٠٦٩) موقوفاً على عمر رضي الله عنه وفيه: «إياكم والتنعم وزى أهل الشرك ولبوس الحرير».

أن يبحث عن شيء فقدته من صفات الأنثى؟ لو تصور الفتى هذا الشيء لخشجل ولما خرج من عند أهله أو من بيته وهو على هيئة وصفة فتاة، ولو تصورت الأنثى أنها في حال بحثها أو حال تحليها أو ظهورها بمظهر التشبه بالذكر لخشجلت من نفسها، فالرجال رجال والذكور ذكور والأنثى أنثى والمرأة امرأة، والنبي ﷺ أعطى الكلمة الحاسمة قال: (لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال)^(١)، وهذا لكي لا يخرج واحد من الاثنين عن طبيعته ومقتضى تكوينه البدني ومزاجه وصفاته، فمن خرج عن ذلك فقد خرج عن المألوف، وحاول ما ليس له، وتعدى على حدود الطرف الآخر.

ويؤسفني جداً أن أنوه بنقص عقول أولئك الشباب الذين لا تزال نسمع عنهم أنهم يحاولون الظهور بصفات كصفات الفتاة، ويسمى هذا إما خنفساً أو أسماء أخرى، وهذا مخالف طبعاً لتعاليم الإسلام وآدابه وأخلاقه، ومخالف أيضاً لطبيعة المسلم وطبيعة الرجل، وحتى لو لم يكن الإنسان مسلماً فإن عليه أيضاً أن يحتفظ بطبيعته كرجل وطبيعته كذكر، ولا يرضى لنفسه أن يهين نفسه ويتجمل ويتحلى ويلبس السلاسل، ويطيل شعره ويلبس الناعم من الثياب، ويبدو كأنه فتاة ستزف إلى زوجها والعياذ بالله، هذا الشيء الذي لا ينبغي ولا يجوز، وقد علمنا أنه مخالف للطبيعة والفطرة ولتكوين كل من الجنسين.

وأسأل الله لنا جميعاً التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

القابض على دينه كالقابض على الجمر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

من المعلوم أن الله جل وعلا أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام ديناً، وهذا الدين الإسلامي هو دين كامل وشامل لجميع أحوال البشر في معاشهم وفي معادهم، ولا يحتاج إلى تكملة لا في أحكامه ولا آدابه ولا تشريعاته ولا في جميع شؤونه، فهو صالح لكل زمان ولكل مكان ولجميع العباد، ولا يؤثر على الدين ما طرأ من تغيرات ومن تبدلات في مفاهيم بعض الناس أو الكثيرين منهم، أو محاولة الدس أو الطعن في شرع الله ودينه، فإن هذا لا يغير شيئاً من كمال دين الله عز وجل ومن صلاحيته وشموله لمصالح العباد والبلاد في جميع الأزمنة والأمكنة والأحوال والصفات.

وإذا اختلفت نظرة الناس الآن إلى هذا الدين الإسلامي فإن هذا ليس ببدع، والنبي ﷺ أخبر في الحديث الثابت عنه أن أحوال الناس تتغير في آخر الزمن، وأن هذا لا يثني المسلم ولا يرد المؤمن عن التمسك بدينه والعض عليه بالنواجذ^(١)، ولهذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ: (يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر)^(٢) وهذا خبر من النبي ﷺ بأن هذا سوف يحصل، وأنه يصبح القابض على دينه كالقابض على الجمر دائماً يتململ؛ لما يرى من كثرة الفتن، ولما يشاهده من البهتان والشكوك والريب، وكثرة المحاريب والمناوئين لهذا الدين والقائمين به والمتمسكين عليه، وكثرة الأعداء وقلة الأعوان، لذلك أصبح المتمسك والقابض على دينه بمنزلة وبمثابة القابض على الجمر، فصلاة الله وسلامه على من لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (١٢٦/٤) من حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٢٦٠) من حديث أنس رضي الله عنه، وأخرجه أحمد (٣٩٠/٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه: «التمسك يومئذ بدينه كالقابض على الجمر».

وكما أن هذا الحديث عن النبي ﷺ فيه الخبر بما سيقع وفعلاً وقع فإن فيه أيضاً الإرشاد لأتمته أنه متى وقع مثل هذا الأمر فإنهم لا يستغربونه ولا يستنكرونه، ولا يقلل ذلك من عزيمتهم ولا من اهتمامهم ولا من تمسكهم بهذا الدين وعضهم عليه بالنواجذ، فإن الحديث ضمناً يقول لنا لا يثنيكم ذلك عن القبض على هذا الدين فتمسكوا بهذا الدين تماماً، واعتبروا مثل هذه الأوضاع - وإن كانت شاذة - أوضاعاً محتملة الوقوع، فتمسكوا بدينكم وأعدوا لتلك الظروف العدة، وتعاونوا على البر والتقوى، وعليكم بتوحيد الكلمة، وجمع الصفوف، والتآخي فيما بينكم؛ لتستطيعوا مقاومة الأعداء والمناوئين والمشككين والدساسين والمغرضين والملحددين والزنادقة، أما إذا انفرد أولئك الأشرار بالمسلم المؤمن في حال غربته وحال وحدته وحال انفراده وحال تملله، فإنه والحالة هذه سوف تجتمع عليه المصائب والمآسي والفتن والمحن، وقد لا يستطيع الصمود أو الوقوف في وجوه التيارات المتوالية والمتلاحقة إذا كان وحيداً.

يأتي على الناس زمان القابض على دينه كالقابض على الجمر هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن المتمسك بدينه وبأمانته وبواجبات دينه هو أيضاً يصبح غريباً حتى في بلده وبين إخوانه وبين مواطنيه؛ لأن الكثيرين منهم قد تنكروا لهذا وتغيروا له، وأصبح التمسك بالدين والعقيدة أو المبادئ والأخلاق أو المحافظة على الأمانة أمراً مستغرباً وأمراً غير مألوف، ومن هذا الباب الحديث الآخر الذي ذكره ﷺ: (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء)^(١)، وفي رواية قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: (الذين يصلحون إذا فسد الناس)^(٢) وفي لفظ: (يصلحون ما أفسد الناس)^(٣)، وفي لفظ من الغرباء؟ قال: (هم النزاع من القبائل)^(٤)، يعني كانوا يصلحون في حال الفساد، أو أن مرتبتهم أعلى وأجل من

(١) أخرجه مسلم (١٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (٧٣ / ٤) من حديث عبدالرحمن بن سنان وأخرجه الطبراني في الكبير (٧٦٥٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٣٠) من حديث عمرو بن عوف رضي الله عنه.

(٤) أخرجه ابن ماجه (٣٩٨٨)، وأحمد (٣٩٨ / ١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٥) سبق تخريجه.

ذلك ، وأنهم أيضاً يصلحون الفساد أو يصلحون ما أفسد الناس ، أو أنهم قلة من الناس . على أي حال إذا حدثت مثل هذه الأمور فينبغي للمسلم ألا يستغرب ، وأن يكون متهيئاً متوقفاً حدوث مثل هذا ، لأن المصطفى أخبر به ، ولأنه لا يخبر إلا بما يقع صدقاً وحقاً مطابقاً لخبره ﷺ . وهذا لا يزيد المسلم إلا تمسكاً وإصراراً على القيام بواجب دينه وبواجب أمانته .

من ذلك مثلاً أن من كان أميناً في مثل هذه الأوقات وغير قابل للمساومة على عمله ، وغير قابل للأخذ والرد في ما هو من واجب أمانته ومن واجب أداء ما كلف به شرعاً وعقلاً ، ربما يكون منبوذاً ، وربما توجه له ألوان من التهم وألوان من التعسف والتعنت ، وربما يحرم الكثير مما يستحقه من الميزات أو من غيرها ، وهذا يوحي به ويفيده قول النبي ﷺ : **(الصابر منهم على دينه كالقابض على الجمر)** ^(١) ، فإما أن يستمر في أن يقبض على دينه مع ما يناله من الضرر ومن أذى كحال الذي قبض على الجمر ، فإن حال من قبض على الجمر لا يخفى ، فإنه لا يزال يتململ ويقاسي متاعب من القبض على الجمر ، فإن من قبض على دينه وتمسك بدينه رغم ما يواجهه من المتاعب والصعوبات ويحاول أن يؤدي واجبه ، ويحاول أن يقوم بواجب أمانته وواجب دينه ، وإخلاصه لأتمته ولإخوانه المسلمين ، لا يعبأ بما قد يوجه إليه ، أو بما قد يحرمه ، أو بما قد يناله من مصاعب أو من متاعب .

ولكل شيء ضريبة فكما أن للخيانة والغش والتدليس والكذب والفجور ضرائب في الدنيا والآخرة ؛ فمن ضرائب الدنيا أن يؤنب الإنسان ضميره ، وألا يشعر بسعادة أبداً ، وألا يتلذذ بعيش بالمعنى الصحيح ، لأنه لا يأكل إلا حراماً ، ولا يأكل إلا سحتاً ، ولأنه ملعون كما جاء في حديث عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال : **(لعن رسول الله الراشي والمرتشى)** ^(٢) ، وأيضاً هو لا يشعر بسعادة في بيته وبين أفراد أسرته ، وقد لا ينج من الصحة الحقيقية ، فتكون أحواله منغصة ، وهو من جانب آخر يخشى الموت ، ويخشى القبر ، ويخشى الحساب والعقاب ؛ لأنه يعرف ما قدم ،

(١) سبق تخريجه .

(٢) أخرجه أبو داود (٣٥٨٠) ، والترمذي (١٣٣٧) ، وابن ماجه (٢٣١٣) ، وأحمد (١٦٤/٢) ، والحاكم

(١٠٢/٤) .

وما سجل عليه، ويعرف أن هناك كراماً كاتبين، وأنهم يدونون الصغائر والكبائر ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾، ﴿وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾، ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ .

هذا وصلى الله وسلم وبارك على من أعطي جوامع الكلم، واختصر له الكلام اختصاراً، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

خيانة الأمانة

أحمد الله جل وعلا ، وأصلي وأسلم على عبده ورسوله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين .

إن الله جل وعلا أمرنا بأداء الأمانة والمحافظة عليها فقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ ، فهذا أمر من الله لنا أن نؤدي الأمانة إلى أصحابها وأن نحافظ عليها ، وهذا يعني أن نكون أمناء وأن لا نخل بشيء من أماناتنا .

وفي الآية الأخرى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ وفي الأخرى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ ، إلى غير ذلك من الآيات ، وهي واضحة في تأكيد شأن الأمانة وأهميتها ، وأن المسلم لا يكون مسلماً ولا يكون مؤمناً إلا بقدر محافظته على أمانته .

والنبي ﷺ كان يقول في أكثر خطبه : (ألا لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له) ^(١) ، ولما جاءه صحابي وسأله عن ألين ما في هذا الدين قال : (ألين ما في هذا الدين شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) ، ولما سأله أيضاً عن أشد ما في هذا الدين قال : (أشد ما في هذا الدين الأمانة) ^(٢) . ف شأن الأمانة عظيم ، ولهذا أشفقت السموات والأرض والجبال من حملها وحملها الإنسان لجهله بعواقبها ونتائجها .

فعلى المسلم أن يحافظ على أمانته سواء أكانت هذه الأمانة فيما بينه وبين الله عز وجل ، كأمانة الصلاة والوضوء والغسل وما إلى ذلك من الأمور ، أم كانت الأمانة من باب الودائع والأعمال والأمور التي يؤتمن عليها ، فهي بين العبد وبين إخوانه وبين

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٣٥) ، وابن حبان (١/ ٤٢٢) ، والطبراني في الأوسط (٣/ ٩٨) ، والبيهقي (٦/ ٢٨٨) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البزار في مسنده (٣/ ٦١) من حديث علي رضي الله عنه ، وأورده الهيثمي في زوائده (١٠/ ٢٩٢) وقال : (رواه البزار وفيه أبو الجنوب وهو ضعيف) .

مجتمعه وبين جيرانه وبين أولاده وبين أهله، فكما في الحديث: (كلكم راع ومسؤول عن رعيته)^(١). وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان) فقليل له: وإن صلى وصام؟ فقال ﷺ: (وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم)^(٢).

فإن مجرد الإتيان بشيء من شعائر الإسلام أو ببعض شعائر الإسلام لا يفيد أنه مؤمن حقاً، ولا يفيد أنه مسلم تماماً، بل المسلم كما في الحديث عن النبي ﷺ (من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنة الناس على دماءهم وأموالهم)^(٣).

فإذا لم يكن أميناً بالنسبة لما بينه وبين الله، فإنه لم يحافظ على حدود الله ولم يحافظ على شرائعه ولم يحافظ على فروضه ولم يتأدب بآداب الإسلام، وإذا كان المسلم غير أمين على ما أؤتمن عليه من ودائع أو ولاية أو أي شيء من ذلك فهو ليس بالمؤمن ولا بالمسلم، والنبي ﷺ قال: (أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر)^(٤).

فهذه الخصال الأربع إذا توفرت في شخص كان منافقاً خالصاً - والعياذ بالله -، وإذا كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها. من بينها إذا أؤتمن خان، فإذا كان المؤمن والأمين أي شخص كان على شرع الله ودينه أو على حقوق المسلمين أو على حقوق عباد الله ولم يوف الأمانة حقها ولم يقم بواجب رعاية الأمانة، أو تجاه أولاده أو تجاه تربيتهم أو تجاه عقيدته أو أي لون من ألوان الحياة وألوان التكاليف، إذا لم يكن المسلم أميناً فيها فإنه قد لا يستفيد من باقي عباداته لقول النبي

(١) أخرجه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه مقتصراً على شطره الأول البخاري (١٠)، ومسلم (٤٠) من حديث عبدالله بن عمرو رضي

الله عنهما. وأخرجه بلفظه الترمذي (٢٦٢٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي (٤٩٩٥)،

وأحمد (٣٧٩/٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٣٤) واللفظ له، ومسلم (٥٨) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

ﷺ: (وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم)^(١)، ولقول النبي ﷺ في كثير من خطبه: (ألا لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له)^(٢)، ولقوله ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة)^(٣).

فإذا كان المؤمن خائناً فبئست البطانة وبئست الصفة وبئس العمل الذي قام به، حيث أضاع أمانته، ونسي ما أعده الله عز وجل لعباده الأمانة الذين حافظوا على أمانتهم.

وفي القرآن ما يفيد أن الناس بالنسبة للمحافظة على الأمانة وإلى إضاعتها ثلاثة أقسام كما في آية الأحزاب: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ ^(٧٢) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا، ف هؤلاء أصناف ثلاثة: المنافقون وهم الذين تظاهروا بالإقرار بالأمانة والالتزام بها في الظاهر وأنكروا في الباطن، والمشركون والكفار وهم الذين نبذوا الأمانة ظاهراً وباطناً، والمؤمنون وهم الذين التزموا بها ظاهراً وباطناً.

فالناس بالنسبة للأمانة ثلاثة أقسام كما تقدم، ومن هنا يتأكد لنا يقيناً أهمية الأمانة، وأن مجرد كون الإنسان يصلي أو يصوم أو يعتمر أو يحج أو يتظاهر بالإسلام وإيمانه في الخيانة مع إيمانه في عدم رعاية الأمانة، وإضاعته لما أمر الله به في المحافظة على الأمانة فهو خائن فيما بينه وبين الله، خائن في عمله، خائن في وديعته، خائن فيما أوثمن عليه، محاب في أحواله وتصرفاته لا يقيم لأمر الأمانة وزناً، فأى إيمان أو أي إسلام لهذا؟.

فالدين ليس بالتحلي ولا بالتمني ولكن الدين هو العمل بما جاء به محمد ابن عبدالله عليه أفضل الصلاة والسلام، وتقدم لنا في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه أبو داود (١٥٤٧)، والنسائي (٥٤٦٨)، وابن ماجه (٣٣٥٤)، وابن حبان (٣٠٤/٣) من

حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال: (أشد ما في هذا الدين الأمانة)^(١)، لما هو لازم من المحافظة عليها، وفي الحديث الثاني: (أول ما تفقدون من دينكم الأمانة وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة)^(٢)، فعلم أن الأمانة هي أول ما يفقد من الدين، ومن هنا يعلم أن استخفاف العبد في أمانته علامة واضحة على إضاعته لدينه، وعلى نقص في دينه.

وعلى المسلم ألا يغتر بأي عمل يقدمه ما لم يكن أميناً، وما لم يكن ناصحاً لأُمته، وما لم يكن بعيداً عن أسباب الخيانة سواء في قوله أو عمله، أو في لسانه أو فرجه أو في بطنه أو يده أو في تصرفاته وحركاته، عليه أن يكون أميناً، ومن لم يكن أميناً على ما أوُتمن عليه سواء من ربه أو من إخوانه ومواطنيه فإنه بئس العبد، وإنه لخائب، والنبي ﷺ استعاذ من الخيانة وأخبر بأنها - والعياذ بالله - بئس البطانة، أي أنها - والعياذ بالله - أسوأ البطانة يستبطنها العبد أن يكون خائناً لأمانته.

أسأل الله جل وعلا أن يجعلنا من عباده الذين حافظوا على أمانتهم، ورعوها حق رعايتها فأوجب الله لهم الفردوس في قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾، ثم قال بعد ذلك: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾^(١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٥٦/٧)، (٥٥٠)، والطبراني في الكبير (٨٦٩٩)، والحاكم (٥٠٤/٤) وصححه، والبيهقي (٢٨٩/٦) من طريق شداد بن معقل موقوفاً على ابن مسعود رضي الله عنه، وأخرجه الطبراني في الكبير (٧١٨٢) عن شداد بن أوس رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

رعاية اليتيم

أحمد الله، وأصلي وأسلم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

إن هذا الدين هو دين العمل ودين الصدق والإخلاص، ودين يقتضي من العبد أن يتعامل مع الله بصدق، وأن يحافظ على من تحت يده ولا سيما اليتيم إذا كان عنده يتيم في رعايته أو مال يتيم، فإن عليه أن يحافظ على ذلك، وأن يهتم به ويرعاه أكبر اهتمام وأفضل رعاية. والله جل وعلا حذر من أكل مال اليتيم والتهاون فيه فقال جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾، وهذا وعيد شديد، وتأکید بليغ لمن تهاون في مال اليتيم وأكله ظلماً، فإنما يأكل في بطنه ناراً.

وقال المفسرون إن من أكل مال اليتيم ظلماً خرج يوم القيامة من قبره لحشره ونشره، ويخرج من مسامعه وفمه لهب النار مصداق قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾.

وفي الآية الأخرى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وفي الحديث عن النبي ﷺ: (اجتنبوا السبع الموبقات) قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: (الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم..)^(١) إلى آخر الحديث، فأكل مال اليتيم من الكبائر ومن السبع الموبقات، ذلكم أن اليتيم هو وماله أمانة عند من وجد عنده هذه اليتيم أو مال هذا اليتيم، وليس لهذا اليتيم من يدافع عنه، وليس له من يجادل دونه إلا الله عز وجل، فإذا استخف هذا الذي تولى اليتيم به أو بحقه وماله فهو إنما استخف بالله عز وجل، وهو إنما تجاهل قدرة الله، الذي جعل هذا الطفل أو هذه الفتاة يتيمين ثم سيرهما إلى هذا الإنسان.

فمن تعدى على مثل هذا اليتيم أو على ماله فهو في الحقيقة تجاهل قدرة الله

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عز وجل، وسطاً على ضعيف لا حول له ولا طول ولا مدافع عنه، ونسي أن الدهر يأتي بالعجائب، وأنه ربما هلك هو وترك أولاده أيضاً أطفالاً وأيتاماً، وأنهم في تلك الحال في حاجة إلى من يصلح أمورهم، وإلى من يرعاهم رعاية إسلامية، وإلى من يقوم بشؤونهم، وإلى من يحفظ أموالهم بأمانة، فكما تدين تدان وما ربك بظلام للعبيد.

والنبي ﷺ أخبر أن كافل اليتيم مع النبي ﷺ في الجنة، ثم أشار بأصبعيه: السبابة والوسطى وقال: كهاتين^(١)، وأخبر ﷺ أن من مسح رأس اليتيم رغبة فيما عند الله عز وجل فله بقدر ما تمر عليه يده من شعر هذا اليتيم حسنات^(٢)، وأخبر ﷺ أن الساعي على الأرملة واليتيم كمجاهد في سبيل الله، وكالصائم لا يفطر، وكالقائم لا يفتر^(٣). هذا كله لمن قام على اليتيم، ولمن حافظ على مال اليتيم، ولمن نصح إلى اليتيم.

وأخبر النبي ﷺ أن خير بيت في المسلمين بيت يحسن فيه إلى يتيم، وأن شر بيت في المسلمين بيت يساء فيه إلى يتيم^(٤). فهل أبلغ من هذا شيء أن يكون شر البيوت البيت الذي يساء فيه إلى يتيم؟ وهل أعظم من فضل كون كافل اليتيم والمحسن إليه مع النبي ﷺ في الجنة كإصبعه السبابة والوسطى؟ وهل أبلغ فضلاً ومرتبة من أن كافل اليتيم والساعي على الأرملة كمجاهد في سبيل الله، وكالصائم لا يفطر، وكالقائم لا يفتر، هذا فضل عظيم.

وما تقدم في الآية أيضاً وعيد شديد، وتهديد أكيد لمن تناول مال اليتيم قليلاً كان أو كثيراً، ما لم يكن هذا الأكل بالمعروف، أي مقابل عمله في مال اليتيم، ومقابل خدمته وجهده فيه فالحق أحق أن يتبع، فإذا لم يتركه فضلاً، وبترفع عنه تنزهاً، وأراد أن يأخذ من حقه فلا بأس، وهذا جاء في القرآن أيضاً، أن يأكل بالمعروف من مال اليتيم إذا كان يبيع فيه، أو يسعى عليه، ويشغل به فإنه لا مانع من أن يأخذ أجرته،

(١) أخرجه البخاري (٥٣٠٤) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (٢٥٠/٥)، والطبراني في الكبير (٧٨٢١) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٥٣٥٣، ٦٠٠٧)، ومسلم (٢٩٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه ابن ماجه (٣٦٧٩)، والطبراني في الأوسط (٩٩/٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولا مانع من أن يأخذ أتعابه بقدر ما يقتضيه العرف والعادة، ولا يجوز على مال اليتيم.

أما أنه يتلاعب في مال اليتيم، ويتحايل عليه، ويسيء أيضاً تربية اليتيم أو يسيء إلى اليتيم ذاته، أو يسمح لأولاده أو لزوجته أو لمن في بيته أن يسيئوا إلى اليتيم ويهينوه ويذلوه ويعاملوه معاملة تختلف عن معاملة الآخرين، فإن هذا - والعياذ بالله - هو الأمر العظيم والخطر الجسيم على المسلم وعلى أولاده في عاجلهم وآجلهم.

والضعفاء كالأرملة والعجزة والناس الذين لا يدافع عنهم، ولا قدرة لهم ولا حول إلا من الله عز وجل، فإنه جل وعلا يغار لهم والنبي ﷺ قال: (اللهم إني أخرج حق الضعيفين اليتيم والمرأة)^(١)، يعني أحرم بشدة حق الضعيفين اليتيم والمرأة، ذلك أن مثل المرأة ومثل اليتيم لا يستطيعان الدفاع عن أنفسهما، ومن الجبن ومن أسفه الآراء أن لا يتسلط الإنسان إلا على يتييم، أو على امرأة ضعيفة، أو على إنسان عاجز، يعرف مسبقاً أنهم لا يستطيعون أن يبدوا حراكاً، أو أن يدافعوا عن أنفسهم، وينسى أن الله بالمرصاد له، وينسى أن الله مطلع على حركاته وسكناته، وينسى أنه ترك الأقوياء والأشداء خوفاً منهم، وأقدم على الأيتام وعلى الأراامل والضعفاء، تجاهلاً لقدرة الله ولعزته وانتقامه، واستخفافاً بحق الضعفاء؛ لأنهم لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم.

فشأن اليتيم والمحافظة عليه وما فيه من الأجر أمر رغب فيه الإسلام، وحذر من مخالفته، ومعلوم أن كلاً منا يحتاج أن يعرف مثل هذه الأحكام من أجل أن يحافظ على ما لديه من مال اليتيم، ويحافظ على ما لديه من مال غاب أهله كالأوقاف والوصايا والأموال التي أهلها غائبون أو موتى، فإن على المسلم أن يعلم حق العلم أن الله رقيب عليه، ومطلع على أعماله وعلى نواياه وعلى ما يضره، فعليه أن يخلص، وأن يبذل قصارى جهده في تنمية مال اليتيم، وفي تكثيره، والعمل على إصلاحه، كما يفعل في ماله سواء بسواء، وكما يعمل مع أولاده سواء بسواء.

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٩١٠٤)، وابن ماجه (٣٦٧٨)، وأحمد (٤٣٩/٢) والحاكم (٣٦/١) وصححه، والبيهقي (١٣٤/١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أسأل الله أن يملأ قلوبنا رأفة ورحمة، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشداً، وأن يحفظ لنا ذريتنا وأن لا يضيع لنا ذرية، إنه سميع مجيب وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

حرمة المسلم

أحمد الله جل وعلا ، وأصلي وأسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

معلوم اهتمام الإسلام بحرمة المسلم ودمه وماله ، ولهذا قال النبي ﷺ : (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا) ^(١) وكان يوم النحر ، وكان ﷺ في مكة فقال مقاتله تلك وأسمعها العالم أجمع ﷺ ، فعلم من هذا ما للمسلم من حرمة ، ولهذا قال النبي ﷺ : (لعن المؤمن كقتله) ^(٢) ، وجاء في القرآن العزيز بالنسبة إلى حرمة دم المسلم قول الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ ، وهذا وعيد شديد ، وتأكيد عظيم جداً في حق من قتل مسلماً ، ومن يقتل مؤمناً متعمداً يعذبه عذاباً عظيماً ، فأى تهديد وأي وعيد أبلغ من هذا .

جاء أيضاً : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ ، هذا أيضاً فيه تعظيم شأن المسلم ، فقتل المسلم بمثابة قتل الناس أجمعين ، ومن سعى في تخلص مسلم من القتل بغير حق فكأنما سعى في تخلص الناس أجمعين .

وفي الحديث الصحيح : (اجتنبوا السبع الموبقات) قالوا : يا رسول الله وما هن؟ قال : (الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق) . وذكر منها : (قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق) ^(١) فهي أحد السبع الموبقات .

وفي الآية الأخرى لما ذكر الشرك بالله ، وذكر دعوة غير الله ، وذكر أيضاً الزنى ، وذكر أيضاً قتل النفس ، قال : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ ^(٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ^(٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ .

(١) أخرجه البخاري (٦٧) ، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٤٧) ، ومسلم (١١٠) من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه .

(٣) سبق تخريجه .

فمن هذه النصوص من آيات القرآن العزيز، ومن أحاديث النبي ﷺ يتأكد لنا أن قتل المسلم بغير حق هو من أكبر الكبائر، ومن أقطع وأبشع الجرائم، وأن قاتل المسلم بغير حق على خطر عظيم من أن يكون من أهل النار. ولهذا لما سأل ابن مسعود - رضي الله عنه - النبي ﷺ قال: «أي الذنب أعظم عند الله قال: (أن تجعل لله نداً وهو خلقك)، قال: إن ذلك لعظيم، ثم أي؟ قال: (أن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك)، قال: ثم أي، قال: (أن تزاني حليلة جارك)»^(١)، وفي حديث آخر أن النبي ﷺ قال: (لا يزال المسلم في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً)^(٢)، وفي حديث آخر: (لو تمالأ أهل السموات وأهل الأرض على قتل مسلم لأكبههم الله في النار)^(٣)، وفي حديث آخر: (من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة لقي الله يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله)^(٤)، والكلمة هي اقتلوه أو اقتله وشطرها «اق» يعني نصفها، من أعان على مسلم ولو بذلك، لقي الله يوم القيامة مكتوب بين عينيه «آيس من رحمة الله».

ولما سئل ابن عباس - رضي الله عنهما -: هل لقاتل المسلم بغير حق من توبة؟ فقال: ماذا تقول؟ ثم استعاده مرتين أو ثلاثاً استنكاراً لما سأل عنه ثم قال: النبي ﷺ يقول: (يأتي المقتول يوم القيامة ممسكاً رأسه بيده، ومطلباً قاتله بيده الأخرى، وأوداجه (يعني عروقه) تشخب دماً، ثم يقول يارب هذا قتلني سله بم قتلني؟)^(٥)، فيأمر الله جل وعلا به إلى النار، هذا جواب ابن عباس رضي الله عنهما لمن سأل: هل للقاتل من توبة؟ فهذا المقتول يأتي يوم القيامة ورأسه في يده وعروقه تشخب دماً وهو مطلب القاتل بيده الأخرى، فيقول: يارب اسأله بم قتلني؟

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٦٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه الترمذي (١٣٩٨)، والطبراني في الأوسط (١١٢/٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه الترمذي (١٣٩٨) والحاكم (٣٥٢/٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢٦٢٠)، وأبو يعلى في مسنده (٣٠٦/١٠)، والبيهقي (٢٢/٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه الترمذي (٣٠٢٩)، والنسائي (٣٩٩٩)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

ولأنه قتله بغير حق لن يجد جواباً، ولكن جوابه أن يقال له: اذهبوا به إلى النار والعياذ بالله، فشأن المسلم عظيم (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، ألا هل بلغت؟) قالوا: نعم، قال: (اللهم اشهد)^(١) وفي حديث آخر (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)^(٢).

فهذا هو شأن حرمة المسلم، وقتل المسلم من أكبر الجرائم ومن أفظع الأمور، لا سيما إذا قتل ظلماً ودون حرمة، أو دون ماله، واعتدي عليه من أجل أن يغتصب منه مالا، أو من أجل أن يغتصب منه عرضاً، أو من أجل أن يستباح شيء من كرامته، فإن المقتول شهيد، والقاتل مجرم متعرض لغضب الله ولعنته، وأليم عقابه، وهو إفساد في الأرض كما قال الله عز وجل: ﴿مَنْ أَجْلٍ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾، ولا فساد في الأرض بعد الشرك بالله جل وعلا الذي هو أبلغ من قتل النفوس، وإزهاق الأرواح، وإسالة الدماء.

وأول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ^(٣)، وبالنسبة للعبد فيما بينه وبين الله أول ما يُحاسب عليه الصلاة؛ لأنها أعظم أعماله التي بينه وبين الله، لكن أول ما يقضى بين الناس فيما بينهم يوم القيامة في الدماء، ولا يزال العبد كما تقدم في الحديث في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً، قال رسول الله ﷺ: (من استطاع أن لا يُحال بينه وبين الجنة بملء كف من دم أهرأقه فليفعل)^(٤).

فسفك دم المسلمين وإخافتهم وأذيتهم وترويعهم والسطو عليهم سواء مغالبة لهم على أموالهم أو على أعراضهم أو على دمائهم، لا يفعله إنسان مؤمن، ولا يفعله

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري (١٢١)، ومسلم (٦٥) من حديث جرير رضي الله عنه.

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣٣)، ومسلم (١٦٧٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٧١٥٢) من حديث جندب رضي الله عنه.

إنسان مسلم يتقي الله عز وجل ، ويخشى يوم الحساب ويعلم حق العلم ويتيقن حق اليقين أن الله جل وعلا أنزل في محكم كتابه : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ .

وطاف النبي ﷺ بالكعبة يوماً فقال : « ما أطيبك وأطيب ريحك وما أعظمك وأعظم حرمتك ، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك ، ماله ودمه »^(١) ، يعني الكعبة ، فعلى عظم شأن الكعبة وعلى مكانتها وحرمتها العظيمة إلا أن حرمة المسلم أعظم عند الله من حرمة الكعبة ، فإراقة دماء المسلمين هي من أعظم الأمور ولهذا قال النبي ﷺ : (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة)^(٢) .

فدماء المسلمين حرام ، وأعراضهم حرام ، وأيضاً أموالهم حرام ، وكل ما يدخل الأذى أو يوصل الأذى إلى المسلم بغير حق هو من الأمور المحرمة ، ومن الأمور المغلظة في الإسلام ، ولا يأتي الإسلام بشيء من هذا ، ولهذا في الحديث الصحيح : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)^(٣) ، هذا هو المسلم ، أما إذا لم يسلم المسلمون لا من لسانه ولا من يده فأين هو من الإسلام ؟ إذا كان يهتك الأعراض ، ويسفك الدماء ، وينهب الأموال ، ويغتصب الحقوق ، ويتسلط على المسلمين سواء بيده أو بلسانه أو بسلاحه أو بقوته ، فإن هذا بعيد عن الإسلام بعيد عن الإيمان ، عليه أن يراجع إسلامه وعليه أن يراجع إيمانه وعليه أن يحاسب نفسه قبل أن ينتقل من هذه الدنيا وقبل أن يحضره رسول ربه ، قبل أن يحضره ملك الموت ، وقبل أن يوضع في حفرة قاتلاً مجرمًا سافكاً للدماء ، نهاباً للأموال ، متلصصاً محتالاً ، فأين يكون هذا وما هي منزلته عند الله عز وجل ؟ .

إن الخلق عيال الله وأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ ، هؤلاء البشر لهم حقوق بعضهم على بعض لا سيما حقوق المسلم ، ولهذا

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٩٣٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، وأخرجه الطبراني في الكبير (٩٦٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) سبق تخريجه .

جاء حتى لغير المسلم أن له حقاً في الإسلام وفي ظل الإسلام، جاء في الحديث الصحيح: (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن رائحتها لتوجد من مسيرة أربعين عاماً)^(١)، من قتل معاهداً يعني يهودياً أو نصرانياً له ذمة، دخل البلاد بعهد، وبأمان، ودخل البلاد دخولاً مشروعاً وليس بمحارب للمسلمين، فإن من قتله لن يروح رائحة الجنة، وإن ريح الجنة ليوجد من مسيرة أربعين سنة، فإذا كان هذا في قتل غير المسلم فكيف بالمسلم، وقتله وسفك دمه وترويعه وإخافته ونهب ماله والسطو عليه؟.

نسأل الله جل وعلا لنا العصمة، اللهم خذ بنواصينا إلى ما يرضيك، اللهم سلمنا من كل شر وآفة يا سميع الدعاء، وصلى الله وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً.

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٦) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

حق الجار

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهداه وبعد . . .

فإن الله جل شأنه قال في محكم كتابه العزيز: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ الآية، ففي هذه الآية العظيمة أمر الله جل وعلا الخلق بعبادته، ونهاهم عن أن يشركوا به شيئاً، وأمرهم أيضاً بالإحسان إلى إخوانهم، وأمرهم أيضاً بالمحافظة على حق الجار، وفي هذا من الأهمية والاهتمام من الشريعة؛ لأن الله قرن حق الجار في هذه الآية بحقه جل وعلا وبالنهى عن الشرك به، لأن حقه أعظم الحقوق وأكدها، ولأن الشرك أكبر الكبائر وأعظم الجرائم.

فحق الجار مؤكد على جاره ولهذا ثبت في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره)^(١)، وفي لفظ آخر: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره)^(٢)، وفي حديث آخر: (والله لا يؤمن والله لا يؤمن بالله لا يؤمن) قيل: ومن يا رسول الله، قال: (الذي لا يأمن جاره بوائقه)^(٣)، فهذه كلها من حقوق الجار والأمر بالوفاء للجار.

وقد ورد عن النبي ﷺ: (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)^(٤)، فحق الجار على الجار كبير، وما ذاك إلا لأن الجار الملاصق أو الجار القريب لا يستغني عنه جاره مهما كانت حالة الجيران، فكل منهم قد يحتاج إلى جاره في ليل أو نهار، في حال حضور الجار أو في حال غيابه، فإن الجار يحتاج إلى مساعدة

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٩)، ومسلم (٤٨) من حديث أبي شريح العدوي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥١٨٥)، ومسلم (٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٠١٦) من حديث أبي شريح رضي الله عنه، ومسلم (٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ (لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه).

(٤) أخرجه البخاري (٦٠١٤)، ومسلم (٢٦٢٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

أو معاونة جاره أو إلى أن يكف عنه الأذى .

وإذا كان الجار يعرف ما لجاره من حق في الإسلام وحتى في شيم العرب ، فإن من حق الجار ألا يعتدى عليه ، ولا أن يطلع على بيته وأولاده ، ولا أن يضايق بشيء من المبنى أو من الفتحات أو من النوافذ ، ولا أن يوضع أمام بابه شيء من الفضلات والقمامات التي تؤذي ، ولا أن يتوقف عن جاره ويزوره أو يستزيره حتى يكون بينهما ألفة وبينهما محبة .

والجار إذا كان قريباً ومسلماً فله ثلاثة حقوق : حق الجوار ، وحق الإسلام ، وحق القرابة ، وإن كان جاراً مسلماً ولم يكن قريباً فله حقان : حق الإسلام ، وحق الجوار ، وإن كان جاراً أيضاً ولكنه ليس بمسلم ولا قريب فله حق الجوار .

وقد جاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو جاره ، فقال له : (اذهب فاصبر) ، فأتاه مرتين أو ثلاثاً ، فقال : (اذهب فاطرح متاعك في الطريق) ، فطرح متاعه في الطريق ، فجعل الناس يسألونه فيخبرهم خبره ، فجعل الناس يلعنونه : فَعَلَّ الله به وفَعَلَ وفَعَلَ ، فجاء إليه جاره فقال له : ارجع ، لا ترى مني شيئاً تكرهه^(١) طلب منه أن يرجع متاعه إلى بيته ، ولا يؤذيه بعد ذلك .

هذا كله يدل على تأكيد حق الجار ، وأن للجار من الحقوق الشيء الكثير ، بمعنى أنه حتى إذا غاب الجار ، فإنه ينبغي لجاره أن يكون ملاحظاً لعائلته ربما ينقصهم شيء ، ربما يحتاجون إلى شيء ، وربما يزعمهم شيء ، هذه من فوائد الجوار ومن فوائد الجار الصالح ولهذا يقول العرب : « اختر الجار قبل الدار ، واختر الرفيق قبل الطريق » .

فحق الجوار عظيم ، وحق الجار أمر مؤكد ، أثبتته الله عز وجل في كتابه وأكدته النبي كما تقدم لنا في هذه الأحاديث الكثيرة وغيرها ، والواقع أيضاً يدل على ذلك .

ولربما هناك من الجيران من يذهب ويسافر لحاجة ويعتمد على جاره بعد الله عز وجل ، ويعرف أن جاره لن يغفل عن أولاده وعائلته ، وأنهم مهما طلبوا منه أو بحثوا عنه في ليل أو نهار سيلبي حاجتهم ، معنى هذا أن ذلك الجار المسافر لم يغيب عن ولده

(١) أخرجه أبو داود (٥١٥٣) ، وابن حبان (٢٧٨/٢) ، وأبو يعلى (٥٠٦/١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

ولا عن عائلته . وهكذا جاره الثاني لو غاب فجاره الأول يحل محله ويقوم مقامه ، هذه من فوائد الجوار ، ومن فوائد الجوار تبادل المحبة والثقة والأخوة ، وتبادل المنافع والتعاون ، كل جار يثق بجاره ، ويطمئن إليه ، ويعتمد عليه .

هذه آداب الإسلام بل هذه آداب العرب من قبل ، فالجار له حق عند العرب عظيم ، وكان العرب يهتمون بشأن الجار ، ويهتمون بجارهم ويجارتهم من النساء ، ويرون أن لهن حقاً ، وأنهن يحلن محلة لا يشك فيها أحد من الآباء ، فما الذي حل بالناس الآن من الاستخفاف بحق الجار ، وعدم مراعاته ، وعدم السؤال عنه ، وعدم تفقد أحواله ، وحتى لو حصل له شيء ربما كان جيرانه هم آخر من يعلم ، أو آخر من يمد يد العون والمساعدة ، أو آخر من يأتي ويقول هل من حاجة ؟ هل حدث كذا ؟ .

هذه فوائد الجوار ، وهذه أخلاق الإسلام وآداب الإسلام ، أن يكون الجار شريكاً لجاره في حال السراء والضراء سواء أكان الجار حاضراً أم غائباً ، ولهذا نهينا عن أذية الجار ، والإساءة إليه ، حتى في إطالة الجدار نحوه ، أو فتح نافذة عليه ، أو جعل شيء يؤذيه أو إحداث شيء يزعجه كصوت مزعج مثل صوت آلة أو صوت شيء يؤذي ، وجعل مطبخ مثلاً وفتح نافذته عليه يؤذيه دخانه وروائح .

وهكذا فللجار حق عظيم جداً على جاره ، والإسلام لا يسمح بأذية الجار ، ولهذا كما تقدم قال النبي ﷺ : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره)^(١) ، وفي الحديث الآخر : (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)^(٢) ، فلماذا لا يكون الإنسان ممتثلاً ومقتدياً ومتأسياً بالنبي ﷺ ، وحريصاً على أن يكون مسلماً بأخلاقه وبآدابه وبسلوكه ومنهجه في الحياة ؟ ! .

أسأل الله جل وعلا أن ينصر دينه ، ويعلي كلمته ، وأن يهدينا سواء السبيل .

وصلّى الله وسلّم على عبده ورسوله نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه وسلّم .

(١) سبق تخريجه .

(٢) سبق تخريجه .

حق الصائم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وآله وأصحابه أجمعين.

قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، ففي هذه الآية الكريمة نادى الله عباده المؤمنين، وأخبرهم أنه فرض عليهم الصيام، وكتبه عليهم كما كتبه على الأمم السالفة، ثم قال بعد ذلك: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، أي: لعل هذا الصيام يزيدكم تقوى، أو لعلكم بقيامكم بواجب الصوم أن تكونوا أتقى لله عز وجل، وأن تزدادوا إيماناً وتقوى وخشية لله عز وجل، وذلك بامتنال الأوامر واجتناب النواهي.

ومن أعظم ما يجب على الصائم أن يتحرى المأكّل والمشرب الحلال في جميع أوقاته، وخصوصاً في شهر رمضان، فإن المسلم حينما يصوم ثم يفطر، فهل صام على طعام حلال وأفطر أيضاً على طعام حلال؟ وهذا إن شاء الله تعالى هو المتوقع وهو الذي يجب أن يكون، أو هذا الصائم جمع مالاً من كسب حرام أو من كسب مشبوه أو من كسب على سبيل التحايل أو بأية وسيلة غير مشروعة ثم أخذ يصوم ويقتات في شهر رمضان؟ لكنه صام على طعام حرام وأفطر على مثله، فهل مثل هذا يعتقد أو يتصور أنه قام بالواجب وأدى ما طلب منه، أو أنه عرض نفسه لخسارة كبيرة؟

معلوم أن الإنسان لابد أن يقتات وأن يتغذى، ومعلوم أن هذا الغذاء لابد أن يكون حلالاً، وهذا واجب على كل أحد لا يخص شخصاً دون آخر، فإذا كان هذا الكسب أو هذا الطعام من كسب حلال، والصيام محفوظ وبعيد عما يخل به من الغيبة ومن النسيمة ومن البهت ومن القيل والقال والخوض في أعراض الناس والحديث بما لا يعني، فحينما يتجنب الإنسان مفسد اللسان ومضاره، ويتجنب الإنسان أيضاً مفسد الأغذية، ويتحرى الغذاء الحلال، فهذا هو المسلم، وهذا هو المطلوب، أما أن الإنسان يصوم في شهر رمضان ثم بعد ذلك لا يتحرى أن يكون طعامه وزاده حلالاً،

وأيضاً لا يتحفظ من لسانه ومن مجالسه وأحاديثه، ولا يتورع من غيبة أو غيبة، أو قيل أو قال، أو كذب أو شتم أو سب، أو مزاح قد يصل إلى الإخلال بالدين أو بالشرف أو ما أشبه ذلك، كما يفعل كثير من الناس في مجالسهم، ثم لا يعرفون أولاً يعون أنهم في شهر الصيام، وأنهم في شهر القرآن، شهر رمضان سيد الشهور، وأن هذا موسم العمر، وأن الناس كثيراً منهم أدركوا العام الماضي ولم يدركوا هذا العام، وأنه قد يجيب داعي الله ويحل به ما حل بغيره، ويرحل من الدنيا بلا زاد كاف.

هذا من الأمور التي على الصائم أن يلاحظها، وعلى الصائم ألا تغيب عن باله، وعليه أن يحفظ بطنه وفرجه ولسانه وجوارحه، وعليه أن يحترم شهر القرآن وشهر الصيام وسيد الشهور وموسم العمر، ولا يفرط ولا يضيع، هذا واجب المسلم، أما مجرد أن نصوم فنمسك عن الطعام فقط أو نضيف إلى ذلك أننا ننام طوال النهار وقد نصلي بعض الصلوات جماعة أو لا نصليها في وقتها، ثم إذا جاء المغرب قام الإنسان وأكل ما تيسر مما لذ وطاب، ثم ظن أن هذا هو الصيام وأن هذه فريضة الصيام، وأنه قد أتى بما أمر به، الأمر ليس كذلك بل العبادة في الحقيقة ليست مثل الأوامر البشرية، العبادات يجب أن تصدر أولاً من القلوب ومن الضمير، وأن يفعلها الإنسان طاعة لله، مراقباً لربه، راغباً في ثوابه، خائفاً من عقابه، يعرف ويدرك أن الله يعلم جميع أحواله وأنه مطلع عليه، وأن مجرد الظواهر أو الشكليات أو الصور لا تغني من الله شيئاً، فإن الله لا ينظر إلى صورنا ولا إلى أموالنا، وإنما ينظر إلى قلوبنا وأعمالنا، هذه هي الحقيقة.

ومن المؤسف أن الكثير من الإخوان تجد أنهم يقطعون الليل في مجالس فارغة من الخير، فيقضونها في القيل والقال والأحاديث الطويلة العريضة إلى آخره، ثم إذا جاء آخر الليل رقدوا ومنهم من لا يقوم إلى الصلاة إلا متأخراً وهكذا طول نهاره، ويظن أن هذا هو الصيام، وأن هذا هو شهر الصيام وشهر القرآن، وأن الله جل وعلا قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. هل اتقينا الله في أسماعنا وأبصارنا وبطوننا وفروجنا ومطاعمنا ومشاربنا وألستنا؟

وهذا هو الواجب علينا وهو المطلوب منا، ولا يكفي أن نأخذ الأمور بشكلها أو صورتها أو مجرد اسمها دون أن يكون هناك لب وروح ومعنى. لنضرب مثلاً، لو فرض أن عند إنسان صورة رجل فهل هذه الصورة المعلقة للرجل تمثل الرجل تماماً كما لو كان الرجل حقيقة موجودة؟ لو كان هناك أسد موجود حي لكان له من الرهبة والمكانة ما ليس لصورته، فصورة الصيام وحدها لا تكفي، وظاهر العبادة لا يكفي، لا بد أن يكون للعبادة روح ومعنى وخشية وتقوى لله عز وجل، والله هو المتفضل على عباده.

اللهم تفضل علينا بعمل صالح مقبول ترضاه منا، وأسأل الله جل وعلا أن ينفعنا بما علمنا، وأن يعلمنا ما جهلنا، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا إنه سميع مجيب.

من أحكام الصيام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فمعلوم أن صيام شهر رمضان أحد أركان الإسلام ودعائمه العظام، وأنه واجب على كل مسلم مكلف قادر، فإذا كان المسلم قادراً وكان مكلفاً بمعنى أنه بالغ وعاقل، والبلوغ يحصل بأحد أمور، إما بأن يتم الإنسان من ذكر أو أنثى خمسة عشر عاماً، أو بأن ينبت شعر خشن حول القبل، أو أن يحصل الإنزال، فإذا حصل واحد من هذه الثلاثة فمعناه أنه قد بلغ، فإذا كان عاقلاً سليم العقل ولو عقلاً نسبياً فإن هذا يعتبر مكلفاً بالغاً عاقلاً، وتزيد الجارية على هذه العلامات الثلاث بالحيض فإذا حاضت حيضاً محققاً فهي أيضاً قد بلغت، ولو أنها تزوجت وحملت لكان ذلك أبلغ وأبين في حصول البلوغ، فإذا حاضت المرأة ولو لعشر سنين مثلاً فإن عليها أن تصوم، وتصبح بالغاً ولو لم تتم خمس عشرة سنة^(١)، فإذا حاضت مثلاً قبل رمضان وجب عليها أن تصوم رمضان من أوله، وإذا حاضت في رمضان وجب عليها أن تصوم من حين نزل عليها الدم وتأكد أنه حيض، وعليها أن تصوم وتقضي ما أفطرته في هذا الشهر الذي بلغت فيه.

المهم أن هؤلاء إذا بلغوا فعليهم أن يصوموا ما داموا عقلاء، وهكذا المرأة إذا دخل رمضان ولو أول يوم رمضان وهي حائض ثم طهرت أثناء النهار، فإن عليها أن تمسك باقي اليوم وتقضي مكانه؛ لأنها طهرت، وهكذا المسافر لو قدم في أثناء اليوم وهو مفطر فإن عليه أن يمسك باقي يومه، وعليه أن يقضي بدل هذا اليوم؛ لأنه أفطر أوله وهذا هو القول الراجح عند أهل العلم وهو الذي عليه الفتوى من زمن بعيد. ولو صام

(١) بوب البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات (١٧٧/٣)، قال: «باب بلوغ الصبيان وشهاداتهم، وقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ [النور: ٥٩] وقال مغيرة: احتملت وأنا ابن ثنتي عشرة سنة، وبلوغ النساء في الحيض، لقوله عز وجل: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ﴾ إلى قوله: ﴿يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤]، وقال الحسن بن صالح: أدركت جارة لنا جدة بنت إحدى وعشرين سنة.

الشخص ثم سافر في يومه فله أن يفطر إذا فارق خيام قومه ، ولا شيء في ذلك .
أيضاً مما ينبغي للصائم أن يتجنبه ، جميع الأمور التي من شأنها أن تفسد صيامه ،
مثل التفكير في أمور النساء ، أو العبث في الجهاز التناسلي كما يفعل بعض الناس ،
ويسألون عنه أنهم فعلوا كذا وكذا ، وخرج منهم كذا وكذا ، فإن هذه الأمور تفسد
صيام الإنسان ، وتفسد عمله ، وتخل بصيامه ، وتخل أيضاً بثوابه وأجره .

كذلك لا يمنع الصائم من أن يغتسل تكراراً ومراراً مع تحفظه من دخول الماء إلى
حلقه ، وكذلك أيضاً لا يمنع من أن يتمضمض ويستنثر ولكن لا يبالغ في
الاستنشاق خشية أن يدخل إلى حلقه شيء^(١) ، أما ما غلب الإنسان ودخل إلى جوفه
دون إرادته ودون اختياره فإن هذا لا يفطر كما لو دخل إلى حلقه ماء قهراً عليه دون
سبب منه ، أو دخل إلى حلقه طائر أو دخل إلى حلقه دخان أو غبار أو ما أشبه ذلك ،
فإن هذه الأمور ما دامت بدون فعله وبدون اختياره فإنها لا تؤثر .

كذلك لو أكل الصائم ناسياً وشبع ولم يذكر حتى فرغ ، فإن صيامه صحيح ، والله
جل وعلا هو الذي أطعمه ، كذلك أيضاً لو نسي وشرب حتى روى ، فإن صيامه
صحيح ما دام أنه لم يذكر ، وليس عليه شيء ، والله جل وعلا هو الذي سقاه^(٢) .

وإذا أراد الإنسان أن يصوم في رمضان فلا بد أن ينوي أنه سيصوم غداً
مادام في رمضان ، أو يصوم صوماً واجباً كقضاء رمضان أو صيام نذر أو صيام كفارة
أو غيرها من الأمور الواجبة ، عليه أن ينويها من الليل قبل أن يطلع الفجر ، أما صيام
النفل فلو قام من نومه ولو بعد الفجر وبعد طلوع الشمس ما دام لم يفعل ما ينافي
الصوم لا أكل ولا شرب ولا غيره ، لا مانع من أن ينوي الصيام ويصوم ولو لم ينو إلا
بعد طلوع الشمس ؛ لأنه صوم نفل ، ولأنه لم يسبق قبله ما ينافيه من مفسدات الصوم
أو مبطلاته .

(١) أخرج أبو داود (١٤٢) ، والترمذي (٧٨٨) ، والنسائي (٨٧) ، وابن ماجه (٤٠٧) ، والحاكم
(١٤٨/١) من حديث لقيط بن صبرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : «وبالغ في الاستنشاق ، إلا أن
تكون صائماً» .

(٢) أخرج البخاري (١٩٣٣) ، ومسلم (١١٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :
«إذا نسي فأكل وشرب فليتم صومه ، فإنما أطعمه الله وسقاه» .

كذلك لو نام الإنسان من السحر أو قبل السحر إلى غروب الشمس وهو صائم، فإن هذا أيضاً لا يفسد صومه لكن فيه خلل؛ لأن معنى ذلك أنه لم يقم ولم يصل الصلوات، فإذا كان قادراً لا بد أن يصلي مهما كلف الأمر، سواء صلى قائماً أو قاعداً أو على جنبه أو ما أشبه ذلك، أو بالوضوء أو التيمم ومع أشبه هذه الأمور، حتى إن كثيراً من الناس يتخرجون من الصلاة بالتيمم ويقولون إن على ملابسهم أو ساخاً أو نجاسات أو دماء أو ما أشبه ذلك، ما دام المريض عاجزاً عن إزالتها ولا يستطيع إزالتها ولا تطهيرها ولا إبدال الثياب فإن عليه أن يصلي على حسب حاله، فيصلّي الصلاة في وقتها على حسب حاله؛ لأنه اتقى الله ما استطاع، ولأنه لا يستطيع أن يزيل أو يبدل أو ينظف ما فيه، فحينئذ يصلي على حسب حاله، ويعتبر هذا اتقى الله جل وعلا ما استطاع.

ومن الأمور المطلوبة من الصائم أن يتسحر، فالسحور سنة مؤكدة، وأكلة السحور فاصلة بيننا وبين غيرنا من غير المسلمين^(١)، فإنها أمر مرغّب فيه ومطلوب، والله وملائكته يصلون على المتسحرين^(٢). وفي أكلة السحور عون للصائم على صيامه وعلى عمله أيضاً طول نهاره.

وكذلك تأخير السحور إلى قبل طلوع الفجر أمر مطلوب، كما أن التبكير في الإفطار بعد تحقق الغروب أمر مطلوب، وكلها سنة أن تؤخر السحور إلى قبل طلوع الفجر، وأن نبكر بالإفطار بعد تحقق غروب الشمس، ولا نتأخر في الإفطار؛ لأن هدي النبي ﷺ هو تأخير السحور^(٣) وتعجيل الفطر^(٤).

أسأل الله جل وعلا أن ينفعنا بما علمنا، وأن يعلمنا ما جهلنا، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا إنه سميع مجيب.

(١) أخرجه مسلم (١٠٩٦) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر».

(٢) أخرجه أحمد (١٢/٣) من حديث سعيد الخدري رضي الله عنه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٥، ١٩٢١)، ومسلم (١٠٩٧) عن أنس عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: تسحرنا مع النبي ﷺ ثم قام إلى الصلاة، قلت: كم كان بين الأذان والسحور؟ قال: قدر خمسين آية.

(٤) أخرجه البخاري (١٩٥٧)، ومسلم (١٠٩٨) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر».

صلاة التراويح

أحمد الله جل وعلا ، وأصلي وأسلم على نبيه محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

فيما يلي بيان لمشروعية التراويح ، فإن الله جل وعلا فرض علينا صيام شهر رمضان ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ، وشرع لنا النبي ﷺ قيام هذا الشهر المبارك ، فكان ﷺ يقوم في شهر رمضان ويصلي عدد كبير من الصلوات بصلاته ﷺ ، ولما تكاثرت المصلون خلفه وامتلأ المسجد ، امتنع النبي ﷺ من صلاة التراويح بالناس ، ثم أخبرهم أنه كان يخشى أن يفرض عليهم ذلك ثم لا يستطيعونه (١) ، ثم رغبهم ﷺ في قيام رمضان ومواصلة الجهد والعمل الصالح فيه فقال : (من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) (٢) ، وفي لفظ : (وما تأخر) ، وفي القرآن العزيز جاء في قيام الليل ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ (١٧) وبالأصحاح هم يستغفرون ، وفيه أيضاً : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ .

والتراويح هي الصلاة التي تصلى جماعة بعد صلاة العشاء ، والسنة فيها أن تكون جماعة ، وأن تكون بعد صلاة العشاء في المساجد ، وللمسلم أن يصلي ما شاء من العدد ، إن شاء أن يصلي عشرين ركعة ويوتر بثلاث سلامين ، وإن شاء أن يصلي إحدى عشرة ركعة يصلي عشر تسليمات أو ثمان تسليمات ، وموضوع العدد لا نص فيه من الشارع ؛ ولكن المهم أن تكون التراويح بطمأنينة ، وقراءة مرتلة ، وحضور قلب ، وهي سنة مؤكدة كما تقدم ، وعلى المسلم أن يصليها مثني مثني أي ركعتين ركعتين يسلم بعد كل ركعتين ، ثم إذا فرغ من التراويح ثمان ركعات أو عشر ركعات أو عشرين ركعة أوتر بثلاث ركعات يقرأ في الأولى ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ ، وفي

(١) أخرجه البخاري (٧٢٩) ، ومسلم (٧٦١) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) أخرجه البخاري (٣٧) ، ومسلم (٧٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

الثانية ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ، وفي الثالثة سورة (الإخلاص) ، ويسلم بين الثلاث ركعات ، يسلم بعد الركعتين ثم يقنت في الوتر بعد أن يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد .

والقنوت هنا ليس بمتعين وليس بواجب وإنما هو سنة ، ومن الأفضل ألا يداوم عليه دائماً بل تارة يدعو ويقنت وتارة يكتفي بقول : (ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، ملء السماء وملء الأرض ، وملء ما شئت من شيء بعد ، أهل الثناء والمجد ، أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد) (١) .

وعلى المصلي في الليل أن يلاحظ كما تقدم الطمأنينة في الصلاة ، وأن تكون الصلاة مثنى مثنى ، وأن يوتر إذا كان إماماً بالجماعة بعد التراويح .

والمأموم أو المنفرد إن أحب أن يوتر أول الليل وإن أحب أن يوتر آخره والكل حسن ، وآخر الليل أفضل ، ولا وتر إلا في الليل ، وقد سئل النبي ﷺ عن صلاة الليل ، فقال : (مثنى مثنى ، فإذا خشى الصبح صلى واحدة فأوترت له ما صلى) (٢) ، بمعنى أنه لا وتر بعد الصبح . وعلمنا أن الوتر هو الركعة الواحدة التي يأتي بها بعد أن يفرغ من صلاته ، وإن أوتر بثلاث كما تقدم فهو الأفضل والأكمل .

وقراءة ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ، و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ، في الشفع والوتر ليست بواجبة ، وإنما هي مستحبة ، ومن الأفضل والأكمل أن يكون كذلك ، ودعاء القنوت أو دعاء الوتر ليس أيضاً بمتعين ، ويستحب أن يرفع يديه فيه ويقول : «اللهم اهدنا فيمن هديت» (٣) ، حتى ولو كان منفرداً ، بمعنى أنه يدعو لنفسه ولإخوانه المسلمين ، وإذا كان منفرداً وأحب أن يقول : «اللهم اهدني فيمن هديت» بنية أن يعني نفسه دون غيره فهذا جائز أيضاً . «اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا

(١) أخرجه مسلم (٤٧١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٢) ، ومسلم (٧٤٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه أبو داود (١٤٢٥) ، والترمذي (٤٦٤) ، والنسائي في الكبرى (١٤٤٦) ، وابن ماجه

(١١٧٨) ، وأحمد (١/١٩٩) من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما .

واصرف عنا شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت»^(١) إلى آخره.

وإذا قام المصلي أثناء صلاة التراويح إلى الثالثة سهواً فعليه أن يعود كما لو قام إلى الثالثة في الفجر، ولا يكمل الثالثة ثم يأتي برابعة، فإن الأفضل له والأكمل أن يعود ويجلس ويكمل التشهد وبعد ذلك يسجد للسهو ويسلم؛ لأن النبي ﷺ أخبرنا أن (صلاة الليل مثنى مثنى)^(٢) يعني ركعتين ركعتين يسلم من كل ركعتين.

وعلمنا أيضاً أن قيام الليل ومنه التراويح في شهر رمضان من أفضل الأعمال وأجلها، وأنه سبب لمغفرة الذنوب، وتكفير السيئات، والعتق من النار، وأن النبي ﷺ كان يداوم على قيام الليل في رمضان وفي غيره^(٣)، وقيام الليل من صفات الصالحين، وسمات المؤمنين كما تقدم في قوله عز وجل ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۚ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

وأيضاً في هذا الشهر المبارك على المسلم أن يسارع إلى فعل الخيرات، وأن يضاعف الجهد في العمل الصالح كما قال النبي ﷺ: (من تقرب في هذا الشهر بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه)^(٤)، فهذا فضل عظيم وشأن جسيم لهذا الشهر، وهو موسم السنة وقد لا يدركه الإنسان مرة أخرى، وإذا أضاع الإنسان مثل هذه الفرص الثمينة والفرص الغالية فإنه قد أضاع شيئاً كثيراً، وخسر ربح هذا الموسم، ومعلوم أن المسلم لا يرضى أن يضيع الفرص، وأن يضيع مواسم الخير ومواسم العبادة، ولا سيما شهر رمضان، شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار.

فعلى العبد أن يساهم في مضاعفة العمل الصالح والمسابقة إلى الخير، وقيام الليل

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرج أبو داود (١٣٠٧)، وأحمد (٢٤٩/٦)، والحاكم (٣٠٨/١) أن عائشة رضي الله عنها قالت لعبد الله بن أبي قيس رضي الله عنه: «لا تدع قيام الليل، فإن رسول الله ﷺ كان لا يذعه، وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعداً».

(٤) أخرجه ابن خزيمة (١٩١/٣) من حديث سلمان رضي الله عنه.

فيه ، والمواظبة على الصلوات مع الجماعة ، والمواظبة على التراويح وقيام آخر الليل ، وتلاوة القرآن بتفهم وتمعن وتدبر ، والدعاء والتضرع والاستغفار في آخر السحر . وهكذا ينبغي للمسلم أن يكون دائماً على صلة بالله عز وجل .

والتراويح هي كما تقدم سنة وعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لما رأى الصحابة يصلون جماعات جماعات وأفراداً أفراداً أمرهم بأن يجتمعوا ، وأن يصلوا على إمام واحد ، وأمر الإمام أن يصلي بهم عشرين ركعة بالإضافة إلى ثلاث ركعات^(١) ، وكان هذا على مشهد من المهاجرين والأنصار ، ولم يعترض عليه أحد رضوان الله عليهم أجمعين . هذا بالإضافة إلى أن التراويح كما تقدم ثبتت عن النبي ﷺ إلا أنه لم يعين أو يحدد عدداً .

أسأل الله لنا جميعاً التوفيق والقبول والهداية والسداد ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٢٠١٠) من طريق عروة بن الزبير ، عن عبدالرحمن بن عبد القاري .

الإحرام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وآله وأصحابه أجمعين وبعد:

فإن النبي ﷺ وقت مواقيت مكانية لمن أراد حجاً أو عمرة أو أرادهما معاً (١)، وعلى من مر بميقات من هذه المواقيت أن يحرم بالنسك الذي أراده عمرة مفردة، أو عمرة متمتعاً بها إلى الحج، أو عمرة وحجاً وهو القران لمن ساق الهدى، أو حجاً مفرداً وهو في وقت الحج أفضل من غيره، لأن من أفرد الحج لا يلزمه نسك، ولأن دم النسك غالباً لا يستفاد منه، ولأن الناس في هذه الأوقات يكثرون من العمرة في رمضان وغيره من أيام السنة؛ فلذا ينبغي للحاج الذي يتكرر حجه أن يفرد أعمال الحج بحيث يأتي بحج مفرد ولا يلزمه نسك للأسباب التي تقدمت.

أما الإحرام فإنه ركن من أركان الحج وهو نية الدخول في النسك، والنبي ﷺ قال: «إنما الأعمال بالنيات» (٢)، فلا يصح عمل ببلانية، فإذا أراد الإنسان التلبس بالنسك عمرة كما تقدم، أو عمرة وحجاً، أو حجاً مفرداً، فإن عليه أن ينوي الدخول في النسك، ثم يتلبس أو يأتي بعمل يؤكد هذه النية، ولا مانع من أن يتلفظ بما أراده من نسك كأن يقول: اللهم إني أريد الحج فيسره لي، أو اللهم إني أريد العمرة فيسرها لي، أو اللهم إني أريد العمرة متمتعاً بها إلى الحج، أو أريد العمرة والحج معاً كالقارن.

وأيضاً يستحب له أن يشترط كما أرشد النبي ﷺ ضباعة بنت الزبير بن عبدالمطلب رضي الله عنها حيث قالت: يا رسول الله إني أريد الحج وأنا شاكية فقال: «حجي

(١) أخرجه البخاري (١٢٥٤)، ومسلم (١١٨١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ وقت لأهل المدينة ذا الحليفة، ولأهل الشام الجحفة، ولأهل نجد قرن المنازل، ولأهل اليمن يلملم، من لهن ولمن أتى عليهن من غيرهن بمن أراد الحج والعمرة، ومن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ، حتى أهل مكة من مكة.

(٢) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

واشترطي، قولي: اللهم محلي حيث حبستني»^(١). فإذا قال الذهاب للحج أو العمرة: اللهم إني أريد العمرة، أو اللهم إني أريد الحج فيسره لي، وإن حبسني حابس فمحلي حيث حبستني، فإنه إن حبس إما بحادث سيارة أو مرض أو غيرهما من الحوادث والعوارض التي تعرض للإنسان، فإن له بناء على هذا الاشتراط أن يحل من نسكه، ولا شيء عليه؛ لأن النبي ﷺ قال لضباعة رضي الله عنها: «فإن لك على ربك ما استثنيت»^(٢).

وعلمنا أن الإحرام ركن من أركان الحج؛ لأنه النية، وعلمنا أيضاً أن من مر بأحد المواقيت قاصداً مكة أو الحرم فعليه أن يحرم، ولا يتجاوز الميقات بدون إحرام، أما إن كان قاصداً جدة مثلاً كالذي يأتي مثلاً من نجد عن طريق قرن المنازل أو يأتي من الطائف ويريد جدة أو يريد مكاناً آخر لكنه يمر بالحرم لأن الطريق أسهل يعني يمر بمكة لأن الطريق أسهل ولكنه لم يقصد مكة وإن مر بها مروراً، فليس على هذا إحرام، بل له أن يمر ويتجاوز الميقات بدون إحرام.

وأما من قصد مكة كما تقدم أو قصد الحرم فإنه لا ينبغي له ولا يسوغ له أن يتجاوز الميقات بدون إحرام، إن كان أراد حجاً أو عمرة، فإن هذا هو المتعين وإن كان لم يرد حجاً ولا عمرة وإنما أراد مكة أو أراد الحرم أو أراد الكعبة لطواف أو نحوه فهنا الأولى والأكمل له ألا يتجاوز الميقات إلا بإحرام، وإن ترخص في نفسه وتجاوز الميقات بدون إحرام بحجة أنه لم يرد حجاً ولا عمرة وأن النبي ﷺ قال في الحديث الصحيح: «ممن أراد الحج والعمرة»^(٣) وأنه لم يرد حجاً ولا عمرة، فلعله في هذه الحالة معذور أو مرخص له أن يتجاوز الميقات بدون إحرام.

أما الأشياء التي ينبغي للمحرم أن يفعلها عند إرادة الإحرام فمنها التنظف، وحلق شعر العانة، ونتف شعر الإبطين، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، والتطيب قبل أن يحرم، وهذه كلها سنن، وأما اللحية فلا يجوز أن يأخذ شيئاً منها ولا يجوز أن

(١) أخرجه البخاري (٥٠٨٩)، ومسلم (١٢٠٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه النسائي (٢٧٦٧)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) سبق تخريجه.

يحلقها فإن حلق اللحية حرام ومخالف لهدي النبي ﷺ لفعله وأمره - صلوات الله وسلامه عليه - (١).

وإذا أراد أن يحرم فيسن أن يصلي ركعتين إن لم يكن وقت صلاة فريضة، فإن كان وقت صلاة فريضة اكتفى بها، وإن لم يكن وقت صلاة فريضة فيصلّي ركعتين. ثم بعد ذلك يحرم، وليكن إحرامه عقب صلاته، وتقدم لنا أن الإحرام عقب الصلاة والتنظف والتطيب وتقليم الأظافر وأخذ الشعر كل هذه سنن وليست بواجبة وفعلها أحسن وأتم وأكمل، وفيه اقتداء بالنبي ﷺ، وحتى لا يحتاج إلى أخذ شيء من أظفاره أو شعره بعد إحرامه وقبل إحلاله، وقد صح عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: (طيبت رسول الله ﷺ لإحرامه ولحله قبل أن يطوف بالبيت) (٢)، فعلم أن التطيب بالبدن لا بالثياب كالرأس واللحية والوجه مسنون ولو بقي ريحه أو أثره بعد الإحرام، فإن هذا لا يضر.

وتقدم لنا أيضاً أن من أراد الإحرام مخير بين الأنساك الثلاثة وأفضلها أن يحرم بعمرة متمتعاً بها إلى الحج، وهذا آخر الأمرين من النبي ﷺ، وهو الذي أمر به أصحابه وتمنى أن لو كان فعله (٣)، ويلزم المتمتع دم وهو دم نسك، فإن لم يستطع، أو لم يجد الدم فعليه أن يصوم عشرة أيام، ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله، وصيام ثلاثة الأيام موسع وقتها فله أن يصوم من حين أحرم بالعمرة حتى ولو كان ذلك في شوال أو في ذي القعدة؛ لأن الله عز وجل قال: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ﴾، فعلم أن قوله: «فصيام ثلاثة أيام في الحج» يتناول أشهر الحج كلها.

ومن أفضل ما يفعله المحرم التلبية، ويكثر منها ويجهر بها الذكر، أما الأنثى فتلبي لكن لا ترفع صوتها لا سيما إذا كان حولها رجال أجانب، والنبي ﷺ كان يرفع صوته

(١) كما في الأحاديث الكثيرة الثابتة عن النبي ﷺ ومنها حديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي أخرجه البخاري (٥٨٩٢، ٥٨٩٣)، ومسلم (٢٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٥٣٩)، ومسلم (١١٨٩).

(٣) أخرجه البخاري (١٥٣٩)، ومسلم (١١٨٩) من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي، ولحلت مع الناس حين حلوا».

بالتلبية ويقول: (إن أفضل الحج العج والشج)^(١) والشج: هو النحر والذبح، والعج: هو التلبية ورفع الصوت بالتلبية هو من أفضل شعار وهو هدي النبي ﷺ. أسأل الله لنا جميعاً حجاً مبروراً، وسعيّاً مشكوراً، وذنباً مغفوراً، وعزاً للإسلام والمسلمين، كما أسأله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يمنح حجاج بيته الحرام القبول والمغفرة والرضوان، وأن يمن على هذه البلاد بمزيد من الطمأنينة والاستقرار، وأن يمكن لها في الخير، وأن يهيئ لها التوفيق والرشاد إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) أخرجه الترمذي (٨٢٧)، وابن ماجه (٢٩٢٤) وابن خزيمة (١٧٥/٤)، والحاكم (٤٥٠/١)، والبيهقي في الكبرى (٤٢/٥) من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

تربية الأولاد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

معلوم لدى كل مسلم ما على المسلم من مسؤولية جسيمة تجاه أولاده، وأفراد أسرته، بل وإخوانه المسلمين والله جل وعلا قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، فهذا نداء من السماء أن نحافظ على أنفسنا، وأن نحافظ على أولادنا وأفراد أسرنا، بأن نعمل ما يجنبهم عذاب النار ويجنبهم عذاب الجحيم، وهذا واجب علينا وكل إنسان منا مسؤول عنه كما في الحديث الصحيح: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)^(١)، وفي الحديث الآخر: (مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم على تركها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع)^(٢)، وفي القرآن: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾، إلى غير ذلك من أدلة الكتاب والسنة، التي تحتم علينا أن نهتم كل الاهتمام بشؤون أولادنا وتربيتهم، وأن لا نقصر أو نكتفي بالتربية الجسمية والتغذية البدنية فقط، بل علينا أن نهتم بتربية الأرواح، وتهذيب الأخلاق، ومراعاة السلوك، وأن نحاول بشتى الوسائل وبكل ما أوتينا من قوة، أن نوجه أبناءنا وأولادنا إلى ما فيه الخير لهم، وأن نجنبهم مجالس الشر وجلساء السوء، ففي الحديث عن النبي ﷺ: (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)^(٣) وفي حديث آخر (إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن

(١) أخرجه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٥)، وأحمد (١٨٠/٢)، والحاكم (١٩٧/١)، والبيهقي (٢٢٨/٢) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨) وأحمد (٣٠٣/٢)، والحاكم (١٧١/٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة^(١)، وهذا من كلام من لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .

وكل منا الآن لا يرضى أن يبقى إلى جانب مريض مصاب بمرض معد، بل يتعد عنه، وكثير منا الآن يستعملون أنواع اللقاحات والتطعيمات، رغبة في الوقاية والابتعاد عن الأمراض المعدية، في حين أن بعضاً منا يتساهلون في أمور أولادهم، فهم يتركون لهم الحبل على الغارب، يجالسون من شاؤوا، ويذهبون ويروحون ويأتون ويتعلمون ويسمرون مع من يرغبونه ويودونه، وقد يكون ذلك ضاراً ومهلكاً لهم ومؤدياً بهم إلى الهلاك، فأين هذا من قول النبي ﷺ : (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)^(٢) .

وفي الحديث الآخر : (ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه)^(٣)، بتوجيههم له، أو بإهمالهم أيضاً له، وعدم ملاحظتهما له، فإن هذه تعاليم الإسلام، وهذه نداءات القرآن تدعونا إلى أن نهتم كل الاهتمام بأولادنا، وإلى أن نحافظ على سلوكهم، وإلى أن نغرس عقيدة الإسلام في قلوبهم، وإلى أن نبعدهم كل البعد عن فيه ضرر لهم من جليس أو أستاذ أو أماكن لا تصلح، فيها لهو أو فيها عرض أشياء مهلكة أو مضرّة لا سيما للمراهقين، ولا سيما للنساء، فإن النساء سريعات التأثير والانفعال والاستجابة، وعندهن من القبول في الأغلب أكثر مما عند الرجال، فهن يتأثرن بسرعة وبسهولة أكثر مما يتأثر الرجال .

فعلينا أن نتقي الله وأن نراقب أولادنا، وأن نحاول بشتى الوسائل أن نحملهم على الخير، وأن نبعدهم عن الشر، ولنراقب الله عز وجل، ولا تلهينا المناصب أو الأموال والبيع والشراء والصفقات والتجارة أو الأسفار من أجل ذلك عن أولادنا،

(١) أخرجه البخاري (٢١٠١، ٥٥٣٤)، ومسلم (٢٦٢٨) من حديث أبي موسى رضي الله عنه .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

فإن أولادنا أمانة في أعناقنا، وطوق في رقابنا نحن مسؤولون عنهم في الدنيا والآخرة: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)^(١)، والكل مؤتمن ومسؤول عن أمانته ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾، فليثق الله كل أب، وليثق الله كل أخ، وليثق الله كل من له نوع ولاية على صبي أو صبية أو على أسرة، ليثق الله وليراقبهم ويوجههم، ويحاول بشتى الوسائل والأساليب أن يعلمهم ما ينفعهم، وأن ينصحهم ويحذرهم ويبعدهم عما يضرهم في حاضرهم ومستقبلهم.

وما أكثر الأخطار وما أكثر الشرور، وما أكثر نعقات السوء ودعوات الباطل، تأتي من طرق وأبواب ووسائل متعددة ومختلفة، من طرق الصحافة والإذاعات، ومن طرق الكتب والمعلمين غير المأمونين، ومن طرق المدسوسين الذين يقذفون في نفوس الشبية الشبهات، ويلقون عليهم ما يحيرهم أو يشككهم في عقيدتهم أو في تقاليدهم أو في ما هم عليه، ثم يصبح الشاب أو الشابة متأرجحاً مذبذباً غير واثق من عقيدته، وغير واثق مما هو عليه من تقاليد، وغير مطمئن إلى ما عليه أهله وذووه وسلفه.

وهذه هي البلية الكبرى والطامة العظمى، أن نغفل عن أولادنا وأفراد أسرنا، وأن نهملهم ونترك لهم الحبل على الغارب، إما بالتشاغل في أمور أخرى، وإما من منطلق إفساح المجال وإعطاء الحرية ورحابة الصدر وبعد النظر وما إلى ذلك من الأمور التي لا ينبغي أن تعطى للناشئة الطرية الغضة، التي لا تستغني ولو قليلاً عن تربية المربين الصالحين والصادقين والمخلصين، وعن توجيهات النصحاء المرشدين.

ولنعتبر بمن حولنا، ولنعتبر بمن تناسوا أولادهم وشغلتهم دنياهم وشغلتهم ملاذهم عن أفراد أسرهم وكيف أنهم ضاعوا، وكيف أن ذلك أدى إلى هلاكهم وانحراف الكثيرين منهم ولنا فيهم عبرة: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾.

فهذه نصيحتي لكل أب ولكل من له نوع من أنواع الولاية، أن يهتم كل الاهتمام، وأن يعتبر ذلك جزءاً كبيراً من دينه وعقيدته وواجبه، وأنه أوجب عليه من تأمين الخبز لهم ومن تأمين السكن، فإن تربية الأخلاق والعقائد والمحافظة عليها أمره عظيم لو

تأخرت فالوجبة يمكن أن تؤمن بعد ساعة أو ساعتين مثلاً، لكن إذا انحرفت الأخلاق، وتأثرت الطباع، وامتزجت النفوس الناشئة من الصعب والعسير محوها وإزالتها عن نفوسهم.

هذا وأسأل الله لنا توفيقاً وهداية وقبولاً لأمر الله عز وجل، وامتثالاً لتوجيهات وتعليمات نبيه محمد ﷺ، وأسأله أن يملأ قلوبنا إحساساً بالمسؤولية، وشعوراً بالواجب، وامتثالاً لأمر الله جل وعلا في أولادنا وبناتنا وأفراد أسرنا وإخواننا، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً.

واجبنا نحو إخواننا في البوسنة والهرسك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه وبعد:

فإنه غير خاف على كل أحد ما حصل لإخواننا في البوسنة والهرسك من المصائب والمضايقات وعدوان الصرب عليهم، وما حصل لهم من الخسائر والنكبات في الدماء والأعراض والأموال، وأنهم أجلوا من بلادهم وضيق عليهم، وأصبحوا في حال سيئة، وفي ضراء مضرة جداً، وأن على إخوانهم المسلمين أن يهتموا بشأنهم وأن يتعاونوا معهم بكل ما يستطيعون من الدعاء، وحث الناس على معונتهم بالمال وبكل ما يستطيعون، فهم في أمس الحاجة إلى مد يد العون والمساعدة وقد صح عن النبي ﷺ قوله: «من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»^(١)، وفي حديث آخر: «من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة»^(٢)، وأحاديث كثيرة فيها أن الإنسان محتاج كل الحاجة إلى أن يبذل، وإلى أن يتصرف، وإلى أن يمد يد العون والمساعدة لإخوانه.

وفي الحديث: «الصدقة تطفي غضب الرب، وتدفع ميتة السوء»^(٣) وفي حديث آخر: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»^(٤)، وفي الحديث الآخر عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: كنت عند رسول الله ﷺ فجاءه رجلان أحدهما يشكو العيلة، والآخر يشكو قطع السبيل: فقال رسول الله ﷺ: (أما قطع السبيل فإنه لا يأتي عليك إلا قليل حتى تخرج العير إلى مكة بغير خفير، وأما العيلة فإن الساعة لا تقوم

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه الترمذي (٦٦٤)، وابن حبان (١٠٣/٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

حتى يطوف أحدكم بصدقته لا يجد من يقبلها منه، ثم ليقفن أحدكم بين يدي الله ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له، ثم ليقولن له: ألم أوتك مالا؟ فليقولن: بلى، ثم ليقولن: ألم أرسل إليك رسولا؟ فليقولن: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار، ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار، فليقتين أحدكم النار ولو بشق تمرة، فإن لم يجد فبكلمة طيبة^(١)، وفي حديث آخر: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل»^(٢)، وفي حديث آخر: أنه قال: «أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟» قالوا: يا رسول الله: ما منا من أحد إلا وماله أحب إليه من مال وارثه، قال: «فإن ماله ما قدم، وما وارثه ما أخر»^(٣)، وفي الحديث الآخر: «يقول العبد: مالي مالي، إنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى، وما سوى ذلك فهو ذاب وتاركة للناس»^(٤) فالإنسان ليس له من ماله إلا ما تصدق فأبقى أو استفاد منه في الحياة الدنيا.

فهذه الأحاديث وأمثالها كثير تحثنا على أن نتصدق، وعلى أن نعطف على إخواننا، ونتعاون معهم، ونحقق معنى الأخوة، والله جل وعلا قال: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾، وإعانة هؤلاء المضطهدين والمظلومين الذين تكالبت عليهم الأمم وتكاثروا عليهم وتفوقوا عليهم بالسلاح والعدد، وتخلي عنهم كثير من الناس إلا - الحمد لله - هذه البلاد التي أسهمت إسهاماً طيباً تشكر عليه وتثاب عليه ولله الحمد، وهذه عاداتها دائماً مع إخوانها، ومع كل محتاج ومنكوب، فجزى الله ولاة الأمور خير الجزاء.

فعلينا ألا نحقر شيئاً ولو قليلاً، فالنبي ﷺ قال: «اتقوا النار ولو بشق تمرة»، وفي الحديث: «اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة

(١) أخرجه البخاري (١٤١٣)، ومسلم (١٠١٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٤٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عن ظهر غنى»^(١)، فعلينا أن نتصدق بقدر ما نستطيع، ولا نحقر شيئاً ولو قليلاً ولو خبزة أو ثمرة كما جاء في الحديث، ولو مثلاً بطانية ولو قليلاً من النقود، فإن هذا كله لنا فيه حسنات ولنا فيه خير، وهو أيضاً داخل في هذا الحديث، فيه مساعدة وفيه تيسير وفيه عون لإخواننا وفيه تنفيس عن كربهم، وإذا لم يعاونهم إخوانهم المسلمين ويتعاطفوا معهم فمن يعينهم؟، يعينهم أعداؤهم الذين يتربصون بهم ويعدون لهم العدة.

فلتق الله سبحانه جل وعلا، ولنعرف أيضاً أن في المال حقاً غير الزكاة وهو الصدقة، فعلينا أن نخرج الزكاة ونتصدق من فضول أموالنا.

وبعض الناس الآن في أي بلد كان ينفقون نفقات كثيرة، ويتوسعون في النفقات وهي غير ضرورية ولا لازمة، ولو أن هذه النفقات التي تبذل في أمور ليست ضرورية أنفقت في مثل هذا السبيل، وأعطيت لإخوانهم الآخرين في أي مكان كان من الذين حلت بهم النكبات وأثمرت الخلافات والشقاقات بينهم إلى التشريد وإلى المجاعة وإلى الأوبئة وغيرها، لكان خيراً لنا من أن نتوسع في النفقات أو في حفلات أو ولائم أو ما أشبه ذلك أو ألبسة كثيرة أو أثاث وغير ذلك.

علينا أن نقتصد لنراعي أحوال إخواننا، ولنحتسب الأجر والثواب فإن الله جل وعلا قال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ، ولا يضع الله عز وجل شيئاً، فهو يحصي كل شيء، يحصي للعبد مثاقيل الذر، إن كان خيراً فخير، وإن كان غير ذلك فعلى نفس العبد، وفي الحديث: «كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس»^(٢) وذلك في عرصات القيامة، فعلينا أن نبذل بقدر ما نستطيع ونحتسب الأجر عند الله عز وجل.

وهذه الأحاديث تحثنا على أن نكون بجانب إخواننا، وأن نمد يد العون لهم، وأن نفرج من كربتهم، وأن نكون في عونهم ونيسر على معسرهم بقدر ما يكون ونتعاون

(١) أخرجه البخاري (١٤٢٧)، ومسلم (١٠٣٤) من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (١٤٧/٤)، وابن خزيمة (٩٤/٤)، وابن حبان (١٠٤/٨)، والحاكم (٤١٦/١)، من

حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

معهم، والمال كما تقدم فيه حقوق كثيرة، ولا سيما إذا وجد المستحق، ووجد أهل الفاقة، والذين بلوا بأعداء ألداء وأشداء، وقد بلغوا في العداء أمراً فوق التصور والعياذ بالله، علينا أن نبذل بقدر ما نستطيع، ونحتسب الأجر والثواب من الله عز وجل، وخصوصاً في هذا الشهر العظيم، شهر رمضان المبارك فإن الصدقة فيه مضاعفة كما هو معروف، والنفقة فيه تفوق النفقة في غيره، وهو موسم من مواسم الآخرة، فعلينا أن نغتني فرصة وجود هذا الشهر المبارك وننفق فيه، فإن النفقة فيه لها ميزة على النفقة في غيره، وخصوصاً إذا كانت على المحتاجين والمضطرين، وعلى مصابين ولاجئين، فإن لهذه النفقة ميزة على غيرها في غير هذه الأوقات، فهذا زمن فاضل وزمن مبارك، وقد حثنا الله جل وعلا ورسوله ﷺ على الصدقة فيه، ولهذا كما قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: «كان النبي ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، فرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»^(١)، فكان النبي ﷺ دائماً جواداً وكرماً لكن جوده يتضاعف في مثل هذا الشهر المبارك، لأنه شهر رمضان ومحبيب إلى الله عز وجل، والأعمال والحسنات فيه مضاعفة.

فلنغتني الفرصة فلا ندري هل ندرك شهر رمضان مرة أخرى أو لا، وهل تتاح لنا فرصة ثانية أو لا تتاح لنا، فلنغتني الفرصة، فالمشكلة التي يعاني منها إخواننا في البوسنة والهرسك هي مشكلة عويصة، جدية بالاهتمام جدية بالسخاء والبذل ومد يد العون والمساعدة بسخاء وبدون تحفظ.

وصلّى الله على محمد وعلى آله وأصحابه وسلم.

(١) أخرجه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨).

التوكل وفضله

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .
 الله جل وعلا خلق الخلق لعبادته ، ومعلوم أن الإنسان من حيث هو مجبول على محبة الخير لنفسه ، وخشية ما يتصور أو يتوقع أنه ضرر عليه ، وهذا أمر فطري بالنسبة للإنسان ، فإذا خشى الإنسان من حصول أي ضرر أو توقع أي ضرر يصيبه على أي وجه ، كأن يصيبه شيء من الفزع أو القلق وهذا الفزع علاجه الوحيد أولاً أن يتوكل على الله جل شأنه . فإن التوكل هو فريضة وهو من أعظم واجبات الدين وأعظم أمور العبادة وأنواع العبادة ، ولهذا قال الله عز وجل : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ، فعلم أن التوكل شرط للعبادة لا بد منه وأنه واجب ، وأن من لم يتوكل على الله ويعتمد عليه في جميع أموره فهو ليس بمؤمن على الحقيقة .

التوكل هذا لا بد منه ولذا قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ ، وقال جل شأنه في آية أخرى : ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ، وفي آية أخرى : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ، وفي آية أخرى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾ ، ولما أخبر النبي ﷺ أن قريشاً بعد وقعة أحد تهم بالعودة إلى النبي ﷺ ، وأنهم جمعوا له الجموع قال : (حسبنا الله ونعم الوكيل)^(١) ، فهذه الكلمة العظيمة قالها إبراهيم - عليه السلام - ولما ألقى في النار وعلم أنه سيلقى في النار عرض له جبرائيل في الهواء فقال له : يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال : أما إليك فلا ، وأما إلى الله فبلى^(٢) ، وقالها محمد ﷺ حينما ذكروا له أن قريشاً قد جمعت له الجموع ، ولم ير إبراهيم بأساً بل قال الله عز وجل : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ ، ولم ير النبي ﷺ ومن معه بأساً لما قال :

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤٥ / ١٧) ، وأبو نعيم في الحلية (٢٠ / ١) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٨٢ / ٦) .

﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، بل حصل لهم خير كثير كما قال تعالى: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهِمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانِ اللَّهِ﴾.

ولما سئل النبي ﷺ وقيل له: ألا تنعم يا رسول الله؟ قال: كيف أنعم وإسرائيل قد أمسك بالقرن يعني (الصور) وحني جبهته يستمع أن يؤمر بالنفخ؟ كيف أنعم والأمر كذلك عن قرب قيام الساعة، قالوا: يا رسول الله ماذا نقول؟ قال: قولوا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(١).

إذا تذكر الإنسان أن الله جل وعلا فتح له باب الدعاء، فتح له باب اللجوء إليه، وأن على العبد أن يدعو بمثل هذه الدعوات كأن يقول: «حسبي الله ونعم الوكيل» أو «على الله توكلت» أو أن يدعو مثلاً بدعاء ذي النون: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذُهِبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ يني إذا قال: «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين»، ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «لم يدع بها رجل مسلم شيء قط إلا استجاب الله له»^(٢)، وورد أيضاً في حديث آخر أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم بشيء إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء الدنيا دعا به فُرِّج عنه؟» فقليل له: بلى، قال: «دعاء ذي النون: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين»^(٣).

ومن أحاديث دعاء الكرب أيضاً أن يقول العبد: «الله ربي لا أشرك به شيئاً»، هذا من أدعية الكرب، وفي حديث آخر أيضاً إذا وقع الإنسان في كرب أن يقول كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما المخرج في الصحيحين: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم»^(٤)، هذا دعاء الكرب فإذا أحس الإنسان بكرب أو

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٣١)، وأحمد (٧/٣)، وأبو يعلى (٣٣٩/٢) وابن حبان (١٠٥/٣)، والحاكم (٥٥٩/٤) من حديث رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٥٥)، والنسائي في الكبرى (١٠٤١٧)، وأحمد (١٧٠/١)، والحاكم (٥٥٥/١) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٤١٦)، والحاكم (٥٥٥/١)، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٦٣٤٥)، ومسلم (٢٧٣٠).

أحسن بضائقة فلماذا لا يلجأ للدعاء بمثل جوامع هذه الأدعية؟ لماذا لا يقول: «يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام برحمتك أستغيث، ومن عذابك أستجير»^(١)، لماذا لا يقول: «اللهم ما أهمنا وما لا نهتم له الله، ادفع عنا من البلاء ما لا يرفعه سواك».

المهم أن على العبد أن يعتصم بالله، ويتوكل عليه، ويعرف أن كل شيء بقضاء الله وقدره، وأن ما يشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، إذا آمن بهذا فكيف يخاف، كيف يخاف وهو يعلم أن كل شيء بقضاء الله وقدره، وأن ما يشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وخصوصاً إذا فعل الأسباب وأتى بالأدعية وجوامع الأدعية التي ثبتت عن النبي ﷺ، ثم أيضاً يضاف إلى ذلك أن يفعل الوقاية الحسية، مثل أن يقوم إذا كان يخشى شيئاً يسقط عليه أو شيئاً من هذا القبيل، مثل أن يكون في مأمن، وأن يتيقن بقدر الإمكان وبقدر وسعه يفعل السبب الحسي والسبب المعنوي الروحي، بمعنى أنه يلجأ إلى ربه، وأن يعتمد عليه، وأن يظهر لربه افتقاره وعجزه، وأنه لا حول ولا طول، وأنه لا يستطيع جلب منفعة لنفسه. وإن قلت ولا دفع مضرة وإن قلت أو ضعفت، وأنه يستجير ويعوذ ويلوذ بالله جل شأنه.

فحيث أن العبد أن يجمع بين أمور، أن يجمع بين اللجوء إلى الله عز وجل، والعلم اليقين أنه لا يصيبه إلا ما كتب له، وعلى العبد أن يفعل أو يدعو ما يحضره من الأدعية كقوله: «حسبنا الله ونعم الوكيل»، كما تقدم وقد قالها إبراهيم عليه السلام، وقالها محمد ﷺ، وقالها غيرهم أيضاً وهكذا، ويدعو أيضاً بأدعية الكرب وما إلى ذلك من الأدعية، ثم أيضاً يضيف إلى هذا أن يتقي ويفعل الأسباب الحسية، بحيث يجمع بين الأمرين، يفعل الأسباب الحسية بأن يلوذ ويكون في مكان يعتقد أن فيه شيئاً من الوقاية والعصمة بالإضافة إلى لجوئه إلى ربه، وبالإضافة أيضاً إلى أنه يلزم ذكر الله والدعاء بالأدعية النبوية الماثورة، ويجمع بين هذه الأمور وحتى لو أصابه شيء بعد ذلك فما هو بنادم؛ لأنه فعل الأسباب، وتعاطى ما أمر به وما هيى له،

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٢٤)، والنسائي في الكبرى (١٠٣٣٠)، والحاكم (٥٤٥/١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

والله سبحانه جل وعلا هو الفعال لما يريد، لا راد لقضائه سبحانه جل وعلا: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، الله هو الذي يصرف الأمور وهو الذي يصرف الأشياء، وهو الذي يقلبها كيف يشاء هو النافع الضار جل شأنه.

لنلجأ إلى الله أولاً وقبل كل شيء، وندعو ونستعمل أيضاً الأمور الحسية المتاحة لنا، هذا وأرجو الله جل وعلا أن ينصر دينه ويعلي كلمته، وأن يخذل أعداء المسلمين، وأن يرد كيد الكائدين في نحورهم، وأن يعيذنا من كيد الفجار، وأن يجعل تدبيرهم تدميراً عليهم، وأن ينصر هذه الأمة، ويجعل رايثها عالية خفاقة، وأن لا يري الجميع مكروهاً، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الفصل الخامس

نماذج من مراسلات
الشيخ - رحمه الله -
مع العلماء

لما تولى الشيخ صالح رحمه الله القضاء في منطقة سدير وشقراء والأحساء وأخيراً في الرياض، لم ينقطع عن مراسلة العلماء وسؤالهم والأخذ عنهم، وهذا من حرصه رحمه الله، إذ كان يراجع كتب أهل العلم في جميع القضايا التي تعرض عليه، وأحياناً يستأنس برأي مشايخه فيرسل إليهم بعض الأسئلة التي تتعلق بتلك القضايا، وأحياناً تكون هذه الأسئلة لتوضيح بعض المسائل التي تمر عليه أثناء القراءة والمراجعة في كتب أهل العلم، إذ ما انقطعت مذكرته للعلم رغم انشغاله بالقضاء، وصعوبة الحياة في ذلك الزمان.

وهذه المراسلات كانت مع العلماء الأعلام في ذلك الوقت أمثال: الشيخ عبدالله ابن عبدالعزيز العنقري، والشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز، والشيخ عبدالله بن محمد بن حميد رحمهم الله وغيرهم.

وبعد سؤال هؤلاء الأعلام الربانيين، اجتمع عند الشيخ المئات من هذه الرسائل والمسائل الفقهية، إلا إنه رحمه الله كان يطلع على إجاباتهم في القضايا التي سأل عنها وإذا حصل له المقصود لم يحتفظ بها، ولم يخطر بباله رحمه الله أنها لو اجتمعت هذه الرسائل المتفرقة لكانت مرجعاً مفيداً غنياً بالفوائد والاستنباطات للقضاة وطلبة العلم، ولطُبعت في مجلدات ولكن لله الأمر من قبل ومن بعد.

وهذه المراسلات التي وضعت في هذا الكتاب هي شيء يسير مما بقي واحتفظ به أبناء الشيخ، ولعل محبي الشيخ وطلابه أن يرسلوا إلي تكملاً ما عندهم من هذه الرسائل لتوضع في طبعة قادمة إن شاء الله تعالى.

وهذه المراسلات وإن كانت قليلة إلا أنها نموذج مشرف لمشايخنا الفضلاء، يظهر فيها جلياً حرص طلبة العلم والقضاة على التحري والتدقيق، ومراجعة كلام أهل العلم عند الحكم أو الإفتاء، وفيها أيضاً الحرص على الاستفسار، والتواضع عند السؤال، ويزينها أيضاً احترام طلبة العلم وتوقيرهم لمشايخهم، وعطف هؤلاء العلماء الأفاضل وحرصهم على طلابهم. ومن هذه المراسلات:

بسم الله الرحمن الرحيم

١- من عبدالله بن عبدالعزيز العنقري إلى حضرة الولد المكرم الأحشم الشيخ صالح ابن علي بن غصون سلمه الله تعالى وتولاه وحرسه وحماه أمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام ويوجب الرقم إبلاغكم جزيل السلام مع السؤال عن صحتكم وأحوالنا بحمد الله على من تحبونه من كافة الوجوه خطكم السابق واللاحق وصلا واصل الله مسراتكم وما ذكر جنابكم من قبل بشارتكم بالسيل سرنا والحمد لله من... نازل بالبركة وعز الإسلام، من قبل سؤالهم عن الشراكة في مسيل وامتنع أحدهم عن النفقة على نصيبه زاعماً أنه لا حاجة له في السيل فالظاهر أن هذا يجبر بحكم الشراكة.

قال الشيخ تقي الدين رحمه الله في الاختيارات في أصح قولي العلماء والله أعلم، هذا ما لزم، الرجاء إبلاغ السلام العيال والعزیزین لديكم كما منا العيال وعبدالله الصانع الجميع بخير ويسلمون والله يحفظكم ويرعاكم والسلام.
١١/٥/١٣٧٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

٢- حضرة صاحب الفضيلة شيخنا الشيخ الفاضل الجليل عبدالله بن عبدالعزيز العنقري المحترم

حفظ الباري بهجته وأطال سروره وبهجته

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته بعد التحية والاحترام، تلوت الكتاب المكرم مسروراً بما تضمنه من الإفادة عن كمال صحتكم وعافيتكم، لازلتُم بعناية الله محروسين، كما أنا بحمد الله على ما تحبون، والأمور والأحوال من كرم الله ساكنة مستقيمة، ولم يتجدد ما يوجب رفعه، تابع المولى على الجميع وافر نعمه. ثم حفظكم الله ما قولكم في رجل لما حضرته الوفاة أوصى وله مداينات، فذكر في وصيته أن من ادعى من غرمائه عليه بتوصيل أنه يصدق إذا كان ثقة، والورثة أصاغر، وقد أوصى بثلاث، والمكاتب شرعية، وبعض الغرماء ظاهره العدالة، فلذا حصل معي إشكال فالرجاء التكرم بالجواب، أدام المولى مجدكم، ولا أعدمني وجودكم، إنه مجيب الدعوات في هذا ما لزم مني السلام على فضيلتكم، والأنجال الكرام، والطلبة ومن لديكم عزيز، كما من لدينا الإخوان والجماعة يهدونكم جزيل السلام والسلام.

صحيح ابنكم وتلميذكم

صالح بن علي بن غصون

١٣٧١/٥/٩ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

٣- وعليكم السلام ورحمه الله وبركاته، وأزكى وأشرف تحياته على الدوام، وبعد، فالجواب ومن الله استمد الصواب عن الرجل الذي له ديونه في ذم أشخاص وأوصى بأنه من كان معروفاً بالثقة فيصدق فيما ادعى أنه واصل وله أولاد صغار، فالظاهر والله أعلم أنه يعمل بقوله وأن الموثوق يصدق، والذي أرى أنه مع تصديقه يحلف احتياطاً، لأنه ليس بين الموصي وبينه تهمة والله أعلم، قاله ممليه عبدالله بن عبدالعزيز العنقري وكتبه من إملائه ابنه عبدالرحمن، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

الرقم ٢٧٨

المملكة العربية السعودية

الإدارة العامة للإفتاء والإشراف على الشؤون
والإشراف ورئاسة المعاهد
التاريخ ٢٢ / ٤ / ١٣٧٦
المرفقات :

٤- من محمد بن إبراهيم . . . إلى حضرة المكرم الشيخ صالح العلي بن غصون
قاضي شقراء
سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فقد وصل إلي كتابكم تاريخ ١٠ / ٤ / ٧٦ هـ المتضمن السؤال عن الأسباب
المخصصة لمعلمي الأولاد، وعلى الجهاد، وكيفية صرفها في الوقت الحاضر، نظراً
لأن التعليم الآن يقوم به أناس بمكافآت، وكذلك الوقف على الجهاد، هل يصرف في
جهة حتى يوجد الموقوف عليه أم ماذا يعمل فيه؟

والجواب الحمد لله : الأولى صرف الموقوف على معلمي الأولاد لدار الأيتام، إن
لم يوجد مدارس لتعليم الأولاد ينطبق عليها مصرف هذا الوقف في بلدكم، أو ما
جاورها، وأما الوقف على الجهاد أرى أن يرصد في الوقت القريب إلى أن يوجد
متطوع للجهاد فيدفع إليه والله يحفظكم .

حرر في ٢٢ / ٤ / ١٣٧٦ هـ

٥- من محمد بن إبراهيم إلى فضيلة الشيخ صالح بن علي بن غصون قاضي محكمة شقراء وملحقاتها سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

وبعد فقد وصلني خطابكم المتضمن سؤالكم الذي نصه (رجل سبّل ثلث ما خلّف على عياله وعيالهم ما تناسلوا، فهل يستحقونه والحالة ما ذكر مرتباً بطناً بعد بطن، أم يشتركون فيه قريبتهم وبعيدهم، وهل يدخل أولاد البنات في ذلك؟)

والجواب الحمد لله : إذا سبّل على عياله وعيالهم ما تناسلوا، فالذي يظهر التشريك ؛ لأن الواو تقتضي التشريك ، إلا إذا وجد عرف أو لغة تقتضي خلاف ذلك ، فإنما يحكم على العامة بما تقتضيه لغتهم ، ويدل عليه عرفهم ؛ لأن المعتبر هو القصد ؛ لحديث : «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» ، وقال الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله بعد كلام ما نصه : «مع أن التحقيق في هذا أن لفظ الواقف ولفظ الحالف والبائع والموصي وكل عاقد، يحمل على عادته في خطابه ولغته التي يتكلم بها، سواء وافقت اللغة العربية العربي، أو العربية المولدة، أو العربية الملحونة، أو كانت غير عربية، سواء وافقت لغة الشارع، أو لم توافقها، فإن المقصود من الألفاظ دلالتها على مراد الناطق» اهـ.

وهذا القول هو المفتى به لدينا، وفق الله الجميع إلى الخير، والسلام عليكم.

١٤/١٠/١٣٧٧هـ

ملحوظة : وأما ولد البنت فلا يدخل في مثل هذا الوقف على المقدم في مذهب أحمد رحمه الله، وقول جماهير أصحابه.

بسم الله الرحمن الرحيم

العدد:

المملكة العربية السعودية

التاريخ: ١٥ / ٧ / ١٣٧٤ هـ

المحكمة الشرعية بشقراء

المشفوعات:

٦- محترم المقام صاحب الفضل والفضيلة شيخنا محمد بن إبراهيم آل الشيخ المحترم حفظه الله وتولاه

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

وبعد فقد سألتني قائلًا إنه طلق زوجته . . . (١) من أهالي شقراء، طلاقاً باتاً على عوض وهو كفالة ابنته منها سبع سنين .

وقد رغب في نكاحها حيث قبلت ذلك غير أنها لم تتزوج بعده وبما أن المسألة بهذه الصفة وهي أنه لم يتلفظ إلا بقوله: «هي طالق طلاق بات» وكان ذلك على عوض أيضاً، فقد أحببت عرض المسألة على فضيلتكم راجياً التكرم على السائل بإفتائه بما ترونه هذا، وهناك شيء آخر وهو أن المخالفة وقعت على يد أخ الزوجة وقد ذكر لي والدهما أنه لم يأمره بذلك، وأن الزوجة لم تأمره أيضاً بذلك، وعلى كل فالأمر لله ثم لكم، ونظر فضيلتكم فيه الكفاية . . وختاماً تقبلوا تحياتي والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المخلص الابن

صالح بن علي بن غصون

٧- جواب سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ :

بسم الله الرحمن الرحيم

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، إذا كان الأمر كما ذكرت فينبغي لك أن تفتي له بأن لا بأس أن يعقد عليها بنكاح جديد ، قاله وأملاه الفقير عند مولاه محمد بن إبراهيم وكتبه من إملائه محمد بن علي بن عبداللطيف وصلى الله على محمد ١٣٧٤/٧/١٧ هـ .

٨- من محمد بن إبراهيم إلى جناب الأخ المكرم الشيخ صالح العلي بن غصون سلمه الله آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ثم كتابك المكرم المتضمن للسؤال عن عقد المغارسة وصل ، وكذلك الكتاب المتضمن للتهنئة بعيد الأضحى ، الجميع وصلاً ، تقبل الله منا ومنكم ، وأعاده على الجميع بخير وعافية ، وأما السؤال عن الأرض المغارس عليها فاعلم أن العقد غير صحيح لا اشتراط طقاق الصفا على الفارس وكون الأرض التي ما تغرس أنصافاً بين الغارس والمغارس ، وغير ذلك من الشروط ، ويلزم رجوعهم عند التشاكس إلى مغارسة المثل ، ما لم يحصل التراضي على صورة مطابقة للشرع .
هذا ما لزم بلغ السلام العيال والأمير والإخوان كما منا العيال والإخوة والطلبة يسلمون والله يحفظكم ١٣٦٨/١٢/٢١ هـ .

٩. صاحب الفضيلة أخي الشيخ الجليل صالح بن علي بن غصون الأفخم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام، أرجو الله أنكم بخير وسرور، أحوالنا بفضل الله تسركم، أوزعنا الله وإياكم شكر نعمه، أقدم هذا الكتاب تجديداً للعهد بكم، وللإستعلام عن صحتكم.

وأقدم بطيه صورة من جواب سماحة الشيخ على الأسئلة التي أخبرتكم عنها ورغبتكم الإطلاع على جوابها مع صورة السؤال، وكذلك صورة من جواب الشيخ على مسألة أخرى، هذا ما لزم ونتشرف بما يلزم. وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم

محمد بن عودة

١٣٨٣/١/٧هـ

١٠- صاحب السماحة رئيس القضاة الأفخم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: أعرض لسماحتكم أن لدينا في المحكمة أربع مسائل كثيرة الوقوع، وهي الآن واقعة ومنظورة، وقد أشكل البت فيها كما تنوع القضاة في بعض منها، ونظراً لأهميتها وحرصاً على براءة الذمة، وتوحيداً للقضاة، وحسماً للخلاف، رأينا عرضها على أنظار سماحتكم، ملتجئين إرشادنا عن رأيكم السديد فيها وهي كما يلي:

أولاً: مسألة تحاويل رؤساء شركات الأراضي وصفتها: أن شخصاً اشترى أرضاً ثم يشترك معه من يرغب الاشتراك، بنفس القيمة التي اشترى بها، ومن المتعارف عليه بين الشركاء أن الرئيس مفوض في البيع والتحويل على القيمة أو قبضها، وعندما يتم بيع الأرض يعطي رئيس الشركة المساهمين تحاويل على المشتريين كل بقدر حصته، فهل هذه التحاويل . . . المشار إليه وصفتها المبينة أعلاه، لها صفة الحوالة الشرعية أم أنها من باب قسمة المدين في الذم، مع أنه ينقصها غالباً التراضي والإبراء والتكافؤ أو أنها وكالة في قبض.

المسألة الثانية: ما يرى سماحتكم العمل به في مسألة اللوث، وهل تفرق جماعة عن قتيل كاف في إثبات اللوث مع عدم وجود عداوة سابقة بين المقتول وبين المدعى عليه شخصياً، ولو لم يكن هناك ما يغلب على الظن صحة الدعوى به على شخص بعينه، أي ليس هناك مغلب لتخصيصه دون الجماعة الحاضرين، أم أنه لا بد من وجود عداوة سابقة بين المقتول وبين المدعى عليه بعينه، لا سيما في مثل هذه الأوقات التي ضعف فيها الوازع الديني وصار الكثير يندفعون في اختيار أحسن حاضري الواقعة حرصاً على التشفي وحباً في الانتقام.

المسألة الثالثة: إذا كان في الورثة ذكور قصار فقط، ولم يكن هناك بالغ، والأصحاب كما لا يخفاكم اشترطوا وجود ذكور مكلفين، وصرح في شرح الإقناع أنهم إن كانوا قصاراً، فلا قسامة فما رأى سماحتكم العمل به في هذه المسألة.

المسألة الرابعة: كما تعلمون حفظكم الله اشترط الأصحاب رحمهم الله خبرة القاضي الباطنة بحال المزكين، وفي المدن الكبار كالرياض يتعذر على القاضي الإحاطة

بالناس على اختلاف أجناسهم، فهل يكتفى باقتناع القاضي من المأخذ الظاهر من حال المزكين مع عدم جرح المشهود عليه فيهم كما هو عمل الكثير من القضاة أم لا؟ هذا ونرجو التفضل بتوجيهنا عما ترونه نحو هذه الأربع المسائل، لازلتم موفقين لطريق الصواب والسداد، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

رئيس المحكمة الكبرى بالرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم :
التوايح : ٢

المملكة العربية السعودية
رئاسة القضاء
المحكمة الشرعية

١١- من محمد بن إبراهيم إلى حضرة فضيلة رئيس المحكمة الكبرى في الرياض المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

وبعد فقد وصل إلينا كتابك رقم ٨١٦ وتاريخ ٢٢ / ٧ / ٨٢ هـ المتضمن الاسترشاد عن أربع مسائل ، ذكرت أنها مهمة ، وكثيرة الوقوع لديكم ، وقد جرى تأملها ، وكتابة الجواب عليها بما يلي :

المسألة الأولى : مسألة تحاويل رؤساء شركات الأراضي : إذا اشترى رئيس الشركة أرضاً ، واشترى معه آخرون بنفس القيمة ، وكان الرئيس مفوضاً على البيع ، وقبض الثمن ، والتحويل عليه ، ثم قسمت الأرض قطعاً ، وبيعت على عدة أشخاص ، وقام الرئيس بإعطاء المشتركين معه حوالات على المشتركين كلا بقدر حصته ، فهل تعتبر هذه حواله شرعية أم من باب قسمة الدين في الذم . . إلخ .

والجواب الحمد لله الظاهر أنها تعتبر حواله ، فما دام بيع تلك القطع صحيحاً ، فإن الثمن أصبح ديناً مستقراً بذمة المشتري ، فإذا تصرف رئيس الشركة بهذا الثمن بقبض أو تحويل عليه ، فتصرفه صحيح ؛ لأنه نائب الشركاء ، ومفوض عنهم جميعاً ، بحكم دخولهم تحت رئاسته ، ورضاهم بتصرفاته ، فتحويله على القيمة شخصاً من المشتركين ، بمثابة مالو اتفقوا وأحالوا هذا الشخص على الدين المستقر بذمة المشتري وهذا ظاهر لا محذور فيه .

وأما المسألة الثانية : وهي مسألة تفوق جماعة عن قتيل ، وهل يعتبر لوثاً يحكم بموجبه بالقسامة ، مع عدم وجود ما يثبت عداوة سابقة ، وعدم ما يغلب على الظن صحة دعوى الورثة على شخص بعينه من هؤلاء المتفرقين ، لا سيما في مثل هذه الأزمان . . إلخ .

فالجواب : أن المشهور من المذهب أن اللوث هو العداوة الظاهرة، وتفرق جماعة عن قتل لا يعتبر لوثاً بمجرد، ولا وجه فيما يظهر لتخصيص واحد من حاضري الواقعة بعينه، وإقامة الدعوى عليه أنه هو الذي انفرد بالقتل من غير لوث أو نحوه مما يغلب على الظن صحة الدعوى، وهؤلاء الجماعة الذين تفرقوا عن قتل لم ينكروا وقوع ما جرى منهم جميعاً - حسبما يفهم من السؤال، ولا أن القتل وقع بسببهم، لكن كل واحد منهم ينكر وقوع القتل منه بعينه، ويزعمون أنهم لا يعلمون قاتله، فإذا أحلف من وجهته عليه الدعوى بعينه، فلا يهدر دم القتل بل يشترك الجميع في ضمانه بالديه . .

وأما المسألة الثالثة وهي دعوى القسامة إذا لم يكن في الورثة من الذكور إلا قصار . . . إلخ .

فجوابها : أن الفقهاء رحمهم الله نصوا على أن من شروط القسامة أن يكون في الورثة ذكور بالغون، فإذا انتفى هذا الشرط فلا قسامة، ونحن نسوق لك عبارة الإقناع ليحصل بها الاقتناع . قال الشرط الرابع أن يكون في المدعين للقتل ذكور مكلفون، ولو واحداً؛ لأن القسامة حجة يثبت بها قتل العمد، فاعتبر كونها من رجال عقلاء كالشهادة، فلا مدخل للنساء والصبيان في القسامة، فإن كان الجميع من الورثة لا مدخل لهم في القسامة، كالنساء والصبيان، فكما لو نكل الورثة، فيحلف المدعى عليه خمسين يميناً ويبرأ . . أ. هـ ملخصاً .

وأما المسألة الرابعة : وهي اشتراط عدالة المزكين وخبرة القاضي الباطنة بحالهم . . إلخ .

فالجواب لا يخفى أن العدالة شرط في الشهداء كلهم، سواء كانت شهادتهم شهادة أصل، أو شهادة فرع، أو شهادة تزكية وتعديل، قال الله تعالى : (وأشهدوا ذوي عدل منكم)، فلا بد من عدالة البيئة ظاهراً وباطناً .

قال شيخ الإسلام : من قال إن الأصل في الإنسان العدالة فقد أخطأ، وإنما الأصل الجهل والظلم قال الله تعالى : (وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً) فالفسق والعدالة كل منهما يطرأ على الآخر، والتزكية حق للشرع يطلبها الحاكم وإن سكت

عنها الخصم ؛ لتوقف الحكم عليها ، حيث جهل حال البينة ، ولا تقبل التزكية إلا ممن له خبرة باطنة يعرف الجرح والتعديل ، غير متهم بعصبية أو غيرها ، لأنها كالشهادة يعتبر لها ما يعتبر فيها ، ويشترط في قبول المزيكين معرفة الحاكم خبرتهما الباطنة بصحبة أو معاملة أو نحوه .

قال في شرح الإقناع : نقلاً عن الشرح الكبير يحتمل أن يريد الأصحاب بما ذكروه أن الحاكم إذا علم إن المعدل لا خبرة له لم تقبل شهادته بالتعديل ، كما فعل عمر رضي الله عنه ، ويحتمل أنهم أرادوا لا يجوز للمعدل الشهادة بالعدالة إلا أن تكون له خبرة باطنة ، فأما الحاكم إذا شهد عنده العدل بالتعديل ولم يعرف حقيقة الحال ، فله أن يقبل الشهادة من غير كشف ، وإن استكشف الحال كما فعل عمر فحسن ، والسلام عليكم . .

بسم الله الرحمن الرحيم

١٢- من عبدالله بن حميد إلى جناب الأخ المكرم الأحشم الشيخ صالح بن علي ابن غصون أعانه الله وسدده، وبروح القدس في كل أموره أمله وأيده، آمين . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، كتابكم المكرم وصل وصلكم الله لما يرضيه، وسرنا إذ أفاد بصحتكم واستقامة أحوالكم، الحمد لله رب العالمين نسأله تعالى أن يتم على الجميع شكر نعمه، ويصرف عنا وعنكم أسباب سخطه، ونقمه، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته .

وأما المسألتان اللتان سألت عنهما الأولى : شخص وهب لأخر هبة وقبضها الموهوب له قبضاً معتبراً وقد ادعى أقارب الواهب سفهه، وعدم رشده، وأنه ربما ترك الصلاة في بعض الأحيان، ومستفيض ذلك عنه، وأقاموا بذلك بينة عادلة، وأن أقارب الموهوب له يدعون رشد الواهب، وكمال تصرفه، وأقاموا بذلك بينة . الجواب : في هذه المسألة خلاف بين العلماء، وقد أفتى بعض محققي الحنابلة بفساد الهبة، تقديماً لبينة السفه، وعدم الرشد والله أعلم .

الثانية : المسيل المشترك بين جماعة، وقد أرادوا عمارته وإصلاحه فامتنع أحد الشركاء ؛ لعدم مصلحته في ذلك ، فهل يجبر والحالة هذه أم لا ؟ . الجواب : يجبر الممتنع على دفع ما يخصه من النفقة ؛ لحرمة الشركاء كما ذهب إليه كثير من الأصحاب والله أعلم، هذا ما لزم مع إبلاغ السلام العيال والطلبة والأمير والجماعة كما منا الإمام وولي عهده وآل الشيخ، الكل بخير وعافية، والله يحفظكم ويرعاكم .

المملكة العربية السعودية رئاسة القضاة بنجد والمنطقة الشرقية والحدود الشمالية المحكمة الشرعية

التاريخ ١٣٧٩/٧/٦ هـ

١٣- من عبدالله بن محمد بن حميد إلى حضرة الأخ الأحشم الشيخ صالح بن علي بن غصون المحترم سلمه الله تعالى وأسبغ عليه نعمه ووالى آمين .
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ، فأرجو الله لكم دوام الصحة والعافية والتوفيق للعمل بما يرضيه ، كتابكم المكرم وصل ، وصلكم الله إلى خيرى الدنيا والآخرة ، ولإفادتي عن صحتكم سرنا ذلك الحمد لله على نعمه التي لا تحصى ، أحوال أخيكم بحمد الله على أحسن حال ، والشكر للمهيمن المتعال .
والسؤال عن الرجل الذي دفع ملكه لمن يعمل عليه بجزء مشاع معلوم من الثمرة ، وأن العامل اشترط على المالك حفر ما في البئر من الطين ، كما اشترط أيضاً أنه يخرج الفاضل من الماء إلى الأملاك المجاورة للملك الرجل المذكور ، ثم إن العامل طلب من المالك حفر البئر وإخراج ما بها من الرمل تنفيذاً لشرطه ، والمالك ممتنع ، بحجة أن الماء الموجود في البئر كاف يسقي نخله ، وأنه لم يلتزم بتأمين الماء لما زاد عن ملكه .
الجواب والله أعلم : إذا كان الحال على ذلك فلا يلزم المالك حفر البئر إلا حيث احتاج ملكه إلى الماء ؛ لعدم التزامه بتأمين الماء لأملك جيرانه ، ولأن المنفعة في إخراج الماء مختصة بالعامل ، والله سبحانه وتعالى أعلم هذا ما لزم ، مع إبلاغ السلام الأمير والأولاد والإخوان وبالأخص عبدالرحمن الحصين كما من المشايخ والإخوان والأولاد كلهم بخير وعافية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كاتبه الأخ

محمد الرشيد

١٣٧٥ / ٨ / ٢٨ هـ

١٤ - من عبدالله بن محمد بن حميد إلى حضرة الأخ المكرم الأحشم فضيلة الشيخ صالح بن علي بن غصون منحه الله الفهم والتوفيق، وأدر عليه سحائب التحقيق آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فقد وصلني كتابكم المكرم المؤرخ في ١٣٧٩/٦/٢٩ وأحطت علماً بما جاء فيه، لا سيما الإفادة عن صحتكم، واستقامة أموركم، الحمد لله رب العالمين، وما أشرتم إليه بشأن المسائل.

الأولى: قولكم إذا باع رجل على رجل آخر عقاراً أو منقولاً، فبعد لزوم البيع وثبوته ادعى رجل آخر بأن المبيع له أولاً فيه استحقاق، وأراد المشتري فسخ المبيع تضرراً من المخاصمة والمنازعة وطول الأخذ والرد هل مثل هذا يعتبر عيب بفسخ المشتري لأجله المبيع أم لا؟

الجواب: لا شك أن مثل هذا عيب واضح، لا سيما في هذا الوقت الذي يطول فيه النزاع، ويذهب الوقت، وقد ذكر الأصحاب في تعريف العيب أنه ما نقص به عين المبيع، أو ما نقصت قيمته عادة في عرف التجار، وإن لم تنقص عينه فهو عيب، ومسألتنا هذه من هذا القبيل، لو علم أن في المبيع منازعات وخصومات، لنقصت قيمته نقصاً بيناً توقيماً من ذلك الضرر البين، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مسودته على المحرر ولا يطمع في إحصاء العيوب لكن يقرب من الضبط، ما قيل إن كل ما يوجد بالمبيع مما ينقص العين أو القيمة نقصاً يفوت به غرض صحيح، يثبت الرد إذا كان في جنس المبيع عدمه انتهى. والغالب في جنس المبيعات السلامة من الخصومات والنزاع إذا لو ظهر أن في المبيع خصومة أو شبهة لأحد، لتوقف الكثيرون أو الأكثر عن الشراء ولم يبدل فيه قيمة مثله والله أعلم.

الثانية قولكم: إنسان فتح باباً على طريق نافذ، وبعد مدة أراد إنسان أن يفتح باباً مقابلاً للباب الأول، فأراد صاحب الباب الأول منعه محتجاً أن عليه ضرراً في فتحه مقابلاً لبابه إلى آخره.

الجواب: فتح الأبواب بالطرق النافذة لا بأس بها، وليس لأحد المنع من ذلك، ولو كان الفتح مقابلاً لباب الآخر، ودعواه الضرر من ذلك لا يلتفت إليه؛ لأن الضرر

منتف، ففتح الباب مقابلاً للباب في الطريق النافذ، ليس بأكثر ضرراً من المارة إذ ضرر المارة وترددهم في الطريق، وكثرة من يمر، لا بد أنه أكثر ممن يدخل ويخرج من البيت المدعى إن فتح بابه ضرر، ولأن الطريق مرتفق لعموم المسلمين، وعبارات الأصحاب تدل على هذا، حيث قيدوا المنع من فتح باب مقابل للباب في طريق غير نافذ وإطلاقهم في الطريق النافذ، والله أعلم.

الثالثة: قولكم إن العلماء ذكروا في ثبوت السرقة بإقرار السارق مرتين ثم رجع عن إقراره قبل استيفاء الحد أنه يسقط عنه الحد قياساً على حد الزنى وأنه إذا لم يوجد معه ولا عنده المال فهو ظاهر، وإنما المشكل إذا وجد المال المسروق معه، أو عنده، ولم يذكر سبباً محتملاً لانتقال المال إليه، فقد أشكل سقوط الحد في مثل هذه؛ لتيقن السرقة بوجود المال، ولأن وجود المال ينفي الاحتمال الذي يسقط الحد عن الزنى.

الجواب: لا يخفى أن يد السارق لا تقطع إلا باجتماع الشروط المبينة في باب السرقة، منها ثبوت السرقة إما بشهادة رجلين، أو إقرار مرتين، ومجرد وجود المال عنده ليس مثبتاً للقطع، لاحتمال أن يكون سرقة من غير حرز، هذا الذي عليه كثير من الأصحاب، لكن ذكر العلامة المحقق ابن القيم في الطرق الحكمية على قصة مال حيي، وإن الرسول ﷺ دفع بن أبي الحقيق إلى الزبير، ليمسه بعذاب، حتى يقر بالمال، فحين أقر بالمال بعد ضرب الزبير له، قتله النبي ﷺ، فيه دليل على صحة إقرار المكره إذا طلب منه المال، وأنه إذا عوقب على أن يقر بالمال المسروق فأقر به، وظهر عنده قطعت يده، وهذا هو الصواب بلا ريب، وليس هذا إقامة للحد بالإقرار الذي أكره عليه، ولكن بوجود المال المسروق معه، الذي توصل إليه بالإقرار انتهى، وهذا قوي بالنظر والله أعلم.

وبلغوا سلامنا كافة العيال والإخوان كما الأولاد والطلبة بخير وعافية، والسلام عليكم يعود كما بدا ورحمة الله وبركاته.

عبد الله بن محمد بن حميد

المملكة العربية السعودية

تاريخ : ليلة ١٥ / ٦ / ١٣٨٠ هـ

١٥- من عبدالله بن محمد بن حميد إلى حضرة المكرم الأحشم فضيلة الشيخ صالح العلي بن غصون منحه الله الفهم والتوفيق، وأدر عليه سحائب التحقيق آمين .
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فقد وصلني كتابكم العزيز المؤرخ في ٢٧ / ٥ / ١٣٨٠ هـ وأحطت علماً بما تضمنه، لا سيما الإفادة عن صحتكم وعافيتكم، رزق الله الجميع شكر نعمه، وحسن عبادته، إشارتكم نحو ما جرى من بعض أهالي ... نحوكم فقد بلغني ذلك وكدرني، وعزمت على أن أكتب للشيخ محمد، أحثه نحو الموضوع، ولكن بحمد الله وصل إلي نبأ انتهاء ذلك، ووضح كتابكم المشار إليه بعضاً منه، كما سرني ما ذكرتموه من هطول الأمطار في عامة الوشم وسدير، جعله الله نازلاً بالبركة ومتبوعاً بخير، وعاماً للبلدان المسلمين، وزيارتكم لنا الله يحييكم، نود الاجتماع بكم من زمن طويل، غير أنا نعذرکم لكثرة مشاغلکم، قدر الله الاجتماع السار .

سؤالكم عن الرجل الذي خطب امرأة فأجابوا فتأهب لدفع ما جرت العادة بدفعه، واستدان لذلك ثم اعتذروه، وقد لحقه دين بسبب إجابتهم، فهل له المطالبة بما تحمله من زيادة الدين بسبب إجابتهم أم لا؟ .

الجواب : إذا كان الحال على ما ذكر فالذي يظهر من أقوال أهل العلم أنه ليس له حق على أهل المرأة بسبب ذلك، إذا لم يقصدوا بإجابتهم له إضراره، وإنما ردوه لأسباب اتضحت لهم؛ لأن الزوج وأهل المرأة كل منهم بالخيار قبل العقد، وما لحقه من الدين ليس هو في مطالبة واجب له في ذمهم، كمن له حق على آخر، فامتنع من أداء ما عليه من الحق الواجب إلا باستعداد الأمير عليه، فخسر في سبيل تحصيل حقه شيئاً من المال، فهذا المال يضمه من عليه الحق؛ لوجوب الأداء عليه، وامتناعه من أداء هذا الواجب يعد ظلماً، بخلاف مسألتنا فإن كلاً منهما بالخيار، ما لم يتم العقد، وكل منهما على بصيرة وعلم بذلك، فلا ضمان على أهل المرأة بما لحق الخاطب من زيادة الدين بسبب إجابتهم، أشبه مالو باع بعضاً من أثاثه أو عقاره بدون ثمن مثله،

لأجل أن يدفع على مخطوبته فاعتذروه فلا يضمنون نقص ذلك المبيع ، وهذا كله ما لم يتبين أن قصدهم بإجابته إضراره ، والله سبحانه وتعالى أعلم وأبلغ سلامنا الأخ عبد الرحمن الحصين ، وابنه إبراهيم ، وفضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الكريم بن زامل ، كما منا العيال والطلبة بخير وعافية ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد الله بن محمد بن حميد

المملكة العربية السعودية

تاريخ ٢٠ / ٧ / ١٣٨٠ هـ

١٦- من عبدالله بن محمد بن حميد إلى حضرة الأخ المكرم الأحشم فضيلة الشيخ صالح بن علي بن غصون قاضي محكمة شقراء حفظه الله وتولاه أمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد، فقد وصلني كتابكم المكرم والكتاب الثاني الذي مع أساتذة المعهد، وأحطت علماً بما جاء فيهما خصوصاً الإفادة عن صحتكم واستقامة أموركم، جعلنا الله وإياكم لنعمه شاكرين، وله في كل وقت وحين ذاكرين.

سؤالكم عن وقف على جماعة أجره كثير من المستحقين على مزارع يقوم بزراعته، وقد امتنع أحد المستحقين لهذا الوقف من إجارته، يطلب قسمة بالمهايا، وإفراز حقه على حده، وعقد الإجارة وقع على كل الوقف وأن في قسمه ضرراً إلى إلخ.

الجواب: إذا طلب أحد الشركاء إجاره الوقف، وامتنع الآخر، يجبر هذا الممتنع، لما في ترك إجارته من فوات الغلة والضرر على المستحقين، ولكن حيث أجبر الشريك على الإجارة فيكون له أكثر الأمرين من أجره المثل أو المسمى، وهو ما بذله المستأجر أجرة لهذا الوقف، وهذا معنى ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عليه، وهو واضح جلي.

هذا ما لزم مع إبلاغ السلام عبدالرحمن الحصين، وابنه، والشيخ عبدالله، وكافة الإخوان كما منا العيال والإخوان بخير وعافية، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١٧- من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم الفاضل الشيخ صالح ابن علي بن غصون سلمه لله وتولاه أمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، كتابكم الكريم المؤرخ في ٨ / ٨ وصل ، وصلكم الله برضاه وما تضمنه من المسألتين كان معلوماً .

إحدهما : أرض موات بين ملكين يطلب كل واحد من الملاك إحياءها ، ولم يسبق لأحد منهما تحجر .

الجواب : أن الأولى قسمها بينهما أنصافاً كما هو مقتضى جواب الشيخ أبي بطين ، وليس هناك وجه لترجيح أحدهما على الآخر ، أو إعطائه أكثر من النصف ، ويقوي ذلك حكم النبي ﷺ بالدابة لمن تنازع فيها ، أن تكون بينهما نصفين ، إذا لم تكن لأحدهما بينة ولا يد ، وكان لهما بيتان وتساقطتا ، وإذا رأى فضيلتكم أن يضرب لهما أجلاً في الإحياء ، فمتى مضى الأجل ولم يحيي أحدهما ما في يده نزع منه لصاحبه الراغب في الإحياء فهو أولى ، وأثر عمر رضي الله عنهما في المسألة لا يخفاكم .

وأما المسألة الثانية وهي تنازع العامل في المساقاة والمالك في حفر تراب القلب ، وطلب المالك من العامل أن لا يخرج ماء القلب عن ملكه ، وعدم وجود عرف مستقر في البلد لهذه المسألة .

فالجواب أن الظاهر وجوب حفر التراب على المالك ؛ لأن عليه تهية الماء ، وعلى العامل جذبه ، وليس للعامل أن يخرج ماء القلب عن الملك إلا بإذن المالك لو إخرجه يضر المالك ، ويسبب كثرة التراب في القلب وقد قال النبي ﷺ : « لا ضرر ولا ضرار » ، والعامل في هذه الصورة غير منصف يطلب إخراج الماء والسلامة من الحفر وإذا تيسر الصلح بينهما في جعل الحفر أنصافاً بينهما كاصطلاحهما في حفر الصفا ، والعامل يخرج الماء فهو حسن والله المسؤول أن يسدّدكم في الأقوال والأعمال ، وأن يوفّقنا وإياكم لما يرضيه ، إنه سميع قريب .

هذا ما لزم مع إبلاغ السلام العيال والأمير والإخوان ، كما منا العيال والمشايخ والإخوان بخير وعافية والله يتولاكم والسلام ١٣٧٢ / ٨ / ٢١ هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

من جواب للشيخ عبدالعزيز بن باز على مسألة تنظيم النسل، قال :
 ظهر لي أن القول بجواز تحديد النسل أو وجوبه على الإطلاق في بلد أو إقليم أو
 عصر أو نحو ذلك، منكر ظاهر، ومخالفة لما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ
 وإجماع المسلمين لوجوه:

الأول: أن القرآن والسنة قد دلا على شرعية تعاطي أسباب النسل وتكثير الأمة
 مثل قوله: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء...﴾ الآية، ومعلوم أن الزواج سبب
 الأولاد، وكذلك ملك اليمين، ولم ييح لعباده سبباً يمنع النسل على الإطلاق ولو كان
 ذلك مباحاً لنبه عليه في كتابه أو أشار إليه رسوله ﷺ الذي هو الغاية في النصيح،
 وكمال التبليغ والإرشاد إلى ما ينفع الأمة، ويقيها أنواع الشرور، ومن ذلك قوله
 ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج...» الحديث، وقوله ﷺ:
 «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأم يوم القيامة».

الثاني: إن أعظم سبب يتعلق به الدعاة إلى تحديد النسل هو خوف الفقر، وضيق
 الحال، ومشابهة ظاهرة لأعداء الله الذين قتلوا أولادهم خشية الفقر، ومعلوم تحريم
 سوء الظن بالله، والتشبه بأعدائه، وقد ذم الله سبحانه الظانين بالله ظن السوء، وقال
 النبي ﷺ (من تشبه بقوم فهو منهم).

الوجه الثالث: أن تحديد النسل ظلم للعباد، وسبب لتعطيل الشرائع
 والأعمال النافعة، لأن المحدد من النسل قد يموت بعد تعاطي المرأة ما يمنع النسل،
 فيفضي ذلك إلى انقراض الموجودين، وعدم وجود من يقوم بتنفيذ ما شرع الله،
 وإيجاد الأعمال التي تنفع المجتمع في ذلك البلد، أو ذلك الإقليم أو العصر، ومعلوم
 ما في ذلك من ظلم سكان ذلك المحل، وإدخال أنواع الضرر عليهم، ورضاهم بهذا
 العمل كلهم مستحيل، ولو قدر إمكانه فالوجهان الأولان كافيان في الحكم بمنع القول
 بالتحديد وتحريمه، ومن تأمل هذا المقام وما ينتج عن التحديد من الشرور، ظهر له من
 الأدلة القاضية بالتحريم أكثر مما ذكرته، وبهذا يعلم أن النتيجة من التحديد عكسية،

وأن تجويزه أو إيجابه سوء ظن بالله، الذي قد تكفل بأرزاق عباده، وتعاط لسبب لم يشرعه الله، بل هو ضد ما شرعه ومثابته لأعدائه في الحقيقة، والمعنى ظاهرة وقاني الله وإياكم شر أنفسنا والشيطان، وكبت أعداءه والملحدين في آياته، الظانين بالله ظن السوء، ومن علينا جميعاً وعلى سائر المسلمين بالفقه في دينه، والقيام بحقه، وتعظيم أمره ونهيه، والنصح له ولعباده، إنه على كل شيء قدير.

أما تعاطي بعض الناس لذلك لسبب خاص كالمرأة يضرها الحمل أو الولادة، ومرض زوجها بذلك، فلا مانع، واللسه أعلم وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه وسلم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، حرر في ٨ / ٨ / ١٣٧٦ هـ.

نماذج من مراسلات الشيخ الخطبة

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضيلة شيخنا الشيخ الفاضل عبد الله بن عبد العزيز العنبري - المرحوم
 حفظه الله - من راجية واطمان سروره وبراجية
 معلوم عليكم ورحمة الله وبركاته بعد التوبة والاعتذار بالكون الكرم عسر وراحمنا فتم
 من انقاره عن كمال محنتكم وعنايتكم نوزلتم عناية الله عز وجل علينا كما انما جرت به على ما
 تحبونه والامور والاصحوان من كرم الله بكنهه مستقيمة ولم ينزل ما يوجب رفعه تابع القول
 على الحجج واقر نعم حفظكم الله ما قركم في هذا الامر من الوفاة والوفاء وله مدانات في كل
 في وصيته انه من اتقى من غرضاته عليه يتوهم ان لا يصدق ان كان نقرة والبرقة اصغر وقت
 او من ثلث والمكان شرعية وبعض الغرضات ظاهرة العدالة فلهذا حصل على شكل فالرهار
 وتكرس الجواب ابرام القول بعبودكم وملاحة من رجوكم انه يجب ان دعوا الى هذه الاما من
 اسلام على فضيلتكم والافعال الكرام والطلبه من رايكم من رايها الإقواء والجماع بينكم
 جزيل السلام والسلام ٩ - ٥ - ١٢٧١

صحيح انكم وتليقكم

صالح بن علي بن منصور

بسم الله الرحمن الرحيم

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته وان كما وثق في تحيات على الدوام
 وبعده فالجواب وبالله استشهد الصواب على الرجل الذي له ديونه
 في ادم اشخاص واوصى بانه ما كان معه وفابا الثقة في صدق فيما ادعاه
 انه واصل وله اولاد صغار فالظاهر والله اعلم انه يقول بقلوبه واعلموا
 ثوقا يصدق والذي امره انه مع تصديق بحالي احتسابا لانه ليس به
 الموصى وبينه ثمرة والله اعلم قاله عليه عبد الله بن الفضل بن وكبه
 من املاء ابنه عبد الله بن صالح بن علي بن ابي ذر وهو وصيكم

١٢ - ٥ - ١٢٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

الإدارة العامة

للافتاء والإشراف على الشؤون الدينية
ورئاسة المعاهد

—٥—

الرقم ٧٨ ٢

التاريخ ١٢٧٦ / ٤ / ٢٢

المرفقات

سبحه الله

من محمد بن إبراهيم .. إلى حضرة العظم الشيخ صالح العلي بن غصون قاضي شقراء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته —

وحد فقد وصل إلي كتابكم تاريخ ٧٦/٤/١٠ هـ المتضمن السؤال عن الأسبالي
المخصصة لمعلمي الأولاد وعلى الجهاد وكيفية مصرفها في الوقت الحاضر
نظرا لأن التعليم الآن يقوم به أناس بمكافآت وكذلك الوقف على الجهاد
هل يصرف في جهة حتى يوجد الموقوف عليه أم إذا يحمل فيه ؟
والجواب الحمد لله . الأولي صرف الموقوف على معلمي الأولاد لدار الإيتام أن لم يوجد
مدارس لتعليم الأولاد ينطبق عليها مصرف هذا الوقف في بلدكم أو ما جاورها وما
الوقف على الجهاد أرى أن يرصد في الوقت القريب إلى أن يوجد متطوع للجهاد
في دفع الميه والله يحفظكم ،،، حرره ١٣٧٦/٤/٢٢



بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

الحكمة الشرعية بـ

العدد ..

التاريخ ١٤١٠ هـ

للشؤون

محرم المقام صاحب الفضل والفضل - شيخنا محمد بن إبراهيم آل الشيخ المنعم حفظه الله وتوفاه

- رحمكم الله ورحمة الله وبركاته

قائداً لأنه طالع زوجته

وبعد فقد - النبي

به أهالي - قرار طلاقاً باتاً على عرضي وهو كفاية ابنته من سبع سنين
وقد رغب في نكاحها حيث قبلت ذلك غير أنها لم تتزوج بعده وبما أن البتة
بهذه الصفة وهي أنه لم يتلفظ إلا بقوله ((هي طالع طهره بات)) وكان
ذلك على عرض أيضاً فقد أصبحت عرض المسألة على فضيلتكم راجياً التكرم

على السائل بإفتائه بما ترونه هذا وحضرك - بين آخر وهو أن الخالة
وقعت على يد أخ الزوج وقد ذكر لي والدها أنه لم يأمره بذلك وأن
الزوجة لم تأمره أيضاً بذلك وعلى كل فالأمر لله ثم لكم ونظر فضيلتكم فيه
الكفاية - وخاتماً تقبل تحياتي والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المخلص الأديب

إلى السليم محمد بن إبراهيم ورحمة الله وبركاته ١٠ إذا كان الأمر كما ذكرت صاحب به علي بن عضون

فإنني لك أن تقضي له بأن لا يبا ١٥ يعقد علياً بنكاح جديد قاله أملاه (لقد انقضوا)
محمد بن إبراهيم وبنه من أمه مائة محمد بن علي بن عبد الأفيض وصلى الله عليه وسلم

١٧/٦

بسم الله الرحمن الرحيم

للملكة العربية السعودية

المحكمة الشرعية

الرقم

التاريخ

[illegible]

کانتھ
عبدالرشید اعظم

الحرم الشريف (الرحيم)

من عبدة الفريضة عبد الله بن باز الرخفة الاخ الميم الفاضل الشيخ صالح بن علي بن غصون سلمه الله تعالى وتلاه
 امين سلام عظيم ورحمة الله وبركاته كتابكم الكريم المودع في درره وصلو عليكم بجاهه وما تقتضيه
 من المسائل كان معلوما احدها ابرضا موات بين حلكين يطلب كل واحد حقه من
 المالك احياها ولم يبق لاحد منها نجر بحجاب ان الاولى قسمها بينهما انصافا
 كما هو مقتضى جواب الشيخ ابي بطين وليس هناك وجه لترجيح احدهما على الاخر او
 اعطائه الاكثر من النصف ويتقرب ذلك حكم النبي صلى الله عليه وسلم بالاب لم ينزع فيها
 ان تكون بينهما نصفين اذ لم تكن لاحدهما بيعة ولا يدا وكان لهما بيتان وتساقلتا
 واذا اراهما فضيحتكم ان يضرب لهما ابعلا في واحيا تحت مضاجل ولم يجيب احدهما ما في يده
 نزع منه لصاحبه واغضب في الاحياء فورا ولي واشترع في المالك لا يخالف واما المسألة الثانية
 وهي تنازع العامل في المساقات والمالك في حفر تراب القليب وطلب المالك من العامل
 ان لا يخرج ماء القليب عن ملكه وعدم وجود عرف مستقر في البلد لهذه المسألة فالجواب
 ان اضاهاه وجوب حفر تراب على المالك لان عليه ترسيته الماء وعلى العامل حذره وليس
 للعامل ان يخرج ماء القليب عند المالك لا باذن المالك لانه اخرجه بضر المالك وليس
 كثره التراب في القليب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا خير ولا غير ولا خسر والعامل في هذه الصورة غير منفق
 يطلب اخراجه الماء والسليم من اخراجه اذ انبسط لصلب بينهما في جعل العفر انصافا بينهما كما هو
 حرام في حفر الصفي والعامل يخرج الماء فروع من المالك المسؤل ان يسهل في الاقوال والاعمال
 وان يرفقنا وايكم لما يرضيه الله سبحانه وتعالى هذا ما لا يخفى في السلام لعماله ولا يبر ولا حواء كما كانت
 العمال والمساكين والفقراء يخرجون عافيه وام ين لا تم بسلام ١٤٠١ / ٨ / ٧٠ هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

رقابة القضاة

الحكمة الشرعية

الرقم
التاريخ
التوايح
الموضوع

الرفق
سأحبب الفضل في أفعالي التي المجدل صلى على علي بن جعفر
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام آمين
إبراهيم بن فضل الله ترك في هذا الكتاب ما يشكر
نفسه، أقدم هذا الكتاب بغيره للفرع الذي

عن حجتكم
أقدم بكم صوفى من جوابه خاصة التي على
أني أضدرك عنكم وغيث الظلمة على جواب
في صورة (سوال)

وذلك من صوفى من جوابه التي على
هذا ما من من
أخي
عالمين
١١١١

الفصل السادس

نماذج من فتاوى
الشيخ - رحمه الله -
في برنامج «نور على الدرب»

الفتاوى

١- سؤال:

ما حكم قراءة القرآن الكريم والنذر به إلى روح النبي ﷺ ، وأزواج المرسلين ، وأرواح الأولياء ، وما حكم أخذ أجر مقابل هذه القراءة سواء طلبها القارئ أو أعطيت له من غير طلب؟

الاجواب:

النذر للنبي ﷺ أو لغيره من الأنبياء وإهداء الثواب لهم أمر غير مشروع، ولا أصل له في الشرع، ولو كان خيراً لسبقنا إليه سلف هذه الأمة وهم القدوة، وما كانوا يفعلون شيئاً من ذلك، وهم بلا شك أكثر محبة منا للنبي ﷺ، وأكثر متابعة له، رضوان الله عليهم أجمعين، والنبي ﷺ غني عن أن نهدي إليه ثواب شيء من أعمالنا؛ لأن النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وله المنزلة الرفيعة التي يغبطه فيها الأولون والآخرون، وما من عمل نعمله، إلا وللنبي * مثله؛ لأنه هو الذي دلنا على هذه الأعمال، وهو الذي هدانا إليها، وما عرفنا الخير ولا جاءنا إلا عن طريقه صلوات الله وسلامه عليه.

فإهداء ثواب الأعمال إليه أمر مبتدع، والنبى ﷺ في غنى عنه للأسباب المذكورة، ونحن أحوج لأعمالنا إذا كان هذا يعتبر عملاً صالحاً، مع أن القراءة بأجر، والقراءة للموتى، والقراءة لمن زعم أنهم أولياء، ليست معروفة عند سلف هذه الأمة، وهم الأسوة رضوان الله عليهم، ولم يؤثر عنهم أنهم فعلوا شيئاً من ذلك، وهم أكثر الناس برأ بالنبى ﷺ، وأكثر الناس برأ ومحبة لأهلهم وذويهم، فالأبي بكر ما كانوا يفعلونه لأبي بكر، وآل عمر، وآل عثمان. . إلخ، ما كانوا يفعلون هذه الأمور ولا يتعاطونها؛ لعلمهم أن الإنسان إنما يعمل لنفسه، وأن إهداء ثواب الأعمال أمر غير مشروع ولا وارد.

يدعو المسلم لأخيه المسلم حياً أو ميتاً، وهذا طيب ومشروع، فيتصدق مثلاً صدقة

يعطيها الفقراء ويهدي ثوابها، أما قراءة القرآن ولا سيما قراءته بأجرة، فهذا مبتدع لا أصل له، وبعض الذين يقال بأنهم أولياء أو يزعم أنهم أولياء يحتاج ذلك إلى دليل وبرهان، والله أعلم هل هم أولياء أو غير ذلك.



٢- سؤال:

ما حكم الصلاة في المساجد التي فيها قبور سواء كانت القبور في قبلة المصلي أو خلفه، علماً أنهم يزعمون أنها قبور أولياء، وما حكم وضع تراب بجانب القبر لأخذه والتبرك به؟

الجواب:

إذا كان المسجد بني على ما في داخله من قبور فهذا لا تجوز الصلاة فيه؛ لأنه أسس على معصية، بني على قبر ومن أجله، وإذا كانت القبور هي التي حدثت على المسجد يعني بعد أن أسس المسجد وقام وبني دفن فيه من دفن، فإنه والحال ما ذكر الصلاة فيه جائزة، إلا أن الذي قبلة المسجد من وراء جدار المسجد فهذا لا يضر ولا يؤثر ويجب أن تسد النافذة التي تطل على الضريح إذا أمكن، وأما ما خلف المصلي ولا يصلي إليه فلا أثر له، وهو كما تقدم حدث على المسجد، ووجوده لا يدل على خير، ولكن يدل على تعلق الناس بشيء من الوثنية، وما كان عليه أهل الجاهلية والمشركون، ولكنه لا يؤثر على المصلي ما دام وجد بعد المسجد، وما دام القبر خلف المصلي وليس في قبلته، وما في قبلة المصلي وبينه وبين المصلي جدار، وسدّت النافذة فيه لا بأس به.

وما ذكر من أن هذه القبور لأولياء، فإن الميت توفي، وأصبح رهين عمله وكسبه، وأفضى إلى ما قدم، والإنسان لا تنفعه ولاية الولي، وإنما ينفعه عمله، ولهذا تبرأ النبي ﷺ من بعض أقاربه وقال: (إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء، وإنما وليي الله وصالح المؤمنين)^(١)، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ فمجرد كون هذا ولياً أو صالحاً أو نبياً. صلاحه وولايته له،

(١) أخرجه مسلم (٢١٥) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

ونحن لا نيفعنا إلا عملنا الصالح وما نقدمه، وامثالنا لأمر الله واتباعنا لنبيه، وتحقيقنا لشريعته والنبي ﷺ قال: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) ^(١)، ومعلوم أن التعلق بالقبور والمقبورين وما يقال عن الأولياء كله مخالف لهدي النبي ﷺ، وأن النبي ﷺ جاء بحماية التوحيد وتجريده والبعد عن كل وسائل البدع والشرك والمحاذير.

وأما ما ذكر من أن قرب المسجد (التراب) والناس يأخذون من التراب شيئاً للبركة فهذا شيء من البلية، فالبركة من عند الله لا في التراب ولا في الحجارة أو أي لون من ألوان المعادن، والحجارة الموجودة على سطح الأرض. البركة في توحيد الله عز وجل وذكره وشكره، ومتابعة نبيه محمد ﷺ، ماذا يغني عنا التراب؟ وماذا يغني عنا الرجل؟ وماذا تغني عنا الحجارة؟ وماذا يغني عنا المقبورون ودعاء أناس أصبحوا مرتهين بأعمالهم؟ ولا يدري هل هم من الصالحين أو من غيرهم، وفي الحديث: (القبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار) ^(٢)، ومن هو الذي يقطع أن هذا المقبور في روضة من رياض الجنة؟ ثم لماذا حصلت له هذه المنزلة هل بتعلقه بالمقبورين أو بأعمال صالحة؟، فإن كان يعمل صالح فلماذا لا نعمل مثل عمله؟، لماذا لا نتأسى بعباد الله الصالحين حتى نكون مثلهم؟.

هذا كله خرافة، ومن العجز والوثنية، ومن وسوسة الشيطان وبلية لعباد الله، فهو قد أقسم قسماً قاطعاً وجازماً أنه ليغوين بني آدم ما وجد إلى ذلك سبيلاً، ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾، كل هذا إمعاناً في إضلال عباد الله إن استطاع، فمن الناس من يحشهم على ارتكاب الفجور، وارتكاب المخالفات والجرائم، على حسب ما يجد عندهم من القبول والاستعداد لذلك. ومنهم من يغريه بالتعلق بالقبور والوثنية والشرك ودعاء غير الله، والإقبال على ذلك دون أن يقبل على أمر طلبه الله منه، دون أن يقبل على عمل

(١) أخرجه مسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٦٠) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، وأخرجه الطبراني في الأوسط

(٢٧٣/٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يسجل في صحائفه، فعمل الآخرين لا يفيد الإنسان ولكن يفيدهم هم ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾، ﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾، ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾، اللهم عافنا فيمن عافيت.

أما النافذة التي على القبر في قبلة المسجد فيجب أن تسد حتى لا يستطيع أحد أن يرمي شيئاً، أو يتلمس للبركة، أو يتطلع ويرجو أن في الاطلاع على القبر شيئاً من البركة.

في بعض المساجد ضريح يتركه الناس ويقولون مثلاً: إذا أتى بدابة قد احتبس خروج ما في بطنها ثم أوقفت على هذا الضريح خرج ما في بطنها، وسئل بعض العلماء الذين فتح الله عليهم فقال: هذه قبور عصاة، وإذا أتى بالبهايم وسمعت صراخهم وصياحهم فزعت ثم خرج ما في جوفها، وبنو آدم لا يسمعون صراخ المقبورين وعويلهم، وما يحصل لهم من ويلات، وهذا هو السر والله أعلم.

فبينما كثير من الناس يرجو من أولئك المقبورين النجدة والتوسل، في حين أنهم في شر حال - والعياذ بالله - لدرجة أن البهايم لا تطيق البقاء عند قبورهم، لما تسمعه من الأصوات المفزعة.

* * *

٣- سؤال:

ما حكم من ذهب إلى بئر يشاع عند الناس أن ماءها شفاء من كل مرض ومن كل عاهة، وهل هو شرك أو لا؟

الجواب:

الاستشفاء بالمياه المعدنية أو التي لها بعض الخواص لا علاقة له بالشرك ولا بالوثنية ولا بالاعتقادات، والناس يعرفون أن الاستشفاء لخاصية في الماء كوجود الكبريت أو نحوه مثل عين نجم، أو البئر التي في الشمال، أو المياه المعدنية التي في بلاد أخرى مثل مصر وتركيا وغيره، فهذا القصد الذي يذهب إليه خاصية جعلها الله فيه إما لحرارته،

أو لكونه يحتوي على معادن أو شيء من تلك المزايا التي يجعلها الله في بعض مخلوقاته، مثل الاستشفاء بالكي، وأيضاً بالحجامة، وغيرها من الأشياء المحسوسة، فمثلاً عندنا الآن من أعظم الاستشفاء للكسور والرضوض (الملا)، فإن جعلنا رملاً وصبنا عليه رملاً حاراً إلى غير ذلك، فهذا لا علاقة له بالشرك، ولا بالتعلق بهذه الأشياء، أما إذا كان هناك أناس لهم اعتقاد آخر، أو شيء خارج عن المألوف أو المتوقع فهذا شيء آخر.

لكن مجرد أن يقصد الإنسان ماء يجري أو بئراً مثلاً للاستشفاء من أجل خاصية في هذه البئر أو الماء وضعها الله فيه، فهذا لا علاقة له بالشرك أبداً.



٤- سؤال:

توفي جدي في مصر، وكل سنة في نفس يوم مماته نحبي ليلة في ذكر أوصاف سيدنا محمد ﷺ ونطلق البخور، ثم نشرب القهوة، ونختم الليلة بالعشاء، هل هذا يجوز في الإسلام أو لا؟

الجواب:

هذا لا أصل له في الإسلام؛ لأن النبي ﷺ لم يفعله، ولم يفعله أيضاً صحابته الكرام، ولم يؤثر عن سلف هذه الأمة، وفيهم القدوة والأسوة، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، وأكثر من يشتغل بمثل هذه الأمور أناس يغلب عليهم التفريط والجفاء، ويتعلقون بمثل هذه الأمور ويهتمون بها، مع إهمالهم وغفلتهم عن الواجبات الشرعية، بالإضافة إلى ما يرتكبونه من المخالفات والمحرمات، والشيطان لا يألو جهداً في إضلال بني آدم، فهو يحسن لهم، ويزين لهم المحافظة على الأشياء غير المشروعة، التي تضر ولا تفيد، في حين يزين لهم ترك الواجبات، واستمراء فعل المنكرات والمحرمات.

فإذا كنا نريد أن نتذكر أحوال أو صفات المصطفى ﷺ فهي واضحة وبارزة للعيان، نتذكرها في المحافظة على الصلوات، وفي بر الوالدين، وصلة الأرحام، نتذكرها في

الحفاظ على الأمانة ورعايتها، نتذكرها في توفية المكيال والميزان، نتذكرها في صدق الحديث وعدم الكذب، نتذكرها في المروءة والعفة والنزاهة، نتذكرها في تربية أولادنا والمحافظة عليهم، نتذكرها النسوة في الحشمة وعدم التبرج، وعدم الخروج إلى الشوارع والمقاهي، وكل اجتماعات الرجال دونما حاجة ولا ضرر، وفي بعد الرجال عن النساء، وبعد النساء عن الرجال، وغير ذلك من الأمور التي جاءت بها الشريعة على لسان المصطفى ﷺ، والتي أمر بها وأكدها قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، وقال جل وعلا: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾، وقال ﷺ: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) (١)، وقال عليه الصلاة والسلام: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) (٢).

هذا هو هدي النبي ﷺ، أما التعلق بحفلات، وذكر صفات النبي ﷺ، والتذكر لها، وإنشاد القصائد والأشعار والموشحات، وما إلى ذلك من الأمور التي يتعلق بها غالباً الوثنيون والمشعوذون والمغرضون وأهل البعد عن الله ورسوله، فهذه ضارة وليست نافعة، وهذه بدع وليست مشروعة.

* * *

٥- سؤال:

يوجد عندنا أعداد من القبائل في القرى عندهم ثلاثة أشخاص يقولون لهم «سويداء»، وهذه القبائل تقيم لهم احتفالاً كل سنة، «قصد للموتى» ومحوط على كل واحد قفص، ويذبحون لهم أعداداً من الغنم والبقر وغير ذلك، نرجوا أن توضحوا لنا حكم ذلك؟.

الجواب:

هذه الأشياء التي تفعل هي من بقايا الوثنية، وهي من التعلق بالقبور والمقبورين،

(١) أخرجه مسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) سبق تخريجه.

ومعلوم أن الميت مرتتهن بعمله، وأنه كما تقول الحكمة: الموت يأتي بغتة، والقبر صندوق العمل، فكل إنسان مرتتهن بعمله، وكما في الحديث: (القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار..)^(١)، فالميت والمقبر عاجز عن نفسه، وهو يتمنى زيادة حسنة واحدة في سجل حسناته، ولا يملك المقبر نفعا ولا ضرا لأحد، ولو كان يملك شيئا من ذلك لنفع نفسه.

فالتعلق بالمقبر والمقبرين والإهداء للمقبر والحضور عندها، وإعداد مناسبات لها، كل هذا من أعمال الوثنية، وكل هذه الأعمال حاربها الإسلام، ونهى عنها. نسأل الله العافية من بواقي الوثنية، ومن دعاة الشرك والضلال، والخرافيين والمشعوذين، والذين مهمتهم سلب أموال الناس تحت أسماء مختلفة، وبواسطة حيل، تارة يقولون هذا تعظيم للأولياء وغير ذلك كثير، والغرض منها سلب أموال الناس وإضلالهم ونهبهم.



٦- سؤال:

يوجد ناس يقال عنهم إنهم يملكون الروحانية، وهؤلاء الناس يعلقون في رقبة المريض الحجاب، فما حكم هذا الفعل؟

الجواب:

الذين يقولون إنهم عندهم روحانيات أو شيء من هذا القبيل هم المخرفون والدجالون والمشعوذون، وهم لا يملكون من الروحانيات شيئا، ولو فتشت أحوالهم وسبرت أغوارهم لوجدتهم من أبعد الناس عن الصلاح والعبادة وتقوى الله عز وجل، ولوجدتهم من أبعد الناس عن العفة والنزاهة، وأكثر الناس تهالكاً على ما في أيدي الآخرين من حطام الدنيا، وهم إنما يعملون ذلك من أجل الابتزاز، وسلب أموال الناس، والتحليل بهذه الحيلة القبيحة، وهم بعيدون عن الروحانية. وأكرر بأنهم لو تدبّر حالهم، وسبرت أعمالهم، لو جدوا من أبعد الناس عن تقوى

(١) سبق تخريجه.

الله عز وجل ، وأما جعل القرآن كحرز أو تعليقة على الإنسان فهذا فيه عدة محاذير :
المحذور الأول : أن القرآن إنما أنزل ليعمل به .

المحذور الثاني : أن الذي علق عليه الحرز قد يدخل الحمام ، وقد يجعله معه وهو جنب ، أو المرأة وهي حائض أو نفساء ، أو ربما مع زوجها في الفراش ، وهذا من الأمور التي لا ينبغي أن يمتحن بها القرآن .

وعلى أي حال هؤلاء الذين يكتبون لا يرجى الخير من كتابتهم ، ولا يؤمل فلاح ولا نجاح من مساعيهم ، وهم للسوء أقرب ، وعلى العاقل المسلم أن يبتعد عنهم ، وأن يهتمهم ، فهم أبعد ما يكونون عن تقوى الله والقرب منه .



٧- سؤال :

ما حكم زيارة القبور للرجال في الأعياد ، وقراءة القرآن عندها ، وتفريق النقود والطعام ؟

الجواب :

زيارة القبور مشروعة ، والقبور تزار لأمرين :

الأول : أنها تذكر بالآخرة ، إذا رأى الإنسان المقابر ومن فيها من أهله وأصحابه وجيرانه ، وأنهم بعد أن كانوا معه ، أصبحوا تحت الأرض بعد أن كانوا فوقها ، وبعد أن كان لهم أمر ونهي وسلطان وملك وجاه ، أصبحوا الآن على هذا الوضع لا يملكون شيئاً إلا ما قدموا ، وأصبحوا لا يقاسون من العناء والتعب إلا بقدر ما عملوا من المخالفات والسيئات .

الثاني : أنه يدعو للمقبورين ، ويستغفر لهم ويترحم عليهم ، وهذا ينفع الموتى .
أما أنهم يزارون أيام الأعياد ، أو وقتاً مخصصاً دون وقت ، أو أنه يوزع عندهم النقود ، أو أنه يقرأ القرآن عندهم ، فهذه أشياء لا أعرف أن لها أصلاً في الشرع ، فزيارة القبور مشروعة مطلقة ليلاً أو نهاراً ، للسببين المذكورين : تذكر الآخرة ، وتذكر أن هؤلاء ارتحلوا من الدنيا ، وأن الذي توفاهم سيصل إليه ويرحله ، ويدعو للموتى ، ويستغفر

لهم، ويترحم عليهم، وهذا جاء فيه أحاديث كثيرة مستفيضة عن النبي ﷺ^(١).

أما موضوع الصدقة، فهذه من البدع، وكذلك موضوع القراءة، والجلوس في المقابر للقراءة، فهذه أيضاً من البدع، لم يرد عن النبي ﷺ ولا عن أحد من صحابته ولا عن السلف الصالح، وتخصيص وقت معين لا أعرف أنه وارد إلا إذا كان الإنسان صلى العيد قريباً من المقبرة، وأراد أن يكون خروجه من هذا المكان بأن يمر ويسلم على موتاه، لا من أجل أن لهذا اليوم وهذه الساعة والوقت مزية على غيرها ويقول هذا وارد، وهذا سنة، وأن هذا الوقت خير من غيره من الأوقات، وهذا الوقت أنسب من غيره، فهذا غير وارد فيما أعلم.

والصدقة بالنقود أمر مبتدع، فهل يتصدق للمقبورين أو لوجه الله؟ إن كان يتصدق للمقبورين فهم الآن تحت الثرى ولا يأخذون من الصدقة هذه شيئاً، وإن كان يتصدق لله، فإن موضع الصدقة هذه ليس المقبرة، وهناك مواضع للصدقة أفضل من المقبرة. فلا يجد الإنسان مكاناً يصلي فيه أو يقرأ القرآن فيه أو يتصدق إلا في المقابر؟ هذا معناه أنه ما يلين قلبه أو ما تخف الدنيا عنه إلا في المقبرة - والعياذ بالله -.

وأما قراءة القرآن، فكما تقدم المقبرة ليست محلاً لقراءة القرآن، أو للجلوس عندها، وتلاوة كتاب الله عز وجل.

كل ما في الأمر أن الإنسان يزور القبور، يسلم عليهم: (السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون)^(٢)، (يرحم الله المستقدمين منكم والمستأخرين)^(٣)، (نسأل الله لنا ولكم العافية)^(٤)، (اللهم لا تحرمننا أجرهم، ولا تفتننا بعدهم)^(٥)، (واغفر لنا ولهم)^(٦).

(١) كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي أخرجه مسلم (٩٧٦) قال: زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى، وأبكى من حوله، فقال: «استأنت ربي في أن أستغفر لها، فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور، فإنها تذكروا الموت».

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٩٧٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه مسلم (٩٧٥) من حديث بريدة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه النسائي في الكبرى (٨٨٦٣)، وابن ماجه (١٥٤٦)، وأحمد (٧١/٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير (٣٦١٨) موقوفاً على علي رضي الله عنه.

وهكذا مما ورد عن النبي ﷺ، وهذا ظاهر أنه فيه الدعاء والاستغفار والترحم على الموتى .



٨- سؤال:

أنا تاجر أريد أن أفتح محلاً للألعاب الخاصة بالأطفال بما في ذلك من مجسمات وألعاب مثل الفيلة والدببة وأشكال مخلوقات الله، فهل هذا حلال أو حرام؟

الجواب:

نهى النبي ﷺ عن التصوير، وأمر أيضاً بطمس الصور، نهى عن التصوير وتوعد المصورين بأشد الوعيد، وقال: (من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ)^(١)، وفي حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين قال لأبي الهيجاء الأسدي: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ ألا تدع صورة إلا طمسستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته)^(٢).

ومن الحديث الأول وما في معناه أخذ العلماء الحكم بأن هذا خاص بتصوير ذوات الأرواح، فما كان له روح من الفيلة والنمور والأسود، ممنوع تصويرها، وممنوع شراؤها وبيعها، وممنوع اقتناؤها، ولا يؤثر على ذلك أو يرد عليه أن الناس لا يبالون بهذا الشيء الآن، أو أخذوا الأمر على أنه عادي أو ليس فيه شيء، فهذا شيء ثابت عن النبي ﷺ أنه قائل: (كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفساً يعذب بها في جهنم)^(٣)، وهذه كلها أحاديث في صحيح البخاري ومسلم، (ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا شعيرة أو ليخلقوا حبة...) ^(٤)، وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة والصريحة .

فحيثُذ تصوير ذوات الأرواح من الحيوانات، وشراؤها، وإدخالها على المسلمين

(١) أخرجه البخاري (٢٢٢٥)، ومسلم (٢١١٠) واللفظ له، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما؛

(٢) أخرجه مسلم (٩٦٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢١١٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه البخاري (٥٩٥٣، ٧٥٥٩)، ومسلم (٢١١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كله من المحرم، ومن الكسب المحرم، ولا أرى أن ذلك سائغ أو جائز، ولا أرى أن وجودها عند كثير من الناس يبيحها، ولا أرى أن معناه أنها حلال، أو أنها لا تدخل تحت النهي، والله المستعان.

* * *

٩- سؤال:

يوجد شاب ليس له إلا يد واحدة واليد الأخرى لها أربعة أصابع، فماذا يفعل عند الوضوء؟

الجواب:

يغسل الموجود من اليد الثانية، ولعل الأربعة أصابع متعلقة بالمنكب أو شيء من هذا القبيل، فيغسل الموجود، ويغسل هذه الأصابع الأربعة؛ لأنه يتقي الله ما استطاع، ويمكن أن يصب الماء عليها بيده الثانية ويدلكها إن استطاع، أو بدون ذلك إذا لم يستطع.

* * *

١٠- سؤال:

أصابني زكام، وأعطاني الطبيب أدوية من بينها قطرة للأنف، ولما أردت الوضوء للصلاة وجدت أن الاستنشاق سيؤدي إلى إذهاب مفعول القطرة، هل علي حرج إن تركت الاستنشاق؟

الجواب:

الذي يظهر أن في الأمر سعة، كأن يتوضأ ثم بعد الوضوء يأخذ هذه القطرة، وليس الوقت ضيقاً إلى حد أنه لا يوجد مجال للتفريق بينهما، وعليه أن يتوضأ ثم يستعمل القطرة، وهذا ممكن ولا يترك الاستنشاق لأنه غير ممكن.

* * *

١١- سؤال:

قرأت في بعض الكتب أن بول الطفلة الصغيرة التي لم تأكل الطعام يجب أن يغسل أولاً ثم يعصر لكي تتم طهارته، أما بول الطفل الصغير الذي لم يأكل الطعام فيكفي نضحه بالماء، وبذلك يطهر الثوب، هل هذا صحيح أو لا؟ وإذا كان صحيحاً فما الحكمة من ذلك؟

الجواب:

ورد في الحديث أن بول الغلام يرش وبول الجارية يغسل (١)، أما موضوع الحكمة: فإن واجبنا كأمة أن نمثل أمر النبي #، وأن نتبع ما أتنا به، وننتهي عما نهينا عنه، ولو لم نعرف الحكمة، ولو لم نعرف العلة، ومع أن معرفة الحكمة أو العلة مطلوبة عند أهل العلم، وفيها الكثير من الخير والفائدة، إلا أن تمسك كثير من الناس بقول: ما هي العلة؟ وما هي الحكمة؟ هذا فيه من المفاصد ما لا يخفى من حصول التشكك، وعدم القبول والرضا لدى الإنسان، فعليك أن تقبل ذلك أيها المسلم إذا ثبت الحديث، وليس من شرط ذلك أن تعقل العلة.

والعلماء قالوا: لذلك عدة أسباب: أن بول الصبي ينتشر ولهذا خفف عن الناس بأنه يكفي فيه الرش؛ لأنه ينتشر وقد يصل إلى أجزاء كثيرة من الثوب، وبول الأنثى بخلاف ذلك؛ لأنه يجتمع ويسهل غسله ولا يفضي إلى محل كبير من الثوب.

ومنها أنهم قالوا إن العادة جرت بأن الناس يحملون الصبي أكثر مما يحملون الأنثى، ويكثر أخذهم للصبي وحملهم له، فإذا غسل الثوب كلما حصل عليه بول، أفسدت ثيابهم، فلذا اكتفي بالرش، وأياً كانت التعاليل سواء هذا أو غيره فما دام الحديث ثابتاً عن النبي ﷺ فإن علينا أن نقبل ونسلم وننقاد لشرع الله وحكمه.

* * *

١٢- سؤال:

هل تجوز الصلاة بالجوارب التي فيها ثقب؟

(١) أخرجه أبو داود (٦١٠)، وابن ماجه (٥٢٥)، وأحمد ٩٧/١ من حديث علي رضي الله عنه.

الجواب:

الجورب إذا كان مثقوباً فلا يجوز المسح عليه، والجوارب إنما جاز المسح عليها دون القدمين؛ لأنها ساترة للقدمين، أما إذا كانت ممزقة وغير ساترة، زال السبب الذي من أجله ساغ المسح فلا يمسح عليها.

* * *

١٣- سؤال:

ما هي الجبيرة؟ ومتى يمسح المصاب عليها؟ وكم فرضاً يصلي بها؟

الجواب:

الجبيرة هي ما توضع على الكسر أو على الجرح، وهي تختلف عن الخفين؛ لأنها ليس لها وقت محدد للمسح كيوم وليلة، أو ثلاثة أيام كما في الخفين، بل هي بقدر الحاجة، وكذلك تختلف عن الخفين في المسح، فالخفان لا يمسح عليهما إلا في الحدث الأصغر، بينما الجبيرة يمسح عليها حتى في الحدث الأكبر كالجنابة، والحيض للمرأة، وهذا يؤكد أنها للحاجة، فهي حينئذ لا وقت لها محدد، وإنما هي مرهونة بالحاجة.

فما دام محل الكسر أو الجرح محتاجاً إلى الجبيرة التي يشد بها الذراع، أو الفخذ، أو غيره فيكفي المسح عليها، ولا توقيت لها، بل توقيتها بحسب الحاجة إليها وإلى وجودها.

* * *

١٤- سؤال:

ما حكم رمي الشعر الساقط من الرأس في القمامة؟

الجواب:

هذا لا بأس به، ولكن الأفضل أن يحتفظ بالشعر، ويعرف أين يرميه، وإذا كان عند الناس في بيوتهم حوش أو حديقة، فيحفر حفرة عميقة ويدفن فيها الشعر حتى تأكله الأرض، وهذا أفضل وأحوط، وإلا فلورمي مع القمامة فهذا لا بأس به،

لكنني أنصح بدفنه .

* * *

١٥ - سؤال:

هل قص شعر المرأة من الورا محرم أو لا؟

الجواب:

المرأة إذا كانت متزوجة فشعرها من وسائل جمالها، ولا ينبغي لها أن تقص شعرها بدون إذن زوجها، وللزوج الحق الأكبر في جمال المرأة، فإن كانت المرأة غير متزوجة، أو متزوجة وقد أذن الزوج، فما السبب في قص شعرها وهو نعمة من الله عز وجل، وهو جمال لها؟ فهل هناك مسوغ شرعي؟ إذا كان هناك مسوغ شرعي فلا بأس، أما إذا لم يكن هناك مسوغ شرعي، فلا، لا سيما إذا كان قص الشعر هذا أو قص الذؤابة من باب التقليد والمحاكاة، فيكون أكثر خطراً وأدعى لتجنبه.

ونحن الآن فيما يظهر لي بلينا بالتقليد، وبعادات لم نكن قد عرفناها من قبل، مثل قص الشعر، وقص مقدم الرأس، وأمور كثيرة وردت إلينا الآن، والحقيقة أنها طارئة على أخلاقنا وعاداتنا، وربما أن ديننا لا يرضاها، وقد يأبأها، لكن التقليد الآن طفح عند كثير من الناس، وأصبح سنة مقبولة، أو عادة متبعة عند كثير من الناس، والعياذ بالله.

* * *

١٦ - سؤال:

هل يجوز لبس الكعب العالي للنساء؟

الجواب:

لبس الكعب العالي للنساء شيء غير سائغ وغير جائز في نظري لأكثر من سبب؛ الأول: أنه مضر بالصحة ويسبب متاعب في الظهر، وغير ذلك من الأعضاء لأنه غير طبيعي، بل هو نشاز ولا يتفق مع قوام وتركيب الإنسان، كلما كانت الخفاف خفيفة، كانت أصح وأحمد عاقبة، وكلما كانت ثقيلة وفيها ارتفاع غير ملائم كانت أحرى بالضرر.

والجانب الآخر بالنسبة للمرأة أنها تزوير، وخاصة إذا كانت قصيرة القامة وأرادت أن تظهر طويلة، ومن جهة أخرى فإن لبس الكعب العالي فيه إبراز لبعض أعضاء المرأة لأنه غالباً يجعلها منحنية أو مقبلة على الأرض، وهذا أيضاً من الفتن والشر وكيد الشيطان لهذه الأمة الإسلامية، وفيه أيضاً من الأضرار أنه تقليد أعمى، وبلية من البلايا، وأنه مضر بالصحة كما تقدم، ووضع غير طبيعي ومستورد من الأعداء لنا ما قصدوا به إلا الإضرار بنا، والاستخفاف بعقولنا، وإلحاق الضرر بنا في أمر ديننا ودنيانا.

ونصيحتي لأخواتي المسلمات أن يبتعدن عن هذا الشيء، والقصيرة منهن ترضى بقسمتها، والمرء بأصغريه، فكم من صغيرة في الجسم زاكية في عقلها ودينها ومروءتها، وكم من طويلة أقل منها مكانة ومنزلة.

ويجب أن لا تكون من الذين كلما رأوا شيئاً جديداً أو موضة جديدة ركضوا ولهثوا وراءها دونما عقل ولا روية، والله المستعان.

* * *

١٧- سؤال:

هل يجوز استعمال المكياج للمرأة؟.

الجواب:

إذا كانت المرأة متزوجة واستعملت بعض المساحيق والدهون لتجميل نفسها داخل بيتها ولزوجها فإن هذا لا بأس به، والمرأة في الجملة مطلوب منها أن تتزين لزوجها بما تستطيعه من طيب ونظافة، وثياب وغير ذلك، ولعل ما ذكرته داخل في هذا، أما إذا كانت غير متزوجة، وتريد أن تخرج بزيتها إلى الشارع، وتريد أن يراها رجال أجنب وغير ذلك، فهذا لا ينبغي لها إطلاقاً لا في مكياج ولا غيره.

* * *

١٨- سؤال:

ما حكم لبس الذهب للرجال، وإذا صار كل الناس أغنياء هل تبطل علة تحريم لبس الذهب؟.

الجواب:

حكم لبس الذهب للرجال حرام، وهذا الحكم قطعي ولا شك فيه، وما قيل من أن تعليله لئلا تنكسر قلوب الفقراء، فهذا تعليل قد يكون هو العلة وقد لا يكون، لأن من أهل العلم من قال: إن الذهب يسبب للابسه التعالي والفخر والتطاول والتكبر، وغير ذلك من المفسد، وعلى أي حال سواء قيل إن تحريم لبس الذهب على الرجال من أجل أنه يكسب النفوس تطاولاً وتعالياً على الآخرين، أو أنه يكسر قلوب الفقراء ويؤثر فيها، أو أنه يكسب الرجال أو لابسيه نعومة ورقة وترفاً أكثر مما ينبغي للرجل، أو لأسباب آخر غير هذا.

فإن استعمال الذهب للرجال محرم، ولا يلزم من ذلك أن الحكم لازم للعلة، فسواء عرفنا العلة وعقلناها، أو لم نعرفها ولم نعقلها، فهذا الحكم قطعي ولا يختلف إطلاقاً بحال من الأحوال، ما لم تكن هناك ضرورات وأحوال استثنائية تبيح المحظور، أي أن تكون هناك أسباب وضرورات إذا حصلت صارت مخصصة أي مقيدة للعمومات، مثل تحريم أكل الميتة، فإذا جاءت الضرورة أبيح للإنسان أن يأكلها بقدر دفع الضرورة.

فالحكم هنا ثابت عن النبي ﷺ سواء فهمت العلة أو لم تفهم، وعلينا أن نمثل.

**١٩- سؤال:**

هل يجوز للمرأة نف الحواجب وذلك للزينة؟

الجواب:

معلوم أن النبي ﷺ لعن النامصة والتمنصة، والنامصة: هي التي تأخذ شعر الوجه كله بما في ذلك الحواجب.

والتمنصة هي التي تطلب من يفعل لها ذلك، ولذلك إزالة شعر الحاجبين غير جائزة، لما في ذلك من الخروج عن أمر النبي ﷺ، وهو محاولة لتغيير خلق الله عز وجل، وهو يختلف عن تعديل شعر الحاجبين، فتعديل شعر الحاجبين، كأخذ الشعرة

الزائدة والشعرة الطويلة وما أشبه ذلك أو تخفيفه، فإن هذا لا بأس به .
وقد روي عن أهل العلم ما يدل على جوازه وإباحته، وأما إزالة شعر الحاجب
تماماً، فهذا لا يجوز وهو داخل في حديث: (لعن الله الواشمات والمستوشمات،
والنامصات والمتنصات)^(١).

* * *

٢٠- سؤال:

ما العمل إذا وافقت الجمعة يوم عرفة هل يصلى الظهر والعصر جمعاً وقصرأ،
وتكفي عن صلاة الجمعة، مع ذكر الدليل إن وجد؟

الجواب:

الذين في عرفة ليس عليهم جمعة، وإنما عليهم أن يقصروا الصلاة، ويجمعوا بين
الظهر والعصر، والنبي ﷺ وافق جمعة في حجة الوداع ولم يحج قبلها ولا بعدها،
صادف يوم عرفة يوم جمعة، ومع ذلك جمع بين الظهر والعصر ﷺ ولم يجمع
صلوات الله وسلامه عليه، ولنا فيه الأسوة الحسنة وهذا هو الدليل الكافي.

* * *

٢١- سؤال:

عندنا في «استوكهولم» حالياً الفرق بين الغروب وطلوع الفجر أربع ساعات
ونصف، والبعض يصوم ٢٠ ساعة، والبعض يصوم ١٦ ساعة ويفطر والشمس
ما زالت، ويصلون التراويح بعد صلاة العشاء والشمس واقفة، والبعض يصوم ٢٤
ساعة يبدأ الأكل في الساعة التاسعة، والشمس لازالت، ويصبر حتى يعود في الساعة
التاسعة والشمس لازالت أيضاً؟ فما حكم فعلهم؟.

الجواب:

ما دام يوجد ليل ونهار، فإن ليل حكمه وللنهار حكمه، والصيام في النهار من

(١) أخرجه مسلم (٢١٢٥) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس ولو كان النهار طويلاً، ما دام فيه ليل ونهار، ومن لم يستطع الصيام لمرض، أو حمل أو ما أشبه أو رضاع أو لمشقة العمل، فإنه لا مانع أن يؤخر الصيام إلى وقت فيه النهار أقصر إذا كان هناك ضرورة وهو لا يستطيع الصوم، فقد قال تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ .

وأما من يستطيعه فعليه الصوم ولو حصل عليه مشقة، وأما أنه يفطر والشمس مازالت حية وقائمة، فهذا لا يجوز ما دام فيه ليل ونهار، والله تعالى يقول: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ ، وأما من يصلي التراويح والوقت ما يزال نهاراً فهذا غير وارد، فصلاة التراويح هي من صلاة الليل وهي تصلى في الليل، وهذا ما ظهر لي الآن، والأمر يحتاج إلى مزيد من التفصيل، ومزيد من الإيضاح من السائل.

* * *

٢٢- سؤال:

ما الأفضل في صلاة التهجد القراءة سرّاً أو جهراً إذا كان الشخص وحده؟

الجواب:

إذا كان الشخص يتهجّد في بيته وكان لا يسمعه أحد، بمعنى لا يعلم عن صلاته وتهجده أحد، أو أنه لا يؤذّي أحداً إذا رفع صوته، فحينئذ يفعل ما يناسبه وما هو أفضل عنده، أو أنشط له، سواء رفع الصوت، أو الإسرار. أما إن كان يسمعه ناس كجيران مثلاً، أو يتأذّي الآخرون برفع صوته، فحينئذ الإسرار أفضل، حتى لا يتطرق إليه الرياء، وحتى لا يؤذّي أحداً بصلاته وقراءته وتلاوته، فإذا كان لا يسمعه أحد ولا يتأذّي أحد بتلاوته، فالأمر راجع إليه، فإن كان الجهر أنشط له وأفضل لخشوعه فليجهر، وإن كان الإسرار أنسب له فعليه أن يسر وهكذا.

* * *

٢٣- سؤال:

أعمل سائق طريق طويل (١٣٠٠) كم، هل يجوز لي قصر الصلاة، علماً أنني طول الأيام مسافر؟

الجواب:

هذا المسافر السفر الطويل له أن يترخص ويفطر، أما قصر الصلاة فهذا سنة وكذلك الإفطار فهو مسنون.

أما لو صام إذا لم يكن الصيام يشق عليه، فقد يكون أرفق به حتى لا يضطر إلى قضاء الصوم في أيام آخر، وفي غير شهر رمضان، المهم أن المسافر سافراً طويلاً كالسفر المذكور له أن يأخذ برخص السفر.

* * *

٢٤- سؤال: سائلة تقول:

سافرت لأخذ عمرة، واعتمرنا وأنهيناها، وعندما وصلنا إلى المدينة كان يوم الجمعة، وصلينا الجمعة جماعة مع الرجال ولم أصل الظهر، وعندما رجعت قال لي بعض الناس إنها لا تجزئ، فهل هذا صحيح؟

الجواب:

صلاة المرأة مع الرجال جمعة مجزئة وكافية لها عن صلاة الظهر. والأمر أن النساء يصلون الجمعة جماعة مع الرجال، والناس يشاهدون هذا، ولو كانت غير مجزئة، ولا كافية عن الظهر لكان واجب العلماء وأهل العلم أن ينبهوا على ذلك، ولما سكتوا عليه.

فصلاة النساء جمعة في الجوامع مع الرجال سواء في المسجد الحرام، أو في المسجد النبوي، أو في أي مسجد آخر إذا اقتضى الحال، وحصل صدفة فهي كافية عن الظهر.

* * *

٢٥- سؤال:

إذا اشتبه علي في الصلاة هل قرأت الفاتحة أو لا ، هل أعيد قراءتها؟ علماً بأن شكي هذا في نفس الركعة؟

الجواب:

إذا كان الشك هذا كثيراً يصل إلى حد الوسوسة ، والخواطر تصل إلى الوسواس ، فيجب على الإنسان حينها ألا يلتفت لهذه الأمور ، أما إذا كان الشك نادراً أو قليلاً ، فإذا شكت أنها لم تقرأ الفاتحة وهي ما زالت في الركعة ، فإن عليها أن تأتي بالفاتحة ، ثم تقرأ بعدها ما تيسر من القرآن ثم تركع .

أما إذا انتهت الصلاة وسلمت فيجب ألا تلتفت لهذا ؛ لأنه ربما يكون من الوسواس ، هل قرأ الفاتحة؟ ، هل ركع؟ هل سجد؟ ، معنى ذلك إصابة الإنسان بالخرج في عباداته إذا التفت إلى هذا .



٢٦- سؤال:

ما حكم الدعاء في نهاية صلاة الفريضة ، وما حكم رفع الكفين؟ .

الجواب:

الدعاء بعد الصلاة ، إذا سلم الإنسان مشروع ، ومطلوب من الإنسان أن يدعو في الصلاة بعد التحيات ، ويدعو إذا سلم ، وهذا الموطن من المواطن التي ورد فيها الدعاء عن النبي ﷺ والاستغفار والتهليل والدعاء .

وأما رفع اليدين أثناء الدعاء فلا بأس به ، إلا أنه لم يرد بعد الفرض أن النبي ﷺ دعا ورفع يديه .

نعم إذا دعا بدعاء آخر كدعاء الاستسقاء ، أو دعا في النافلة ، أو في صلاة الليل ، فقد ورد ذلك عن النبي ﷺ ، وقد قال ﷺ : (إن الله يستحي من العبد إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً)^(١) يعني : خائباً ، لكن بعد الفريضة لا أعلم أن هذا وارد

(١) أخرجه أبو داود (١٤٨٨) ، والترمذي (٣٥٥٦) ، وابن حبان (١٦٠/٣) ، والحاكم (٤٩٧/١) من حديث سلمان رضي الله عنه .

وارد فيما يحضرني الآن .

* * *

٢٧- سؤال:

ما حكم سجود التلاوة وسجود الشكر؟

الجواب:

سجود التلاوة سنة وليس بواجب ، وكذلك أيضاً سجود الشكر ، إذا حدث للإنسان نعمة أو اندفعت عنه نقمة ، فإنه يستحب للإنسان أن يسجد شكراً لله تعالى ، فإن فعلهما فعل خيراً ، ولا ينبغي له أن يتركها مختاراً ، وإن تركهما فليس عليه شيء .

* * *

٢٨- سؤال:

ما حكم صلاة الضحى؟

الجواب:

صلاة الضحى سنة ، فإذا صلى الإنسان صلاة الضحى فهي سنة له ، ووقتها بعد ارتفاع الشمس قيد رمح إلى قبيل الزوال ، وأقلها ركعتان ، وأكثرها ثمان ركعات . وأفضل وقتها إذا اشتدت الشمس (وقت القائلة) حيث ترمض الفصال كما في الحديث^(١) ، وهي سنة وليست بواجبة .

* * *

٢٩- سؤال:

رجل عليه صيام شهرين متتابعين ومات قبل انقضاء صيامه ، فهل يصح أن يكمل عنه الصوم ، أو يصام عنه من بداية الشهرين؟

الجواب:

إذا كان هذا الرجل لم يفرط ولم يهمل ، بل بادر بالصيام ولكن الموت وافاه قبل أن

يكملهما، فأرجو أن لا شيء عليه غير ذلك ما دام لم يفرط، سواء كان عن كفارة ظهار، أو وطاء في رمضان، أو قتل الخطأ، فإذا لم يفرط ولم يهمل فلا شيء عليه؛ لأنه بذل استطاعته ولكن المنية عاجلته.

* * *

٣٠- سؤال:

لي عم متوفى وعليه دين فأراد والدي أن يدفع الزكاة عنه للذين يطلبونه، هل يصح هذا أو لا؟.

الجواب:

دفع الزكاة في مثل قضاء الديون هذه لا تجزئ؛ لأن قضاء الدين عن الميت ليس من الأصناف الثمانية الذين ذكرهم الله في كتابه، والذين هم أهل الزكاة.

* * *

٣١- سؤال:

نقرأ في كتب الفقه أن زكاة خمس من الإبل شاة، فهل تجزئ الماعز في إخراج الزكاة؟

الجواب:

ما أجزأت فيه الشاة أجزأت فيه الماعز، والنبى ﷺ أخبر أنها في خمس من الإبل (١)، واسم الشاة في اللغة ينطبق على الضأن والماعز، فإذا أخرج من وجبت عليه شاة ماعزاً أجزأت عنه وكفت، وهذا واضح تعليله.

* * *

٣٢- سؤال:

نويت الحج في العام المنصرم، وأدينا ما علينا إلى أن وصلنا إلى يوم عرفة، وفي صباح يوم عرفة قبل شروق الشمس توجهنا من منى إلى عرفة، وفي أثناء الطريق،

أي قبل وصول عرفة وقع علينا حادث، وتوفي شخص وجرح آخر، ونقلنا إلى المستشفى بعرفة، أرجو إفادتي إذا كان علي نقص من مناسك الحج؟ .

الجواب:

ما داموا وصلوا إلى عرفة - والمستشفى داخل عرفة -، فهذا معناه أنه شارك الحجاج بالوقوف في عرفة، وما عليه إلا أن يكمل بقية المناسك خصوصاً طواف الإفاضة؛ لأنه ليس له وقت محدد، مثل يوم عرفة يفوت، أو الجمع بمزدلفة يفوت، أو رمي الجمار يفوت، فهو لا يتحدد بوقت ولا يفوت، إذا تيسر له سواء في أيام الحج، أو حتى بعد شهر الحج.

فإذا وقف بعرفة ثم لم يرم الجمار بمنى، ولم يبيت بمزدلفة، ولم يطف طواف الحج للوداع، فعليه أن يطوف للوداع، أما رمي الجمار فعليه دم، أي أنه يفدي؛ لأنه لم يرم الجمار، وعليه أن يبيت بمنى، وحيث إنه لم يبيت لأنه كان مريضاً في المستشفى ولم يترك المبيت إلا لعذر شرعي قهري فليس عليه شيء، وهو مثل سائر أهل الأعذار كالرعاة، والسقاة

فعرفنا أنه وقف بعرفة، ولم يبيت بمزدلفة لأنه كان في المستشفى، ولم يبيت بمنى ولم يرم الجمار، وترك المبيت لعذر شرعي قهري، فيسقط عنه الواجب، وأما رمي الجمار فعليه أن يذبح عنها، وأما طواف الحج والسعي، فعليه أن يطوف طواف الحج والسعي إن لم يكن طاف وسعى قبل الوقوف بعرفة، وعليه أن يطوف للحج ثم يسعى إن كان عليه سعي ثم بعد ذلك كله يطوف للوداع، وليس عليه شيء.

وما بقي عليه الآن إلا أن يأتي بالطواف وما يتبعه، وأن يذبح عن الرمي، والوقوف بعرفة حصل، والمبيت بمنى ومزدلفة تخلف عنه لعذر قهري، ولا يستطيعه، وهو شبيه بغيره من أهل الأعذار.

* * *

٣٣- سؤال:

والذي يذبح الأضحية قبل صلاة العيد فهل يجوز ذلك؟

الجواب:

لا يجوز أن تذبح الأضحية إلا بعد صلاة العيد، أو بعد قدر صلاة العيد للذين لا يصلون العيد، إما في بادية أو في قرية لا تقام فيها صلاة العيد، ففي هذه الحالة إذا تأكد أن الذين يصلون العيد قد صلوا فلا بأس حينئذ أن تذبح الأضحية، وأما إذا كان في بلد يصل فيه، وتقام فيه صلاة العيد، فيجب أن ينتظر حتى ينتهي الناس من صلاة العيد ثم يذبح.

**٣٤- سؤال:**

هل تجوز الأضحية عن الأموات؟

الجواب:

من المعلوم أن الموتى ينتفعون من الأحياء من دعائهم، وهذا أمر معروف ومسلم بإجماع أهل العلم، ودلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة، ومن هذا الصلاة على الميت، والصلاة هي دعاء، ولذلك يقف المصلون، ويدعون للميت ويستغفرون له، والوقوف عند قبره والدعاء له، وغير ذلك كثير.

والعبادات أو القرب المالية كالصدقة عن الميت، هذه تصل إلى الميت، إذا تصدق عنه بمبلغ من المال، أو بجزء من الطعام، أو كسوة، أو أضحية، أو حتى ذبيحة وليست أضحية، وأهدى ثواب هذا له، هذا كله عند أهل العلم يصل للأموات، ولهذا جاء في الحديث: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)^(١).

فالميت يستفيد من دعاء إخوانه له، ويستفيد مما يقدمونه من أعمال خيرية، ومعروف أن الأضحية صدقة، فإذا ضحى إنسان لميته، بمعنى أنه أهدى ثواب الأضحية له، فما المانع من أن يصل ثواب الأضحية له، ما دام الإنسان قد ضحى لأمه أو لأبيه أو لقريبه أو لأحد من الناس.

(١) أخرجه مسلم (٧٤٨) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.

والنبي ﷺ ضحى في المدينة بكبشين أملحين أقرنين، أحدهما عن محمد وآل محمد، والثاني عن من لم يضح من أمة محمد (١)، وهذا شامل للأحياء والأموات.

* * *

٣٥- سؤال:

رزقت بمولود وختنته في اليوم السابع، فهل يجوز لي أن أؤخر العقيقة إلى الأسبوع الثالث وأكون مدركاً للسنة؟

الجواب:

أهل العلم قالوا: إن الإنسان يستحب له أن يذبح النسيكة أو العقيقة أو التيممة في اليوم السابع، فإذا لم يتيسر ففي اليوم الرابع عشر، وإن لم يتيسر ففي اليوم الواحد والعشرين، يعني نهاية الأسبوع الثالث، فإذا مضى ذلك اليوم فلا يبقى للتوقيت محل، وهذا كله على سبيل الاستحسان والأفضل، وإن لم يتيسر فالأمر - إن شاء الله - موسع.

* * *

٣٦- سؤال:

إذا توفيت امرأة حامل فماذا يعمل للجنين؟

الجواب:

إذا ماتت المرأة وفي بطنها جنين فلا يتأخر هذا الجنين كثيراً، بل سيموت، ولكن إذا علم أن هذا الجنين يمكن أن يعيش، لأنه مضى عليها أكثر من ستة أشهر، ووجد من يجري عملية جراحية لإخراجه وإنقاذه فهذا طيب؛ لأنه مادامت هذه المرأة توفيت أو في حكم المتوفية، وهذا الجنين سيتوفى معها، ويُرجح أن هذا الجنين يمكن أن يعيش إذا أجريت عملية فورية لإنقاذه، فلا مانع من ذلك، وإلا فإنه سيموت هو الآخر بعد

(١) أخرجه البخاري (١٥٥١)، ومسلم (١٩٦٦) من حديث أنس رضي الله عنه وليس فيه أنه ضحى عن أمة محمد ﷺ، وأخرجه أحمد (٣٩١/٦)، والحاكم (٣٩١/٢)، والبيهقي (٢٥٩/٩) بنحو هذا اللفظ من حديث أبي رافع رضي الله عنه.

مدة قصيرة ويدفن معها .

* * *

٣٧- سؤال:

كيف يكون اللحد بالنسبة للقبر؟ .

الجواب:

الأفضل أن يكون اللحد في الجهة المواجهة للقبلة - وهي جهة الغرب لأهل نجد - وهذا هو الأفضل والأولى . وإن دفع اللحد في الجهة الشرقية ، فلا بأس بشرط أن يجعل الميت وجهه إلى جهة القبلة ، بمعنى أن يكون ظهره جهة الشرق ، لكن الأولى أن يكون على الصفة الأولى بحيث يكون وجهه إلى القبلة ، وظهره إلى اللبن أو الحجارة التي يسد بها اللحد ، هذا جائز وهذا جائز ، والأول أفضل وأولى وأكمل .

* * *

٣٨- سؤال:

ما حكم ذهاب المرأة المسلمة إلى العزاء والبكاء على الميت بدون رفع الصوت ، وما حكم البكاء مع أهل الميت؟

الجواب:

أما البكاء الذي لا صراخ فيه ولا عويل ولا نياحة فلا بأس فيه ، والنبي ﷺ ذرفت عيناه ، وأخبر أن الله لا يعاقب بحزن القلب ولا بدمع العين ، وإنما يعاقب بالصراخ والعويل والبكاء والنياحة ، وشق الجيوب ونتف الشعر ، وما أشبه ذلك (١) . أما كون الإنسان يحزن قلبه أو تدمع عينه ، ويتألم ، فهذا من صفات بني آدم ، ويقع لبني آدم حتى مع احتسابه وصبره ، ولما توفي إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ، جعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان ، فقال له عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه : وأنت يا رسول الله؟ فقال : يا ابن عوف ، إنها رحمة ، ثم أتبعها بأخرى ، فقال ﷺ : «إن العين

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (١٣٠٤) ، ومسلم (٩٢٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

تدمع، والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم
لمحزونون»^(١).

* * *

٣٩- سؤال:

كيف يغسل الميت؟ وما شروط صلاة الجنازة؟ وهل يجب على كل من حضر
الدفن تشييع الجنازة؟.

الجواب:

الميت لغسله صفتان: صفة كمال وصفة أجزاء:

أما صفة الكمال: أولاً يوضأ وضوءه للصلاة، يدخل أصابعه بين شفتيه وفي
منخريه بعد أن يجعلهما في خرقة، وينظف أسنانه، وأنفه، ويغسل وجهه، ثم يغسل
شقه الأيمن ثلاثاً، ويدلكه، ثم يغسل شقه الأيسر ثلاث مرات ويدلكه، وإذا كان
الميت بحاجة إلى ماء ساخن أو في حاجة إلى صابون وفيه وسخ فعليه أن يستعمل هذه
الأشياء، وإذا كان الميت نظيفاً فعدم استعمال هذه الأشياء أفضل حتى لا يحصل معه
تجرح أو نزيف، فبقاء الإنسان على حاله أفضل؛ لأن الإنسان مآله إلى الدفن والمقبرة.
أما حالة الإجزاء فهي أن يصب الماء عليه كله ويعم بدنه بالماء كله مرة واحدة، دون
أن يوضئه، أو يصب عليه ثلاثاً ثلاثاً، ومع ذلك فلا بد من هذا كله.

أما الشق الثاني من السؤال: فلا يجب على كل من صلى على الميت تشييع
الجنازة، ولكن هذا هو الأفضل؛ لأن (من صلى على الميت له قيراط من الأجر، ومن
ذهب إلى المقبرة وحضر الدفن فله قيراط آخر، والقيراطان كما جاء في بعض
الروايات مثل الجبلين العظيمين)^(٢) من الأجر والثواب عند الله.

وأيضاً في حضور الصلاة على الجنازة والذهاب معها وحضور الدفن في المقبرة
حقوق متعددة، حق للورثة، وحق للمسلم الميت، ويستفيد منها أيضاً المشيع

(١) أخرجه البخاري (١٣٠٣)، ومسلم (٢٣١٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧، ١٣٢٥)، ومسلم (٩٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

للجنازة، والمصلي عليها أجراً عظيماً، وفيها أيضاً وفاء للمتوفى في حضور الصلاة عليه وتشيعه والذهاب إلى المقبرة، وفيه أيضاً مراعاة لأهل الميت بتعزيتهم لهم، ومشاركته لهم في مصيبتهم وآلامهم، وهذا أكمل وأفضل فيما يعود على الإنسان في أمر دينه ودنياه، أما أن ذلك واجب، فلا شيء واجب، أكثر ممن تقوم بهم الصلاة. فالصلاة على الميت فرض كفاية، ومن يقوم بهم الدفن، فالصلاة على الجنازة سنة، والذهاب معها إلى المقبرة سنة، إلا إذا لم يوجد من يصلي عليه ومن يدفنه، فهنا يتعين على من حضر من المسلمين أن يقوم بذلك؛ لأنه لا يصلح أن يبقى المسلم بين المسلمين دون صلاة ودون دفن.

* * *

٤٠- سؤال:

هل يجوز وضع المصحف على صدر الميت وقراءة سورة «يس» عند الوفاة؟

الجواب:

قراءة سورة «يس» هذا وارد فيه حديث: (اقرأوا على موتاكم يس) ^(١) وهذا للشخص المحتضر الذي في حكم الغيبوبة، أما لو قرأ على إنسان في وعيه، فهذا فيه إزعاج له إن كان يعلم أن «يس» تقرأ على الميت، فهذا لا ينبغي، أما الشخص الذي في غيبوبة أو في سكرات الموت، فهذا مسنون أن تقرأ عليه سورة يس. أما وضع المصحف على بطن الميت أو صدره فهذا لا ينبغي، فلا يوضع المصحف ولا غيره من كتب الحديث، والميت إذا مات توضع على بطنه حديدة أو حجر صغير، ويبدو أن هذا لكي لا ينتفخ ويتشوه منظر الميت أو شيء من هذا القبيل. . . أما المصحف فلا.

ومن جانب آخر فإن وضع المصحف على شخص ما بعد خروج روحه لن يفيد،

(١) أخرجه أبو داود (١٥٦٨)، والترمذي (٦٢١)، وابن ماجه (١٧٩٨)، وأحمد (١٤/٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ولن يفيد الإنسان إلا عمله ، وأما أن يضع الإنسان المصحف في جيبه ، أو في درج مكتبه ، ربما هذا يكون أدعى للعقوبة إذا كان المصحف بين يديه ، ولا يتقيد به ، ولا يمتثل أوامر القرآن ، ولا يحكم أوامر القرآن ، ويكون هذا أكبر لإثمه وجريمته - والعياذ بالله - فالإنسان يجب أن لا يعلق الآمال - بعد الله عز وجل - إلا على عمله ، ويعتمد على الله عز وجل ثم على عمله ، وعلى متابعة سنة رسول الله ﷺ .

* * *

٤١- سؤال:

هل يجوز الترحم على الكافر؟

الجواب:

الكافر سواء الأصلي ، أو المرتد لا يجوز الترحم عليه ، وقد قال الله لنبيه ﷺ : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ﴾ ، وقال في آية أخرى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى ﴾ ، فتبين بهذا أن المسلم لا يترحم على الكافر ، وهو حين مات على الكفر لم يبق بينه وبين المسلم علاقة .

* * *

٤٢- سؤال:

إذا تزوجت امرأة برجل وطلقها ثم تزوجت بآخر وأنجبت منه بنتاً فهل يجوز للبنت أن تكشف عند زوج أمها السابق؟

الجواب:

لا مانع من ذلك ، حيث إنها محرمة عليه على التأبید ، ما دام تزوج بأمها ودخل بها ، ثم طلقها ، ثم أنجبت هذه البنت من آخر ، وحيث حرمت عليه البنت على التأبید ، فإذا كشفت عنده فلا مانع من ذلك .

* * *

٤٣- سؤال:

أردت أن أزوج ابني ابنة أخي، وقد تبين أن أم البنت أرضعت ولدي هذا مع ابن لها قبل هذه الفتاة رضعتين أو ثلاثاً مشبعات، مع العلم أن أم ولدي لم ترضع أحداً من أبناء أخي، هل يصح أن يتزوج ولدي بهذه الفتاة؟

الجواب:

الرضاع المحرم هو خمس رضعات في الحولين، وما سوى ذلك لا يحصل به التحريم، ولكن ما دام العقد لم يتم، وما دام الشك موجوداً أو ربما تكون الرضعات أكثر من ثلاث، فلو بحث عن فتاة أخرى لكان أفضل وأطيب، (فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه)^(١)، أما الرضاع المحرم فهو خمس رضعات في الحولين، وما دون ذلك لا يحرم على قول أكثر أهل العلم.

* * *

٤٤- سؤال:

إذا لقيت على الطريق العامة ضالة تافهة فأخذتها ولا أعرف من صاحبها أو مكانه، فهل علي شيء؟

الجواب:

إذا كان تافهاً، ومثله لا تتبعه أوساط الناس، فإن أخذه لا بأس به، مثل خشبة أو حبل أو ماسورة أو شيء من هذا القبيل. . وهذه أشياء غالباً لا تطلب، ولا يفتش عنها، وقد تركت في مكان، أما إن كانت أشياء لها قيمة، وربما أن أهلها يبحثون عنها، فهي لقطة، فعليه أن يعرفها حولاً كاملاً في مظانها وفي مجامعها، فإن لم يجد لها أحداً فيما بعد، فله أن ينتفع بها بعد معرفة أوصافها تماماً، والمكان الذي وجدت فيه، فمتى جاء صاحبها دفعها إليه كما ذكر ذلك أهل العلم.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

٤٥- سؤال:

والدتي نامت وبعد ما غرقت في النوم انقلبت على طفلها، ومات، وصامت شهرين متتابعين، ماذا تفعل بعد ذلك؟

الجواب:

الذي يلزمها هو صيام شهرين، وما دامت قد صامت الشهرين فهذه هي الكفارة المأمورة بها، وعليها أن تتوب إلى الله عز وجل، وأن لا تتساهل في مثل ذلك، وإن كان لديها أطفال صغار فيجب عليها أن تبتعد عنهم، أو أن تجعل بينها وبينهم حائلاً، كوسادة، بحيث لو انقلبت انقلبت على الوسادة دون الطفل ما دامت ثقيلة النوم، أو تستغرق كثيراً في نومها حتى لا تستطيع أن تميز معه أنها انقلبت على طفلها أو لا، وعليها أن تتذكر أن التسبب في وفاة إنسان أو طفل بريء هو أمر غير هين حتى ولو كان خطأ.

أما الكفارة فهي صيام الشهرين بنية التكفير والتوبة، ويجب أن تلاحظ عدم تكرار ذلك مستقبلاً سواء هي أو غيرها.



٤٦- سؤال:

هل يجوز تربية طيور الزينة وحبسها في الأقفاص، علماً بأنه يقدم لها الطعام والشراب؟

الجواب:

ما المصلحة من وراء حبس هذه الطيور في الأقفاص؟ أفلا يجد الإنسان تجميلاً أو تزييناً إلا بأن يحبس طيوراً من شأنها الطيران والانطلاق من مكان لآخر، والتحليق من شجرة إلى أخرى ومن جدار إلى جدار؟! أفلا يجد هذا الإنسان الذي لا يقف عند حد من وسائل الزينة أو من وسائل الرفاهية إلا أن يحبس طيوراً في أقفاص؟ أما لو لم يطعمها، فمعلوم ما ثبت عن النبي ﷺ أن امرأة دخلت النار في هرة، حبستها لا هي

أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض^(١).

لكن إذا كان يطعمها، فأولاً: ما الفائدة وما المصلحة من حبس هذه الطيور في الأقفاص، أفلا يجد الإنسان شيئاً غير هذا؟

ثانياً: ألا يكون حبس الطيور وإطعامها والإنفاق عليها من باب السرف، ومن باب البذل في شيء لا طائل ولا جدوى من ورائه؟

ثالثاً: هل هذا كل ما تطلبه الطيور، أن تطعم وتسقى؟ أو هل إن للطيور رغبة أو نظرة إلى ما هو أبعد من ذلك؟

من هذا وغيره فإنني لا أستحسن اقتناء الطيور على هذا النمط، ووضعها في أقفاص وإطعامها وملاحظتها؛ لأنه لا طائل من ورائه، ولأنه يؤذي الطيور بكل حال، ولأنه يمكن التزين وجعل وسائل زينة ورفاهية دون طيور حبيسة في أقفاصها، مع ما هو أبعد ما يكون عن طبيعتها وما فطرت عليه، من حبها للتنقل من مكان لآخر، وفرق بين تنقلها بين الأشجار والتلال وبقائها حبيسة في الأقفاص.

لا أعرف تماماً ما الأسباب التي تدعو الإنسان إلى هذا، ولا أعلم أن سعادة الإنسان تتوقف على مثل هذا، نسأل الله العفو والعافية، ونرجو أن الله يحفظ الله علينا النعمة، ولا يغيرها بما نعمله من أعمال.



(١) أخرجه مسلم (١٦٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الفصل السابع

رثاء الشيخ - رحمه الله -

نثراً (*)

رحمك الله يا شيخ صالح (*)

فقدنا بالأمس القريب عالماً جليلاً عرفته الأمة من خلال مشاركاته الإعلامية المتعددة، وفي مقدمة ذلك البرنامج اليومي (نور على الدرب) الذي كان فيه نعم الموجه والمرشد، من خلال إجاباته الشافية المبسطة بالدليل الواضح البين من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة.

ولقد كان للشيخ صالح بن غصون - رحمه الله - مشاركات في الدعوة إلى الله في مجالات عدة، من خلال المحاضرات والدروس والإجابات على الهاتف، يتضح من خلالها غزارة علمه، وعمق فهمه لمشاكل الأمة، ومحاولة إيجاد الحلول لها وفق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فرحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، فكم أسدى من نصيحة وغير من منكر احتساباً لوجه الله.

قال أبو مسلم الخولاني: العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء، إذا بدت للناس اهتموا بها وإذا خفيت عليهم تحيروا.

وقال سفيان بن عيينة: أرفع الناس عند الله منزلة من كان بين الله وبين عباده وهم الأنبياء والعلماء.

وقد كان الإمام البخاري - رحمه الله - جالساً في الحلقة يعلم طلابه إذ جاءه نعي الإمام الدارمي فقال مخاطباً:

إن تبق تفجع بالأحبة كلهم وفناء نفسك لا أبالك أفجع

وهكذا الدنيا لا تبقى صافية لأحد.. ولقد جاء في الحديث: (أنتم شهداء الله في

الأرض)، فقد حضر للصلاة على جنازة الشيخ خلق لا يعلمهم إلا الله حيث امتلأ المسجد بدوريه الأرضي والعلوي، وكذا الساحات المحيطة بالمسجد، وصدق من قال: بيننا وبينكم يوم الجناز.

(*) أبو حامد إبراهيم الشثري - المصدر: جريدة الجزيرة : الأربعاء ١٤/١/١٤٢٠ هـ الموافق ٢٠/٤/١٩٩٩ م.

الشيخ صالح بن غصون عاش كريماً ومات عزيزاً(*)

هناك فئة من عباد الله المؤمنين يفيض الله عليهم من فضله فيصطفاهم لخدمة أمتهم، وينعم عليهم بالمقامات الذاتية التي تمكنهم من أداء رسالتهم الخيرة، وهذه المقومات قد تكون فيضاً من العلم، أو العقل، أو الحكمة، أو الشجاعة، أو الجاه إلى غير ذلك.

والعلماء هم ورثة الأنبياء، فهم كما قال بعض السلف - مثل النجوم في السماء إذا بدت للناس اهتدوا بها، وإذا خفيت عليهم تحيروا، وكانوا مصابيح الدجى، وأئمة الهدى، يقتدي بهم أهل التقوى.

إن من العلماء صفوة نذروا حياتهم للعلم والتعليم والإرشاد والتوجيه، زهدوا بالدنيا وزخرفها، واكتفوا بعيش الكفاف غير ملتفتين إلى ما ينعم به غيرهم، ممن توفرت لهم أسباب الحياة المترفة والكسب المادي العالي، والمركز الاجتماعي المرموق؛ لأن ذلك ينتهي بنهاية الحياة أو بزوال ما توفر من مال أو جاه.

لقد استشعرت هذه المعاني وأنا أتمجه إلى جامع الراجحي في حي الربوة في مدينة الرياض للمشاركة في الصلاة على جنازة فضيلة الشيخ صالح بن علي بن غصون - رحمه الله -، وأرى الناس على مختلف أعمارهم وطبقاتهم يأرزون إلى ذلك الجامع من كل صوب، حتى امتلأت جنبات الجامع وساحاته الخارجية والشوارع المحيطة به، كما اكتظت تلك المنطقة بآلاف السيارات التي أقلت هؤلاء الناس، ولقد عادت بي الذكرى إلى عام ١٣٧٦ هـ حينما توفي فضيلة الشيخ عبدالرحمن الناصر السعدي - رحمه الله -، وخرجت مدينة عنيزة عن بكرة أبيها لتشيعه، والجميع يعلو وجوههم الحزن والأسى على فقد ذلك الشيخ الجليل، وأيقنت أن هذه النوعية من الرجال الأفاضل، الذين عاشوا في قلوب الناس وذاكرتهم، واكتسبوا تقديرهم ومحبتهم، لا لشرواتهم أو جاههم أو مراكزهم، ولكنهم تملكوا القلوب والمهج بأخلاقهم

(*) إبراهيم بن محمد السبيل - المصدر: مجلة الدعوة : الخميس ١٣ / ١ / ١٤٢٠ هـ الموافق ١٩ / ٤ / ١٩٩٩ م.

وتواضعهم وعلمهم وعظائمهم الجَم، الذي لا ينتهي بنهاية حياتهم، وإنما يتجدد مع الأيام، بفضل ما تركوه من آثار حميدة لا تمحى. فكم تخرج على يديهم من عالم أنار الله به قلوباً وبصائر، وقاضٍ حكم بالعدل ونصر المظلوم، وضال هداه الله إلى الطريق المستقيم.

لقد كان شيخنا صالح بن غصون - رحمه الله - من تلك الفئة الرائدة نشأ يتيماً فأواه الله، ومسدد الحال فملأ الله قلبه بالقناعة والغنى، وفقد نور البصر فعوضه الله بنور البصيرة، ومتواضعاً فرفع الله قدره، وأعلى الله مقامه، شغل حياته كلها بخدمة أمته: معلماً، وقاضياً، ومفتياً، ومحتسباً، وأقام أسرة يشيع فيها الحب والوئام والصلاح. فهنئاً له ما قدم، ونحتسب على الله أن يجزيه الجزاء الأوفى، وأن يلحقه بالصادقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً.

لقد أكسبته طبيعة عمله في سلك القضاء ومواجهته لقضايا المجتمع على اختلاف أنواعها واحتكاكه بمستويات مختلفة من القضاة والعلماء، علماً واسعاً وخبرة كبيرة وقدرة فائقة على المساهمة في دراسة المشكلات، وإيجاد الحلول الملائمة لها على هدي من الشريعة، وإدراك عميق لمجريات الأمور بما حباه الله من رأي صائب، وفكر نير، وإخلاص متأصل في نفسه، وقبول عام لدى مختلف فئات الناس، وليس أدل على ذلك من اختياره ضمن المشايخ الثلاثة الذين وكل إليهم النظر في مشكلات الأراضي التي ظهرت في عام ١٣٧٨ هـ في مدينة الرياض.

لقد كنت من المتابعين لبرنامج «نور على الدرب» في الإذاعة منذ أيامه الأولى، وكانت الحلقات التي يسهم فيها فضيلة الشيخ صالح بن غصون تشدني إليها، نظراً لما يتميز به فضيلته من سعة أفق، وفهم عميق، وسهولة في أسلوب الإجابة على ما يطرح من أسئلة واستفسارات، واستنباط دقيق للأحكام.

ولقد حضرت بعض مجالسه التي يعمرها الكلم الطيب والقول النافع، فلا تخرج من مجلسه إلا وقد اكتسبت علماً وفضلاً وفائدة.

إن خسارتنا به وبأمثاله كبيرة، ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن ندعو الله جلّت قدرته أن يتغمده بواسع رحمته، وأن يجزيه عن أهله وذويه وتلاميذه ومحبيه ومجتمعه خيراً الجزاء إنه سميع مجيب.

بيننا وبينكم يوم الجنائز(*)

في موقف عظيم وجو روحاني شيعت جنازة سماحة الشيخ العلامة صالح بن علي ابن غصون - رحمه الله - ، بعد معاناة مع المرض . نسأل الله بأن يجعلها رفعة في الدرجات وتكفيراً للسيئات .

في مثل هذا الحشد تودع الأمة علماءها الذين هم مصابيح الدجى ، وأعلام الهدى ، هكذا تعبر الأمة عن ألمها بفقد علمائها . . فموت العالم نجم طمس وثلمة في الدين . بمثل هذا الجمع المبارك الذي احتشد في جامع الراجحي بمدينة الرياض من قبل الصلاة ، فقد امتلأ المسجد والطرق المحيطة به والساحات المجاورة شباباً وشيباً علماء وطلبة علم وعامة . أحبوا الشيخ في الله لعلمه وفضله ودعوته . فجاءوا سراعاً ليقيموا جنازته ويحملوها على أعناقهم وأكتافهم ، ليبرهنوا للعالم كيف تحب الأمة الإسلامية علماءها وتوقرهم وتجلهم . وهناك من الناس من يتمنى المشاركة ولكن حبسه العذر فشارك بالدعاء والتضرع بالغفران للشيخ وجميع موتى المسلمين . وهناك من هم في بلد آخر فاكثفوا بالدعاء والدعة الحزينة على فراق الشيخ .

فالعزاء ليس لأولاد الشيخ وأقاربه بل هو لأمة الإسلام في فقد عالم من كبار علمائها ، فمن نعزي بالشيخ هل هم العلماء الذين عاصروا الشيخ وأحبوه وعملوا بعلمه؟ أو هم طلبته الذين نهلوا من معين علمه؟ أو هم الفقراء والمساكين الذين كان الشيخ يسد حاجتهم ويتفقددهم؟ أو عامة الناس الذين كانوا يصغون لفتاواه عبر الإذاعة في مشارق الأرض ومغاربها؟

وصدق رسول الله ﷺ حين قال : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ولكن يقبضه بقبض العلماء» .

وها هي ذي الأمة تودع العلماء يوماً بعد يوم . وإنها وصية للأجيال المسلمة أن تستغل الفرصة في أخذ العلم من البقية الباقية من علماء هذه البلاد المباركة .

وصية لكل من شارك في تشييع جنازة الشيخ - بجسده أو بقلبه - أن يعرفوا لعلمائهم

(*) أحمد بن صالح الطويان - المصدر: المسائية: الأربعاء ١٩/١٢/١٤١٩ هـ الموافق ٥/٤/١٩٩٩ م .

قدرهم ، ويستغلوا حياتهم بأخذ العلم منهم وملازمتهم . واحترامهم وتوقيرهم .
شعارهم في ذلك الإخلاص وابتغاء وجه الله تعالى لا رياء ولا سمعة .
رحم الله الشيخ صالحاً رحمة واسعة ، وجعله في المهديين ، وخلفه في عقبه في
الغابرين ، وجعله من ورثة جنة النعيم .

ابن غصون بكى من أجله العيون(*)

الحمد لله وحده . والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:
منذ بضعة أيام غابت شمس علم من أعلام هذه البلاد، علم من أعلام أهل السنة والجماعة، فاضت روحه إلى باريها . ودع هذه الدنيا بزخرفها . حمل على الأعناق والدموع تذرف، والقلوب تخفق حزناً على فراقه . جمع غفير يكاد لا يحصى . امتد عدة كيلومترات من الجامع الذي صلي عليه فيه وحتى المقبرة . جلهم لم يستطع الوصول إلى المقبرة . جموع غفيرة تزاحمت وتدافعت . ولكن هيهات فكيف الوصول إليه لإلقاء النظرة الأخيرة على الشيخ - رحمه الله - . عندها تذكرت كلمة للإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - عندما قال : «موعداً يوم الجنازة» كما قلت لنفسي ولغيري كذلك أقول : إن الموت آت لا محالة ولا يفرق بين غني أو فقير، صغير أو كبير، أمير أو حقير، فهل من متعظ .

الموت باب وكل الناس داخله ياليت شعري بعد الموت ما الدار

وأخيراً أسأل الله - جل وعلا - أن يسكن الفقيد جنته . وأن يجعل قبره روضة من رياض الجنة، وأن يلهم أهله وذويه الصبر والسلوان ونقول لهم «أحسن الله عزاءكم، وجبر مصيبتكم»، كما أسأله تعالى أن يمد في أعمار علمائنا في طاعة الله، وأن يحفظهم من كل مكروه . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(*) أحمد بن مونس العنزي - المصدر : الجزيرة : الجمعة ٢٣ / ١٢ / ١٤١٩ هـ الموافق ٩ / ٤ / ١٩٩٩ م .

إلى جنة الخلد يا أبا علي(*)

ودعت الرياض يوم أمس عالماً فاضلاً جليلاً متواضعاً قوياً في الحق فقيهاً ورعاً . هو فضيلة الشيخ صالح بن علي بن غصون عضو هيئة كبار العلماء وعضو مجلس القضاء الأعلى سابقاً، بعد عمر حافل بالعطاء والحرص على نشر علمه، حتى إن مجلسه الخاص الذي يعقده بعد مغرب كل يوم جمعة أصبح ملتقى لأفاضل العلماء والفقهاء، وقل أن يخرج من يرتاد هذا المجلس إلا بفائدة لحرص شيخنا غفر الله له على أن لا ينتهي المجلس إلا بفائدة، بحيث يطرح نصاً أو حديثاً يكون موضوع المناقشة .

ولي شيخنا القضاء في عدة أماكن كان يترك في كل بلد آثاراً لا تنسى من العدل والقوة والتوجيه، حتى إن أحد الأدباء المشهورين والفقهاء في نفس الوقت يذكر الفضل لشيخنا حينما كان قاضياً في البلد التي عاش فيها هذا الأديب، وقد كان حسب روايته يحفظ أموراً لا تنتهي بفائدة له، فناده الشيخ وصور له أن أناساً اشتركوا في ناقة ذبحوها واقتسموها فكان نصيب الجميع من خير لحومها، أما أحدهم فكان نصيبه المسقط وهو المصران والكرش وما إلى ذلك، وقال له: أنت الأخير، فقال: لماذا؟! قال: الحفاظ حفظوا أمهات الكتب وأنت تحفظ ما لا ينفعك، ومن ذلك الوقت تغير توجه الأديب وأصبح أديباً فقيهاً .

وفي الأحساء حيث عملت فيها ولكن بعد انتقال الشيخ منها، فكان الحديث عنه وعن قوته وعدله وإفادته من حوله في جميع مجالس الأحساء . وكان يمتاز بالكرم والمروءة والشفاعة في الحق لدى كبار المسئولين . وكان قادتنا - حفظهم الله - وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين وسمو النائب الثاني يقدرونه، ويزورونه في منزله في المناسبات والأعياد، على عادة أسلافهم الكرام في تقدير العلم والعلماء . وقد عم الرياض الحزن لفقده، ولهج الجميع بالدعاء له، ولا حظنا عند

(*) حمد بن عبدالله الصغير - المصدر: جريدة الرياض: الثلاثاء ٢٠/١٢/١٤١٩ هـ الموافق

حضور جنازته أن جموعاً غفيرة من المشيعين لم يسعهم المسجد الذي صلي عليه فيه ، بل بعضهم لم يستطع الوصول إلى المسجد إلا بعد انتهاء الصلاة . وفي المقبرة صلى الآلاف عليه ، ولم ينته من دفنه إلا مع أذان المغرب . رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته .

«إنا لله وإنا إليه راجعون»

وفاة الشيخ صالح بن غصون

والأرض تحيا إذا ما عاش عالمها(*)

الحمد لله الحي الذي لا يموت ، وصلى الله وسلم على سيد الأولين والآخرين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين أما بعد :
فقد فقدت الأمة أحد علمائها الأجلاء ، ورجالاتها النبلاء ألا وهو الشيخ صالح بن علي بن غصون ، وذلك على إثر مرض كان قد عانى منه منذ سنوات . ف(إنا لله وإنا إليه راجعون) .

ونسأله تعالى أن يجبرنا في مصابنا ، وأن يتغمد الشيخ بواسع رحمته ، وينزله الفردوس الأعلى من الجنة ، وأن يرزق أهله والجميع الصبر والاحتساب .
توفي الشيخ بعد عمر مديد بالخير والبر والتقوى يناهز الثمانين عاماً . فقد باشر الشيخ أعمال الخير والنفع للمسلمين منذ ريعان شبابه في القضاء والتدريس والفتوى في أكثر من منطقة بالمملكة العربية السعودية ، ثم كان عمله في مجلس القضاء الأعلى ، وعضواً في هيئة كبار العلماء .

وقد كان للشيخ - رحمه الله - اختياراته ومرئياته التي يلاحظها من اطلع على أبحاث هيئة كبار العلماء ، ومن أعمال الشيخ البارزة مشاركته في الإجابة عن أسئلة المسلمين وفتاواهم عبر برنامج «نور على الدرب» الذي يذاع من إذاعة القرآن الكريم وإذاعة نداء الإسلام ، وقد تميزت إجاباته - رحمه الله - بالبساطة في العبارة دون تكلف أو تشديد ، مع التبشير والتوسعة على المسلمين فيما يحتمله الأمر ، وتحذيرهم مما فيه ضررهم ، وكذلك وصاياه الاجتماعية النافعة التي تلمس منها غيرته ومحبته إيصال النفع للمسلمين .

عرف الشيخ - رحمه الله - بسجيته المرححة المتوددة ، مع زهد وبعد عن الكبر أو الفخر أو الإعجاب ، أو قصد الإساءة لأحد من الناس وديدنه في شؤون النصح مع إقامة

(*) خالد بن عبد الرحمن الشايع - المصدر : مجلة اليمامة : السبت ٢٤ / ١٢ / ١٤١٩ هـ الموافق

التقدير لمن ينصحه، والغيرة لله وحرماته، والحرص على قضاء حوائج الناس بما استطاع.

كما عُرف الشيخ - رحمه الله - لدى مقابلي له والجلوس معه مشجعاً لطلبة العلم، مزجياً النصح والتوجيه لهم بما فيه النفع والخير لهم ولمجتمعاتهم مع الحفاوة بهم والاهتمام بشؤونهم.

ولم يزل - رحمه الله - ملازماً لتلك السجايا الكريمة حتى لقي ربه - جل وعلا - فرحمه الله وتغمده بواسع فضله وكرمه، ورفع درجته مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وهكذا - معاشر القراء - يأفل نجم طالما استضاء به الناس واستهدوا به في أمورهم الحياتية والتعبدية، وما من شك أن فقد أهل العلم وموتهم رزية لا تماثلها رزية، وقد أخبر النبي المصطفى ﷺ عن ذلك فقال: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً

ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً. فستلوا وأفقتوا بغير علم فضلوا وأضلوا) أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في الفتح: في الحديث حض أهل العلم وطلبته على أخذ بعضهم من بعض، وفيه شهادة بعضهم لبعض بالحفظ والفضل وفيه حض العالم طالبه على الأخذ عن غيره ليستفيد ما ليس عنده.

وإن العاقل حقاً ليدرك معنى هذا الحديث الشريف وفحواه، فيأسى لذلك ويحزن؛ لأن موت العلماء فيه النقص البين على أهل الأرض كلهم، قال الله تعالى في آخر سورة الرعد: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : خرابها بموت فقهاؤها وعلمائها وأهل الخير منها، وروي مثله عن غيره أيضاً، ونقل القرطبي في تفسيره عن الحافظ ابن عبد البر أن أهل العلم تلقوه بالقبول.

وهذا لا يعني القنوط والتشاؤم والتطير، فقد مات من قبل سيد العلماء وإمام

الأتقياء محمد ﷺ، ومن بعده صحابته النجباء، وأتباعهم النبلاء، ولم يزل دين الله باقياً ظاهراً، وسيبقى كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولكن المقصود هو بيان مكانة العلماء في الأمة، وأن يعرف الناس منزلتهم عند الله ورسوله، ليستفيدوا وينهلوا من علمهم، ويعلموا أنهم أمانة لهم بإذن الله تعالى.

وبعد، فتلك كلمات مختصرات من تلميذ في شيخ كريم، وعالم جليل، وهو - رحمه الله - أهل لبسط القول بالثناء وذكر الفضائل، ولا نزكي على الله أحداً، ولكن ذلك على حد قول المصطفى ﷺ: «أنتم شهداء الله في الأرض» وما أحسن ما قال الشاعر:

الأرض تحيا إذا ما عاش عالمها متى يمت عالم منها يمت طرف
كالأرض تحيا إذا ما الغيث حل بها وإن أبي، عاد في أكنافها التلف

أسأل الله أن يحفظ علماء المسلمين، وأن ينفع بهم العباد والبلاد، وأن يوفقهم لنشر دينه، ولما فيه الخير، وأن يرحم الشيخ صالح بن غصون، وينزله دار كرامته، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، آمين.

صالح بن غصون .. الفقيد الأجل (*)

حقيقة ليست لدي القدرة على التعبير عن مدى ما يخالجنني من حزن عميق برحيل فضيلة الشيخ الجليل صالح بن علي بن غصون عن هذه الدنيا الفانية إلى الدار الخالدة...!!

إن المصيبة عظيمة والصدمة قاسية جداً، ولكن لا مفر من قضاء الله وقدره. لقد أمضى المرحوم حياته بالتعلم والتعليم والكفاح المستمر، وساهم في نشر الخير والفضيلة بين أفراد المجتمع، وتحرى إحقاق العدل الاجتماعي من خلال القضاء. ورغم حياته الثرية الحافلة بالعلم والخبرة من الممارسة الطويلة والعميقة، فكان لا يتردد أن يسأل عن المزيد والمزيد من المعلومات المتعلقة بموضوع يرغب معرفته أو استكمال به بشكل أفضل.

ونظراً لعلاقته القديمة والتميزة مع والدي الشيخ علي بن صالح الرجيعي «شفاه الله»، ومعرفتي بفضيلته عن قرب، فقد كان رمزاً في التواضع والتعامل مع الجميع، وحكيماً في رأيه ووجهة نظره، ومتميزاً في الحرص على السماع، ومعرفة التفاصيل الدقيقة لموضوع أو فكرة معينة، وذلك ليتمكن من إبداء رأيه بشكل مقنع وصريح وبأسلوب هادئ بعيد عن التعقيد أو القسوة، مستعملاً لغة أدبية سهلة وعالية المستوى. وعندما أزره كثيراً ما أجده منصتاً إلى قراءة فصل معين من كتاب، يريد الاستزادة وضوحاً عن فكرة أو قضية، يرغب في استبيان ما يتعلق بها من أمور شرعية أو اجتماعية.

يضاف إلى ذلك أنه فتح أبواب منزله للجميع، مستقبلاً لهم على الرحب والسعة، بشوشاً بعواطفه الجياشة الحادة، سائلاً كل زائر عن أحواله وأحوال أسرته، وشاكراً الزيارة والسؤال عن الحال، متصفاً بصفة الإنصات للجميع فترة طويلة، وفجأة يتحدث باختصار مفيد يحصل على إعجاب وتقدير الحاضرين. وإضافة إلى ذلك فإن

(*) د. خالد بن علي العلي - المصدر: جريدة الجزيرة : الأربعاء ٢٣/١٢/١٤١٩ هـ الموافق

هاتفه الخاص لا يتوقف عن الرنين، حاملاً تساؤلات عن قضايا ومشكلات دينية واجتماعية مختلفة، لا يتردد في الإجابة عليها وبكل صدر رحب . وذلك رغم حالته الصحية المتدهورة، وبخاصة في الأعوام الأخيرة .

لقد كان فضيلته رمزاً عالياً من رموز العلم والقضاء، في سمو الأخلاق والتربية والأدب والكفاح والصبر والحلم والحكمة والتواضع مقدماً بذلك مثلاً يحتذى . وقد كانت عظمتة تتمثل في بساطته وقربه من الجميع شيخاً أو شاباً، رجلاً أو امرأة، أو حتى طفلاً . فقد فقدت برحيل فضيلته أخاً كبيراً حنوناً، وشيخاً جليلاً، وقاضياً عادلاً، ومربياً حكيماً، وقبل ذلك إنساناً فاضلاً عظيماً، سيظل في الذاكرة خالداً . وأقدم تعازي الحارة الخالصة لأخته الكريمة الفاضلة التي وقفت إلى جانبه طوال حياته، ولجميع أبنائه وبناته الكرام .

﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ ٢٧ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿ ٢٨ ﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي

﴿ ٢٩ ﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿ ، رحمه الله رحمة واسعة و«إنا لله وإنا إليه راجعون» .

إنا على فراقك يا أبا علي لحزونون(*)

قال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾. لقد فجعنا خلال هذه الأيام بوفاة الشيخ صالح بن علي بن غصون - رحمه الله - عضو مجلس القضاء الأعلى (سابقاً) وعضو هيئة كبار العلماء. وكان لهذا النبأ وقعه علينا، لما عرف عن الشيخ من صفات العلماء بالزهد بالدنيا، والورع والتقوى، ونشر العلم الشرعي.

لقد رزئت الأمة برحيل عالم جليل وفقه عظيم، وإن فقد مثل هؤلاء العلماء الأجلاء لهو خسارة فادحة على الأمة الإسلامية. فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت الرسول عليه الصلاة والسلام يقول (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا)، متفق عليه. وعن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم)، وقال عليه الصلاة والسلام: (فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء).

وقد كان الشيخ - رحمه الله - من العلماء العاملين، فسخر جل حياته للدعوة والإرشاد ونشر العلم والافتاء والقضاء. وكانت له نشاطاته العمية والدعوية الكبيرة، فقد مارس القضاء في عدد من البلدان خلف فيها سمعة طيبة وسيرة حسنة، وكان محبوباً من الناس ووجد لديهم قبولاً كبيراً. وقام - رحمه الله - بتدريس العلم الشرعي في عدد من معاهد العلوم الشرعية، وكانت له أيضاً دروس دورية وحلقات علمية، وله أيضاً نشاط إعلامي، فكان أحد الضيوف الدائمين على برنامج نور على

(*) سليمان بن سالم الحناكي - المصدر: جريدة الجزيرة: الأربعاء ٢٣/١٢/١٤١٩ هـ الموافق

الدرب أحد أشهر برامج الإذاعة السعودية، والذي يستضيف نخبة من علماء المملكة.

وعن صفاته الشخصية فأنا أتحدث عنه الآن عن معرفة حقيقية به، فقد كنت على صلة قوية بالشيخ منذ ما يقارب الأربعين عاماً، والشيخ كما تعلمون كان كفيفاً بعد أن ابتلاه الله بفقد بصره في مطلع حياته. وفي الحديث قال الله تعالى: (إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه - يريد بعينيّه - ثم صبر عوضته عنهما الجنة)، وعوضه الله عنهما في الدنيا بالفطنة والذكاء، وسعة الحفظ، وقوة الذاكرة، والجلد على طلب العلم وتعليمه.

وكان - رحمه الله - متواضعاً ذا شخصية لينة طيبة محبوباً من جميع جلسائه ومعارفه وأقاربه وطلابه. لا تفارق البشاشة والطلاقة وجهه. وكان بأحاديثه مرحاً ودوداً متبسّطاً بالأحاديث مع جلسائه، كثير الصلة بأقاربه وأنسابه، باراً بهم عطوفاً عليهم يتلمس حاجاتهم يرحم صغيرهم، ويقدر كبيرهم. وكان لا يتوانى عن القيام بالشفاعة الحسنة لأي شخص كان. ولا يرد من يقصده لحاجة أو طلب، وإذا لم يتمكن من تلبية حاجته فإنه يطيب خاطره ويعدّه خيراً. فكان - رحمه الله - يكره أن ينصرف من عنده أحد وفي نفسه شيء. وكان جلدأً صبوراً أمام كثرة المستفتين والسائلين.

ولم يحدث أن شاهده أحد متذمراً أو متمللاً من المتحلقين عليه حتى في أوقات راحته، كان سمحاً معهم مهما ألح السائل، أو أطال المستفتي وأطنب في السؤال، حريصاً على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم. وكان على صلة وثيقة بولاية الأمر، لا يتوانى عن مناصحتهم بالحق والدعاء لهم بالخير. وقد صلى عليه خلق كثير، وقد لفت الانتباه الأعداد المهولة التي تقاطرت من كل مكان للصلاة على الشيخ، ووداعه وتشجيع جنازته، والدعاء له بالمغفرة. بل إن الكثيرين لم يتمكنوا من الصلاة عليه نتيجة للازدحام الشديد واكتظاظ الشوارع بالناس والسيارات. وهو لم يكسب محبة هؤلاء الناس إلا بالسيرة العطرة، والذكر الحسن، وحب الناس للعلم والعلماء حملة مشاعل النور والهدى. وعن ابن عباس

رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفّعهم الله فيه) ، رواه مسلم . ومن رأى هذه الجموع الهائلة التي قدمت للصلاة عليه تذكر مقولة أحد علماء السلف مشيراً إلى أهل البدعة والضلال (بيننا وبينهم الجنائز) .

وقد نعاه الديوان الملكي . وهذا التقدير له بعد مماته هو امتداد للتقدير والإجلال الذي لقيه من لدن ولاية الأمر في حياته . وهو امتداد للتكريم والإجلال من هذه الدولة وفقها الله للعلم والعلماء . وفي مرضه الأخير أولي من قبل الدولة عناية خاصة ، ورعاية فائقة حتى قبضه الله إليه . وقد تقدم المصلين عليه صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض ، وسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رئيس هيئة كبار العلماء والمفتي العام للمملكة ، وسماحة الشيخ صالح بن محمد اللحيدان رئيس مجلس القضاء الأعلى .

إن العين لتدمع ، وإن القلب ليحزن ، ولا نقول ما يسخط الرب . وإنا على فراقه لمحزونون ، يا كريم يا حي يا قيوم ، يا من رحمته وسعت كل شيء ، اللهم إنا نسألك أن تتغمده بواسع رحمتك . اللهم اغفر له وارحمه ، وعافه واعف عنه ، وأكرم نزله ، ووسع مدخله ، واغسله بالماء والثلج والبرد ، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس . اللهم احشره في عليين وفي مقام كريم ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً . اللهم لا تحرمنّا أجره ، ولا تفتنّا بعده ، وارحمنا معه برحمتك يا أرحم الراحمين ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

ذكرى العلماء باقية(*)

ما مات من سلك القضاء نزاهة بل بات يرجو جنة وثواباً
يا ابن الغصون وإن رحلت مودعاً سيظل رأيك حجة وصواباً
 من المؤمل أن القريحة لن تبخل بأبيات من الشعر. أو بمقالة رصينة عندما يكون المقصود بالرثاء علامة حفياء، وقاضياً لودعياً، ومفتياً ذكياً. أدرك بعلمه كثيراً من الكليات والمركبات. واستوعب بمعرفته كثيراً من الجزئيات والبسيطات. احتل مساحة عريضة ومكانة عميقة في قلوب الجميع من خلال ما قدمه حضوره الفعلي عبر عمره الطويل المبارك من فتاوى أخذت بمجامع الدليل والتعليل. فجاءت متزنة رصينة سارت مع النصوص الشرعية. وأعملت الاجتهاد وبخاصة حينما تكون المسألة معاصرة لا سابقة لها.

أجل عندما يكون المقصود بالرثاء علماً من أعلام الأمة، وكوكباً من كواكبها. غزيراً في علمه وكرمه وحلمه، فإن قريحة الشعر أو النثر - ولا أدعي القدرة على شحذها - ستجود بتصوير ما يحس به الجميع تجاه من منحه الله سرعة البت في القضايا، وسداد الحكم، وقوة الفراسة، ونباهة التوجه، وحدة الذكاء، والرغبة في الوصول إلى الصواب والحزم في العمل، والقوة في الحق. إلى جانب ما تميز به من أدب الحوار الجمل، وجاذبية الشخصية، وتواضع القول والفعل، والزهد في الدنيا، وصفاء السريرة، ونقاء الطوية، وكرم الضيافة. ذلك هو فضيلة الشيخ صالح بن علي بن فهد بن غصون عضو هيئة كبار العلماء وعضو مجلس القضاء الأعلى، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

فهو بحق عالم المعني، ومفت ذكي، وقاض نقي.
 ففي مجال العلم: امتدت جذور علمه آفاقاً رحبة، يبتني بذلك من الله الأجر والثواب فيما نحسب امتثالاً لقوله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

(*) بقلم الدكتور / صالح بن عبدالله المالك - عضو مجلس الشورى - المصدر: جريدة الرياض: الأحد

وفي مجال الفتوى: لم يستأثر بعلمه، بل نشر فتاويه على الملأ من خلال برنامج «نور على الدرب»، وغيره من وسائل الإعلام تعميماً للفائدة، وابتعاداً عن الوقوع فيما حذر عنه المصطفى بقوله ﷺ: «من كتم علماً ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار».

وحسبك به في مجال القضاء ذكاء فطرياً، ونزاهة وعفة، وإقناعاً للخصوم، وتعليلاً للأحكام.

حقاً لقد اتسم ببعد النظر في معالجة كثير من القضايا ذات الأبعاد الاجتماعية، ولم يقتصر على تناولها من زاوية أحادية الجانب مما قد يسبب خطراً على المجتمع. بل تجاوز تلك النظرة في كثير من أحكامه إلى النظرة الشمولية المتسمة بالمعالجة الإصلاحيّة، ذات الزوايا المتعددة فجاءت أحكامه - رحمه الله - مترابطة متكاملة متصلة الحلقات.

ومع هذا التميز بتلك الصفات النبيلة، والسجايا الحميدة، من علم وفتوى وقضاء ونزاهة، وسرعة بت في القضايا، دونما خلل في الحكم، أو خلط في الرأي، كان له حضور إيجابي في الساحة الاجتماعية. فقد كان كريم النفس، جواداً بماله وبجاهه وشفاعته في الحق. له معرفة وصلة أخوية بفئات المجتمع وشرائحه المختلفة.

كان بشوشاً يقوم بواجباته الاجتماعية في الزيارات، وتفقد أحوال إخوانه. وعندما أقعده المرض لم يبخل بماله وبوقته بل أشرع بيته للجميع، ولا سيما بعد صلاة المغرب من مساء كل جمعة، حيث خصص ذلك الوقت لاستقبال الناس، واحتضنهم بطيب المعاشرة، وحلو الكلام والدعابة، ورعاية الصدر. ومع ذلك لم يخل مجلسه في كل الأحوال من سؤال يوجه لفضيلته عن قضية من القضايا المهمة، فكان - رحمه الله - يجيب على الأسئلة أحياناً ويقوم أحياناً أخرى بإحالة السؤال إلى أحد تلامذته، ومن المؤكد أن هذا التوجه خير وسيلة لتدريب التلاميذ على الفتوى تحت إشراف الأستاذ، وعندما تخلو الساحة من طرح علمي يقوم فضيلته بالمبادرة بإثارة موضوع علمي على الحاضرين ومناقشته، رغبة من فضيلته بأن تكون المجالس عامرة بذكر الله، وبما ينفع الناس في الدنيا والآخرة.

أعرف شخصاً من رواد مجلس الشيخ مساء الجمعة من ذوي الاهتمامات العلمية المتعددة، من كان يخصه الشيخ بمساحة من الاهتمام والوقت، ويوجه له سؤالاً أصبح تقليدياً يتضمن ذلك السؤال ما آخر كتاب قرأته؟ فيقوم الشخص نفسه بتلخيص ما قرأه في الأسبوع أو الشهر الماضي من كتاب ما.

وهذا النوع من الطرح المفيد أملى على ذلك الشخص أن يهيئ نفسه لمجلس الشيخ بقراءة كتاب ذي موضوعات قابلة للنقاش قبل حضوره مجلس الشيخ يشري به تلك الجلسة أكثر وأكثر.

والشيخ صالح بن غصون - بحمد الله - ليس وحيداً في هذه الساحة العلمية، ولم ينفرد بهذا العطاء الجم من العلم والخلق والسماحة، فهو ينتمي إلى جيل كرس حياته لخدمة هذا الدين. وعلى رأس هؤلاء العلماء الأجلاء سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ عبدالله بن حميد، والشيخ عبدالعزيز بن باز، وغيرهم كثر لا يتسع المجال لحصرهم.

وما نريد أن نقوله في هذا السياق ولعلمائنا الأفاضل المعاصرين أن يستمروا في السير على نهج سلفهم علماً وعملاً ونزاهة وعفة وزهداً في الدنيا. ودماثة في الخلق وتواضعاً في المكاتب، وسرعة في البت في الأحكام الواضحة، وترثاً في المسائل المعقدة، واعتدالاً في إصدار الفتوى، ورفقاً في الدعوة، ورحابة صدر في استقبال المواطنين، وتفهماً متأنياً لحاجاتهم حتى نضمن في ذلك النهج السليم، وبتوفيق من الله الاستمرار في وضع نماذج حسنة يحتذي بها الجميع، فعلمائنا هم المشاعل التي تضيء الدروب للآخرين.

وأحسب أن هؤلاء العلماء الأجلاء الذين ودعوا الدنيا إلى الآخرة لم تنقطع أعمالهم، بل إن ما خلفوه من أسفار علمية، وفتاوى مضيئة، وأولاد بررة، وصدقات جارية، جعلت حسناتهم مستمرة إن شاء الله، فهم يدخلون في مضمون قوله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو

ولد صالح يدعو له».

وانطلاقاً من حياة الشيخ ابن غصون الحافلة بالعطاء والزهد والإخلاص، وتأثراً بما

شاهدته من وفاء جموع غفيرة من المواطنين، وتوديعهم له في مثواه الأخير، وهو موقف مؤثر يحمل معاني كثيرة. وإزاء هذا وذاك أجد من المناسب أن أبعث بالرسائل الآتية:

الرسالة الأولى: رسالة إجلال وإكبار لخادم الحرمين الشريفين، وأصحاب السمو الملكي الأمراء، وأصحاب السمو الأمراء، وكذلك أصحاب السماحة والفضيلة العلماء، وأصحاب المعالي والسعادة على اختلاف وظائفهم، بما قاموا به من المشاركة بالصلاة على الفقيد، والترحم عليه، والاستغفار له، وتشجيع جثمانه إلى مثواه الأخير، أو بتقديم التعازي لأسرته حضورياً أو هاتفياً أو كتابياً. ولا شك أن في هذا الموقف دليلاً واضحاً على ارتباط قادة هذا البلد العزيز ارتباطاً وثيقاً بأفراد الشعب على اختلاف مستوياتهم، من خلال وشائج اللحمة الواحدة، والهدف الواحد، والمصير الواحد الذي لا يقبل التجزئة.

الرسالة الثانية: رسالة حب وتقدير لأبناء هذا البلد الذين تحلوا بالوفاء والمودة. فقد شاهدت آلافاً من الناس على اختلاف أعمارهم ووظائفهم شاركوا في الصلاة على الشيخ صالح، واتبعوا جنازته، بل تهافت كثير منهم على حمل جثمانه إلى القبر، على الرغم من عدم وجود قرابة عائلية.

حقاً إن ما أبدوه من مشاعر جياشة في المقبرة كانت تشعرك بأنهم أبناء أسرة واحدة. وهو أمر يجب ألا يمر دون الإشارة إلى أن هذا الترابط العضوي - وليس الترابط الميكانيكي، الذي يميز المجتمعات الغربية - هو ما يتميز به المجتمع السعودي، وما كان لهذا النوع من الترابط الإيجابي أن يستمر ويقوى لولا نعمة الإسلام والأمن والاستقرار التي حباها الله بها.

الرسالة الثالثة: رسالة التماس إلى كل المسؤولين عن المعوقين على اختلاف مستوياتهم، راجياً أن ينظر هؤلاء المسؤولون إلى الطفل المعوق بصرياً على أنه قادر - في أكثر الأحيان - على اكتساب المهارات الأكاديمية الأساسية، التي يكتسبها أقرانه المبصرون من خلال المنهج الأكاديمي العادي، إذا ما تم تزويده بمنهج مرادف بجانب المنهج الأكاديمي تكون مهمته التركيز على تنمية المهارات التعويضية، والتي لا تغيب

المنهج الأكاديمي تكون مهمته التركيز على تنمية المهارات التعويضية، والتي لا تغيب عن المسؤولين في الجهات المعنية، إذ إن المعوق الحقيقي هو المعوق العقلي الذي يسقط معه التكليف الشرعي. ذلك أن العقل مناط الأحكام التكليفية، وما عدا المعوقين عقلياً فإنه يمكن التعامل مع المعوقين حركياً، بشكل يمكن معه جعل هؤلاء منتجين فاعلين.

وما أظهره فقيدنا الشيخ صالح وهو ممن فقد بصره في سن الطفولة، وما أثبتته غيره من العلماء الأجلاء من أمثاله ممن فقدوا نعمة البصر، دليل ساطع على ما يمكن أن يقدمه الأعمى لمجتمعه وللأجيال القادمة من خدمات جليلة. وفي تاريخ المسلمين وتراثهم ما يزخر كثيراً بما سطره الكثير ممن فقدوا بصرهم من أفكار علمية، وروائع أدبية، ودواوين شعرية تعد قصائدها من عيون الشعر العربي وصدق الشاعر حيث يقول:

فكم من كفيف في الزمان مشهر لياليه أوضاح وأيامه غرر

أجل. فإن من حق الشيخ ابن غصون ومن كان على شاكلته أن يتمثل بما يروى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عندما فقد بصره حيث يقول:

إن يأخذ الله من عيني نورهما ففي لساني وسمعي منهما نور

قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل وفي فمي صارم كالسيف ماثور

الرسالة الرابعة: باقة ورد لأبنائه البررة تحمل في مضمونها رسالة من وضع ثقته الكاملة فيكم، وبأنكم ستسيرون على نهج والدكم الذي رباكم أحسن تربية. ولا يسعني في هذا الموقف إلا أن أخاطبكم وأنتم أهل لحمل رسالة والدكم وتحقيق أمله فيكم. من خلال أبيات الشاعر محمد بن عثيمين - رحمه الله - حيث يقول:

وإني لأرجو أنكم تخلفونه بإعلاء مجد شيدته مناقبه

وإياكم والافتراق فإنما يجيء بتخريب الديار عواقبه

وختاماً رحم الله الشيخ صالح بن غصون، وأسكنه فسيح جناته، وأمطر عليه شأبيب رحمته، ورزق أسرته وأحابه الصبر والسلوان.

بين أغصان الجنة يا ابن غصون (*)

أمتطي قلبي بحبره الباهت ، لأسطر بمداد من سويداء قلبي النابض بحب هذا الشيخ الفذ أسطراً أسكب روعي في كلماتها ، ليفوح منها عبير الحب الصادق . فياليت شعري بأي أسلوب أعبر!! وبأي عبارات أنسج ما بداخلي!! وأي أحرف تصمد أمام تلك المشاعر فإنها والله لتتبعثر حياءً وإجلالاً لهذه الشخصية الرائعة ، وهيهات لمثلي أن يرسم بقلمه لوحة تترجم تلك العبرات المنهمرة من لوعة الفراق وألم الرحيل . فماذا عساي أن أكتب وبماذا أبداً؟ . . إذ أن المآثر تتزاحم أمام ناظري ، يشجيني منها ذلك التواضع الجرم الذي بلغ أعلى الدرجات ، فلو رأيته أخي القارئ بقامته المديدة وهو يقف يقبل أحد الصبيان متحاملاً وصابراً أمام ثقل المرض وإنهاك الوجع ، سائلاً إياه عن اسمه واسم أبيه ، معقباً على ذلك بكلمة «أنعم وأكرم» ، لتظل تلك الكلمة تتردد في أذن الصغير ، زاهياً بها راسماً على محياه تلك البسمة الصادقة لمن عرف ومن لم يعرف .

فمن رآه لأول مرة أحبه وتقرب إليه ، إذ أنها توحى لك من أول وهلة ماهية ذلك القلب الطيب القابع بين أضلاع هذا الشيخ الفاضل ، فلا مكان فيه للغل ولا للحقد ولا للحسد ولا للبغض ولا للانتقاص لأحد من المؤمنين . فلسانه يترجم كل ذلك بذكر المؤمنين بأحسن صفاتهم والإعراض عن عيوبهم . وكم أهديته أشرطة لدعاة يعتبرون من تلاميذه ، فسعد بسماعها وأثنى عليها ، وأمر بنشرها ، كل ذلك ولسان حاله يقول : كل منا على ثغر .

وأذكر أنه في أحد الأيام استدعاني فطلب مني إعداد بيان أحصي له جميع من في قبيلته من أرامل وأيتام ومساكين ، فما كان مني بعد توفيق الله إلا أن دونت له الأسماء مع ذكر حال كل شخص ، فأعطاني ذلك القلب المرحوم لكل واحد منهم ما لا يسد به صاحبه وأكثر ، محتسباً فيها البر والصلة من دون أن يعلم لهذا أحد . فلهجت الألسن

(*) بقلم / طارق بن عايد العايد - المصدر : جريدة الجزيرة : الجمعة ٢٦ / ١٢ / ١٤١٩ هـ الموافق ١٢ / ٤ / ١٩٩٩ م .

له بالدعاء والثناء . فكان هذا أبلغ درس لي من مربٍ كمثّل هذا الشيخ المبارك - رحمه الله - .

ولم يزل - رحمه الله - طيلة حياته ناصحاً للمسلمين ، موجهاً لهم توجيهات رقيقة ، ملؤها اليسر والسهولة بأسلوب لين تفوح منه رائحة الرحمة والحكمة . حتى إنه ذات يوم وهو راقد في المستشفى أخبر بأن أحد زائريه قد تقلد منصب مدير فدعا له ، وشجعه ، قائلاً له : ما وضعوك في هذا المكان إلا لأنك كفؤ له ، ثم أرشده أن يا بني كن طيب القلب ، متسامحاً غير متشدد ، ومتغافلاً عن أخطاء زملائك الصغيرة ، فإن كثرة العتاب تورث البغضاء . فخرج هذا المدير وأسارير وجهه تتهلل .

وإليك أخي الحبيب لفتة عن زهده - رحمه الله - في الدنيا ومناصبها وزخارفها وعطاياها ، محتقراً لذلك كله متجهاً للآخرة ، ليكون من أبرز أبنائها ، فاجتهد في العلم ليوم الرحيل ، وما أدراك ما يوم الرحيل ؟ ! ذلك اليوم المشهود ، حيث اكتست الرياض ثوبها الأسود ، حداداً على رحيل خير رجالها ، وخيم الحزن على الجميع ، فظهر قول الإمام أحمد - رحمه الله - عن أهل البدع والأهواء «بيننا وبينكم يوم الجنائز» بأبهى صورة وأجمل حلة .

فيا ليتك قد رأيت تلك الجموع الغفيرة التي أدت الصلاة عليه ثم تبعت جنازته ، ولم تتفرق إلا بعد غروب شمس ذلك اليوم . وإن أنسى فلست أنسى أولئك الكهول الذين شابت شعورهم ، وتحاملوا على أنفسهم ، كي يشهدوا الصلاة . ولله در ذلك الشيخ الكبير ، فاقد البصر ذو الجسم المنهك ، حيث دب على الأرض ديباً ممسكاً بعصاه في يد ، وفي الأخرى بيد ابنه ، خاطباً بقدميه في الأرض خطأ ، وإذا هو يزاحم الناس ليحثو على القبر ثلاث حثيات طلباً للأجر والثواب ، ولو تراه إذ بسط يده ليضع فيها التراب ، فإذا به يتناثر من بين أصابعه لرعدة الكبر ، ثم يلقيها في القبر مبللاً إياها بدموع المحبة التي حدثت به ليتحامل على نفسه كل هذا التحامل مكرراً هذا المشهد ثلاث مرات ، ويال للعجب أيصنع الحب في الله والوفاء كل هذا الصنيع ؟ ! .

وها أنا ذا أغص بعبرة تخنقني ، ثم تمنعني عن بث شجونني ، وما أجده في صدري من مواقف وعبر في حياة هذا العلامة ، سائلاً الله أن يجمعنا به في جنات ونهر ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر . . وأخيراً طبت حياً وميتاً يا أبا علي . .

أيها المغرب كنت أنيسي(*)

أيها المغرب كنت أسعد اللحظات، وأعذب الأوقات، كنت ملتقى للعلم، ودافعاً للفهم، لطالما انتظرتك كثيراً، فإذا اقتربت فإنما هي السعادة تحل في قلبي شيئاً فشيئاً حتى تملأه، إذ كنت أرتقب لقاء الشيخ صالح بن غصون، رحمه الله رحمة الأبرار، وإن أقبلت فقد أقبل السرور معك، إذ جلسة الشيخ عزيزة على نفسي، لها مكان في سويداء فؤادي، فمن أول وقتك ونحن في جلسة علمية، نقرأ كلام الفقهاء، ونستشير بأداب العلماء، نسينا هموم الدنيا وآلامها، وأعرضنا عن آهاتها وأتراحها، الدنيا في لحظاتك كتاب بين أيدينا، وزادنا هاتيك الفوائد التي تمر بنا بين أسطر نقرؤها، وكتب أخرى نراجعها.

كانت تغمرني السعادة، أحس وكأنني أسعد من في الأرض، ففي يومي سويغات أجلس فيها إلى ذلك العالم الرباني، أنهل من علمه وأدبه وأخلاقه، أشعر وكأن يومي زادت بركته، فقد ذهب متجماً بفوائد العلم، مفتخراً على أيام آخر لم تحظ بمثل هذه الفوائد.

كنت أيها المغرب طعامي وشرابي، فما إن تذهب حتى أشتاق إليك شوق والدة فجعت ببعد ولدها، فهي تترقب مجيئه ليل نهار، كيف لا أشتاق إليك وأنا أدعوري أن يكون مجلسنا مع الشيخ من مجالس الذكر، تحفه الملائكة، وتغشاه الرحمة، وتنزل فيه السكينة، ويذكرنا الله فيمن عنده، فإن أزف رحيلك منيت نفسي بعمل آخر هو الذهاب مع الشيخ ممسكاً يده، وكأنني ممسك بكنز ثمين، أعجبُ ممن يراني أنه لا ينازعني فيه، ولا يحسدني عليه.

كم تمنيت أن تطول المسافة بين البيت والمسجد لأبقى ما أستطيع مع شيخي، ثم أعزي نفسي أخيراً بدقائق أجلس فيها مجاوراً له في المسجد، يقرأ علي القرآن، وأنا أتابعه في المصحف بعيني، وأما قلبي فقد اكتسى حزناً واكتئاباً إذ قرب الفراق، فيعود شوقي يزداد للقاء ذلك الرجل النقي التقي الطاهر مرة أخرى.

كنت أيها المغرب فخرآلي، فقد منَّ الله علي بجلوسي مع عالم فقيه، سائلاً

ومتعلماً ومستشيراً، أجد منه علماً ومشورة، وأدباً ونصحاً، وتوجيهاً وحناناً. فكم كنت مبروكاً فقد حوت كل هذه الفوائد.

فقدت الشيخ فأصبحت ذكرياتك تؤلمني، أحاول نسيانها وتأبى أنت إلا أن تذكرني بها في كل وقت، فما إن تلوح لي حتى أسكب دمعاتي وآهاتي.

الله أكبر كم تمنيتُ في جلسة الشيخ أن أمسك دقائقك؛ لتصبح ساعات وأياماً، واليوم تمر دقائقك كسهام تنهش في جسدي، أحاول جاهداً عابثاً أن أدفع عجلتها لتمر بأسرع ما يمكن، ولكن هيهات هيهات.

جلستُ لكتابة هذه الأسطر وأنا لا أكاد أملك مدامعي وزفراتي، فلا يهون وجدي عليه، كيف وقد سعدت به حقبة من الدهر، فلا أنسى يده عندي.

كنت أيها المغرب بالأمس علماً وأنساً. وأنت اليوم معقل الأحران، ومجمع الدمعات.

أخلو بنفسي ساعات أطلق فيها السبيل لعبراتي ما شاء الله أن أطلقها. فكيف لا ترق لحالي، وقد رأيتني ذلك اليوم الذي ودعت فيه شيخي قد أسبلت فوق تربته دمعات، في كل واحدة منها شوق ومحبة ومودة، ودعاء له بالرحمة والمغفرة. جمعنا الله مع الشيخ في عليين، وجعل قبره روضة من رياض الجنة، إنه جواد كريم.

سلام عليكم أيها الحزاني(*)

سلام على هاتيك الجموع، سلام على تلك الدموع التي سكبت في المسجد والمقبرة وأخيراً في البيت، سلام عليكم أيها الحزاني جميعاً، فقد وقفتم وقفة وفاء مع علمائكم، قمتم معهم خير قيام، جئتم من كل مكان؛ لتشيعوا عالماً من العلماء العابدين العاملين. جئتم لتعلنوا للناس جميعاً أنكم أوفياء بحق مع هؤلاء الأفاضل. واسيتم أنفسكم، وعزيتهم أمتكم، فالعلماء ورثة الأنبياء، وهم مصابيح الدجى، منكم من شارك في الدفن، ومنكم من اشتغل بالدعاء لذلك العالم النحرير، ومنكم من خنقته العبرات، فصار عزاءه سيلاً من الدمعات.

لقد بكيتم على الفقيد، فأسمعتم التاريخ أنكم خير خلف لأعظم سلف، قلتم للعالم أجمع أن مكانة العلماء محفوظة في نفوسنا عند الصغار والكبار والنساء والعوام، وها هي ذي جنازتهم تشهد أكبر جمع للناس غصت بهم المقبرة، وازدحمت بهم الشوارع، فصار منظراً يسطر بماء الذهب، ليشهده الأبناء، ويخلده الأحفاد، فيعيشوا حياتهم على إجلال العلماء، واحترامهم، ومعرفة مكانتهم في الأمة الإسلامية أمة العلم.

لقد أطلتم البكاء على الشيخ صالح - رحمه الله - حزناً على فراقه، فما ظنكم ببكائي وقد عرفته قرابة عشرين عاماً، ما تظنون ببكاء قلب كريم، ونفس ثكلى، سعدت بمصاحبة الشيخ أعواماً عديدة؟

لقد كان - رحمه الله - مدركاً لأهمية الوقت، فلا يمضيه إلا بما يفيد دينه، فهو قارئ للقرآن، أو لكتب أهل العلم، وإذا ما انفرد راجع محفوظاته المتعددة. عرفته والداً حنوناً يستقبل أسئلة الناس، ويتأثر بتأثرهم، وربما سهر الليالي بسبب شكوى بثها له سائل أو سائلة.

عشت معه أياماً سعيدة، مليئة بالفوائد والحكم والأمثال، فسقياً لتلك الأيام، كان -

(*) ابنه وتلميذه ومحبه د. طارق بن محمد عبدالله الخويطر - المصدر: جريدة الجزيرة : الجمعة ١٠ / ١ / ١٤٢٠ هـ الموافق ١٩٩٩ / ٤ / ٢٦ م.

رحمه الله - يسدي إليّ نصائح كلما رأى فرصة سانحة، وكنت أشتاق إلى توجيهاته، فهو يصب في دقائق محدودة خبرة سنين طويلة .

رحم الله الشيخ صالح بن غصون، فقد جمع من الصفات ما عجز عنه الكثير، وتبوأ منزلة عالية في الدنيا، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ .

اللهم أسكنه فسيح جناتك، واجمعنا وإياه في مستقر رحمتك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، إنك سميع مجيب .

نجم أفل وحبيب ترك (*)

أجل نجم علم وخلق، نجم علم مضيء براق، ونجم خلق فاضل ولم يبق لنا بعده إلا ذكره العطرة، وصورته الباسمة البهجة. ونتجمل بعده بالصبر والإيمان، بأن الطريق الذي سلكه لا بد له ولكل حي من سلوكه و«إنا لله وإنا إليه راجعون».

رحم الله الشيخ صالح بن غصون رحمة الأبرار، ورضي عنه رضاه عن الأخيار، وأسكنه فسيح جناته، وأعلى فيها عنده درجاته، وألهم أهله وطلابه ومحبيه أجمعين الصبر والاحتساب، إنه المولى المجيب.

لقد كان الشيخ صالح - رحمه الله - ضوء بهجة ساطعاً في المجتمع، يهتدى بسيره وما أجمل سيره، ويقتدى بنهجه ونعم النهج، ويستفاد من علمه وما أغزره من علم ترك ثروة لآلئ وجواهر لا تقدر بثمن، أبناء بررة رباهم أحسن تربية، وطلاباً نابهين علمهم فأحسن تعليمهم. كان مثلاً للأب الحنون لمن هو أصغر منه سناً، والأخ العطوف لمن هو في سنه.

عرف قاضياً عدلاً لا يكتفي بإصدار الأحكام جافة، ولكنها تأتي منه متشحة برداء الإسلام، وبقدر ما يفرح بها من جاءت في صالحه لا يأنف منها من جاءت عليه لعلمه بعدل مصدرها، وتوخي الحق وقدرته بعون الله على الوصول إليه. ويعلم المحكوم عليه بأنه في إحقاق الحق، حماه من نفسه ودرأ عنه إثمًا، وساعده على التطلع إلى الأجر والثواب.

يخرج الشيخ صالح - رحمه الله - من منصب فيودعه محيطه بالتجلة والتقدير والإكرام، يستقبله منصب آخر يبدن مفتوحتين، تسبقه في ذلك سمعة أصفى من البلور، وأزكى من عقب الزهور.

لقد كان - رحمه الله - يمثل جيلاً نذر نفسه لخدمة الناس، والسعي في نفعهم، وإصلاح ذات البين بينهم، أعطاه الله حسن المنطق، وحسن التصرف، وحسن المقابلة

(*) بقلم: معالي الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر وزير الدولة وعضو مجلس الوزراء - المصدر:

جريدة الجزيرة: الأربعاء ٢١/١٢/١٤١٩ هـ الموافق ٧/٤/١٩٩٩ م

مع نية صافية سليمة، ونفس كريمة رضية .

إن الشيخ صالحاً لم يمت، فقد أودع ما عنده من وافر العلم أذهان طلابه، وملاً صدورهم بدرر وجواهر منه، وسن لهم السنن الحسنة واختط لهم النهج المستقيم، فأصبحوا صورة صادقة لجمال خطوه، وبهاء فعله، وسعة صدره، وقدرته على التحمل في مناصب هي محك عقول الرجال وأعصابهم وتصرفهم ومجال اختبار الأفاضل وتميزهم .

كان التواضع له سمة، وحسن الخلق له سجية، فكسب حب من عرفه واحترام من قابله، ومن أحبه فخر بحبه له وباهى .

كان من الرعيل الأول الذي حمل العبء الثقيل، عندما كانت الكفاءات محدودة، وقد فتح طريقاً حميداً فيما تبوأ من مناصب، فأصبح محل الثقة وهو أهل لذلك، فقد أثبت كفاية وسداداً .

كان - رحمه الله - ينسى نفسه عندما يسعى لمصلحة الآخرين، وكان يسعى لسبل الخير لغيره ولو على حساب حقوقه وصحته .

رحمك الله يا شيخ صالح، ففقدك كبير؛ لأنك كبير في الأنفس وفي القلوب، كبير في نيتك، وكبير في قصدك، وكبير في قولك، وكبير في فعلك . سوف يلهث كثيرون خلفك ليكونوا مثلك، ولن يكونوا، فأنت فريد في زمننا هذا ويعرف هذا جيداً من كان قريباً منك .

رحمك الله رحمة الأبرار، وأسكنك من الجنان فسيحها، وبوأك من الدرجات أعلاها، وأعظم لك الأجر لك ولأبنائك وأهلك وطلابك وأحبائك وإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفاة الشيخ صالح بن غصون أسبغ الله عليه رحمته(*)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

عباد الله اتقوا الله ربكم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، أيها المؤمنون لقد قام هذا الدين على العلم أصلاً وفرعاً، ولقد جاءت الرسل بأكبر حقائق العلم وهي وحدانية الله ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾، وما أرسل الله من رسول إلا علمه ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾، فالعلم هو عدة الرسالة، وهو أداة الدين، ولذا كان العلماء من أمة الإسلام هم أهل الله وخاصته، وهم الذين يخشون الله حق خشيته ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، وهم أهل الكلمة المعتدلة، والقول المقسط، فإذا اشتبهت الطرق، وحرار السائرون، وخاض الجهال فيما لا يعلمون جاء لكلامهم فضلاً ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدَ رَبِّنَا﴾، استشهد الله بهم على أعظم حقيقة، استشهدهم على وحدانيته ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، فهم أعلم الناس بالحق، وأدراهم به، وأخبرهم بطرقه ومسالكه ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾، ولذلك شهد الله برفعتهم، وتميزهم على من عداهم ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾.

ولقد مات أنبياء الله عن ميراث ضخم عظيم من العلم الرباني والخشية والأدب والسمت والهدى، وليس لهم من وريث شرعي على تلك التركة إلا العلماء، عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (فضل العالم على العابد كفضل

(*) خطبة جمعة ألقاها الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عبد الرحمن المبرد.

القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ولكنهم ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر) .

وإذا كان أنبياء الله هم خيرة البشرية وهم صفوة بني آدم، فإن العلماء الذين يرثونهم قد ورثوا شيئاً من هذه الخيرية، وشيئاً من هذا التميز. فالأنبياء مبلغون عن الله، والعلماء مبلغون عن الأنبياء، فهم الذين يبلغون مقالة رسول الله ﷺ إلى الأمة، ويبينون مراده. فهم أهل دعوة النبي ﷺ: (نضر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وزادها، فرب حامل فقه غير فقيهه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه). وهم من الذين أراد الله بهم الخير، فعن ابن عباس ومعاوية - رضي الله عنهم - قالوا: قال رسول الله ﷺ: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) .

قال الإمام الأجرى (فلما أراد الله بهم الخير فقههم في الدين، وعلمهم الكتاب والحكمة، وصاروا سراجاً للعباد، ومناراً للبلاد) .

وإذا أراد الله بأمة خيراً فقههم في الدين، وهل تفقه دين ربها إلا بنهوض علمائها بواجب الدعوة والتعليم؟! وإذا أراد الله بأمة خيراً ورشداً قذف حب العلماء وتقديرهم في قلوب أبنائها، فأصبح العلماء حداة ركبها، ومنارات طريقها. وما أصيبت أمة بأعظم من مصيبتها في علمائها إذا تخرمتهم المنايا وطواهم الموت، فكأنما خر من سماء الأمة نجم كانت تهتدي به، وكأنما انطفأ مشعل كانت تستضيء به، بل وكأنما سقط حصن كانت تلوذ به من عاديات الجهل والجهال.

أجل أيها المؤمنون قبل أيام نعت أمة الإسلام عالماً من علمائها، وازدحمت جموع المسلمين في جنازته. حملوها بقلوبهم وعبراتهم. سارت وسط الابتهالات والدعوات الصادقة، التي تستنزل الرحمة على ذاك الجسد المسجى، الذي طالما رفع للعمل راية. فكم بلغ من حديث وآية، وكم نصح وصدق. فالأمة عندما تبكيه لا تبكيه لشخصه بل تبكي العلم الذي انتقص بموته.

إن الأمة تبكي السمт والهدي الذي انطفأ شعاعه بموته - رحمه الله -، عن عبد الله ابن عمرو - رضي الله عنهما - قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا يقبض

العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فاستلوا فافتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا» رواه البخاري .

أجل إن الأمة تشفق من يوم يغيب عنها فيه العلماء العاملون، والأخبار الربانيون، نعم أيها المصلون فإذا أراد الله أن تغيب الشمس أذن بموت العلماء المخلصين . عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : «أتدرون ما ذهاب العلم» قلنا لا قال : ذهاب العلماء، وذهاب العلماء معناه : هلاك الناس . سئل سعيد بن جبير ما علامة هلاك الناس ؟ قال : (إذا هلك علماؤهم) وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - : لا يزال عالم يموت وأثر للحق يدرس حتى يكثر أهل الجهل، وقد زهد أهل العلم فيعملون بالجهل ويدينون بغير الحق ويضلون سواء السبيل . وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «إنما مثل العلماء في الأرض كممثل النجوم في السماء، يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة» .

أجل فإن كان الناس يهتدون بنجوم السماء في مسيرهم إلى غاياتهم وأرزاقهم، فإن العلماء نجوم يهتدي بها الناس في مسيرهم إلى ربهم وإلى رضاه وجته . وإن كانت النجوم زينة في السماء، فالعلماء زينة الناس وشموسهم المشرقة . وإن كانت النجوم رجوماً للشياطين، فالعلماء رجوم ونار تحرق شياطين الأرض وشبههم، فهم الذين يذودون عن ضمير الأمة وفكرها، وهم الذين يحفظون لها شخصيتها ويجلون هويتها، وهم الذين يقيمون ألف دليل ودليل على تميز هذه الأمة وأصالتها، فهم حجارة سجل لكل من يعتدي على ثقافة الأمة أو يطعن في دينها . فكيف لا تبكي الأمة لموت واحد من علمائها ودعاتها، الذين يحملون النور في الظلمات إلى الله بعلمهم الهادي للمسلمين حين تنطبق عليهم الخطوب وتفدحهم المصائب، فيبعثون بهذا العلم الثقة في النفوس المهزومة، ويبعثون الأمل الضاحك في القلوب المقهورة، ويشخصون الأدوية، ويصنعون الدواء بحكمة الطبيب العارف .

وهنيئاً لعالم يموت وأمه تشهد له بصدق الكلمة، وبذل الجهد وأداء حق العلم. هنيئاً لحامل علم تحزن عليه قلوب طالما تلهفت سماع فتواه، ووقفت عند رأيه. وطوبى لمن مات وأمه تشني عليه وتدعو له. عن أنس - رضي الله عنه - قال: مروا بجنابة فأثنوا عليها خيراً فقال النبي ﷺ: وجبت، ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شراً فقال: النبي ﷺ: وجبت، فقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: ما وجبت؟ فقال: «هذا أثنيتم عليه خيراً فوجب له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجب له النار، وأنتم شهداء الله في الأرض» متفق عليه.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه. . واعلموا أن حملة العلم كثير، وأن القراء كثير، ولكن كثيراً منهم محجوبون عن الأمة بحجب شتى، فمنهم من حجب علمه للدعة والراحة، ومنهم من حجب عن أمته بسعيه وراء مصالحه الشخصية، ومنهم من غيب عن أمته، فإذا أشرقت شمس عالم على أرض طابت وطاب نبتها، وماتت فيها كل النوابت الخبيثة التي تنبت في البقاع المظلمة التي لا تصلها أشعة العلم والعلماء، وإذا هطل غيث عالم على أرض أخذت زيتها ونفع الله به، وإذا تفجرت عين علم في أرض ورد الناس مياهاها العذبة، وصدروا عنها بأكباد رياء وأجساد صحيحة يقول ابن مهران: «إن مثل العالم في البلد كمثل عين عذبة في البلد»، وقال بعضهم: «مثل العلماء مثل الماء حيثما سقطوا نفعوا».

فإذا غاضت تلك العين وجف ماؤها، وإذا انقطع ذلك الغيث وتفشعت سحبه، وإذا أفلت تلك الشمس، حينها يشعر الناس بعظم الفادحة وكبير المصيبة. فموت العالم ليس موت شخص ولكنه بنيان يتصدع، وحصن يتهاوى، قال الحسن، قال عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه -: «موت العالم ثلثة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار»، وقال أيوب: «إني أخبر بموت الرجل من أهل السنة فكأنني أفقد بعض أعضائي»، وإن أولئك الأفراد المعدودين من الأمة، إن هم إلا بعض أبنائها، وفي مشاهد جنازتهم ما يحفز الشباب لطلب العلم لسد الثغر الذي تركوه،

وتحصيل المجد الذي أدركوه، فياللعلماء من وعاظ للأمة ومرشدين لها في حياتهم وبعد مماتهم! فله درهم وعليه وحده أجرهم! ألا فليتحرك رجال هذه الأمة ونساؤها ليسيروا على نهج علمائهم، فليلتفوا حول كتاب الله سبحانه، ويتدارسوه فيما بينهم، ويتعاونوا على العمل به، وامثال ما أمروا واجتناب ما نهى عنه وزجر، فبذلك يكونون من الربانيين الذين قال عنهم ربهم: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ وليكونوا من أهل العلم الصفوة المصطفين حفظهم الله ورعاهم، حملة الدين وحراس العقيدة وحماة الدين، فمنهم من اتجه لمكافحة الشرك الخبيث وأهله والبدع والخرافات، ومنهم من يبث العلم بشأ ويمهد له تمهيداً، ومنهم من يكشف القناع الذي تقنع به المفسدون، والرداء الذي تسربل به المجرمون، ومنهم من يسوس الناس بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

ألا قاتل الله الإعلام الغربي حينما يصرف الأجيال عن تلك القمم الإنسانية، والقدوات الربانية، ويعلق مشاعرهم الناشئة وأنظارهم بوجوه رفيعة، وشخصيات وضيعة، ويسميها نجوماً ولكنها عتمة وظلمة، ويسميها أبطالاً وما عرفت للبطولة طريقاً.

ابن غصون صديق العمر(*)

تأخرت في كتابة هذه الكلمة عن فقيدنا الغالي الشيخ صالح بن غصون - رحمه الله رحمة الأبرار -، والسبب في هذا التأخر يعرفه أبناءه الكرام، حيث كانت أم الأولاد ترقد في الجناح الذي كان يرقد فيه الشيخ صالح، وكان - رحمه الله - وهو يغالب أمراضه حفيماً بالسؤال عنها. ويعرف الجميع حالة النفس التي يكون عليها من فقد زميلاً وصديقاً له، فضلاً عن مكانته العلمية مع معايشة مريضة منهكة متألمة هي بين الخوف من مزيد الألم، والرجاء في مزيد الشفاء.

وليسمح لي الجميع بعد أن خفت الصدمة بفقد عالمنا الجليل وتحسنت حالة أم أولادي أن أتحدث بإيجاز شديد عن هذا الفقيد الذي عرفته، بل وزاملته في آخر سنة من دراسته على سماحة شيخنا العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ - رحمه الله -، قبل أن يعين قاضياً في حوطة سدير عام ١٣٦٨ هـ، أدركت (عاماً) أو ما يقارب العام من دراسة الشيخ صالح على كل من الشيخين الجليلين محمد بن إبراهيم وعبد اللطيف بن إبراهيم. كانت دراسته الفرائض (علم المواريث) على الشيخ عبد اللطيف هي الأظهر في الذاكرة والأبهر في الذهن، لما كان عليه من سعة علم، وقدرة جيدة على حل المسائل العويصة، التي كان يطرحها الشيخ عبد اللطيف على طلبته الذين يلتفون أمامه على شكل نصف دائرة، وهم ما بين الخمسين والستين طالباً. وكان الشيخ صالح بن غصون أبرز الطلبة في هذا المجال على الإطلاق، وكنت أقارب بين المسألة التي يعطيها الشيخ عبد اللطيف لابن غصون ويحلها في دقائق معدودة، وبين ما يعطينيه أنا وأمثالي من المبتدئين من مسائل صغيرة وسهلة نحو قوله (اقسم : رجل توفي عن كذا وكذا من الورثة) فنحلها لسهولتها، ولكن ما يعطيه لصالح بن غصون يختلف كثيراً عما يعطيه لنا. هذا جانب واحد مما عرفته وزاملت فيه الراحل الكريم.

عرفت في الشيخ من المثل العليا، والقيم الرفيعة، ما أغناني الذين كتبوا قبلي عنه

(*) بقلم: عبدالله بن إدريس - المصدر: جريدة الرياض: الثلاثاء ٤ / ١ / ١٤٢٠ هـ الموافق

بذكرها أو بذكر شيء منها مما لا داعي لتكراره هنا .

لكنني عرفت عنه أشياء ربما لم يذكرها الذين رثوه قبلي من ذلك مثلاً :

١- لطافته مع جلسائه ، وانشراح صدره بالحديث الجاد حيناً لما يكون الحديث علمياً ، والباسم حين يكون الحديث أخوياً أو طريفاً .

٢- تواضعه في ملبسه ومركبه ومسكنه .

٣- سعة اطلاعه العلمي ليس في تخصصه الفقهي فحسب ، بل في مجالات علمية أخرى على رأسها التراث التاريخي ، وما حوته أمهات الكتب الرئيسية في الحديث والتفسير والتاريخ الخ .

٤- انفتاحه النفسي وحبّه للدعابة المحتشمة والموقف الطريف .

أذكر من طرائف لمحاته المرحّة - يرحمه الله - أنه زارني عندما دخلت المستشفى التخصصي في شهر شعبان عام ١٤٠٨ هـ فقلت له : يا شيخ صالح جزاك الله خيراً وما كان لهذه الزيارة من لزوم حتى تتعب نفسك في مشوار طويل ومتعب ، وكان يكفي الاتصال بالهاتف بدل أن تكلف نفسك عناء المجيء . فقال : (سبحان الله هل تستكثر علي زيارتك ؟ والله لو « رقدت غترتك » لزرتها ، فضحكنا والحاضرون من هذه العبارة (المبالغة لطرافتها) .

رحم الله فضيلة الشيخ العالم صالح بن علي بن غصون ، الذي أفضى إلى ما قدم من علم نافع وعمل صالح - بإذن الله ورحمته - ، وقد انتفع به أقوام كثيرون ، ليس في المناطق التي تولى القضاء والتدريس فيها بل وصل ولا شك نفع علمه إلى كل مكان من أرض الإسلام ، عن طريق البرنامج الممتع والرائع حقاً (نور على الدرب) والذي كان أحد فرسانه إفتاءً وتعليماً وإرشاداً .

اللهم أسبغ على الشيخ صالح بن غصون وعلى والدينا وعلى إخواننا المسلمين شأبيب رحمتك ورضوانك ، وألهم أهله وذويه جميل الصبر وحسن العزاء .

يرحمه الله ابن غصون(*)

في مساء يوم السبت الماضي ودعت بلادنا علماً كبيراً من أعلامها، ورجلاً من الأفاضل، ذلكم هو فضيلة الشيخ صالح بن غصون - رحمه الله تعالى - الذي توفي، بعد معاناة طويلة مع المرض، بعد أن بذل لبلده ومجتمعه والمسلمين كل ما في وسعه لخدمتهم، والإجابة على أسئلتهم، وتعليمهم من خلال عمله في القضاء والتدريس والإفتاء، ثم عضوية هيئة كبار العلماء منذ تأسيسها.

وقد كان لفقده - يرحمه الله - بالغ الأثر في نفوس من عرفوه، وعلموا فضله، وجهوده الخيرة في خدمة دينه، وليس بمستغرب ما لقيه خبر وفاته من أصداء في مجتمعنا الذي يعي أفرادهم تمام الوعي دور العلماء ومكانتهم في الأمة، وخصوصاً تلك الأجيال التي ضحت بحياتها في سبيل العلم وتنوير الناس والتزمت بذلك. وهذه خصلة وفاء من المجتمع نرجو أن تستمر وتزايد، فبقدر وفاء الناس للعظماء منهم وتقديرهم لأعمالهم تنمو في المجتمع عدد من الخصال الحميدة، ربما يكدر التربويون في زراعتها سنين طويلة.

فقد كانت وفاة الشيخ ابن غصون - رحمه الله - مؤثرة في المجتمع، وليس أبلغ على هذا من وقوف خدام الحرمين الشريفين مع عائلة الشيخ وتعزيتهم لهم - حفظه الله -، وكذلك ما قام به عدد كبير من أصحاب السمو الملكي الأمراء والمعالين الوزراء من الصلاة عليه ومواساة أهله وأبنائه، وزيارتهم في منزل والذهم، كل ذلك يدل بقوة على درجة التلاحم في هذا المجتمع قيادة وشعباً، فالمصيبة واحدة، والهم واحد، والهدف إظهار التقدير والإكبار والوفاء لرجل يستحق كل ما أعطي له من اهتمام في حياته وبعد مماته، وليس ذلك بغريب على قاداتنا تجاه علمائنا، فكل واحد منا يعرف الكثير عن هذه القضية، هذا هو مجتمعنا وهؤلاء هم قاداتنا، ذلك جانب من الدلالات الخفية - ربما - لوفاة ذلك الشيخ الذي ولد ونشأ وعاش وعمل ثم مات كغيره من الناس، ولكنه تميز بالعلم والفضل والتقوى، ولأجل ذلك استحق هذا

(*) بقلم: عبدالله المفلح - المصدر: مجلة الإمامة: الاثنين ٢٤/١٢/١٤١٩ هـ الموافق ١٠/٤/١٩٩٩ م.

التقدير وذلك الإجلال .

إنها عظمة الرجال بمواقفهم ، وسمو نفوسهم ، وبمدى إخلاصهم للمجتمع ،
وحرصهم على صلاحه وإيجابيته . فرحمك الله أيها الشيخ الجليل وجعل الجنة
مثواك .

كيف لا نحزن على فراقك(*)

لم ألازمك مدة طويلة!! ولم أجالسك إلا دقائق معدودة متفرقة!! ولكنك ملأت قلبي حباً لك!!

للقرآن الذي تحمله في صدرك، وللعلم الذي تحفظه وتنشره، وللسماحة التي كنت تبديها لي حينما كنت أزورك!! ولسعة صدرك التي كنت تقابلني بها!! ولتواضعك الجرم وأنت تقابل عائديك . .

وجدت فيك مصداق قول الحبيب ﷺ: «ما تواضع أحد لله إلا رفعه» . ولا أعتقد أنني الوحيد الذي وجد فيك ذلك وتعلم هذا منك!!
جمعنا قبل ما يقارب عشر سنوات مستشفى واحد كنت خلالها تظهر لي فيها عطف الأب على ابنه بتواضعك وسؤالك عني .

كنت إذا زرتك في غرفتك تعزيني بكلماتك، وتواسيني بعباراتك رغم أنك يا والدي كنت تعاني أكثر مني، وتتألم أكثر مني .

ولكنك بصبر العالم الرباني كنت تحول ذلك الألم إلى بسمة صافية ترسمها على محياك، وكنت تخرج من فمك الطيب توجيهات أبوية توجهها إلى قلبي على الرغم من معاناتك . . فكيف لا أحبك وكيف لا أحزن على فراقك؟

ولست الوحيد!! فتلك الجموع التي صلت عليك في يوم وداعك إلى الدار الآخرة، وهاتيك العيون التي بكتك، كانت تحبك، بل ربما كانت تحبك أكثر مني، رغم أنك ملأت قلبي حباً لك في ذات الإله .

تلك الحشود التي ودعتك في ذلك اليوم المشهود من علماء وأمرء ومشايخ وشباب ونساء، لهي أكبر شاهد على أنك كنت في قلوبهم كبيراً . فرحمك الله يا شيخنا، ورفع منزلتك في الآخرين، ونسأل الله أن يلهم ذويك الصبر والسلوان، وأن يجمعنا بك في جنان الرضوان .

(*) بقلم: عبدالمحسن بن عبدالرحمن أبا حسين، المصدر: مجلة الدعوة : الخميس ٢٩/١٢/١٤١٩ هـ

الموافق ١٥/٤/١٩٩٩ م .

لقد ووري جسدك الطاهر في التراب ، ولكن ذكرك سيبقى في القلوب راسخاً
رسوخ الجبال الرواسي .

يفنى الرجال ويبقى علمهم لهم ذكراً يجدد في الأصال والبكر
ويذهب الموت بالدنيا وصاحبها وليس يبقى لهم في الناس من أثر

أخي :

لعمرك ما الرزية فقد مال ولا شاة تموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد شيخ يموت بفقده خلق كثير

«إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض
العلماء» .

كلنا على هذا الدرب سائرون أنتم السابقون ونحن اللاحقون . .
اللهم اجعل خاتمتنا على الشهادة ، واجعل خير أعمالنا أواخرها ، وخير أيامنا يوم
نلتاق فيه أمين .

العالم الذي فقدناه

بعض الذكريات مع الشيخ ابن غصون(*)

أناس كثيرون يعبرون معك الحياة ثم يفارقونك أحياءً وأمواتاً، وتمحى صورهم بل وأسماؤهم من ذكرياتك، ذلك أن الغالبية العظمى منهم يعيشون لأنفسهم، ولا يفيدون وقد يضررون ولا ينفعون.

وهناك قلة متميزة من عباد الله الأخيار تظل صورهم وأسماؤهم راسخة في ذاكرتهم مهما باعدت بينك وبينهم المسافات إن فارقوك أحياء أو أمواتاً. من أولئك الأخيار صاحب الفضيلة الوالد الشيخ صالح بن علي بن فهد بن غصون رحمه الله وأسكنه فسيح جناته. كانت تربطني بالشيخ - رحمه الله - رابطة قوية، حيث عملت سكرتيراً لفضيلته إبان رئاسته لمحاكم الأحساء، وأول ما قدم إلى الأحساء كنت طالباً بكلية الشريعة بالرياض، وقد تولى إمامة وخطبة الجمعة في جامع الشيوخ المقابل لمبنى إمارة الأحساء بمحلة الكوت، وكنت أذهب مع أخي سعد لتأدية صلاة الجمعة بهذا الجامع لسماع خطبة الشيخ والاستفادة منها، حيث إنه أخرجنا من روتين الخطب التقليدية التي كان يرددها خطباء الجوامع آنذاك، فكان - رحمه الله - يطرح في خطبه مشاكل اجتماعية، ويعالج ظواهر تمس حياة الناس، وكان أسلوبه فيه تجديد وحيوية وتشويق. فكان ذلك الجامع يكتظ بالمصلين الذين يفدون إليه من جهات عديدة، حرصاً على سماع خطب الشيخ - رحمه الله - والاستفادة منها، وطرح بعض الأسئلة عليه بعد فراغه من الصلاة. وكان يستقبل الأسئلة بصدر رحب ويجيب عنها إجابة مقنعة شافية.

ولما تخرجت من كلية الشريعة عملت مدرساً في مدينة الهفوف بالأحساء عامين دراسيين، وفي آخر العام الثاني اختارني - رحمه الله - لأعمل سكرتيراً له في رئاسة محاكم الأحساء، وكانت تلك الوظيفة قد أحدثت لأول مرة، فعملت بها،

(*) بقلم الشيخ: عبد المحسن بن محمد البنيان - مدير مركز الدعوة والإرشاد بالدمام، المصدر: جريدة

الجزيرة: الجمعة ١٤٢٠/١/٢١هـ الموافق ١٠/٥/١٩٩٩م.

وشاهدت عن كذب قوة الرجل في الحق، وصلابته وفطنته ونفاذ بصيرته، مع ما يتمتع به من علم ونزاهة في أحكامه وإرادته، وما منحه الله من إنسانية، وحب لفعل الخير، وبذل النصيح والتوجيه والإرشاد. فكان القضاة يجتمعون لديه في مكتبه قبل بدء أعمالهم اليومية، وي طرحون ما لديهم من قضايا، ويستشيرونه في كثير من الأمور، فكان لا يألوهم نصحاً وإرشاداً وتوجيهاً.

وبعد انتقاله إلى الرياض ظلت علاقتي به - رحمه الله - قوية ومتينة، وكنت أزوره في مكتبه وفي بيته، فكان يتفقد أحوالي، ويسألني عن أولادي وإخوتي وعائلي. ومرت بي أزمات فساندني فيها - رحمه الله - ووقف معي مواقف عظيمة، حتى فرج الله تلك الأزمات وكشف تلك الكربات.

إن أفضال الشيخ عليّ عظيمه لن أنساها ما حييت، فقد غمرني بكرمه ورعايته ونجدته، وقد استفدت منه علماً وخلقاً وتجربة، وقد حزنّت كثيراً لموته ولكن عزائي أن ما عند الله خير له من الدنيا وما فيها، وأنه بحمد الله ومنته فقد ترك ذكراً عطراً، وسيرة خالدة، وذرية صالحة من البنين والبنات.

أرجو الله أن يوفقهم لما يحبه ويرضاه، وأن يحفظهم من كل سوء ومكروه، كما أسأله سبحانه أن يرحم شيخنا رحمة واسعة، وأن يجعل قبره روضة من رياض الجنة، وأن يجزيه عن الإسلام والمسلمين الجزاء الأوفى، إنه سميع مجيب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فقدنا ذلك النجم المضيء(*)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن أعظم ما تصاب به الأمة فقد علمائها الذين هم ورثة الأنبياء؛ لأن وجودهم بعد الله حماية للأمة من البدع والخرافات والمذاهب الهدامة، وهم بعون الله خير من يقود الأمة إلى النصر والفوز والفلاح، ولكن الله كتب الفناء على الخلق أجمعين، ومالنا إلا الصبر والدعاء عند فقد من نحب.

ولقد فجع الجميع بفقد فضيلة الشيخ الوالد صالح بن علي بن غصون - رحمه الله وأسكنه فسيح جناته - وحيث إنني عاشرت الشيخ بعض الوقت، أحببت أن أسطر هنا بعض ما أعرفه عن حياته من جانب أو جانبين فقط، وإلا فالكلام عن صفاته وأخلاقه طويل جداً، يحتاج إلى وقت طويل للكلام عنه ووقت أطول للكتابة. ولكن أتناول شيئاً بسيطاً من حياته أداءً لحقه علينا - رحمه الله - فأقول:

عرفت الشيخ رحمه الله من سنين حيث كنت أزور بعض أقاربي، وكانوا بجوار الشيخ، فكنت أرى الشيخ في المسجد، وأحياناً في الاجتماع الذي يكون في بيته. فكنت أعجب أنه كيف - رحمه الله - ومريض في آخر عمره، ومع ذلك كان يأتي إلى المسجد مبكراً حتى عرف مكانه خلف الإمام، فلا يكاد يؤذن المؤذن حتى تراه قادماً إلى المسجد، متحاملاً على نفسه يبتغي فضل الله جل وعلا، وأثناء جلوسه في المسجد لا تراه إلا تالياً للقرآن الكريم، وكان من سرعة قراءته يظنه السامع له أنه يقرأ من المصحف، لما وهبه الله تعالى من قوة حافظه، وكثرة مراجعة للقرآن الكريم، حتى كان يختم رغم مرضه وتعبه في أربعة أو خمسة أيام، وهو مع هذا التعب لا يرغب أن يقرب أحد له حذاءه، بل يغضب لذلك، فقد تعود خدمة نفسه رحمه الله صغيراً وكبيراً ومريضاً، وزاد من إعجابه له - رحمه الله - أنه رغم تعب وآلامه الشديدة كان لا يسلم عليه صغير أو كبير إلا ويرد بوجه طلق، وكثيراً ما يدعو من سلم عليه

(*) بقلم محب الشيخ / علي بن عبدالله بن سليمان السلمان.

إلى أن يدخل بيته لإكرامه والجلوس معه ، هذا رغم ما كان يعانيه من تعب وإجهاد .
ولما اشتد به المرض - رحمه الله - ودخل المستشفى ، قدمت من خارج الرياض مع أحد تلامذته للسلام عليه ، والاطمئنان على صحته ، فذهبت إلى المستشفى ووجدته في الحديقة فسلمت عليه ، فقال صاحبني للشيخ : يا شيخ ، هذا ابنك علي قدم من بعيد للسلام عليك والاطمئنان على صحتك . فتأثر الشيخ - رحمه الله - تأثراً كبيراً وبدأ يدعو لي ، ثم قال أريد أن تفضلاً معي إلى غرفتي في المستشفى ، فذهبنا معه إلى الغرفة ورغم أن الزيارة له محددة بدقيقتين فقط حسب تعليمات الأطباء نظراً لمرضه وضعفه ، إلا أن الشيخ - رحمه الله - أكرمنا وأجلسنا وقتاً طويلاً . فحاولت إدخال السرور عليه ، فسألته عن حاله وصحته ، فقال لي : أنا بخير . رغم أنه كان يئن من الأوجاع ، ثم عقب ذلك بقوله : يهمني ويهم المسلمون صحة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ، فإنه شمس ستغيب ، فعليكم بالسؤال عنه والاطمئنان عليه ، وسيعرف قدره الكثير من الناس عند فقده ، فتأثرت من منطق الشيخ - رحمه الله - فهو مع آلامه الشديدة لم ينس سماحة الشيخ ، بل ذكر منزلته في حال يغفل الكثير من الناس عنه لو أصيبوا ببعض هذه الآلام .

فرحمه الله فقد أعاد لنا صوراً من صور علمائنا الذين نفتخر بهم ، ونذكرهم في مجالسنا . وحق لكل مسلم أن يفتخر بالشيخ ، فقد أمضى حياته في طلب العلم ، وتعليمه ، ونشره ، ونفع الناس ومساعدتهم ، والشفاعة لهم ، مع عبادته وورعه وزهده وتقواه . نسأل الله العظيم أن يسكنه فسيح جناته ، وأن يجمعنا وإياه في مستقر رحمته ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

الشيخ ابن غصون .. العالم الذي فقدناه(*)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فإن موت العلماء له أثره الكبير في نفوس المسلمين ، وذلك لما لهم في عالمنا الإسلامي من تقدير وإجلال ، فهم منارات خير وهدى وعلم ، ولهم دورهم في النصح والتوجيه ، والحث على فعل الخير ، والتعاون على البر والتقوى ، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجمع كلمة الأمة على الحق ، والحث على طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة ولاية الأمر ، والحرص على الاجتماع وعدم الاختلاف ، والاعتصام بحبل الله جميعاً كما أمر الله سبحانه وتعالى بقوله جل وعلا ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ .

ومنذ أيام فقد مجتمعنا أحد هؤلاء العلماء الأفاضال وهو فضيلة الشيخ صالح بن علي بن غصون عضو المجلس الأعلى للقضاء (سابقاً) وعضو هيئة كبار العلماء . وقد كان فضيلته أحد العلماء الذين عمروا أوقاتهم بالدراسة وطلب العلم والتدريس والقضاء وخدمة العلوم الشرعية . وقد طلب العلم على يد كثير من علماء هذه البلاد ومنهم سماحة والدنا الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية - رحمه الله - ، وهو من العلماء الذين يتصفون بجليل الأخلاق ، ويتسمون بصفات طلبة العلم ، وقد عرفته - رحمه الله - عالماً وقوراً هادئاً في حديثه ، يعمل بصمت ويكره المدح والإطراء ، متمكناً من مختلف العلوم الشرعية ، ولذا فإن رحيله - رحمه الله - قد ترك فجوة كبيرة لدى محبيه وعارفي فضله ، وذلك لما كان يتصف به من سمات حسن ، وصفات حميدة ، وحرص على التأسي بالعلماء السابقين ، والتزام هدي النبي ﷺ ، وما كان عليه السلف الصالح رحمهم الله من الورع والتقوى والتواضع ، وحب الخير للآخرين ، وحب النصح والدعوة إلى الله على بصيرة . وهذه الصفات

(*) بقلم : د. علي بن مرشد المرشد ، المصدر : جريدة الرياض : الجمعة ١٢ / ١ / ١٤٢٠ هـ الموافق ١٩٩٩ / ٤ / ٢٨ م .

الحميدة التي عرف عنه - رحمه الله - التمسك بها قد جعلت منه العالم الذي له قدره واحترامه لدى العامة والخاصة، وزاد من مكانته لدى الناس كونه قريباً منهم، وذلك من خلال نشره للعلم، وتدريسه الطلاب، وإفادة أفراد مجتمعه بما أعطاه الله من علم وفقه .

نسأل الله أن يتغمده بواسع رحمته، وأن يسكنه فسيح جناته، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كفى بالموت واعظاً (*)

الحمد لله الذي كتب الفناء على هذه الدار، وجعل الآخرة دار القرار، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله المصطفى المختار وبعد:

فكثيرة هي المواعظ والعبر لمن نظر واعتبر وتفكر وأدرك كما قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.

وتبقى موعظة الموت تصغر عندها كل موعظة ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾، ولذا كان من المأثور (كفى بالموت واعظاً) و(أكثرنا من ذكر هاذم اللذات).

فالموت ما ذكر في كثير إلا قلله، ولا كبير إلا صغره (فضح الموت الدنيا فلم يدع لذي لب بها فرحاً):

الموت في كل يوم ينشر الكفنا ونحن في غفلة عما يراد بنا
أين الأحبة والجيران ما صنعوا أين الذين هم كانوا لنا سكنا

وكل أجل له كتاب لا يتأخر عنه صاحبه ولا يتقدم، والموفق من رزقه الله خاتمة حسنة:

مشيئتها خطا كتبت علينا ومن كتبت عليه خطا مشاها
ومن كانت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها

والسعيد من بادر بالمتاب قبل غلق الباب، والكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، نذكر ذلك في معرض الاتعاظ والاعتبار، وقد فجئنا بل فجئنا نبأ وفاة الشيخ الجليل والمفتي النبيل سماحة الشيخ صالح بن علي بن غصون علينا وعليه رحمة الله. وإن لفراق العلماء الأجلاء والدعاة الحكماء من أمثال شيخنا صالح بن غصون للوعة وأسى، ولكنه القضاء المبرم، والقدر الذي لا مفر منه، ولا بد مما ليس منه بد. وليس لنا مع لوعة الفراق إلا الحمد والتسليم، والرضا بقضاء الله وقدره.

(*) بقلم: فهد بن عبدالعزيز الوهيب، المصدر: جريدة الجزيرة: الأربعاء ٢٣/١٢/١٤١٩ هـ الموافق: ١٩٩٩/٤/٩ م.

إني وقد عرفت شيخنا ابن غصون وجالسته واستفدت من علمه وحلمه ، كما عرفه
آباؤنا وأجدادنا في منطقة سدير إبان عمله قاضياً في مدينتنا ومسقط رأسنا حوطة
سدير .

فكان نعم المربي ، ونعم القاضي والمفتي والإمام والمرشد . . الصدق شعاره ،
والإخلاص رائده ، وتحصيل المصالح العامة وتكميلها وتعطيل المفسد وتقليلها سبيله
ومنهجه ، ومرضاة الله رجاؤه وغيائه .

هكذا كانت سيرة شيخنا ابن غصون - متأسياً بسيرة سلفه وولادة هذه البلاد وعلمائها
رحمة وعدلاً ، وهداية للحق ونصحاً للخلق .

وإن أبناء سدير بعامة وحوطة سدير - ليشاركون أبناء عالمنا الجليل مشاعر الحزن
وآلم الفراق .

ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم الرحمة والمغفرة لشيخنا وسائر أموات
المسلمين ، وألا يحرمنا أجره ولا يفتتنا بعده ، وأن يسكنه الجنة بمنه وكرمه ، ويصلح لنا
وله العقب والعافية ، والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين .

اللهم لا اعتراض (*)

من سره أن يجد بعد وفاته هذا الحب العظيم فليقرأ سيرة العالم الجليل فضيلة الشيخ صالح بن غصون ، وليقرأ كيف كان يطلب العلم ، وكيف كان زاهداً في الدنيا ، وليقرأ ويتدبر في زهد الشيخ ابن غصون في حقوق الآخرين !! وكيف كان زاهداً في الحقوق العامة !! وهو الذي وليها فكان نعم التقي القوي الأمين ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ ﴾ ، في وقت قاربت أخذ الحقوق العامة بالباطل في نظر البعض على الحل ، وليس من ذريعة ولا حجة في ذلك إلا الامتثال ببعض الذين زين لهم سوء عملهم فرأوه حسناً ، وكان لهؤلاء منجاة وملاذاً من النار والخزي .

من سره أن يجد هذا الحب . . الحب الكبير . . الحب في الله الذي لقيه الشيخ صالح بن غصون قبيل دفنه إلى مثواه الأخير . . فلينظر إلى أخلاقه ولينظر إلى بساطته ، وإلى عفويته إلى عفوية عالم الدين وشموخه وترفعه على سفاسف الأمور . في يومه الأخير تدافع الناس شيباً وشباناً من أقاصي مدينة الرياض ومن خارجها ، جاؤوا وقد كساهم الحزن على رحيل هذا العالم الجليل وقد غشيتهم السكينة والوقار . لم يجد أكثرهم موطئ قدم في المسجد ولا بجوار مثواه الأخير ، فتعاقبوا على الصلاة عليه ، كانت الدموع تستعصي وتريد المشاركة في المظهر الخاشع مرددين ما قاله المصطفى ﷺ : (إِنَّ الْعَيْنَ لَتَدْمَعُ وَإِنَّ الْقَلْبَ لَيَخْشَعُ ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) .

هكذا رحل الشيخ الفاضل وسط هذه الأجواء الحزينة ، وتبقى سيرته قدوة مثلى لمن يعتبر .

هل نرجع لسيرة هؤلاء الخيرين الأفاضل ، فنتخذهم قدوة فنكون بسيطين مع الآخرين ، زاهدين في حقوقهم ، وزاهدين أكثر في الحقوق العامة ؟ أم هل ينطبق علينا قول علي كرم الله وجهه ورضي عنه (كثرت العبرات وقل المعبر) ؟ ! .

في وفاة فضيلة الشيخ صالح بن غصون ظهر والحمد لله حب الناس للعلماء الأفاضل ، أمثال الشيخ صالح بن غصون ، فتلك الحشود الطيبة التي تدافعت للصلاة عليه من الشباب على مختلف مشاربهم ، لتؤكد وبما لا يدع مجالاً للشك أن هذه البلاد وجميع شبابها سيظلون بمشيئة الله حراساً أمناء لمعتقدات هذه الأمة وتعاليم دينها الإسلامي الحنيف ، وإن نزوات الشباب ما هي إلا تجاوزات بسيطة بحاجة إلى معالجة هادئة وحلم ودعاء لهم . كما كان يفعل الشيخ صالح بن غصون - رحمه الله - وقد أورث له ذلك حب الجميع ، وقد قال رسول الله ﷺ : «أنتم شهداء الله في أرضه من شهدتم له بالخير فهو من أهل الخير ومن شهدتم له بالشر فهو من أهل الشر» .

اللهم اجعلنا من أهل الخير أجمعين .

ثم سكنت الغصون المورقة(*)

مع إيماننا المطلق بقضاء الله فيما كتب على العباد من طول حياة أو قصرها، ومن موت خاطف أو رحلة إليه مترسلة هادئة، فهي قضايا مرسومة محسوبة لا مفر منها ولا اختيار، لكن مع هذا الإيمان المطلق والتسليم التام لأحكام الله العادلة الرحيمة، فإن فقد عالم كبير في مكانة الشيخ صالح بن غصون هو فقد جزء من قيم الأمة، وضياح شطر عزيز من إرثها الفكري.

وما البلاغ الصادر عن وفاته من الديوان الملكي العامر، ثم تعزية خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين وسمو النائب الثاني - يحفظهم الله -، ودعائهم بأن يعوض الله المسلمين عما خسروه بفقده. وما ذلك الحشد الكبير الذي حضر للصلاة عليه وتشيع جثمانه ممن يعرف الفقيد ومن لا يعرفه وهم الكثر، ما هذا وذلك إلا دليل حي على جسامته فقد هذا العالم المتميز بصلابته في الحق، وبمتانة تحصيله، وبما أسهم به في رحلته المديدة من أحكام قضائية عادلة، ومن فتاوى متبصرة مدركة لروح الدين ويسره ولسمو مقاصده واتساع رحمته للعالمين، ثم لما أعطاه - رحمه الله - من سيرة تقية نقية حافلة بعزة المؤمن وترفعه، وبعدم انكساره أمام أي مطمح زائل، أو بريق خادع، وإنما ادخر ذلك لخالقه العظيم الذي فتح بصيرته على نور المعرفة ومدارك اليقين، فلم تعقه إعاقته المبكرة عن الوصول إلى أسمى رتبة في القضاء، أو في مجلس هيئة كبار العلماء، الذين يتحملون أمام أمتهم وقيادتهم مسؤولية الفتوى العامة، وتقرير ما يروونه من حق بما يعرض عليهم من مسائل وقضايا تتطلب البحث المتعمق والاجتهاد المستنير.

لم يكن لي - مع بالغ الأسف - شرف التلقي على يدي الراحل مباشرة، لكن برنامجه الإذاعي - نور على الدرب - وما سمعت عنه من إخوة أمناء في النقل، بعث في نفسي كما هو الحال مع آلاف آخرين مشاعر التقدير والإجلال لفقيد العلم وفضيلة العزة.

(*) بقلم: محمد بن إبراهيم آل عبد السلام، المصدر: جريدة الرياض: ٦/٢/١٤٢٠ هـ الموافق ٢١/٥/١٩٩٩ م.

إن مقارنة يسيرة بين طالب العلم بالأمس غير البعيد وطالبه اليوم تترك إجابة لا تحتاج إلى جهد . فالأول يفد - غالباً - من قريته أو بلدته إلى إحدى حواضر العلم - وهي معدودة على الأصابع - فيواجه خصاصاً في الطعام وفي المأوى ، وفي المراجع والكساء ، فراشه بسيط وقوته لا يكفيه - إن وجد - إلا لسد الرمق ، ليس أمامه مطمح مادي يسعى إليه بعد أن يصبح قادراً على النفع العام أو الخاص إلا في حالات واختبارات تخضع لمقاييس لا تتوفر إلا في قلة من المتلقين في هذه الحلقة العلمية أو تلك ، بينما طالب العلم اليوم كل أبواب التحصيل أمامه ميسرة ومشجعة ، إقامات مكيفة الهواء ، مقاعد مريحة ، مراجع متوفرة ، سهولة في النقل ، تغذية صحية مراقبة ، ومكافآت مادية تغطي أهم الاحتياج اليومي ، ووراء ذلك بريق الدرجة العلمية التي سوف تتيح له عاجلاً أو آجلاً عملاً مريحاً ولو بدرجة من الدرجات .

وإذا رجعنا في خصوصية إلى تلك المقارنة كي ندرك بدقة أكثر حجم الشيخ صالح - رحمه الله وتغمده بواسع رحمته - ، فعلينا أن نتصور حياة شاب فقد بصره مبكراً وجاء إلى الرياض في رحلة شاقة لطلب العلم ، حيث تبقى وسيلته للتحصيل السماع وإجهاد الذاكرة لحفظ ما يلقي عليها في أوقات قصيرة ، أو من خلال عطف أحد الذين يحضرون معه حلقة العلم ، فيدون في عجالاته ما أمكن له ثم يعيده في سرعة على أمثال هذا الشاب المحروم من نعمة البصر ، ثم تستمر رحلة الشيخ في طلب المزيد عن طريق الإصغاء المجهد . أو بمساعدة هذا المبصر أو ذاك حتى استطاع أن يصل إلى ما وصل إليه من موقع قضائي مميز ، فتدريس موصول بدقة المراجع وبضبط ما يمليه ، ثم تقفز به جودة التحصيل عقيدة وفقهاً إلى قمة المسؤولية في مجلس القضاء والفتوى وهيئة كبار العلماء .

إن المنصف من خلال قراءة متأنية للمكانة العلمية التي حققها الشيخ أو تحققت له ، يدرك معنى حضور ذلك النفر العظيم من خيرة القوم ومن طالبي العلم ومحبيه ، لتوديع الراحل وللترحم عليه ، كما سيدرك أن علماءنا الأجلاء ومنهم من فقد بصره مبكراً عن طريق إخلاصهم للعلم وهو قبسة من نور الله ، قد عوضهم عز وجل عن ذلك النقص الظاهري بمحبة الأمة لهم ، وإعلائهم لشأنهم ، ولنا في مؤسس هذا

الكيان الكبير، الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه وفي القادة من أنجاله الباقين والذين مضوا خير مثال على العناية بالعلماء وإعطائهم ما يستحقون من مكانة، فقد خصهم - رحمه الله - باستقبال أسبوعي يسمع منهم ويسمعون منه فيما يحقق الخير العام للأمة ولرسلتها، وفق لحمة متينة، وأصرة حانية، واحترام يكاد يكون وحيداً بين الحاكم والمحكوم في العصر الذي نعيشه.

فهنيئاً للفقيد العزيز بما أجهد نفسه من أجله، وتحية مليئة بالإجلال لقادتنا أعزهم الله، وهم يعطون لعلمائهم هذه العناية المشهودة بلاغاً وتعزية ومواساة، ثم تحية تقدير للحاضرين الذين شاركوا في التشييع، وفاء للعلماء وتقديراً لما قدموه من زاد وحكموا به من عدل، ودعوات للفقيد بأن يعطر الله قبره بشآبيب رحمته وغفرانه، وبالصبر والسلوان لأنجاله وذويه الأقربين، ولأخينا وزميلنا العزيز الأستاذ محمد العميل التعزية والمواساة وهو البار رحمة بخاله الفقيد.

إلى جنة الخلد بإذن الله يا أبا علي(*)

انتقل إلى رحمة الله الخال الشيخ صالح بن علي بن فهد بن غصون عن عمر يناهز الثمانين عاماً، وحيث إنه تربطني بالفقيد - غفر الله له - وشيخة قربي قوية، وأهم من ذلك صلة روحية متينة فيما بينه وبينني. فقد رأيت أن أأبته بهذه الكلمات المتواضعة، وأن أذكر بعض محاسنه وخصاله الحميدة التي أعرفها عنه - رحمه الله - حق المعرفة، بعيداً عن المبالغة في المدح، أو الإسراف في الثناء، وإنما ذلك اقتداء بقول الرسول عليه الصلاة والسلام (اذكروا محاسن موتاكم)، ولا أزكي على الله أحداً، فمن ذلك:

١- أن الفقيد - غفر الله له - حرم منذ مطلع شبابه من نعمه البصر، فصبر واحتسب ذلك عند الله عز وجل، والله يثيبه على ذلك أجزل الثواب.

٢- أن الفقيد - رحمه الله - كافح وجاهد في طلب العلم، وصبر على معاناة الغربة وتحمل شظف العيش - رغم يتمه وصغر سنه -، وذلك عندما رحل من بلده الرس إلى الرياض رغبة في طلب العلم. وسكن وعاش فترة طويلة في رباط الإخوان الواقع في دخنة.

٣- عندما من الله سبحانه عليه بنعمة العلم - وأكرم بها من نعمة - قام ببذل ذلك للخاص والعام. فعمل في القضاء فترة طويلة قاضياً، ورئيس محكمة هيئة تمييز، وأخيراً عضواً في مجلس القضاء الأعلى، وعضواً في هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية. وكان - رحمه الله - لا يألوا جهده عندما كان قاضياً في أن يصلح بين الخصوم، فإذا اضطر إلى الحكم فإنه يتحرى العدل ويصدر الحكم الذي يبرئ ذمته.

٤- قام من فضل الله أثناء حياته ببث ونشر العلم الذي أنعم الله به عليه بين أفراد المجتمع عن طريق التدريس، فقد كانت له العديد من حلقات التدريس في شتى الفنون، وعن طريق الدعوة والوعظ والإرشاد والإفتاء وعن طريق برنامج (نور على

(*) بقلم: محمد الصالح العميل، المصدر: جريدة الرياض: الثلاثاء ٢٠/١٢/١٤١٩ هـ الموافق

الدرب) الذي تبثه إذاعة القرآن الكريم منذ تأسيسه .

٥- عاش - رحمه الله - قانعاً متعففاً مكتفياً براتب وظيفته وبعد ذلك راتبه التقاعدي ، ولم يتعلق قلبه بشيء من أمور الدنيا التي تلهيه عن واجبه الديني وأداء دوره في المجتمع .

٦- كانت مجالسه - رحمه الله - مجالس علم وبحث ومناقشة ، وزواره في حياته وزملاؤه من طلبة العلم يعرفون ذلك حق المعرفة .

٧- كان - غفر الله له - معرضاً عن أمور الدنيا ، متفرغاً لعبادة ربه ، لا يتدخل في شئون أحد ، وكان يحمل بين جنبيه قلباً سليماً لا يحمل حقداً على أحد .

٨- كان - رحمه الله - لطيف المعشر ، بشوشاً لا يغضب لشيء من أمور الدنيا ، ولكنه يشتد غضبه عندما يتعلق الأمر بشيء من حقوق الله ، أو بشيء يمس مصالح المسلمين .

٩- كان - رحمه الله - يكن تقديراً كبيراً لولاة الأمر في هذه البلاد ، ويدعو لهم ، ويثني على جهودهم في إقامة الشريعة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وينوه بشكل خاص بما تنعم به هذه البلاد من نعمة الأمن والأمان والطمأنينة والرخاء .

١٠- من الأمور التي يعتز بها كثيراً - رحمه الله - أنه تتلمذ على سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ - رحمه الله - وكان إذا ذكر اسم الشيخ محمد عنده ترحم عليه ودعا له وقال (ذلك والدنا) .

١١- كان - غفر الله له - يكن تقديراً عظيماً للإمام أحمد بن حنبل ولشيخ الإسلام ابن تيمية وللإمام ابن القيم ، وكان يدعو ويترحم على علماء المسلمين كافة .

١٢- كان - رحمه الله - يتابع عن طريق الراديو أخبار وأحداث العالم ، ويتألم كثيراً لما يجري في فلسطين ، وفي بلدان أخرى من العالم الإسلامي ، ويرفع الشكوى إلى الله ، ويبتهل إليه أن يفرج عن المسلمين ويحل أزماتهم .

هذه بعض الجوانب التي رأيت ذكرها عن حياة خالي الشيخ صالح بن علي بن غصون . والله أسأل جل وعلا أن يمطر ضريحه بوابل من رحمته ، وأن يغفر له ، ويجعله في منازل عليين ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

نجم هوى(*)

الحمد لله الذي جعل في كل زمان بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، وينهونه عن الردى، وينفون بسنة رسوله ﷺ الجهالة والردى، فكم من قتيل لإبليس أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن آثارهم على الناس، وما أقبح آثار الناس عليهم.

إن من فضل الله على المسلمين أن حفظ لهم الذكر، وأبقى فيهم في كل عصر ومصر علماء مصلحين يذبون عن الدين، ويدفعون بالحجج النيرات والبراهين الساطعات عدوان الحاقدين وسهام الشائنين، مصداقاً لقوله صلوات الله وسلامه عليه: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين».

إن العلماء ورثة الأنبياء، وخيار الأتقياء، وهم أئمة العباد ومنار البلاد، وقوام الأمة، وينابيع الحكمة، بهم تحيا قلوب أهل الحق، وتموت قلوب أهل الزيغ: قال ابن القيم - رحمه الله - «وهم - أي العلماء - في الأرض بمنزلة النجوم في السماء بهم يهتدي الحيران في الظلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وطاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأمهات والآباء بنص الكتاب». انتهى كلامه - رحمه الله -.

ولذا قال النبي ﷺ: «إن العالم يستغفر له من في السموات والأرض حتى النملة في جحرها»، رواه الترمذي وصححه الألباني.

وقال ﷺ: «إن الله وملائكته يصلون على معلم الناس الخير»، رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح. وقد كتب سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء رضي الله عنهما: «إنما مثل المعلم كمثّل رجل عمل سراجاً في طريق مظلم يستضيء به من مر به وكل يدعو إلى الخير».

(*) بقلم: محمد عبدالله إبراهيم الشايع، المصدر: مجلة الدعوة: الخميس ٢٩/١٢/١٤١٩ هـ الموافق ١٥/٤/١٩٩٩ م.

ولا شك أن موت العلماء كسر لا يجبر، وثلمة لا تسد، ذلك أن العلم يموت بموت حامله قال ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء» رواه البخاري ومسلم.

قال محمد بن الحسين: «إذا مات العلماء تحير الناس، ودرس العلم بموتهم، وظهر الجهل فإن الله وإننا إليه راجعون».

قال ابن عبد البر - رحمه الله - : أنشدني أحمد بن عمر بن عبد الله في قصيدة له :
 وذهب العلم عنا في ذهاب العلم
 فهم أركان دين الله في الأرض الفضا
 فجـزاهم ربهم عنا بمحمود الجـزاء
 وقال الشاعر :

لعمرك ما الرزية فقد مال ولا شاة تموت ولا بعير
 ولكن الرزية فقد حبر يموت بموته خلق كثير
 وقال آخر :

وما كان قيس هلكه هلك واحد لكنه بنيان قوم تصدعا

فالمصاب - بوفاة العلماء - عظيم والخطب جلل .

ومن هؤلاء العلماء الأعلام في زماننا الحاضر الشيخ صالح بن علي الغصون، عضو مجلس القضاء الأعلى سابقاً، وعضو هيئة كبار العلماء، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه الفردوس الأعلى .

حقاً . . ما أعظم فجيعة العالم الإسلامي وهو يودع ذلك العالم الجليل والشيخ الرباني، وما أفدح خسارته يومئذ ! إن الأمة الإسلامية فقدت برحيل الشيخ صالح بن غصون واحداً من علمائها الأجلاء، روى الإمام البخاري من حديث مرداس الأسلمي رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : «يذهب الصالحون الأول فالأول . . .»، ويقول الله تبارك وتعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ .

لقد وقع خبر وفاته - رحمه الله - على نفوس محبيه موقعاً عظيماً، شعروا فيه بعظم الخسارة وفداحة الخطب، وشدة المصاب، ولسان حالهم «إنا لله وإنا إليه راجعون» إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل.

إن هذا لمشهد عظيم الذي عاشته المملكة في توديعها لهذا العالم، يدل دلالة واضحة على وعي هذه الأمة وتقديرها للعلماء العاملين، كما يدل وبشكل قاطع - إن شاء الله - على محبة هذه الجموع الغفيرة للشيخ - رحمه الله -.

صداقاً لقد فقد العالم الإسلامي شيخاً فاضلاً وعالمًا جليلاً، وبوفاته انطفأت شمعة مضيئة من شموع العلم والمعرفة، بعد أن ظلت تؤدي رسالتها على نحو شريف وغاية سامية ونبيلة، نعم لقد فجعت الأمة الإسلامية بوفاة علم من أعلامها، عاش بعيداً عن ضجيج الإعلام وصخبه، وعن متع وفتن الدنيا، رجل سخر عمره لخدمة الإسلام والمسلمين فقد كان - رحمه الله - لا يحب الظهور ولا يسعى إلى ذلك، وهذا مما يؤكد - إن شاء الله - تواضعه - رحمه الله - وإخلاصه وبعده عن الرياء والظهور والشهرة.

وقد كان له - رحمه الله - جهود مشكورة في تعليم الناس أحكام دينهم، والجواب على ما يرد إليه من الأسئلة، والرد على ما يبلغه من المشكلات والشبهات.

لقد قضى حياته - رحمه الله - في خدمة الإسلام والمسلمين، ينشر العلم، ويفتي المسلمين، ويقضي بينهم، ويدعو إلى الله تعالى على بصيرة، وقد تخرج على يديه أفواج كثيرة.

قال - رحمه الله - عن نفسه عندما جاء إلى شقراء: «لقد عشت في شقراء ما يقارب عشر سنوات حيث عملت بها قاضياً ومدرساً بالمعهد من سنة ٧٣-٨١ هـ، كان لي فيها ذكريات طيبة وأيام عطرة، ولأهلها مكانة في قلبي لما يمتازون به من الأخلاق الفاضلة، والخصال الحميدة التي ورثها خلفهم عن سلفهم، فهم أهل دين وتقى، حريصون على العلم كل الحرص، باذلون للخير ما أمكنهم لذلك سبيل، عشر سنوات كانت مليئة بالسعادة، والصدقات الحميمة، والتعامل النقي، فشقراء لها امتداد من الذكرى العطرة في نفسي» انتهى كلامه - رحمه الله -.

الشيخ - رحمه الله - كالغيث أينما وقع نفع .

نزل - رحمه الله - شقراء فتولى القضاء والتدريس بالمعهد ، فكان محبوباً مقبولاً زاهداً متواضعاً دعوياً صبوراً حريصاً على طلابه وذا فراسة حادة ، رحمه الله رحمة واسعة .

من الشواهد على تواضعه عملاً بقوله ﷺ : «من تواضع لله رفعه» رواه مسلم ، وحذراً من قوله ﷺ : «يحشر المتكبرون يوم القيامة كأمثال الذر يطوهم الناس بأقدامهم» ما ذكره الشيخ زاهر في كتابه «رحلة الثلاثين عاماً» ص ٦٢ «وبدأت العلاقة الطيبة بيني وبين المسؤولين وفي مقدمة المسؤولين رئيس المحكمة الشرعية الشيخ صالح بن علي بن غصون وقد دعاني إلى منزله ودعالي بخير» .

ومن شواهد حرصه على طلابه ما ذكره الشيخ عبدالرحمن السدحان خطيب العيدين وجامع المانع بشقراء ، يقول : كانت لي مع الشيخ صالح علاقة ومعرفة وحب قبل افتتاح المعهد في شقراء وبعد افتتاحه ، كان يطالبنا - رحمه الله - بحفظ متن «زاد المستقنع» عن ظهر قلب ، ويقول : «إن أردتم أن تكونوا علماء فاحفظوا المتون ، فحفظ المتون يشد المتون» .

ومن الشواهد على مداعباته - رحمه الله - ما ذكره كذلك الشيخ عبدالرحمن السدحان ، يقول : «ولصعوبة حفظ المتن الذي كان الشيخ يكلفنا به كان يخشى من بعض الطلاب أن يفتحوا الكتاب ، وبصفتي الأول على الفصل طلب مني مراقبتهم وذات مرة كان الدور علي فقرأت من الكتاب ، ففوجئت بالشيخ صالح وقد قفز من الكرسي ، ووقف أمامي ، وأمسك الكتاب بكلتا يديه وقال : «ما شاء الله حاميها حراميها» ، بعد ذلك طلب من المراقب فهد المسند مراقبتنا ، رحم الله الشيخ وعفا الله عنا وعنه .

ومن الشواهد على ورعه وتركه للشبهات أنه جاء أحد الناس وضرب عليه الباب وهو يحمل معه شيئاً من الثمار التي ينتجها المشتل الزراعي ، فسأله الشيخ ما هذا؟ فقال ثمار أهديها إليك ، فغضب الشيخ وامتنع من أخذها ، وأتب من جاء بها .

ومن شواهد صبره - رحمه الله - أنه ابتلي والابتلاء من سنن الله الكونية، به يتميز الطيب من الخبيث والمؤمن من المنافق كما قال العلامة ابن القيم - رحمه الله - «لا بد من الابتلاء بما يؤذي الإنسان، فلا خلاص لأحد مما يؤذيه البتة، ولهذا ذكر الله سبحانه وتعالى في غير موضع من كتابه أنه لا بد أن يبتلى الإنسان بما يسره وما يسؤوه، فهو محتاج إلى أن يكون صابراً شكوراً قال تعالى: ﴿وَلَبَّوْكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ .

لقد ابتلي الشيخ - رحمه الله - بتليف الكبد، فعانى منها معاناة شديدة، فزرعت له كبد فتكللت بالنجاح، واستمرت سنوات ثم عاودته الآلام من جديد وتردت حالته، حتى أغمي عليه فأدخل المستشفى، وبقي فيها حتى فاضت روحه إلى بارئها. فصلي عليه في مسجد الراجحي، ودفن في مقبرة النسيم بالرياض - رحمه الله - رحمة واسعة.

واليوم بعد أن فقدنا الشيخ صالح المربي الجليل، واتسعت أخبار فقدته في الأوساط الإسلامية بين العلماء والدعاة وطلاب العلم، فقد كان يرحمه الله يراعي جانب ستر الحال، والابتعاد عن المظاهر التي يألّفها بعض الناس، ويكتفي بتقديم العلم والفتوى والنصح والنفع بأيسر طريق وأسهل سبيل.

حدثني والدي وكانت تربطه بالشيخ علاقة طيبة أن الشيخ كان كريماً رحيماً محبوباً. فكان الشيخ إذا ذكر عنده أحد قد تكلم فيه دعا له الشيخ بالمغفرة.

يقول والدي مررت على الشيخ بعد أن انتقل إلى الأحساء، وكان قاضياً فيها، فلما أردت الدخول على الشيخ منعني من الباب حتى أعرف باسمي، فأخبرته فأخبر البواب الشيخ، فقال الشيخ صالح - رحمه الله - نعم أعرفه خذ بيده وأدخله علي. فدخلت على الشيخ فرحب بي وهش وبش في وجهي ودعاني معه لتناول وجبة الغداء. يقول والدي: فاعتذرت للشيخ نظراً لكثرة أشغاله - رحمه الله -. يقول والدي: ومرة رأيت الشيخ في أحد مساجد الطائف، فسلمت عليه فقال: من أنت؟ فغيرت اسمي لاختبر الشيخ، فقال الشيخ: حتى لو غيرت اسمك فأنا أعرفك، أنت فلان فسماني باسمي كاملاً، رحم الله الشيخ ونور ضريحه.

كان للشيخ في محافظة شقراء أعمال طيبة، وإصلاحات مباركة، نسأل الله أن يجعلها في موازين حسناته.

وأخيراً إن من حق هؤلاء العلماء علينا أن نسجل سيرهم، وندون أخبارهم، وما عرفناه من حياتهم، تبصيراً بسيرهم، وتعريفاً بحياتهم، وتذكيراً بأعمالهم. وإن من المحزن المؤسف حقاً أن يموت مشاهير العفن والعبث فتطير الوسائل المختلفة بنشر أخبارهم وسبر سيرهم، ويموت فينا العالم الصالح الناصح فلا تسمع من خبره إلا قليلاً في بعض صحفنا، ومن المؤسف كذلك بل من العقوق أن ينسى أبناء هذه الأمة دعائهم المعلمين، ورجالهم المخلصين، وعلماءهم العاملين، الذين عبروا بهم إلى شواطئ النجاة وجنحوا بهم عن مراتع الهلكة ومواقع الفتن، فسلمت لهم أبدانهم بعد أن سلمت قلوبهم. وختاماً حقاً وصدقاً قد آلمنا فراقه وعز علينا رحيله، ولكن تلك سنة الله في خلقه ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾.

ثمانون عاماً والحياة مصاعد وللشيخ فيها منهج وسناء

وإلى هنا توقف القلم، وهذا الذي ذكرته ليس إلا غيضاً من فيض شمائله رحمه الله. ولا يستطيع مثلي أن يحيط بمناقب الشيخ - رحمه الله - من فيض أو أن يفهم حقه، ولا أملك إزاء هذا إلا أن أدعو الله أن يرحم الشيخ رحمة واسعة، وأن يسكنه بجنوة جنانه، وأن يجمعنا به ووالدينا ومشايخنا وإخواننا المسلمين في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وأن يتقبل منه أحسن ما عمل، وأن يتجاوز عن سيئاته إنه سميع مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وكفى به هادياً ونصيراً.

الشيخ ابن غصون الفقيه النادر من جيل متميز(*)

قال أبو عبدالرحمن: كنت في جدة في عزلة عن الصحافة، وفي هروب عن بعض الحقوق الواجبة والمستحبة للأهل والولد والصدیق بالرياض. وفي رغبة عارمة إلى العزلة والوحدة لأنجز بضعة مؤلفات طالت سنين تأليفها ولم يبق إلا لمسات قليلة، من تصحيح تجارب طبع، أو إضافة تحشية، أو تقليب مصدر طال بحثي عنه، فلم أحصل عليه إلا بآخره أو حسم الأمر في تعبير تلجلجت في صحته لغة أو شرعاً. ولم أعلم بوفاة معلمي وشيخي ووالدي سماحة الشيخ صالح بن غصون - قدس الله روحه ونور ضريحه - إلا عندما سمعت إعجاب المتدين بمرثية معالي الدكتور عبدالعزيز الخويطر له (ولم أرها بعد) فأصابني بهت حتى كدت أنسى أن الموت غاية كل حي . . . والتذكر بهذه البدئية وهي بديهة البديهيات - منتهى الكياسة ولكن الناس لا يعتبرون، أو يكون الاعتبار لحظات ثم نعود إلى مجرى العادة من الغفلة. وليس أسفي أن كلمة رثائي تأخرت، وإنما أسفي أنني لم أعلم فأشد الرحل، وأحضر الصلاة عليه وتشيع جنازته مع الجموع الغفيرة، ومن أحق بذلك مني؟

قال أبو عبدالرحمن: من ظن أنني عار من الشيوخ فإنني أحظى بحمد الله بمشايع داخل المدرسة وخارجها، ابتداء بالشيخ عبدالعزيز بن حنطي في الكتاتيب، وسماحة الشيخ صالح بن غصون، والشيخ محمد بن داود وصادق صديق في المعهد العلمي، وسماحة الشيخ عبدالرزاق عفيفي في كلية الشريعة ومعهد القضاء العالي رحم الله جميعهم.

وكان سماحة الشيخ صالح بن غصون - رحمه الله - لي شيخاً وراعياً مؤدباً، وناصحاً أميناً، ومحباً حفيماً، وكنت معه مقصراً ولم أزره بعد مرضه وزرعه للكبد إلا لماماً. وكلما سنحت الفرصة لزيارته استجد عائق، لأنني خلال سبع سنوات كنت

(*) بقلم: أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري، المصدر: جريدة الجزيرة: الجمعة ١٨/١/١٤٢٠هـ الموافق ١٤/٥/١٩٩٩م.

موزعاً بين مكة والمدينة - شرفهما الله - وأبها وحائل ثم جدة .

ولقد ذكرت في التباريح بعضاً من ذكرياتي مع سماحته ، بيد أن ذكرياته الجميلة لا تحصى ولا تحضر دائماً إلا بمناسبة تجرها . كنت مرة مساعداً لمدير الخدمات العامة برئاسة تعليم البنات ، وكنت أحس بالهضم أمام زملائي الذين نالوا مناصب عالية ومرتبتي دون المستوى ، ففاتحت سماحته أن يزكيني عند رئيسي سماحة الشيخ ناصر بن محمد بن راشد الرئيس العام لتعليم البنات ، فقال لي سماحة الشيخ صالح - رحمه الله - : يا ولدي لو أردت أن أتجاوز وأزكيك فلن تساعدني خرايبطك التي تنشرها في الصحف ، كنت يومها منهمكاً في كتابات فنية وجمالية !! وانطلق يطرني بوابل من العتاب ويؤكد أنني لم أخلق لهذا ! وبعد أن نفس عن خاطره بالعتاب قال لي : يمكن أن أقول للشيخ ناصر : العلم الذي في صدر أبي عبدالرحمن أفضل من الخرايبط التي ينشرها في الصحف ، وأنه عنصر صالح إذا وجه فتوجه ، ويمكن أن أشفع لك في تحقيق منفعة مادية تعينك ؛ لأنك أخرجك اليد !!

قال أبو عبدالرحمن : ولست أدري هل كلم سماحة الشيخ ناصر عن تحسين وظيفتي أو لا ؟! وإنما اختلى بي سماحة الشيخ ناصر أكثر من مرة وناقشني علمياً ، وأتاح لي فرصة الاختبار على وظيفة مندوب تعليم البنات في الأحساء . ولما ضعفت أجوبتي عن أنهار وبلدان أجنبية سئلت عنها : قفزني - حفظه الله - في المقابلة الشفهية ثم بذل جهده مع ديوان الموظفين العام (ديوان الخدمة المدنية حالياً) حتى بقيت في الرياض مديراً عاماً للخدمات ، ولكنني على يقين بأنه كلم سماحة الشيخ ناصر عن تحسين مادي ؛ لأن سماحته طلب مني أن أكتب عرضاً لجلالة الملك فيصل - رحمه الله - أطلب منحة أرض لي ولاتنين من أبنائي الذكور ، إذ ليس عندي يومها سوى جملة من البنات . وتابع الموضوع - حفظه الله - ثم أكمل المشوار الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي - رحمه الله - ، فحصلت على منحة نفيسة قرب قهوة العويد بأنكاس - أفضل مكان اليوم - ولم انتظر المستقبل العقاري فبعته بأوكس الأثمان .

وكان مروري على سماحة الفقيد غفر الله له قليلاً إلا أن تكون لي عنده حاجة ، وهذا عقوق بلا ريب في ظاهر الأمر ، ولكنني في الحقيقة في غفلة من جراء الانهماك

مع ثلة من صعاليك الفن والأدب ، مجنحين مع الجندول والنهر الخالد وبحيرة كومو والأطلال . . إلخ .

وذات مرة طلب هاتفي فأعطي خطأ هاتف ابن عمي وابن خالي المطابق اسمه اسمي - وهو محمد بن عمر بن محمد العقيل - وأظنه اهتدى إلى رقم هاتفي عن طريقه ، فأمطرني في الهاتف عتاباً وأنه يخشى علي الفتنة في الدين ؛ لأنني هربت عن مجالس العلماء ومجالستهم ، وهم ذوو النفع - بعد الله - دنيا وآخرة ، وانجرفت مع الضائعين ممن أثروا في ولم أستحوذ عليهم .

وكلما حاولت الاعتذار بأنني لم أنقطع عن المشايخ ، وإنني دعوت الشيخ فلاناً وفلاناً ، وزرت الشيخ فلاناً وفلاناً : قال : يا ولدي : اترك عنك هذا الكلام ، المجاملة شيء والصحبة الدائمة النافعة شيء آخر ، وعلى أي حال ما طلبتك إلا لأخبرك بأن شيخ الجميع سماحة الشيخ عبدالله بن حميد يسأل عنك كثيراً ، ولم يهتد إليك وتعهدت له بأن أرسلك إليه ، فلا بد أن تزوره .

قال أبو عبدالرحمن : ففوجئت بهذا الخبر إذ لا ثقل لي حتى يطلبني سماحته !! وكنت بين خوف ورجاء ؛ لأن سماحته كان مهيباً وقلت : يا شيخ صالح عسى ما شر أو أن أحداً كذب علي .

فقال : يا ولدي : صل مع شيخك ابن حميد العصر أو المغرب أو تغد معه فإنه يتغدى مبكراً لينام قبل العصر قليلاً ، وليس عند المشايخ إلا الخير .

ثم حصل لقائي مع سماحة الشيخ ابن حميد وتلقيت عتابه وتوجيهه حول مقالتي (بل ننقي أقلامنا) ، وقد ذكرت ذلك في التباريح .

وكان سماحة الشيخ صالح - رحمه الله - شديد الإلحاح علي بالأمرهق نفسي بشراء الكتب ، والتوسع في الفنون ، وكان ذلك أيام الطلب ، ويوصيني بالاستعارة ؛ لأن الغرض حفظ العلم واستحضار معانيه لا تكديس الكتب ، ويعرض علي الاستعارة من مكتبته ما أريد ، وكان يوصيني بحفظ المختصرات في الفقه والحديث والنحو . وكان يقول لي دائماً : ليست الشمس تطلع على كل شيء والعمر قصير ، وهو ممن يزهد في التأليف ، ثم في الأعوام الأخيرة بعد انتقاله إلى الرياض قال لي بالنص

المقارب : أنت يا ولدي لا تحسن التصرف في علمك ومالك ، وليست عندك فراسة في اختيار الأصحاب ما دمت اخترت الظاهرية وابن حزم ، وإن كان الأجدر غير ذلك فوفر جهدك للمحلى مثلاً قراءة وحفظاً وشرحاً وتخريجاً ، وليكن ذلك جهد العمر كله وأنت لن تعمّر عمر نوح ، وقد نلت من الشهرة الصحفية والثقافية ما يكفي ، ومحاولتك معرفة كل شيء ضرب من العبث ، فلتكن خدمتك للمحلى أثراً خالداً تتنفع به ويتنفع به الناس ، ويكون لك فن تكون مرجعاً فيه ، وتعرف به وتكون حجة فيه .

قال أبو عبدالرحمن : ولسوء حظي لم أنتفع بوصيته - رحمه الله .. ولم يستجب لدعوتي في المنزل إلا مرة واحدة بعد إلحاح شديد مني ، واشترط منه مغلظ ألا أتكلف ، وألا يزيد المدعون عن أناس حددهم هو وقال لي : أنت مسرف .. سورة الإسراء بينت لك كيفية الإنفاق .

ودعوته لحضور مناسبة زواج إحدى بناتي ، وقدمت له كتابي عن ابن حزم أربعة أجزاء في مجلدين هدية له ، فاعتذر عن تلبية الدعوة بلطف ، وقفز بسرعة على أساس أنه سيدخل كتابي بمكتبته وأنه سيجدد الموضوع ، وأمرني بانتظار البخور وأن نذهب لصلاة العشاء معاً . وبعد أن عاد ناولني ظرفاً وقال : هذه أوراق اطلع عليها وأعطني رأيك فيها ، ولست مستعجلاً عليها ولا تشغل بها إلا في البيت ، لأنها تحتاج إلى تأمل طويل . وشاغلني عن فتح الظرف فلما فتحته في المسجد وجدت فيه عشرة آلاف ريال ، وأردت أن أشكره فصرفني عن الحديث في هذا الموضوع مطلقاً بعد أن أخبرني أن المبلغ معونة في الزواج وشاغلني بأجواء توجيهية .

قال أبو عبدالرحمن : ولا أنسى بركة تلك النقود وكنت في أزمة وضائقة . وكان - رحمه الله - ذكياً نبهاً عوضه الله عن فقد بصره بالبصيرة النافذة والحس المرهف .

وقبل الكهرباء وعند ظهور المصابيح ، وكنا بشقراء كان بعد صلاة المغرب ، ينزل المصباح والكبريت من أماكنهما ، ويولع المصباح ويعلقه بخفة حركة واهتداء مما لا يتمتع به البصير .

ومع علمه وفضله كان زعيماً فحلاً مهيباً، وأراد أن يتندر عليه من يرى في نفسه أنه من علية القوم وقال له :

فتواكم يا شيخ أعظم على جمال عبدالناصر من القبلة النووية، فوثب الشيخ صالح كالأسد الهصور يقول : أعرف أنك من كراعين قومك ولست من رؤوسهم، وأعرف أن في قلبك مرضاً وليس هذا المجلس مقعداً لأمثالك . قم ولا تعد إليه بعد اليوم، إنك تتهكم ببلادك، وولاة أمرك، وعزائم دينك، وأنت تستحق التأديب ولكنني أنصحك وأحذرك .

فقام الناطق - رحمه الله وعفا عنه - مخذولاً وأراد أن يقبل رأس الشيخ، فقال الشيخ صالح : ليست الحاجة إلى أن ترضيني، وإنما الحاجة إلى أن تحافظ على دينك، وأن تعلم مواضع الولاء والبراء، وأردت أن أعينك على نفسك، فتكفها عما يشينك عند الناس، وتؤثر في دينك، لأنني أعلم أن سواليك خاملة .

وكان - رحمه الله - ذا حنكة وسياسة ودهاء يداري الناس ويستألفهم، ولكن على قوة في الحق وصدع به، وهو في ثقله العلمي والعقلي من أواخر جيل عوضنا فيهم عند الله منذ سماحة الشيخ الإمام محمد بن إبراهيم إلى سماحة الشيخ ابن حميد إلى سماحة الشيخ عبدالرزاق عفيفي - رحمهم الله - إلى سماحة الشيخ ابن باز، كلاه الله بعنايته ولطفه، ولو خليت لخربت، فعندنا من أمثال هذا الطراز على قلتهم، كالشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ والشيخ صالح الفوزان والشيخ العباد والدكتور الشيخ بكر أبو زيد والدكتور الشيخ صالح بن حميد، ولكن الأعم الأغلب إلا ما رحم ربك . . إما قلة العلم المحقق، وإما ضعف العقل مع العلم، وإما قلة الورع، وإما الداخلة في النية، والرغبة في الشعبية والزعامة، وإما النزق والطيش، وإما التأثير بالذخيل .

وكان سماحة الشيخ صالح - رحمه الله - فقيهاً حنبلياً جلدأً، ولكنه في السنوات الأخيرة عكف على صحاح الأحاديث وسننها، وعلى ذلك شواهد منها، أنني زرتة بصحبة الشيخ عبدالعزيز بن سعد الجلعود، فاستشكل أحدنا إلحاح الشباب على قولهم : «قَدَّرَ الله وما شاء فعل» بنطق (قدر) اسماً لا فعلاً، فأحضر صحيح مسلم

وشرحه بسرعة خاطفة مثبتاً رواية (قَدَّر) بالفعل المضعف .

لقد بصر عوام المسلمين في برنامجهِ (نور على الدرب) ، وأثرى هيئة التمييز بعلمه وعقله وحنكته ، بعد نقله من رئاسة محاكم الأحساء ، وكان الساعد الأيمن لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن رشيد - رحمه الله - وكان ركناً في هيئة كبار العلماء .

وقد ألان صلابته في أخريات حياته رقة وورع ، فلقد صليت جنبه قبيل صلاة العصر ذات مرة ، وبعد التسليم قبلت رأسه فعرفني قبل أن أنطق مع طول غيبيتي عنه ، عرفني من مجرد سماعه لنبراتي في نافلة القراءة والدعاء فيها بسرية .

لقد أخذني بيده إلى البيت ، وقال لي أثناء الطريق مماًزحاً وجاداً ، قد قلت لك يا ابن عقيل الله يهديك : إنك ضائع ولو كان الأمر لي لحجرت عليك ، أنت ضائع في تديرك المالي ، وضائع في علمك ، لا تحسن سياسته ، ولا تفرق بين واجباته ونوافله ، أنت ضائع في علاقتك بالناس ، واختيار الصاحب والجليس ولكن أغبطك بواحدة .

قال أبو عبدالرحمن : ففرحت بهذه الواحدة وقلت له : ما هي يا شيخ ؟!
فقال : أعفك الله من القضاء ، ولعل الظروف التي حالت دون ذلك لطف من الله بك . الأمر خطير يا ولدي والله لو ددت لو أنني لم أتول القضاء قط .
قال ذلك وهو العالم المؤهل الورع والصلابة في الحق .

أما خطبة يوم الجمعة وتلاوته في الصلاة الجهرية فكان ذلك من نعيم حياتي بشقراء ، فقد كان بليغ القول ، حلو النبرة ، ومليح التلاوة ، حسن الهيئة مع قلة التكلف .

وكان رجاعاً للحق ، وأذكر أن الدكتور محمد بن عبدالرحمن الهدلق ألقى كلمة في نادي شقراء بالمعهد العلمي ختمها بقوله : إن الله على ما يشاء قدير .

فاعترض عليه سماحة الشيخ صالح وهو الحافظ لكتاب الله ، لا أعلم أحداً أمكن في تلاوة القرآن منه ومن سماحة الشيخ ابن باز ومن سليمان بن علي - يرحمهم الله - ، فصعاب السور أسهل عليهم في الاستحضار من سورة الفاتحة ، يستحضرون عشرات الآيات في موضوع معين من مختلف السور بلا روية ولا تذكر ، فاحتج

الدكتور الهدلق (وكان يومها طالباً) بالآيات الكريمة فسر الشيخ بذلك وشكر له .
قال أبو عبد الرحمن : ولكل من الشيخ والتلميذ وجهة صحيحة ، ولكن يجمع
الوجهتين خصوص وعموم بين الآيتين ، فالله سبحانه على كل شيء قدير بلا استثناء ،
ولكنه سبحانه لا يفعل إلا بمشيئة مسبقة وعلم مسبق مهيمن ، وحكمة شاملة . ليس في
علمه سبحانه عبث ولا مصادفة لشمول علمه وحكمته مع قدرته . وهذا معنى أنه لا
يُسأل سبحانه عما يفعل وهم يُسألون ، وقدرته سبحانه تنفيذ لمشيئته المسبوقة بعلمه
وحكمته ، فهو على كل شيء قدير ، وهو يمضي قدرته إذا شاء سبحانه وتعالى .

قال أبو عبد الرحمن وفي التباريح كثير من ذكرياتي مع سماحته .
كان - رحمه الله - قاضياً في حوطة سدير ، وكان شبه أمير لقوته وزعامته ، وهكذا
كان في شقراء وكان يدرسنا الفقه في المعهد ، وهكذا كان في كل المناصب التي
تولاها . أرادوا في الحوطة قطع الوادي خوفاً من الغرق فكان أمامهم يخوض الماء
رافعاً سراج أبو منذر بعصاه ، وهجم الدبى على نخيل شقراء فتجرد مع الذائدين
يحمسهم ويشجعهم ، ومن شدة الحماس قال : للأمير عمر بن شعيل رحمهما الله في
المسجد : اللي ما يذود الدبى مع الجماعة : الطس بابه وسند فمه عكس العبارة - رحمه
الله - لشدة حماسه .

كان جبلاً من العلم والحكمة والقوة . كان صورة أمينة لمدرسة سماحة الشيخ محمد
ابن إبراهيم - رحمهم الله جميعاً - ، فما أحوجنا في هذا التمزق إلى أمثال هؤلاء ؟ ! .
رحمهم الله رحمة الأبرار وجمعنا بهم في دار كرامته وأعاننا على أنفسنا لنسلك
سبيل الهدى . هكذا أعرفه والله حسيبه ولا أزكي على الله أحداً . وعزائي لنفسي
ولأبنائه وأسرته ولكافة المسلمين كعزاء الخنساء لعمر بن الخطاب في أخيه زيد ، فهو
شبية حمد شب وشاب في الإسلام على العلم والعبادة ونفع المسلمين ، أسبغ الله عليه
رضوانه ، والحمد لله على كل حال (وإنا لله وإنا إليه راجعون) .

عزاء لا ينتهي (*)

رحم الله الشيخ صالح بن علي بن غصون عضو هيئة كبار العلماء وعضو مجلس القضاء الأعلى .

رحم الله العالم الذي أمضى عمره في ظلال العلم طلباً وتعلماً وتطبيقاً حتى وافته المنية يوم السبت الماضي بعد معاناة مع المرض .

رحم الله أبا علي وأجزل له العطاء نظير صبره طوال فترة مرضه ، وعلى ما ابتلي به من فقد لنعمة النظر وهو في الثالثة عشرة من عمره .

وحرصه يرحمه الله على طلب العلم الشرعي مهتدياً بنور البصيرة ، حتى غدا قاضياً يحكم شرع الله في الناس ، وصوتاً مميزاً ينشر الخير عبر الأثير .

يحمل الفقه إلى كل أقطار الأرض لينتفع به المسلمون ، وتستقبله أفئدتهم بالشكر والعرفان .

فكم لك يا أبا علي من محبين في الأرض تجري على ألسنتهم - حين نعت لهم - شهادة ملائكة الرحمن يذكرونك بالخير ويدعون لك بخير ، ففي الحديث قوله ﷺ : «إن لله ملائكة تنطق على ألسنة بني آدم بما في المرء من الخير والشر» .

فأقبل على ربك أبا علي تحوطك دعوات المسلمين في كل بقاع الدنيا ، وليجبر الله كسرنا فيك . . مصباحاً من مصابيح الدجى وعلماً من أعلام الهدى . «تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي الرب» .
«إنا لله وإنا إليه راجعون» .

(*) بقلم : محمد محمد باجنيد ، المصدر : جريدة المسائية : الثلاثاء ٢١ / ١٢ / ١٤١٩ هـ الموافق

الفصل الثامن

رثاء الشيخ - رحمه الله -

شعراً

لوعة قلب (*)

وجافى به الهدب في الرقدة الهدبا
له خفقات ترهق العين واللبا
لمثلكم تهفو مشاعرنا وثبا
كان عليها من محاسنكم عتبا
بفضلكم قد أنبت الزهر والحببا
ومزق هذا القلب حزناً لكم إربا
محاسنها إذ يتبع الشهب الشهباً
تساقط حبات القلوب لها نهبا
وأيقظ في أحشائنا بعدك الكريا
إلى جنة يلقي المحب بها الريا
يعاودنا شوق إليك إذا هباً
وحت إليك الخطو يستقرب القريا
فها أنت تكسى اليوم من بعدها تريا
وحيد وإن راموا المشارق والغربا
فدينك يا خير الأنام بها حبا
رهينة أيام تقضت بنا غصبا
حليف أسى من بعده يكره الجنباً

أتى خبر هذا المشاعر والقلبا
وكيف يلذ النوم والقلب بعدكم
وما خفقت نفسي بمين وإنما
لمثلكم ترنو العيون كئيبه
وما مثلكم وارى التراب وإنما
فكم لوعة في القلب أحدثها الردى
فما أمرنا إلا سماء تهافتت
كان لنا في كل يوم مصيبة
توارى بهاء الحسن بين جفوننا
فيا قبره إذ أنت أول منزل
ويا نسمة الأرواح أنت موسد
ويا حسرة المشتاق من بعد ما نأى
وكنت اكتسيت العلم والخير والهدى
عزائي لكم أن السبيل لذي الورى
ولو أن أرواح الأحبة تفتدى
فيا شيخنا ما النفس إلا وديعة
فصبراً فإن القلب من بعد ما نأوا

(*) شعر : أحمد بن سليمان بن صالح اللهيبي، المصدر: جريدة الرياض : الأربعاء ١٢ / ١ / ١٤٢٠ هـ

الموافق ٢٨ / ٤ / ١٩٩٩ م .

الإرث الذي لا يغني(*)

تقاس الأعمار ببركتها، وبركتها في عطائها ونفعها للخلائق، ويأتي الأنبياء في المقدمة، ويرثهم الصالحون المصلحون، ويذكرني رحيل الصالحين عنا إلى الكريم الرحيم، ما ورد في فضائل شهر الصيام: «يزين الله كل يوم جنته ويقول يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المؤونة والأذى ويصيروا إليك»، وقد افتقدت الأمة الإسلامية أحد أعلامها فضيلة الشيخ صالح بن علي بن غصون - يرحمه الله - ففاضت القريحة المبتدئة المتواضعة بهذه الأبيات:

آه لمن صار التراب مقامه	فله بكل هنيهة أتالمُ
لو أن مالاً يفتدي لفتيته	وله بجسمي كل عضو بلسمُ
سمحاً بنفس ترتدي ثوب الهدى	وبروحه ترقى سمواً سلمُ
أصل الطهارة طبعه ونقاوة	في نفسه وبخيرته هو منجمُ
هو صالح في اسمه وبخلقه	وبخلقه أغصان خير منسمُ
قد فارق الدنيا وأورث موته	ثقباً كبيراً واسعاً يتهدمُ
قد كان فيه حلاوة في نطقه	وسهولة منه الفتاوى تفهمُ
قد كان شيخاً عالماً متبصراً	ومدققاً في نطقه لا يندمُ
حتى الفتاوى منه أحسن صنْعها	وله العباد بنطقه تتبسمُ
نعم الوفا نعم الخطا نعم الطلب	بالنعم أكثرت وكنت المنعمُ
يا من دروس العلم قد أبهجتها	ويكل قافية حفظت تنظمُ
يا رحمة جبلت عليها نفسه	وبديننا في شرعنا هو أرحمُ
كل الخليقة أحجمت أنفاسهم	هلعاً وكان الخطب عندي أعظمُ

(*) شعر: بدر بن سليمان بن صالح الربيش، المصدر: جريدة الرياض: الجمعة ١٤/١/١٤٢٠هـ الموافق ١٩٩٩/٤/٣٠ م.

لكن بما أن الخليقة أفجعت
هو جبهة للحق حتى تنتهي
أفلا ترى من ذا وجود بنفسه
وجهت وجهي للذي خلق الوري

سخرت نفسي صخرة هيا اعلموا
أنفاسه ويحث هيا أقدموا
أو هل ترى شيخاً يجف به الدمُ
حتى نمر على الصراط ونرحمُ

نبكي(*)

قد صاحب الليل حتى جاءه السحر
 وإن تحدث فهو الغيث ينهمر
 لا زال حياً بذكر الخير يشتهر
 الغير موتى وهم يحيون إن ذكروا
 على الشدائد والأواء قد صبروا
 وإن سألت المعالي جاءك الخبر
 سما بهم مرتقياً في المجد ينتظر
 روى الحديث ستغشي سمعك الدرر
 كم علموا أمماً بالدين ما فتروا
 كم هدموا وثناً لله كم نذروا
 كم نبهوا غافلاً للجهل كم قهروا
 للخير كم وهبوا للشر كم دحروا
 وإن ذكرت العلا فالشمس والقمر
 ويشرف القبر من أجساد من قبروا
 طب القلوب فداه السمع والبصر
 جهل فسادوا لأن الحق منتصر
 لأمة ضحكت من جهلها البشر

نبكي فقيداً بكاه النجم والقمر
 خليل علم لمن يغشى مجالسه
 ميراث أحمد في جنبه يحمله
 أهل العلو بهم يعلو مصاحبهم
 هم النجوم لمن ضل الطريق وكم
 قم فاسأل الليل عنهم جوف ظلمته
 لفعلهم في العلا خير المواضع قد
 فمنهم الفطن الشهم الكريم إذا
 كم حاربوا بدعاً كم نوروا ظلماً
 كم ألفوا كتباً كم بينوا حكماً
 كم أنكروا منكراً كم أعدموا فتناً
 للغد كم فطنوا للعلم كم عملوا
 زكوا في الثريا نهم غيرتها
 ستشرف الأرض إن حلوا ببقعتها
 أما ترى طيبة طابت بسيدنا
 أحيا شعوباً من الأموات موتها
 أتى وفي راحتيه النور يحمله

(*) شعر : حامد بن سعيد الأحمرى، المصدر: جريدة الرياضية : الجمعة ١٤/١/١٤٢٠ هـ الموافق ١٩٩٩/٤/٣٠ م.

فناالت العز بعد الذل في أمم
وحرر العبد من رق يحيط به
شباب أمتنا هبوا لنصرتها
نعم المورث والميراث فاغتنموا
منكم جهابذة قد طلقوا ترفاً
يمشون في الأرض هوناً رغم رفعتهم
ما ضر نجماً بسطح الماء صورته
وإن علت سحب الدخان لا عجب
تنافس الحدأة الصقر العلو سما

الحق يفني فساد الظلم والشر
إلى اعتزاز فلا ذل ولا بطر
فإنها العين أنتم وسطها الحور
عمر الشباب فإن العمر يحتضر
عند الشباب ولما داهم الكبر
نجم العلو أولو الألباب فاعتبروا
النجم يعلو وتدنو تحته الصور
ما كل من صعد العلياء يفتخر
شتان بينهما لو يعن النظر

الشيخ الجليل(*)

كفكف الدمع ليس يجدي البكاء
وعد الصابرون أجراً عظيماً
كلنا سائر على الدرب حتماً
ليس يُدْرَى ما خبأته الليالي
فاستعدوا للارتحال بزاد
ليس يكفي ما يعمل المرء لكن
قربت ساعة القيامة والناس
العلامات للنهائية تبدو
فإذا ما أدركت في الأرض طرفاً
فالعمارات قد تعالت بناء
غرق الناس في الملذات حتى
وتمادوا في جمع مال فأضحى
ينزع العلم بانتزاع رجالات
قد فقدنا بالأمس شيخاً جليلاً
فقدته أحزن النفوس كثيراً
إنه الشيخ صالح بن غصون
يبذل النصيح والمشورة للناس
مجلس الشيخ عامر كل وقت
إنما ينفع الفقيد الدعاء
يفعل الله حكمة ما يشاء
هكذا ليس للحياة بقاء
فالليالي من طبعها الإخفاء
طيببته طهارة ونقاء
رحمة الله للعباد غطاء
على حالهم كأن لا فناء
كل يوم وليس فيها وراء
يُذهل العقل شكلها والبناء
وتباهى بطولهن الرعاء
سئموها واستشرت الفحشاء
هدف الناس في الحياة الثراء
ومن الأرض يقبض العلماء
وفقيهاً يجله الفقهاء
وبكاه قبل الرجال النساء
من هداة بعلمهم يستضاء
بلطف لا يعتريه استياء
بدروس من بينها الإفتاء

(*) شعر الأستاذ: سليمان بن عبدالعزيز الشريف، المصدر: جريدة الرياض : الأربعاء ٢٨/١٢/١٤١٩هـ الموافق ١٤/٤/١٩٩٩م .

وإذا ما بدرته بسـؤال
واسع الصدر ماجد أريحي
وعلى ما يزينه من صفات
لا يمل الجليس منه حديثاً
وإذا ما سألته عن كتاب
ليس يهدي سوى كتاب ثمين
لبس الصدق والأمانة تاجاً
يتحرى الفقير يعطيه سرّاً
كان في البيت قدوة لبنيه
لو رأيت الجموع وهي تصلي
الممرات والشوارع غصت
منظر يعكس المشاعر حقاً
رحم الله صالح بن غصون

جاء منه الجواب فيه الشفاء
ليس ممن يحلوه الإطراء
حق للشـيخ شكره والثناء
لأحاديثه صدى واشتهاء
جاءك الرد بعده الإهداء
وبهذا تميز الكرماء
وكسسته مروءة وحياء
خوف أن يذهب الثوب الرباء
ولأحفاده كذاك اقتداء
فالمصلّى لم يحوها والفضاء
واستمرت حتى أطل المساء
هكذا الحب صادق والوفاء
واستهلت على ثراه السماء

صرح علم وفضل (*)

كَفُّوا بُكَاءَ فَاَلْبُكَاءِ عَذَابِي
 وَالْحُزْنَ مَزَقَ سَلَوَتِي بِحُرَابِ
 بَكَتِ اللَّيَالِي فَرَقَّةً وَمَوَدَّةً
 وَتَنَاثَرَتْ ذِكْرُ الْمَصَابِ بِبَابِي
 حَتَّى إِذَا سَحَّتْ عَيُونِي لَيْلَةً
 خَلَّتْ الدَّمُوعُ إِذَا ظَمِئْتُ شَرَابِي
 أَمْ تَرْقُرَقُ الدَّمُوعُ بِفَقْدِهِ
 حَتَّى مَالَتْ مِنَ الرِّثَاءِ كِتَابِي
 أَوَاهِ كَمْ طَالَتْ شَكَايَةَ مَقْلَتِي
 الدَّمْعُ يَسْفَحُ وَالْقَتِيلُ شَبَابِي
 إِلَيْهِ فَوَّادِي مَا وَفَيْتُ بَعْدَهُنَا
 حُزْنًا رَسَمْتُ وَمَا رَثَيْتُ مَصَابِي
 أَنْسَيْتُ عَهْدًا أَنْ يَكُونَ بِكَأُونَا
 عِنْدَ الْفَجِيعَةِ مَسْمَعُ الْأَصْحَابِ
 أَمَّاهُ كَفَى دَمْعَةً وَتَجَلَّدِي
 إِنْ الْمَنُونُ نَزِيلَةُ الْأَحْبَابِ
 أَمَّاهُ حَتَّى أَمَّ الْبُكَاءِ بِذِكْرِهِ
 فَلَقَدْ أَنَاخَ بِسَاحَةِ التَّوَابِ
 يَا رَبِّ فَارْحَمِ مَنْ أَتَاكَ مِنَ الْوَرَى
 وَبِقَلْبِهِ نَوْرَ التَّقَى كَشْهَابِ

(*) شعر: د. طارق بن محمد الخويطر، المصدر: جريدة الرياض. الجمعة ١٤ محرم ١٤٢٠ هـ، الموافق ٣٠ أبريل ١٩٩٩ م.

حميد الشيم كريم الطباع(*)

والعين أرقها السَّـدْمُ	القلب يعصره الألمُ
وغدا ينازلها السَّـقَمُ	والنفس تبكي لوعلة
ودموعها مُزجت بدم	هذي العيون مصابة
أبكي لخطب مدلهم	أنا إن بكيت فلنما
أسرت فجيعة القلم	أنا إن بكيت فلنما
لعل جرحي يلتئم	أبكيه من ألم الفراق
كفنتها ثوب الندم	هاتيك أفرأحي وقد
بسَّام ثغرها وهم	هل خلتنى يا صاحبي
نزع البكاء عن الكلم	يا قلبي المكلوم ما
فالحل يذكر والحرم	إن رمت يوماً غفلة
لم نستفد تيك الهمم	أواه كم وقت مضى
أرثي نجومها في الظلم	أنا إن رثيت فلنما
وتمثلوا أحلى القويم	سطعوا بنور في الدجى
وبفقه دهم غم وهم	رسموا طريقاً للعلی
أرثي نزيلاً للقوم	أنا إن رثيت فلنما
ورع وشيمته الكرم	شيخ أسير عابد
وبجوف ليل قد ختم	بكاء سرر خائف
والقلب بالتقوى اتسم	ويخلوة وجَّلاً ترى

(*) شعر: د. طارق بن محمد الخويطر، المصدر: جريدة الجزيرة: الإثنين ٢٩/١/١٤٢٠هـ الموافق

لله درُ عَزِيْمَةٌ
 لم يثْنِها يُتَمِّمُ ولا
 لا يعتريها غَفْلَةٌ
 يا صاح كُفَّ مَلامَتِي
 عَجِباً تراني باكِياً
 أترك مشـتاقاً إلى
 أنسيت حزنأ مـفجعاً
 أنسيت عـهدأ زاهراً
 يا من سـفـحت على الملا
 تبكي وتنسى أنه
 يا من يـلوذ به الـورى
 أدعوك يا من يُرتجى
 أرحم فقيرأ تائبأ
 أسكنه فرـدوسأ علا
 واربط على قلب بكى

عشقت شـمـوخأ لم تنم
 فقـرو لا هم الـهـرم
 لا بل ولا ملل جـُـثـم
 إن المصائب كالـحمـم
 ونسيت صـرحأ قد هدم
 نار بهـا القلب اضـطـرم
 قتل السـعادة كالـسـهم
 علمأ وفقـها يـرتـسم
 دمـعأ لأمس منـصـرم
 حال الـورى منذ القـدم
 يا خـالقأ كل التـسم
 يا مـسـديأ كل النـعم
 واجعله أخـرى يـبـتـسم
 وارزقه ذكـراً في الأـمم
 تالله ما مات العلم

أيها العيد أين أفراحك؟(*)

ما إن يحل بنا عيد نفرح بحضوره، ونسعد بلقاء الأقارب والأصدقاء فيه، إلا ونذكر أحبة لنا كانوا بيننا يملؤنا بحضورهم الفرح والسرور.

كان عيدنا يزداد جمالاً بحضورهم، والفرح يملأ قلوبنا، والسعادة كلها كأنها في صدورنا. ونحن اليوم نفقد بعضهم فنعيش وقتاً من هذا العيد حزناً وبكاءً، ومن هؤلاء الذين فقدناهم في مثل هذه الأيام شيخنا والدنا الحفي الخفي التقي النقي الوفي صالح بن علي بن غصون رحمه الله رحمة الأبرار.

رحل - رحمه الله - وما نسيناه، وكيف ننساه والعيد جماله بوجوده، والفرح يأتي بحضوره. تذكرته لما كنا نلقاه في يوم العيد فكان يقابلنا بسرور واستبشار وحبور وابتهاج.

أتذكر شيخي كلما رأيت سائلاً يسأل مالاً، فما قدم إليه - رحمه الله - أحد سأل نواله، وحاول إفضاله، وأمل عائده، وأمل فائده، إلا ورجع بما أمل. فالشيخ يزخر ولا يذخر ويتدفق ولا يترفق. رحمه الله كثرت محاسنه، وجلت فضائله، وحسنت مكارمه.

ما إن يحس بحاجة إنسان إلا ويتفجر بالخير، وينفع بالعطاء، وينبجس بالمعروف - رحمه الله - له وقار وحلم، وفهم وعلم، وكرم وفضل، أخلاقه شريفه، وطباعه كريمة، وسجاياه جميلة.

وتذكرت شيخي لما رأيت شرذمة من الناس أقبلوا على الدنيا، وطلبوا ما فيها غير سائلين عن حل ما طلبوه أو حرمة، تذكرته أسكنه ربي فسيح جناته، فقد نزه نفسه عن المطامع والمآكل اللثيمة.

تذكرته في كل سطر من كتاب درسته معه في مجلسه العامر هدى وصلاً، وبكل كلمة أسمعها من الناس كنت سمعتها من فيه الطاهر النقي، وبكل نصيحة أسداها إليّ، فرأيتها واقعة أمامي عياناً بياناً، وبكل موعظة رأيت فيها دمعات الشيخ على

(*) شعر: د. طارق بن محمد الخويطر، المصدر: مجلة الحرس الوطني العدد ٢٤٩، محرم ١٤٢٤هـ، الموافق مارس ٢٠٠٣م.

خديه وعبرته حبست كلامه . . تذكرته رحمه الله في كل شيء .
ولئن غاب عن أنظارنا فهو في قلوبنا محبته تزداد حتى وكأنه حاضر بيننا ، ولئن
رحل عنا الشيخ فإننا ما نسيناه من دعائنا في كل وقت ندعو فيه لأبائنا وأمهاتنا ، وحق
لكل حزين على فراق الشيخ أن يبكي عليه ، ويسبل الدمعات عند ذكره ، فقد فقدنا
شمساً ساطعة ، وقلباً تقياً ، ونفساً زكية ، وهمة أبية . .
وها أنذا أسلي نفسي بهذه الأبيات ، فقد رنّ صوته عصر جمعة في أذني في برنامج
نور على الدرب فتذكرت سيرته العطرة رحمه الله رحمة الأبرار ، وأسكنه فسيح
جناته ، وجمعنا وإياه في مستقر رحمته آمين .

وهوى الكوكب الأغر

هاكم دموعي ترجمت أحزاني	فلقد أكب على الرثاء لساني
تاقت لذاكره النفوس إذ انبرى	صوت الفتاوى ذاك ما أبكاني
وظللت أرثي شخصه دوماً فما	هدأت دموعي بل ولا أشجاني
وبقيت أشكو حبه وفراقه	وأنوح كالشكلى مدى الأزمان
أترى فؤادي ناسياً تلك العلا	كلا ولا نسي الأسيف جناني
ولكم بثثت على الملا همًا وكم	خفق الفؤاد وهلت العينان
إن رمت يوماً أن أكفك مدمعي	هتف اللسان بنبرة الأحزان
يا صاح تيك قلوبنا مكلومة	تبكي نجوماً لألأت أوطاني
يرثيك يا علم البلاد أئمة	وينوح من وقع الردى خلاني
رمت العلى حتى أخذت زمامها	ثم ارتقيت إلى أعز مكان
مسحت يداك على اليتيم وأسبلت	عينك دمعاً خشية الرحمن

ذَكَرْتُكَ أَرْمَلَةً تَنَامِي فَقَرَهَا
 نَاهِيكَ عَنْ ثَكْلِي تَنُوحُ وَأَيْمُ
 أَعْرَضْتَ عَنْ دُنْيَا تَطْيِبُ ثَمَارُهَا
 عَرَضْتَ عَلَى الْغُرِّ السَّفِيهِهِ مَفَاتِنَا
 وَازَيْنْتَ يَوْمًا وَغَنَّتْ سَاعَةٌ
 ضَحَكَتْ فَبَاعَتْ أَنْفُسَ دِينَا بِلَا
 قَلِّ لِي أَخِي تِلْكَ اللَّيَالِي مَا بَهَا
 وَسَلَ السَّوَارِي فِي الْمَسَاجِدِ إِنَّهَا
 يَا لَأَثَمِي فِي عِبْرَتِي أَفَمَا تَرَى
 لَوْ كَانَ يُفْدَى بِالْقُلُوبِ لَسَارَعَتْ
 أَوْ كَانَ يُفْدَى بِالْعِيَالِ وَبِالدِّمَا
 يَا رَبِّ فَارْحَمِ نَاسِكَا عَشَقَ الْبُكَاءُ
 وَافْسَحْ لَهُ يَا مَنْ تَجِيبُ دَعَاءَنَا
 مَذْغَبَتْ ذَاقَتْ لَوْعَةَ الْحَرَمَانِ
 تَبْكِي فِرَاقَ صَنَائِعِ الْإِحْسَانِ
 وَلَطَالَمَا سَحَرَتْ هَوَى الْإِنْسَانِ
 فَعَدَا أَسِيرًا فِي رِضَا الشَّيْطَانِ
 فَهَوَى يَطَارِدُهَا عَشِيقُ هَوَانِ
 ثَمَنَ فَبَاءَ الْبَيْعِ بِالْخَسْرَانِ
 فُجِعَتْ بِفَقْدِ مِرْتَلِ الْقُرْآنِ
 سَمِعَتْ نَشِيْجَ الشَّيْخِ كُلِّ أَوَانِ
 ذَكَرًا لَهُ فِي زَفَرَةِ الْإِخْوَانِ
 فِي النَّاسِ أَفئِدَةٌ بَغِيرُ تَوَانِي
 مَا اسْطَعَتْ إِحْصَاءَ ذَوِي الْإِحْسَانِ
 وَأَدَمَ لَهُ ذَكَرًا رَفِيعَ الشَّانِ
 وَارْزُقْهُ فَرْدُوسًا عَلَا بِجَنَانِ

مالنا عن الموت فَوْتُ (*)

كل حي مصيره للزوال
خُلِقَ الْآدَمِي مِنْ طِينَةِ الْأَرْضِ
(ليس من مات فاستراح يَمِيتُ
إِنْ رَضِينَا بِفَوْتِنَا أَوْ أَبَيْنَا
وليالي الفتى تَمُرُّ سِرَاعاً
والحِظِيُّ الَّذِي يُرْجَى لِعَوْنِ
كلما راد مُسْتَرَاداً رَجَاهُ
شمخت نفسه بُعْزَمَةً لَيْثٍ
لَا تَنِي أَوْ تَحَقِّقَ الْمَرَامَ الْمُرْجَى
هكذا كان صالح بن غصون
مِنْبَرُ لَوْعَظٍ حِينَمَا غَاب عَنْهُ
يَتَحَرَّى مُقَامَ بَرِّ تَفَانِي
كيف ينساه وهو خير جليس
خُطِفَتْهُ يَدُ الْمُنُونِ وَأُبْقَتْ
إِيَّهِ يَاسَامِعِي النَّصِيحِ أَفِيَقُوا
إِخْوَتِي مَالِنَا عَنِ الْمَوْتِ فَوْتُ
غير أن الذكرى تكون حياة
كلما أَحْزَبَتْ ظُرُوفُ اللَّيَالِي
يا بني صالح خُذُوا عَنْ أَبِيكُمْ

قاله ربنا عزيز الجلال
وفيها يعود وقت المآل
إنما المِيتُ مَيِّتٌ الْأَفْعَالِ
فالمقادير قِسْمَةٌ بَالْتِغَالِي
وهو عن مَرَّهَا مَعَ الْعَيْشِ سَالِ
في التَّبَارِي لِأَنْبَلِ الْأَعْمَالِ
عَاجِزٌ عَنْ بَلُوغِ بَعْضِ الْمَنَالِ
لَا تَنِي أَوْ تَطُولُ شَمُّ الْجَبَالِ
بِفَعَالٍ مِنْ أَمْهَاتِ الْمَعَالِي
فَاعِلًا عَبْرَ يَوْمِهِ وَاللَّيَالِي
كَادَ يَسْعَى بَيْنَ الرُّسُومِ الْبَوَالِي
في التَّبَارِي لِحُلِّ كُلِّ عُضَالِ
مُؤْنَسٍ فِي الْإِصْبَاحِ وَالْأَصَالِ
ذَكَرَهُ لِلتَّقْدِيرِ وَالْإِجْلَالِ
مِنْ سُبَاتٍ يُعْمَى قُلُوبَ الرِّجَالِ
مِثْلَمَا مَرَّ بِالْقُرُونِ الْخَوَالِي
لَمِنْ اخْتِيرَ لِلْحَمُولِ الثِّقَالِ
رَاضٍ أَعْجَازَ عُوصِهَا وَالْأَوَالِي
فِي التَّوَاصِي فَصَاحَةِ فِي الْمَقَالِ

(*) شعر : عبدالرحمن عبدالله العبدالكريم : ٢١ / ١٢ / ١٤١٩ هـ الموافق ٧ / ٤ / ١٩٩٩ م .

تظفروا بالمنى بكل مَجَال
 قد يحاكي بالنُجَح شَمَّ القلال
 لا يَنِي فيه حاذقٌ أو يُبالي
 خَيْرُ فِدٍ لِفُضْلِيَّاتِ الخِلال
 مِثْلَ حَجَبِ المَحَاقِ ضَوْءُ الهلال
 لبنيه التوفيق في كل حال
 هُدَاهُ ضَوْءُ امَدَى الأَجْيَال

واسلكوا منهج الصلاح وجِدُوا
 من سعى يَنْشُدُ الثُّرَيَّا وسَاداً
 ومجالُ الحياة ميدانُ كَدْحٍ
 كُلُّ فَعْلٍ يَبْدُو رِضَى الله فيه
 والمَنَايَا تمحو رسوم الرِّزَايَا
 رَبِّ اسْكِنهُ جَنَّةَ الخلدِ واقْـدُرْ
 ونصلي على البشير الذي شَعَّ

علم يهوي(*)

رحلت ولم ترحل معالم حكمه
ثمانون عاماً عشتها غير واهن
وخلق تمنى مثله كل نابه
وكنت أباً يحنو على كل طالب
مهرت سبيل العلم كل نضيصة
فضزت بحب الناس حتى كأنما
لقد كنت مصباحاً يشع ضياؤه
يجدد فيك العلم كل عزيمة
وكنت معيناً أمه كل ظامئ
وأنت امرؤ في موكب السادة الألى
فخارهم يوم الفخار مفاخر
تُجالد فيه الجهل بالعلم جاهداً
وزلت وما خلفت غير أماجيد
فيا راحلاً إما بكيت رحيله
فعذري هوى الأعلام والسادة الألى
وعذري هوى للشيخ ما انفك عامراً
يكسر عبرات تفيض بغصة
من الحزن إن الحزن من فقد مثله
إلى رحمة المولى - متى شاء - أدلجت

زرعت وعلم جل في الناس حامله
قضاءً وافتاءً ورأياً تبادله
تحكم في كل القلوب فضائله
يؤم سبيلاً يرتجى الحق سابه
من العمر لا يسخو بها - الدهر - بآذله
لدى كل قلب حبك الدهر شاغله
بنور الهدى مستوفزات ذبائله
تفيض من المولى عليها فواضله
إلى الحق تستسقيه نصحاً فعائله
تجارتهم إرث النبي ونائله
يعز على غير المجدين حاصله
فتنزاح عن درب الرشاد غوائله
مدارجهم ما أنت - في البر - فاعله
وأسبلت دمعاً ما تجف مناهله
نهلت بهم علماً تثج هواطله
بصدري إذا ما هاجه البين صائله
إلى الله شكواها وما أنا حامله
قليل على من أفردته شمائله
به الرحلة الكبرى فطابت منازلها

(*) شعر : أ.د. محمد بن سعد بن حسين، المصدر: جريدة الرياض : الأحد ٢٥/١٢/١٤١٩ هـ الموافق

يا راحلاً لم تغب!!(*)

إذا بكيت فإن الشعر ينهمر
تهيج في مهجتي الحرى عوامله
أبكي على حجة الإسلام يحملها
تعود في فقد الدارات قاتمة
محلوك الأفق لا تبدو فراقدة
تغزوه في حومة الأحداث ضارية
ماذا جرى لليالي وهي عادية
ماذا ألم الدنيا حبائله
وهكذا الحثف يعدو في جحافله
لهفي عليك وقد نبقى على وجل
تموت في دارنا الأممال راحلة
وأصبح (الشرع) لا يلوي على علم
لا بدع في الموت إن حلت جوائحه
ما الموت أن تعدم الدنيا لها عرضاً
وإنما هو أن يقضي لنا علم
والموت أن تفقد الدنيا جهابذة

ما لسيل تقذفه (الأنواء) (والشرر)
مثل البراكين تغلي ثم تنفجر
(حبر) (تقي) جناه العلم والثمر
كالليل يغرب عن ساحاته القمر
إلا لماماً غشاها الليل والكدر
معاول الهدم والأحقاد تستعر
يؤمها الجهل والويلات والغير
تصطاد كل أبي الصبح والسحر
يختار من في حماه العلم يزدهر
مما يحيق بنا والجهل ينتصر
إذا تداعت لها الأركان والقدر
تحيا خطاه ويحيا النهج والأثر
تمزق القلب والأحشاء تستعر
لكنه العلم والأركان تندثر
يضيء نهجاً فيبدو وهو ينحسر
تبكي على فقد الآيات والسور

(*) شعر: محمد بن عبدالله الميسيطير، المصدر: جريدة الرياض : الأربعاء ٢٨/١٢/١٤١٩ هـ الموافق

من لي بمن يرفع الأخطار محذقة
 من لي بمن يرفع الرايات خافقة
 تلوح في أفقنا الويلات منذرة
 في ذمة الله آلام مبرحة
 يا راحلاً لم تغب عنا خلائقه
 ما غبت عنا حياة كلما خطرت
 لأنت ملء قلوب الحب خافقة
 لله أنت نجيب في شوارده
 ما غبت لكنما الأيام حافلة
 لا أكتم الله أن الدين (في وجل)
 وأصبح الشرع والإسلام في فلك
 تعدو عليه الليالي وهي جائزة
 وأطبق الليل في داجي حوالكه
 وساد في الكون من تخشى عواقبه
 في جنة الخلد من حقت كرامته
 وفي ظلال الحيا تهديك غادية
 بالمسلمين بها التضليل والخطر
 بالمشرقين على علم له بصر
 بالموبقات قواها الشر والغير
 وفي سبيل القضا ما أنزل القدر
 أفضاله العلم والإرشاد يزدهر
 نلقاك فيها ضحاها الصبح والسحر
 يذكي هواها الندى والعابق العطر
 يهلل الدرس والتحصيل والنظر
 بالموبقات لها الإيمان يحتضر
 إذا تداعت له الأركان والغرر
 يدور حيناً وأخرى وهو (مقتدر)
 في يومها الغدر والأحقاد تستعر
 وقد تبدأت الساحات والصور
 من راحتيه يصول الضر والضرر
 وطاب في ذكره التآبين والذكر
 من الشآبيب فيها البرد والمطر

فجع المسلمون بابن غصون (*)

لا يبالي يدك أعتى الحصون
 إن وعد المنايا غير خؤون
 فجع المسلمون بابن غصون
 فغزاني بجيش حزن حرون
 بوجوم أباد غرب شجوني
 قبل أن تسفح الدموع عيوني
 صادق لا يرى لأهل المجون
 وتولوا بالنور فوق المتون
 كيف حل الضياء وسط الحزون
 سيد الخلق قبلنا بقرون
 أوقع الناس في ليالي جون
 عن غي العلم مغمداً بجفون
 رهج الحق في جميع الفنون
 إنما ثلّمته أيدي المنون
 بين درس وبين حفظ متون
 فاصلاً بالنهي جميع الظنون
 بفروع من التقى وغصون
 فلقد كان قلبه ذا عيون
 أنزل الشيخ لحده بسكون
 وسقاه ماء السحاب الهتون

لم يزل في الأنام ريب المنون
 يعد الدهر ساكنيه بيوم
 خيم الهم في الضمائر لما
 بثه النعي فوق سمعي أصيلاً
 لازم القلب فاستباح حماه
 سفح القلب فوق جنبه هماً
 لرحيل الدعاة في الناس وقع
 رفعوا العلم بالأكف سراعاً
 وضعوا الشمس في بلاقع ترب
 تلك في الدين سنة قد آتاها
 فضياء العلوم حين توارى
 فأسأنا على حسام تولى
 كم أثارت خيوله بقناها
 لم تثلّمه في الحياة خطوب
 قد قضى عمره الطويل مجداً
 وتولى القضاء فكان يقيناً
 كان للعلم دوحة قد تسامت
 إن يكن فارق الحياة ضريراً
 نور الله بالضياء ضريحاً
 وتوالت بقبره رحمة

(*) شعر: محمد بن فهد بن حمين الفهد، المصدر: مجلة الدعوة: الخميس ١٣/١/١٤٢٠هـ الموافق

شيخ المشايخ (*)

أمس الضحى يا علي أنا ضاق بالي
علي شجاع بالخلائق مثالي
أبوك يُذكر رايعن للمداوي
تم الشهر يا علي يا عزتالي
الله يخلي لي صليب الجمالي
حيثه سعة صدري وحيثه دلالي
أخوي أنا عندي عزيز وغالي
عندي كما عدن قراح زلالي
عسى يمهل له سنين طوالي
عسى الولي يرقيه يا علي مكاني
عسى عياله تسعة بالتمامي
من لامني يقعد كسير العظامي
ويليعه ربي على كل غالي

والقلب ما يزداد من شن لجأ فيه
شيخ المشايخ يفجع القلب طاريه
جعل المداوي ما لقي شن يداويه
والجسم كمل ما لنا حيلة فيه
أخوي أنا لاذقت عسر البلاء فيه
واطلب عسى لامريومه ولا أبكيه
مـاله وزين بالمودة يلاديه
من جاء عطشان روى من سواقيه
جعل الولي عن كل الأشرار ينجيه
في مجلس ما كل شيخ جلس فيه
والكل منهم بالمجالس يباريه
واللي يشوفه ما يقول الرجاء فيه
ومنين ما وجهه إلهي يوازيه

(*) قصائد شقيقة الشيخ منيرة العلي الغصون منها ما كان في مناسبات سفر وعلاج ونحو ذلك، ومنها ما كان بعد وفاته، وهذه القصيدة قالتها شقيقة الشيخ عندما سافر فضيلة الشيخ الوالد رحمه الله من سدير إلى المنطقة الشرقية عام ١٣٧٢هـ للعلاج.

وأخوي عندي جملة الحي فاديه (*)

الشاهد المولى على ما جرى لي	لا تسألين بخاطري ما مكافيه
والعين عـيت لا تذوق المنامي	القلب مني زايد الشـوق باريه
عليه أجاب راعي الحمـام	على حبيب كل ما حل طاريه
إلا ويحـصيهـن عزيز الجلال	وأخوي ما والله تعدد حسانيه
حاش المـراجـل دقـها والجلال	الطيب حاشه والردى ما مشى فيه
وأفخر إلى منه طرى بالمجال	يطيب المجلس إلى حل طاريه
وعقب الضمأ يا رد قراح زلال	أبو علي ريف لمن جاء ناصيه
وصفه كما وصف العقاب النداي	سقم الحريب وعز ريعه وعانيه
ترفع له البيضـاء على رأس عال	عند النخاوي يا بنات مما شيه
يا رب مـهل له سنين طوال	يا لله لا تقطع حبال الرجا فيه
إن راح قبلي صاب عقلي هبال	واطلب عسى لا مريومه ولا أبكيه
أطفالهم وشيوخهم والعيال	واخوي عندي جملة الحي فاديه
ويليعه ربي على كل غال	ومن لا مني لا قلت ربي يوازيه
والطيب عنده ما بعده لساني	تم الكلم وقلت جزء من ما فيه

(*) شعر: شقيقة الشيخ منيره العلي الغصون، قالت ذلك أثناء سفر الشيخ إلى أمريكا للعلاج.

أبو علي مدهال للضيف والجار (*)

يا الله يا قادر على كل ما كان	تضبط بعقلي لا يبيح سدودي
هات القلم والحق ترى الصدر مليان	بلغ سلامي للعيال الأسود
بلغ سلامي يا فهد يا كحيلان	نسل الشجاع معربين الجدود
واذكر لهم قلبي من الشوق تعبان	والدمع من عيني يجرح خدودي
واقعد واقوم ولا جي الهم يبران	طوال ليلي والخلاليق رقودي
على الذي ما جاء عليه بالأوطان	الله يسهل له صعاب الدروب
شيخ الشيوخ ومنقع الجود شقران	ما عقبه منجبات الفهود
حاش المراحل وافتخر طير حوران	ماكر حرار معربين الجدود
واليوم من بعده يجي عدة أعوام	وعلى فراقه باينات لهود
وعليه أجاب ملة الذيب سرحان	والله يستر لا أتعدى الحدود
يا الله يا عالم خفيات الأسرار	اليوم من بعده علي ما يعود
أرجوك يا رب السماء منشاء الأمطار	سنين ما تطوى عليه اللحود
أبو علي مدهال للضيف والجار	ويضرح إذا كثرت عليه الوفود
شبره وفا من فوق وافين الأشبار	هداج تيماء ما يبي له شهود
أبو علي وصفه كما ضلع سنجار	واللي لجأ له زابنن للسمود
زيزوم ريعه يوم عمسات الأشوار	سقم الحريب وعز صاف الخدود

(*) شعر: شقيقة الشيخ منيره العلي الغصون، قالته عند سفر الشيخ - رحمه الله - إلى أمريكا للعلاج.

لمساعدة يبذل كل الجهود
 وحر على الطولات شبره يزود
 لا صار بالمجلس تخضع الأسود
 بدر الدجى غلّ لقلب الحسود
 الطيب عنده ما لقي له حدود
 واسند كلامي للعيال الفهود
 طلائع بين الشباب السعودي
 كيلى طفح والشوق بيع سدودي
 وعليهم أثنى والخالق شهودي

عز الصديق وريف من جاء مختار
 لطام للعايل إذا صار ما صار
 إذا حكى سكّت حكيمين الأشوار
 الشيخ ما مثله تبين بالأقطار
 تم الكلام وقلت جزء من ما صار
 أشكى علي اللي منشئ كل الأكوان
 أولاد صالح كلهم نقوه أبطال
 ما نيب لا شاعرولا بنت شعار
 قلته على وضع النقا ما به إشكال

زعيم ربه يوم عمسات الأشوار (*)

يا الله يا قادر على كل ما كان
وانك تبدل ساعة الكرب بايسار
مسكين من مثلي من الولف محتار
غديت مثل اللي غطس غب الأبهار
الدمع مني مثل هملول الأمطار
وقلبي من الوجلا غدا فيه فرفار
على ولدها رايح صوب جزار
الدمع يسكب والحشاله ترفار
والاعي الورقا على روس الأشجار
يا ويل ويلي وإن تطورت الأسفار
أشكي عليك الحال يا ماض الأفعال
يا ستر من خدّه كما ضوح محار
إن طالت الغربية فلاني بصبار
على الحبيب اللي نفل كل الأخيار
أبو علي مدهال للضيف والجار
يطيب المجلس إلى جاء بالأذكار
إنك تبدل ساعة الضيق عنا
وتفرج لمن هو طول ليله معني
يهجل وعيا بالوطن يرجهنا
تضرب به الأمواج منا ومنا
والشوق من طول المسافه محنا
وأصبحت مثل الفاطر التي تحنا
وأنا حبيبي يمة الغرب عنا
وأسهر إلى من العيون هجعنا
وأجاوب اللي بالخلا يقنبننا
كان الليالي يا فهد طولنا
شوفوا حلول تبعد الهم عنا
جواهر يا جعل ما يفجعنا
القلب عيا يا فهد يطمئنا
عين عيوني بالكرى يهجعنا
حاش المراحل والكرم ما تونا
وكل يقول الشيخ يا ليت منا

(*) فصيده أخرى قالتها شقيقة الشيخ منيرة العلي الغصون ، أثناء سفر الشيخ لامريكا للعلاج .

يرسي إلى من الحمول ثقلنا
 وشبره وفا يوم الشبور قصرنا
 وإلى حكي حتى الجبال خضعنا
 من لامي به جعل عقله يجننا
 فيها شعاع البدر كأنه مسنا
 الكل منا بالكرى ما تهنا
 أبو علي هداج زين المعنى
 وربي يحقق لي على ما تمنى
 عمر مديد وصحة به يهنا
 والله يبلغني بهم ما أتمنى

مهوب لا قاطع ولا هوب غدار
 مواقفة تحمد طويلات وكبار
 زعيم ربعة يوم عمسات الأشوار
 أخوي ما مثله تبين بالأقطار
 نجد الحبيبه طفيت عنها الأنوار
 من يوم سافر منقع الجود شقران
 نبي العقاب الصيرمي طير حوران
 أطلب من المولى يسير بالأوطان
 عساه يجلس به سنوات وأعوام
 وتم الكلام وقلت جزء مما صار

لا قلت أخوي فكلهن يسكتن (*)

لاكن يشذب ثومه القلب مشذاب
والشاهد الله ما تهنت برقاد
واللي حفظني حافظ سبع الأطباق
أجاب الورقا على روس الأشهاد
لولا يقين القلب رميت الأسلاب
شيخ شهر بين القراب والأجناب
بدر غشي نوره على نور الأشفاق
وأنا عليهن واقفه والبس التاج
أخوي ما مثله تمشى بالأسواق
وسقم المعادي دارنا منه تنهاب
يساعد اللي قفلت عنه الأبواب
نجم ظهر عزيل ريعه إلى غاب
له سمعة عند العرب هم والأجناب
الخير اللي من ترجاه ما خاب
به شوفه ترضى الحبايب والأقرب
يا فزعتي لا قطعت عن الأسباب
من ضيقة بالصدر جنبت الأحباب
لولا غلاهن كان ما نفتح الباب
ما نيب لحلو السواليف مشتاق
وكثر التمني والتماجد ما فاد
ويليعيه ربي على كل الأحباب

البارحه والدمع مني يهل
يضرب وعيا بالوطن يرجهن
علم لفاني خفت عقلي يزل
والعين عيا دمعها لا يكن
ولحد يلومن كان هو باح كني
على شجاء بالملأ ثروة لي
لوشيين البيض ما ولدن
يوم النساء باخوانهن يفخرن
لا قلت أخوي فكلهن يسكتن
أخوي عز البيض لا يقهرن
أخوي إلى من الأمور اعسرن
يرسي إلى من الحمول ثقلن
شبره وفا يوم الشبور اقصرن
وأنا برب العرش ما خاب ظني
إنه يرده للوطن وأرجهن
يا الله تصرف ساعة الضيق عني
من روحته ما خاطري مسفل
وازل إلى من الورود ازهمن
واللي يسولف عند راسي يزن
مالي جدا كود البكاء والتمني
من لامني لا قلت عقله يجن

(*) هذه القصيدة قيلت في رحلته العلاجية الأخيرة لأمريكا، وهي لشقيقته/ منيرة العلي الغصون.

إن عشت بعده ما تهنيت (*)

البارحه من ونت الشيخ ونيت

من ونته ضاقت محاجر ضلوعي

يا ليت أنا في ونته ما توحيت

عليه أنا أسهر والخلائق هجوعي

لولا يقين القلب يا علي عديت

رجم رفيع فوق عال الضلوعي

وأبديت به ما كان بالصدر كنيت

وأسقى الرياض الممحلة من دموعي

يا ليت أنا يا علي لا قلت يا ليت

أروح قبله يا علي لو أسبوعي

إن عشت بعده يا علي ما تهنيت

قلبي على فرقاً المسمى جزوعي

نور البلاد وعندنا شمعة البيت

وشيوخ الشيوخ اللي لربعه دروعي

أخوي عندي يا زن الحي والميت

وسقم الحريب وعزاه الردوعي

ومن لا مني يا علي لا قلت يا ليت

أرجي من الله جعل عقله يزوعي

(*) هذه القصيدة قلت أثناء وجوده في المستشفى ، وهي لشقيقته / منيرة العلي الغصون .

يرفع الرأس ممشاه (*)

يا عـزوتي يا ثروتي يا دلالي	والله لولي حيلة ما تقول آه
واصبر على قسمة عزيز الجلالي	لا شك ذا شيء من الرب وارضاه
مواقفه ما حصلوه الرجالي	أخوي ما شيخ يسوي سواياه
كساب للنوماس بأول وتالي	الطيب حاشه والكرم من مزياه
حاش المراحل دقها والجلالي	شيخ شجاع تنفق الهيل يميناه
شبره على كل الرجاجيل عالي	حر على الطولات تطلع نواياه
لا حل بالطاري يقال المثالي	وأنا اشهد إنه يرفع الرأس ممشاه
واصبح فريد الكون باول وتالي	يطيب المجلس إلى حل طرياه
خلاله بالدولة سوات الهلالي	سبحان رب ميزه في مزياه
فوق العباد وهدر منش الخيالي	ما ظن بالدينيا يذكر حلاياه
إنك تمهله سنين طوالي	يا لله يا للي تسجد الخلق لرضاه
وإن راح قبلي صاب عقلي هبالي	تقر عيني واتهنى بلاماه
ويليعه ربي على كل غالي	من لامني لقلت بقعا تحداه

(*) هذه القصيدة قيلت أثناء زيارة شقيقته له في المستشفى، وهي لشقيقته/ منيرة العلي الغصون.

عساه بالفردوس يلبس وساما (*)

قعدت أدير بخاطري كل هوجاس
 وعروق قلبي بين الأضلاع يُّباس
 يالله لا تبدي سدودي على الناس
 يا فارح الضيقات يا رافع الباس
 وإلا من الفرقا يجي فيه وسواس
 ذي دبرة الخالق على جملة الناس
 واخوي ما مثله تبين مع الناس
 واصبح فريد الكون في كل الأجناس
 وياما عليه أسهر إلى ناموا الناس
 والدمع من عيني يسقن الأطعاس
 وعليه يبكن البني عدم الأجناس
 ويبكي الضعيف اللي تعيس مع الناس
 شيخ الشيوخ اللي كسب كل نوماس
 شيخ المشايخ سمعته ترفع الراس
 في مجلس ما حصله معظم الناس
 يمطر على قبر سكن فيه قرناس
 من ريحته كل تعجب من الناس
 عد النجوم وعد رمل بالأطعاس

البارحة عفت الكرا والمناما
 وكسري فظيع مثل كسر السلاما
 وغديت مثل اللي طواه الهياما
 أرجوك يا اللي زينك ما يظاما
 تضبط بعقلي لا يجي به هبالا
 قالوا لي العذال ياما وياما
 قلت اسمعوا يا ناس ما به كلاما
 أخوي وصفه مثل بدر التماما
 ويا ما عليه دموع عيني سقاما
 وعليه أجاب راعبي الحماما
 وعليه يكون العيال النشاما
 وعليه يكون الضعوف اليتاما
 أظن من يبك الفهد ما يلاما
 مرحوم يا شيخ رفيع المقاما
 عساه بالفردوس يلبس وساما
 ونشو من الرحمن رايح غماما
 والهيل فوقه والنفل والخزامي
 وعليه مني كل يوم سلاما

(*) القصيدة لشقيقة الشيخ / منيرة العلي الغصون.

مرحوم يا للي راح وأخلى المكان (*)

هات القلم عدل جميلات الأسطار
 نسل الحرار اللي ربّي راس ما طال
 وقلبي من الفرقا بدا فيه فرفار
 غديت مثل اللي رمي له بسنجار
 والاكما اللي طاح في غب الأبحار
 من روحته ما أدري عن الوقت وش صار
 يا فارج الضيقات يا وال الأقدار
 وانك تصبرني على كل ما صار
 واجاب الورقا على روس الأشجار
 طيور شلوى كلهم نقوة حرار
 ياما بقلبي من هواجيس وأفكار
 غلاه عندي ما يقدر بمقدار
 ويطيب المجلس إلى جا بالأذكار
 قالوا فريد الكون في كل الأقطار
 مواقفه تحمد طويلات واكبار
 لا صار بالمجلس يخضعون الأخيار

هات السجلي وابعدوا بالمكاني
 بلغ سلامي يا حمّا كل تالي
 واذكر لهم كسري صطى بالعظامي
 والعين عـيت لا تذوق المنامي
 مثل الخلوج اللي طواه الهيامي
 تغطلست صار الجنوب الشمالي
 يا لله يا منشي حقوق الخيالي
 تضبط بعقلي لا يجي به هبالي
 عليه أجاب راعبي الحمامي
 واصيح دم واشتكي للعيالي
 واقول أنا يا علي يا سقم حالي
 أخوي أنا عندي عزيزوغالي
 أخوي حيد من حيود الرجالي
 أخوي إلى منه طرى بالمجالي
 أخوي شبره من خيار الرجالي
 وإلى حكى سكّت شيوخ الرجالي

(*) القصيدة لشقيقة الشيخ / منيرة العلي الغصون.

حاش المراحل دقها والجلالي
 سبحان رب ميزه بالرجالي
 كيف أبنام وكل هذا غدا لي
 مرحوم يا للي راح واخلى المكان
 عسى عليه القبر روض ظلاله
 عساه بالفر دوس باعلى مكاني
 خلان بالدنيا وحيد لحالي
 ليتته من المعبود باقي بدالي
 يا روح روحي يا بعد كل غالي
 أنا احمد الله له عيال حشامي
 والكل منهم يشعلون المكاني
 أحبهم واعزهم هم عيالي
 والى رقوا لمي وصفوا قبالي
 يفرحونن ساعة في زماني
 عليه مني كل يوم سلامي

وأيضاً ولا قاطع ولا هوب غدار
 ما ظن الدنيا حلّي الفهد دار
 يا لله تبدل حالة العسر بيسار
 شيخ المشايخ بدل الدار في دار
 والحدور عنده جالس بين الانهار
 في مجلس ما يسكنه كود الابرار
 يا لله عساي بدبرة الرب صبار
 وانا فدا لك يا بعد كل الاخيار
 لولا يقين القلب قلب العناطار
 عنده بنات كنهن حب محار
 يا الله تحفظهم عن العار والنار
 وكلن اقدر له من العزم مقدار
 كني أطالع جنة الخلد وأنهار
 والا فقلبي لاجئ فيه ما صار
 عد النجوم وعد ورد بالأشجار

كسري عطيب ما لقيه مداوي(*)

أدري شمات الناس ما ودي أطريه
والا الجزع به باديات مباديه
تاج على رأسي أمار النساء فيه
واللي يكلم بالتليفون يبكيه
والشكر لله كل الأجواد تغليه
من زود طيبه ما تعدد حسانيه
كلن يقول ونعم لا حل طاريه
له مركز بالطيب ما أحدر جلس فيه
ويطيب المجلس إلى حل طاريه
والطيب حاشه والردى ما مشى فيه
يا شن بقلبي بين الأضلاع كاميه
ما ظن بالدنيا طيب يداويه
أرجي من المولى يلوعه بغاليه
وأعوي عوي ذئب تمخلي بواديه
قلبي من الفرقا تبين صطاويه
أمس اختفى واليوم ما نيب مخفيه
شيخ المشايخ يرفع الرأس طاريه
الخير اللي كل الاسلام ترجيه
والا مع العالم يبين الخلل فيه

يا شن بقلبي لويقلوه لسانی
أخاف من قوله بداه الهبالي
وراي ما أبكي واحد هو دلالي
أخوي يبكونه شيوخ الرجالي
أخوي أنا عندي عزيز وغالي
وأخوي وصفه مثل بدر التمامي
أخوي إلى منه طرى بالمجالي
أخوي له شبر طويل وعالي
كساب للنوماس بأول وتالي
حاش المراحل دقها والجلالي
كيف أبنام وكل هذا غدالي
كسري عطيب ما لقيه مداوي
من لأمني يوجس مثل ما جرالي
عليه أجاب راعبي الحمامي
أعوي عوي ذئب لقي الدوخالي
ولاعي الورقا على رأس عالي
على شجاع بالخلائق مثالي
يا لله يا ليلي بالسّموات عالي
تضبط بعقلي لا يجي به هبالي

(*) القصيدة لشقيقة الشيخ / منيرة العلي الغصون.

والكبد بعده ما تلذذ بمطعوم (*)

سلم عليه وبلغه بالسلامي
والعين عيت عن لذيد المنامي
والقلب عيا لا يطيق المكاني
والكل منهم يلحقوني ملامي
وأبدي من اللي بين الأضلاع كامي
والعي كما تلعي خلوج المتالي
وأعوي عوي ذيب لقي الدو خالي
وهل دمع بالخفـالين باني
من لامي يفقد من الناس غالي
كيف أبنام وكل هذا غـدالي
تسلون مع طول الدهر والليالي
من لامي يوجس مثل ما جرالي
أنسى شجاع بالخلائق مثالي
مواقفه ما حصلوه الرجالي
العضو لو تدرون عما بالي
يا خير من تشكى عليه الحوالي
والامع العالم يجيبه هبالي

يا علي سلم لي على اللي تزورون
قله ترى قلب من الشوق مضيوم
والكبد بعده ما تلذذ بمطعوم
وإن باح سري فالملا ما يعذرون
أفرح إلى جا الليل عني يكفون
وأبكي كما يبكي عن الديد مضطوم
واقنب قنيب الورق والعي لعي البوم
واصيح دم والملا ما يشوفون
واشهر بصوتي ما تدري على الهون
كيف أبنام وساكن البيت مهدوم
قالوا لي العذال بكرى تسجون
قلت اتركوني يا مالا لا تقولون
ما نيب هبلا ولا نيب مجنون
شيخ المشايخ كلكم له تعرفون
ياما بقلبي من هواجيس وهموم
ياالله ياللي عالم كل مكنون
تضبط بعقلي لا يجي ما قف اللوم

(*) القصيدة لشقيقة الشيخ / منيرة العلي الغصون .

القلب بين الضمائر يهجل اهجالي (*)

يا من لقلب يحن ويرزم ارزامي
 حنه خلوج عن الحيران منحيه
 عليك ياللي بقلبي غالين غالي
 ياللي سكن بالنسيم وتارك حيه
 عليك كل يصيح بصوته العالي
 كل الدول روجت للبيت برقييه
 كل يعزي وينعى ماض الأفعالي
 خسارة ما تعوض بالسعوديه
 القلب بين الضمائر يهجل اهجالي
 والعين عن لذته بالنوم منهيه
 لولا الحيا كان انط الناييف العالي
 وأصـب صوت يردد بالسعوديه
 عليك يا بو علي يا ماض الأفعالي
 يا منقع الجود يا ريف الخلاويه
 وأقول أنا يا ملا حبه براحالي
 من لوعة الحزن قلبي بانـت اصطيـه

(*) القصيدة لشقيقة الشيخ / منيرة العلي الغصون .

ليتي سكنت القبر قبله ولا مات (*)

اللي ربي فيه العقاب النداي
مشرع لأهل الكرم والفتاوي
يجلس لهم كنه سهيل اليماني
يبي يوسع صدر من جاء عاني
شيخ المشايخ راح واخلى المكاني
وراح الجمال وراح نور المباني
رحنا وخليناه للبووم خالي
يقول هدوا نايفات المباني
حرام يسكن به خطات الهداني
والأطغام ما يجيد الكلامي
يسكن به اللي ما يزين المكاني
وخله يحدر عاليات المباني
واضرب على الكف اليمين الشمالي
وقت مضى لي بالغلا والدلاي
واجاب الورقا على رأس عالي
وأعوي عوي ذيب لقي الدو خالي
والعي كما تلعي خلوج المتالي

يا علي سلم لي على البيت هناك
يا علي مضابه سنين طويلات
لاجا مساء الجمعة تجي الناس دفعات
يمزح ويضحك لو تعوبه كبيرات
من يوم قفى منقع الجود هناك
الباب قفل والمجالس مطفات
من عقب ما هو شامخ مثل أبنات
يبكى ويطلبنا حديث المعدات
البيت ماله قيمه عقب هناك
عقب المسمى يسكنونه خواجات
عقب الشجاعة والكرم والمروات
هات الدركرتر واجعله ضمن الأموات
وأقول أنا يا علي هيهات هيهات
يا علي يا وجدى على فايت فات
ياما عليه أسهر والأعيان نيمات
واصب صوت واتبع الصوت ونات
وارفع بصوتي بالبكاء والتنهات

(*) القصيدة لشقيقة الشيخ / منيرة العلي الغصون .

وعليه يبكون العيال الحشامى
أصبح فريد الكون بأول وتالي
سبحان رب ميزه بالرجالي
حاش المراحل دقها والجلالي
وأبو اليتم وريف من جاء عاني
ومن كان بالدنيا رخيص وغالي
ما يسكن الحفره حما كل تالي
ما ذقت حر الحزن يا سقم حالي
كسري فظيع ما لقى له مداوي
عقب الشحم تاتي نحاف هزالي
كان الجبل يصبح طمان اسهالي
من لامني يوجس مثل ما جرالي
ساعات أجاب راعبي الحمامي
واقعد مع الغالي وأنا الفكر خالي
من لوعة ما حس به مودماني
يضبط بعقلي لا يجيبه هبالي
وشلون أعيش وكل هذا غدا لي
ويليعه ربي على كل غالي

ألعي ويلع البنات الستيرات
عندي فلا مثله مع الحي قدمات
فوق العباد وحدر رب السموات
شيخ على الشجعان حاز الطويلات
فزاع للقاصر وراع المروات
تفداه عندي كل الأحياء والأموات
والله لو هي بالثمن والمثارات
ليتي سكنت القبر قبله ولامات
ياما عليه جروح قلبي عطيبات
لو ما بقلبي بالجمال السمينات
لو ما بقلبي بالجبال المنيفات
أنا اشهد إني ما تهنيت من مات
الليل يقضي بالبكاء والتنهات
أحاكي الصدقان والله مجارات
لولا يقين القلب عطيت بأصوات
أرجى من اللي يبعث الحي إلى مات
يا علي ليتي ميتة قبل ما مات
من لامني لا قلت يبلى بعاهات

فہرست الموضوعات

الموضوع

الصفحة

٥ تقديم سماحة المفتي

٧ تقديم فضيلة الشيخ الدكتور عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

٩ تقديم فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان

١١ الديوان الملكي ينعى الشيخ ابن غصون.

١١ الملك يواسي أسرة ابن غصون.

١٢ سمو النائب الثاني قدم تعازيه لأبناء وأسرة الشيخ ابن غصون.

١٣ الرابطة تعزي في وفاة الشيخ صالح بن غصون.

١٣ نائب مفتي عام المملكة: بيان الديوان الملكي عكس الاهتمام بالعلماء.

١٤ ابن جبير واللحيدان وآل الشيخ ينعون الشيخ ابن غصون.

١٦ ابن باز يحث أبناء ابن غصون: ادعوا له بالرحمة والغفران.

١٧ المقدمة

٢٧ الفصل الأول: ترجمة الشيخ - رحمه الله -

٢٩ اسمه

٢٩ مولده

٢٩ نشأته وتأثره

٣٠ مشايخه

٣٠ محفوظاته

٣٢ أعماله

٣٤ تلاميذه

٣٥ مؤلفاته

٣٥ مكتبته

٣٦ صفاته وأخلاقه

٣٧ عزة نفسه

الصفحة

الموضوع

٣٧	كرمه
٣٩	رقته
٣٩	عبادته
٤٠	ذكاؤه وحفظه
٤٢	توثيقه للمسائل العلمية
٦٦	محبه للعلم
٧١	بذله للعلم
٧٣	إجلاله للعلماء
٧٥	اهتمامه بطلابه
٧٧	محبه للخير
٧٧	تواضعه
٧٩	تعامله مع الخدم
٨٠	ورعه وزهده
٨٠	وفاءه
٨١	يقينه
٨٨	أولاده
٨٩	مرضه ووفاته

الفصل الثاني: الشيخ - رحمه الله - بأقلام محبيه

١٠١	ذكرياتي مع سماحة الشيخ صالح بن غصون - أ. د. زاهر الأملعي
١٠٣	بوفاته فقدت المملكة واحداً من أبرز من تولى القضاء والإفتاء - معالي
١٠٦	الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ
١٠٩	على مثل هذا فلتبك البواكي - معالي الدكتور صالح بن عبدالله ابن حميد .
١١٣	رجل علم وخلق - معالي الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر
	عرفته فعرفت فيه الفقيه والعالم الجريء . . . معالي الشيخ عبدالله

الصفحة

الموضوع

١١٨

ابن سليمان المنيع .

- عرفت منه الصراحة في الحق - معالي الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن

١٢٠

البسام .

- معرفتي بالشيخ صالح بن غصون - فضيلة الشيخ الدكتور عبدالله بن

١٢٢

عبدالرحمن الجبرين .

- عوّضه الله عن البصر بنور القلب والبصيرة - معالي الشيخ عبدالله بن

١٢٥

عبدالعزیز بن رشید .

- حصل في زمن قصير ما لم يحصله غيره من العلوم - معالي الشيخ

١٣٩

عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل .

- حفظه للقرآن الكريم وكثير من المتون كان زاد مسيره - معالي الدكتور

١٤٢

عبدالله بن عبدالمحسن التركي .

- عُرف - رحمه الله - بحبه للكتب والحرص على إنهاء عمل كل يوم في

١٤٦

وقته - معالي الشيخ عبدالمحسن بن عبدالله الخيال .

- أحدث تجديداً في أسلوب الخطبة وكان معروفاً بالفراسة والنباهة -

١٤٨

فضيلة الشيخ عبدالمحسن بن محمد البنيان .

- كان محباً للعلم مكباً عليه إلى آخر حياته - معالي الشيخ علي ابن

١٥٣

سليمان الرومي .

- عرفته - رحمه الله - في دماثة الخلق ولين الجانب وغيرة العلم - معالي

١٥٨

الشيخ غنيم بن مبارك الغنيم .

- فضيلة الشيخ صالح بن غصون كما عرفته - أ. د. محمد بن أحمد

١٦٠

الصالح .

- الشيخ صالح من الذين ينبغي أن يحفظ لهم التاريخ ذكرهم الحسن -

١٦٥

الشيخ محمد بن حسن الدريعي .

- استطاع الشيخ أن يكسب إعجاب الناس وأن يكون حكمه مقنعاً لجميع

الصفحة

الموضوع

- ١٦٧ المتخاصمين - أ. د. محمد بن سعد بن حسين .
- كان الشيخ صالح - رحمه الله - صاحب منهج متميز في القضاء - معالي
- ١٧٢ الشيخ محمد بن سعد الشويعر .
- الشيخ صالح من الأفاضل الذين كونوا الأساس للنهضة العلمية
- ١٧٤ والدعوية في البلاد - معالي الشيخ محمد بن عبد الله السبيل .
- ١٧٧ - فقدناك يا أبا علي - معالي الشيخ منصور بن حمد المالك .
- ١٨١ الفصل الثالث: نماذج من بحوث الشيخ - رحمه الله - «قتل الغيلة» .
- ١٩٥ - قرار هيئة كبار العلماء الخاص بقتل الغيلة .
- ١٩٧ الفصل الرابع: نماذج من أحاديث الشيخ - رحمه الله -
- ١٩٩ - الأمانة .
- ٢٠٢ - الإسراف .
- ٢٠٥ - التشبه بين الرجال والنساء .
- ٢٠٨ - القابض على دينه كالقابض على الجمر .
- ٢١٢ - خيانة الأمانة .
- ٢١٦ - رعاية اليتيم .
- ٢٢٠ - حرمة المسلم .
- ٢٢٥ - حق الجار .
- ٢٢٨ - حق الصائم .
- ٢٣١ - من أحكام الصيام .
- ٢٣٤ - صلاة التراويح .
- ٢٣٨ - الإحرام .
- ٢٤٢ - تربية الأولاد .
- ٢٤٦ - واجبنا نحو إخواننا في البوسنة والهرسك .

الصفحة

الموضوع

- ٢٥٠ - التوكل وفضله .
- ٢٥٥ الفصل الخامس: نماذج من مراسلات الشيخ رحمه الله مع العلماء
- ٢٨٧ الفصل السادس: نماذج من فتاوى الشيخ - رحمه الله -
- ٢٨٩ س-١: ما حكم قراءة القرآن الكريم والنذر به إلى روح النبي ﷺ؟ .
- س-٢: ما حكم الصلاة في المساجد التي فيها قبور سواء كانت القبور في قبله المصلي أو خلفه؟ .
- ٢٩٠ س-٣: ما حكم من ذهب إلى بئر يشاع عند الناس أن ماءها شفاء من كل مرض؟ .
- ٢٩٢ س-٤: توفي جدي في مصر، وكل سنة في نفس يوم مماته نحبي ليلة في ذكر أوصاف سيدنا محمد ﷺ ونطلق البخور، ثم نشرب القهوة، ونختم الليلة بالعشاء، هل هذا يجوز في الإسلام أو لا؟
- ٢٩٣ س-٥: يوجد عندنا أعداد من القبائل في القرى عندهم ثلاثة أشخاص يقولون لهم «سويداء»، وهذه القبائل تقيم لهم احتفالاً كل سنة، «قصد للموتى» ومحوط على كل واحد قفص، ويذبحون لهم أعداداً من الغنم والبقر وغير ذلك، نرجو أن توضحوا لنا حكم ذلك؟ .
- ٢٩٤ س-٦: يوجد ناس يقال عنهم إنهم يملكون الروحانية، وهؤلاء الناس يعلقون في رقبة المريض الحجاب، فما حكم هذا الفعل؟
- ٢٩٥ س-٧: ما حكم زيارة القبور للرجال في الأعياد، وقراءة القرآن عندها، وتفريق النقود والطعام؟
- ٢٩٦ س-٨: أنا تاجر أريد أن أفتح محلاً للألعاب الخاصة بالأطفال بما في ذلك من مجسمات وألعاب مثل الفيلة والدببة وأشكال مخلوقات الله، فهل هذا حلال أو حرام؟
- ٢٩٨ س-٩: يوجد شاب ليس له إلا يد واحدة واليد الأخرى لها أربعة

الموضوع

الصفحة

٢٩٩

أصابع ، فماذا يفعل عند الوضوء؟

س-١٠ : أصابني زكام ، وأعطاني الطبيب أدوية من بينها قطرة للأنف ، ولما أردت الوضوء للصلاة وجدت أن الاستنشاق سيؤدي إلى إذهاب

٢٩٩

مفعول القطرة ، هل علي حرج إن تركت الاستنشاق؟

س-١١ : قرأت في بعض الكتب أن بول الطفلة الصغيرة التي لم تأكل الطعام يجب أن يغسل أولاً ثم يعصر لكي تتم طهارته ، أما بول الطفل الصغير الذي لم يأكل الطعام فيكفي نضحه بالماء وبذلك يطهر الثوب ،

٣٠٠

هل هذا صحيح أو لا؟ وإذا كان صحيحاً فما الحكمة من ذلك؟

٣٠٠

س-١٢ : هل تجوز الصلاة بالجوارب التي فيها ثقب؟

٣٠١

س-١٣ : ما هي الجبيرة؟ ومتى يسمح المصاب عليها؟ وكم فرضاً يصلي بها؟

٣٠١

س-١٤ : ما حكم رمي الشعر الساقط من الرأس في القمامة؟

٣٠٢

س-١٥ : هل قص شعر المرأة من وراء محرم أو لا؟

٣٠٢

س-١٦ : هل يجوز لبس الكعب العالي للنساء؟

٣٠٣

س-١٧ : هل يجوز استعمال المكياج للمرأة؟

س-١٨ : ما حكم لبس الذهب للرجال ، وإذا صار كل الناس أغنياء هل

٣٠٣

تبطل علة تحريم لبس الذهب؟

٣٠٤

س-١٩ : هل يجوز للمرأة تنف الحواجب وذلك للزينة؟

س-٢٠ : ما العمل إذا وافقت الجمعة يوم عرفة هل يصلي الظهر والعصر

٣٠٥

جمعاً وقصراً ، وتكفي عن صلاة الجمعة ، مع ذكر الدليل إن وجد؟

س-٢١ : عندنا في «استوكهولم» حالياً الفرق بين الغروب وطلوع

الفجر أربع ساعات ونصف ، والبعض يصوم ٢٠ ساعة ، والبعض

يصوم ١٦ ساعة ويفطر والشمس مازالت ، ويصلون التراويح بعد

صلاة العشاء والشمس واقفة ، والبعض يصوم ٢٤ ساعة يبدأ الأكل

في الساعة التاسعة ، والشمس لازالت ، ويصبر حتى يعود في الساعة

الصفحة

الموضوع

٣٠٥

التاسعة والشمس لازالت أيضاً؟ فما حكم فعلهم؟ .

س-٢٢: ما الأفضل في صلاة التهجد القراءة سرّاً أو جهراً إذا كان

٣٠٠٦

الشخص لوحده؟

س-٢٣: أعمل سائق طريق طويل ١٣٠٠ كم، هل يجوز لي قصر

٣٠٧

الصلاة، علماً أنني طول الأيام مسافر؟

س-٢٤: سافرت لأخذ عمرة، واعتمرنا وأنهيناها، وعندما وصلنا إلى

المدينة كان يوم الجمعة، وصلينا الجمعة جماعة مع الرجال ولم أصل

الظهر، وعندما رجعت قال لي بعض الناس إنها لا تجزئ، فهل هذا

٣٠٧

صحيح؟

س-٢٥: إذا اشتبه علي في الصلاة هل قرأت الفاتحة أو لا، هل أعيد

٣٠٨

قراءتها؟ علماً بأن شكّي هذا في نفس الركعة؟

س-٢٦: ما حكم الدعاء في نهاية صلاة الفريضة، وما حكم رفع

٣٠٨

الكفين؟ .

٣٠٩

س-٢٧: ما حكم سجود التلاوة وسجود الشكر؟

٣٠٩

س-٢٨: ما حكم صلاة الضحى؟

س-٢٩: رجل عليه صيام شهرين متتابعين ومات قبل انقضاء صيامه،

٣٠٩

فهل يصح أن يكمل عنه الصوم، أو يصام عنه من بداية الشهرين؟

س-٣٠: لي عم متوفى وعليه دين فأراد والدي أن يدفع الزكاة عنه

٣١٠

للذين يطلبونه، هل يصح هذا أو لا؟ .

س-٣١: نقرأ في كتب الفقه أن زكاة خمس من الإبل شاة، فهل تجزئ

٣١٠

الماعز في إخراج الزكاة؟

س-٣٢: نويت الحج في العام المنصرم، وأدينا ما علينا إلى أن وصلنا

إلى يوم عرفة، وفي صباح يوم عرفة قبل شروق الشمس توجهنا من

منى إلى عرفة، وفي أثناء الطريق، أي قبل وصول عرفة وقع علينا

الموضوع

الصفحة

- حادث ، وتوفي شخص وجرح آخر ، ونقلنا إلى المستشفى بعرفة ،
 أرجو إفادتي إذا كان علي نقص من مناسك الحج ؟ . ٣١٠
- س-٣٣ : والذي يقوم بذبح الأضحية قبل صلاة العيد فهل يجوز ذلك؟ ٣١١
- س-٣٤ : هل تجوز الأضحية عن الأموات؟ ٣١٢
- س-٣٥ : رزقت بمولود وختنته في اليوم السابع ، فهل يجوز لي أن
 أؤخر العقيقة إلى الأسبوع الثالث وأكون مدركاً للسنة؟ ٣١٣
- س-٣٦ : إذا توفيت امرأة حامل فماذا يعمل للجنين؟ ٣١٣
- س-٣٧ : كيف يكون اللحد بالنسبة للقبر؟ . ٣١٤
- س-٣٨ : ما حكم ذهاب المرأة المسلمة إلى العزاء والبكاء على الميت
 بدون رفع الصوت ، وما حكم البكاء مع أهل الميت؟ ٣١٤
- س-٣٩ : كيف يغسل الميت؟ وما شروط صلاة الجنازة؟ وهل يجب على
 كل من حضر الدفن تشييع الجنازة؟ . ٣١٥
- س-٤٠ : هل يجوز وضع المصحف على صدر الميت وقراءة سورة
 «يس» عند الوفاة؟ ٣١٦
- س-٤١ : هل يجوز الترحم على الكافر؟ ٣١٧
- س-٤٢ : إذا تزوجت امرأة برجل وطلقها ثم تزوجت بآخر وأنجبت منه
 بنتاً فهل يجوز للبنت أن تكشف عند زوج أمها السابق؟ ٣١٧
- س-٤٣ : أردت أن أزوج ابني ابنة أخي ، وقد تبين أن أم البنت
 أرضعت ولدي هذا مع ابن لها قبل هذه الفتاة رضعتين أو ثلاثاً
 مشبعات ، مع العلم أن أم ولدي لم ترضع أحداً من أبناء أخي ، هل
 يصح أن يتزوج ولدي بهذه الفتاة؟ أرجو الإفادة بما يزيل الشك؟ ٣١٨
- س-٤٤ : إذا لقيت على الطريق العامة ضالة تافهة فأخذتها ، ولا
 أعرف من صاحبها أو مكانه ، فهل علي شيء؟ ٣١٨
- س-٤٥ : والدتي نامت وبعد ما غرقت في النوم انقلبت على طفلها ،

الصفحة

الموضوع

- ٣١٩ ومات، وصامت شهرين متتابعين، ماذا تفعل بعد ذلك؟
- س-٤٦: هل يجوز تربية طيور الزينة وحبسها في الأقفاص، علماً بأنه يقدم لها الطعام والشراب؟
- ٣١٩
- ٣٢١ **الفصل السابع: رثاء الشيخ - رحمه الله - نثراً**
- ٣٢٣ - رحمك الله يا شيخ صالح - أبو حامد إبراهيم الشثري
- ٣٢٤ - الشيخ صالح بن غصون عاش كريماً ومات عزيزاً - إبراهيم بن محمد السبيل
- ٣٢٦ - بيننا وبينكم يوم الجنائز - أحمد بن صالح الطويان
- ٣٢٨ - ابن غصون بكت من أجله العيون - أحمد بن مونس العتري
- ٣٢٩ - إلى جنة الخلد يا أبا علي - حمد بن عبدالله الصغير
- وفاة الشيخ صالح بن غصون، والأرض تحيا إذا ما عاش عالمها - خالد
- ٣٣١ ابن عبدالرحمن الشايح
- ٣٣٤ - صالح بن غصون . . الفقيـد الأجل - د. خالد بن علي العلي
- ٣٣٦ - إنا على فراقك يا أبا علي لمحزونون - سليمان بن سالم الحناكي
- ٣٣٩ - ما مات من سلك القضاء نزاهة . . د. صالح بن عبدالله المالك .
- ٣٤٤ - بين أغصان الجنة يا ابن غصون - طارق بن عايد العايد
- ٣٤٦ - أيها المغرب كنت أنيسي - د. طارق بن محمد الخويطر
- ٣٤٨ - سلام عليكم أيها الحزاني - د. طارق بن محمد الخويطر
- ٣٥٠ - نجم أفل وحبـيب ترك - معالي د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر
- وفاة الشيخ صالح أسبغ الله عليه رحمته - الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز
- ٣٥٢ بن عبدالرحمن المبرد
- ٣٥٧ - ابن غصون صديق العمر - الأستاذ عبدالله بن إدريس
- ٣٥٩ - يرحم الله ابن غصون - عبدالله المفلح
- ٣٦١ - كيف لا نحزن على فراقك؟ عبدالمحسن أبا حسين
- العالم الذي فقدناه . . بعض الذكريات مع الشيخ ابن غصون - الشيخ

الموضوع

الصفحة

- ٣٦٣ عبدالمحسن بن محمد البنيان
- ٣٦٥ - فقدنا ذلك النجم المضيء - علي بن عبدالله السلطان
- ٣٦٧ - الشيخ ابن غصون . . العالم الذي فقدناه - د . علي بن مرشد المرشد
- ٣٦٩ - كفى بالموت واعظاً - فهد بن عبدالعزيز الوهيب
- ٣٧١ - اللهم لا اعتراض - فهد الفريان
- ٣٧٣ - ثم سكنت الغصون المورقة - محمد العبد السلام
- ٣٧٦ - إلى جنة الخلد ياذن الله - محمد الصالح العميل
- ٣٧٨ - نجم هوى - محمد بن عبدالله الشايع
- ٣٨٤ - الشيخ ابن غصون الفقيه النادر - أبو عبدالرحمن بن عقيل
- ٣٩١ - عزاء لا ينتهي - محمد محمد باجنيد
- ٣٩٣ **الفصل الثامن: رثاء الشيخ - رحمه الله - شعراً**
- ٣٩٥ - لوعة قلب - أحمد بن سليمان اللهيبي
- ٣٩٦ - الإرث الذي لا يغني - بدر بن سليمان الريش
- ٣٩٨ - نبكي - حامد بن سعيد الأحمر
- ٤٠٠ - الشيخ الجليل - سليمان عبدالعزيز الشريف
- ٤٠٢ - صرح علم وفضل - د . طارق بن محمد الخويطر
- ٤٠٣ - حميد الشيم كريم الطباع - د . طارق بن محمد الخويطر
- ٤٠٥ - أيها العيد أين أفراحك؟ - د . طارق بن محمد الخويطر
- ٤٠٨ - ما لنا من الموت فوت - عبدالرحمن عبدالله الكريم
- ٤١٠ - علم يهوي - أ . د . محمد بن سعد بن حسين
- ٤١١ - يا راحلاً لم تغب - محمد بن عبدالله المسيطير
- ٤١٣ - فجع المسلمون بابن غصون - محمد بن فهد بن حمين الفهد
- ٤١٤ - شيخ المشايخ - منيرة العلي الغصون
- ٤١٥ - أخوي عندي جملة الحي فاديه - منيرة العلي الغصون

الصفحة

الموضوع

- ٤١٦ - أبو علي مدهال للضيف والجار - منيرة العلي الغصون
- ٤١٨ - زعيم ربه يوم عمسات الأشوار - منيرة العلي الغصون
- ٤٢٠ - لا قلت أخوي فكلهن يسكتن - منيرة العلي الغصون
- ٤٢١ - إن عشت بعده ما تهنت - منيرة العلي الغصون
- ٤٢٢ - يرفع الرأس ممشاه - منيرة العلي الغصون
- ٤٢٣ - عساه بالفردوس يلبس وساما - منيرة العلي الغصون
- ٤٢٤ - مرحوم يا للي راح واخلى المكان - منيرة العلي الغصون
- ٤٢٦ - كسري عطيب ما لقيه مداوي - منيرة العلي الغصون
- ٤٢٧ - والكبد بعده ما تلذذ بمطعوم - منيرة العلي الغصون
- ٤٢٨ - القلب بين الضمائر يهجل اهجالي - منيرة العلي الغصون
- ٤٢٩ - ليتي سكنت القبر قبله ولا مات - منيرة العلي الغصون

٤٣١

فهرس الموضوعات

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com